

المآثر السلطانية

(تاريخ إيران و حروبها مع روسيا)

في نهاية القرن الثامن عشر و بداية القرن التاسع عشر الميلادي



المشروع القومي للترجمة

745

تأليف : عبد الرزاق بك الشنكليش
ترجمة : محمد مهدي أبو زيد
مراجعة وتقديم : عبد الحفيظ عيسى

« المآثر السلطانية »

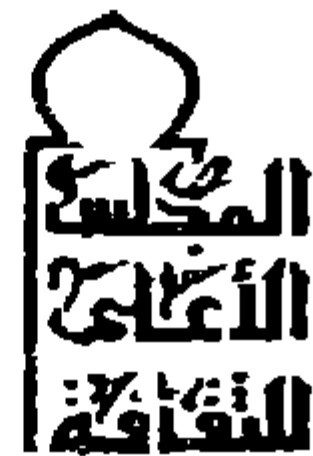
(تاريخ إيران وحروبها مع روسيا)

« فى نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلاديين »

تأليف : عبد الرزاق بيك الدنبلى

ترجمة : محمد سيد أبو زيد

مراجعة وتقديم : عبد الحفيظ يعقوب حجاب



المشروع القومي للترجمة

إشراف : جابر عصفور

– العدد : ٧٤٥

– المتر السلطانية

– عبد الرزاق بيك الدنبلى

– محمد سيد أبو زيد

– عبد الحفيظ يعقوب حجاب

– الطبعة الأولى ٢٠٠٥

هذه ترجمة كتاب :

مأثر سلطانية

تاريخ جنگهاى ايران و روس

عبد الرازق مفتون دنبلى

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة

شارع الجبلية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo

Tel. : 7352396 Fax : 7358084 .

تهدف إصدارات المشروع القومي للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربي وتعريفه بها ، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم ، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .

المحتويات

23	تقديم المراجع
25	تصدير المترجم
29	المقدمة
32	١ - شرح أحوال الطائفة القاجارية
35	٢ - بيان أحوال الجد الأعلى الخاقان فاتح البلاد : فتح على خان
	٣ - زهاب فتح على خان القائد إلى إصفهان من أجل صد الأفغان
36	ومعاونة الشاه سلطان حسين الصفوى
38	٤ - فى بيان كيفية أحوال الخاقان ساكن الجنة محمد حسن خان ..
	٥ - مجيء شاه بسندخان الأفغانى بغرض إخضاع إستراباد
	وهزيمته من حسين خان القاجارى والأبطال المظفرين وإخضاع
40	جیلان وقزوین والقتال مع كريم خان الزندى وإخضاع إصفهان .
	٦ - مقاتلة النواب محمد حسن خان مع آزادخان الأفغانى وإنزال
41	الهزيمة به
	٧ - بيان فتوحات ومراتب الخاقان المغفور له محمد شاه بعد وفاة
	كريم خان الزندى على سبيل الإجمال من وضع سياق هذا

43	الكتاب حتى وقت استشهاده حضرته
55	٨ - ذكر فتنة صادق خان الشقاقى
	٩ - ذكر وصول خبر شهادة السلطان السعيد إلى المسامع العلية لملك الآفاق وتحرك موكب الهمايون من فارس إلى العراق
60	١٠ - ذكر جلوس الخاقان فاتح البلاد على عرش السلطنة
	١١ - وصول الأمير محمود بن تيمور شاه الأفغانى إلى شرف حضور سلطان الدنيا الواسعة
61	١٢ - ذكر فتنة محمد خان بن زكى خان الزندى فى إصفهان
62	١٣ - وقائع سنة ألف ومائتين وثلاث عشرة هجرية ، وذكر تحرك موكب فاتح العالم إلى أذربيجان بقصد تأديب المتمردين
65	١٤ - ذكر وصول خبر فساد حسين قلى خان إلى بلاط خديو الآفاق وعودة موكب الهمايون من أجل صده عن أذربيجان إلى العراق .
68	١٥ - وقائع أيام الإقامة فى دار الخلافة طهران
73	١٦ - ذكر تعمير وتذهيب قبة سيد الشهداء . وتركيب الباب الذهبى للضريح الفضى لحضرة المعصومة
76	١٧ - ذكر بعض الأحوال وبناء القصر القاجارى
77	١٨ - وقائع سنة ألف ومائتين وأربع عشرة هجرية ، وتحرك موكب فاتح العالم من طهران إلى ناحية خراسان وإخضاع نيسابور، وتدوين أحوال تلك المنطقة
79	

- ١٩ - ذكر توجه رايات ولي عهد السلطنة إلى ناحية أذربيجان
85 وإخضاع قلعة "هودر"، وانهزام جعفر قلى خان
- ٢٠ - ذكر مجيء محمود ميرزا مرة أخرى إلى بلاط ملجأ الأعظم ،
87 ووقائع أيام التوقف فى دار السلطنة طهران
- ٢١ - مد بساط السرور والفرح والاحتفال بعُرس الأمير حسين على
89 ميرزا
- ٢٢ - ذكر وصول ميرزا مهدى على خان مبعوث حاكم ممالك الهند إلى
91 بلاط كسرى هوشنك المثقف، وقدم سفراء "تبيو سلطان" حاكم الدكن .
- ٢٣ - التفويض المالى والإدارى لمملكة فارس وإقليم مازندران إلى
92 الأمير حسين على ميرزا والأمير محمد قلى ميرزا، ووقائع أخرى .
- ٢٤ - وقائع سنة ألف ومائتين وخمس عشرة هجرية ، وتحرك موكب
94 الهمايون إلى خراسان، ووقائع أحوال تلك المنطقة
- ٢٥ - إرسال حاكم الهند، الجنرال ملكم بهادر للسفارة لخدمة
95 الحضرة العلية الخاقانية
- ٢٦ - ذكر تعيين نائب السلطنة على منطقة أذربيجان وتحريك اللواء
الملكى إلى منطقة خراسان، وإخضاع قلعة "مزنيان"، وتأديب
97 اللهارخان حاكم "سبزوار"
- ٢٧ - تذهيب القبة المباركة للمعصومة وبناء عمارة إصفهان وباقى
101 عمارات أثر الجنة

	٢٨ - وقائع سنة ألف ومائتين وست عشرة هجرية ، والقبض على
103	الحاج إبراهيم خان الشيرازى
	٢٩ - فتنة حسين قلى خان مرة أخرى وإخمادها على يد كسرى
106	العادل
113	٣٠ - قدوم اللهيارخان إلى بلاط الفلك الدوار
114	٣١ - ذكر مجمل أحوال شيخ العرب عبد العزيز والطائفة الوهابية ...
119	٣٢ - وقائع سنة ألف ومائتين وسبع عشرة هجرية
122	٣٣ - حفل عرس ولى عهد السلطنة
124	٣٤ - تكملة حكاية قيصر ميرزا الأفغانى
	٣٥ - وقائع سنة ألف ومائتين وثمانى عشرة ومعاقبة طائفتى كوكلان
125	ويموت فى ساحل (نهر) جرجان
	٣٦ - إخضاع قلعة مشهد المقدسة وأسر نادر ميرزا مع أولاده
126	وإخوته
128	٣٧ - وقائع سنة ألف ومائتين وتسع عشرة
	٣٨ - أوضاع الممالك الروسية وتفصيل أحوالهم وتدخل تلك الجماعة
131	فى شئون ديار الكرجستان
143	٣٩ - سقوط قلعة " كنجه " فى يد الروس
	٤٠ - تكليف مهد قلى خان بترحيل طوائف إيروان ووصول تلك
145	الجماعة إلى خدمة الأمير

146	٤١ - مجيء إيشبخدر لإمداد محمد خان الإيرواني ومحاربته
	٤٢ - إطاعة محمد خان القاجاري حاكم إيروان باستمالة الوزير
149	ميرزا محمد شفيع
149	٤٣ - مجيء الجيش الروسي إلى قلعة إيروان
	٤٤ - تحرك الراية السلطانية إلى إيروان ومعارك جيش الإسلام مع
151	جيش روسيا
151	٤٥ - بيان بتحرك فوج من الجيش إلى قلعة إيروان
152	٤٦ - إغارة الجيش الروسي ليلاً على معسكر فلك العظمة
	٤٧ - كيفية وفاة الحاج خليل خان في بمباي ، ومجيء المستر منستي ،
156	وتعيين محمد نبي خان بسفارة الهند ورجوعه
157	٤٨ - قدوم رُسل أمير التركستان إلى طهران وتمسكه بهذه الدولة ...
159	٤٩ - وقائع سنة ألف ومائتين وعشرين: فساد محمد الأفغاني
	٥٠ - تكليف النواب نائب السلطنة على مملكة أنرييجان لمحاربة
161	روسيا
163	٥١ - بيان بعض من مآثر نائب السلطنة (ولي العهد)
167	٥٢ - بناء العسكرية الجديدة (الجيش الحديث)
170	٥٣ - تصنيع المدفعية والتدريب على القذف بالمدافع
172	٥٤ - تعيين المهندسين وتشديد القلاع
172	٥٥ - تشييد قلعة "عباس آباد" الحصينة

173	٥٦ - تعمير قلعة " النتشق "
174	٥٧ - بناء قلعة " أردبيل "
174	٥٨ - تشييد قلعة خوى الحصينة
175	٥٩ - تعمير قلعة إيروان المحكمة
175	٦٠ - تعمير قلعة دار السلطنة تبريز
176	٦١ - بناء قصر فى أوجان وحديقة خارج قلعة دار السلطنة تبريز ..
176	٦٢ - إزالة بناء حديقة القربوس وبناء عمارة عظيمة مكانها
176	٦٣ - تحديد الأملاك الديوانية وموقوفات الأملاك
177	٦٤ - وضع يوم المظالم
177	٦٥ - وضع نظام دائرة البريد
178	٦٦ - وضع نظام دار الضيافة
	٦٧ - ضبط الأمور الشرعية وتعظيم أهل العلم والفقهاء والعلماء على
178	الوضع اللائق
179	٦٨ - الوضع والحال فى مملكة أذربيجان
179	٦٩ - علاقات نائب السلطنة مع ملوك دول العالم
180	٧٠ - من جملة مآثر الدولة المشهورة
	٧١ - إحضار الجنود ومعلمى المدافع والبنادق والصناع المهرة والأطباء
181	والجراحين من جميع الممالك الإفرنجية

182	٧٢ - أعمال الطباعة
182	٧٣ - صناعة قماش الماهوت فى خو
183	٧٤ - خلاصة الحروب مع الروس حتى سنة ألف ومائتين واثنين وثلاثين هـ ق
	٧٥ - المعركة الأولى مع إيشبخدر قائد روسيا وكانت فى سنة ألف
	ومائتين وتسع عشرة هجرية
	٧٦ - المعركة الثانية فى سنة ألف ومائتين وعشرين هجرية
	٧٧ - المعركة الثالثة أيضاً فى العام نفسه . والسفر إلى كنجه بغرض
	ترخيل رعاياها والمعارك مع جماعة شمس الدينلو وغيرها فى
184	الغابات.
	٧٨ - المعركة الرابعة فى منزل "خانشين" فى سنة ألف ومائتين
184	واحدى وعشرين هجرية
	٧٩ - المعركة الخامسة فى سنة ألف ومائتين وثلاث وعشرين هجرية
185	، ومجىء كدويتش قائد روسيا
185	٨٠ - المعركة السادسة فى شهور سنة ألف ومائتين وثمان وعشرين
	٨١ - فتاوى مجتهدى العصر فى باب معارك الروس وتنظيم رسالة
186	الجهاد للقائم مقام
	٨٢ - إظهار إبراهيم خليل خان للخلاف والعداوة، ومحاربة إسماعيل
	بك بأمر نائب السلطنة مع الجيش القراباغى، وتحرك راية نائب
190	السلطنة من خلفه إلى قراباغ

٨٢ -	مُحاربة نائب السلطنة مع جيش الروس والاستيلاء على خنادقهم	
192	وحصونهم	
٨٤ -	بعض الأحوال التي وقعت في منزل "تخت طاوس" في أثناء	
196	توقف ملك الملوك	
٨٥ -	تكليف نائب السلطنة بإخضاع كنجة والكرجستان وترحيل	
196	رعايا كنجة، وبيان سائر الأحوال	
201	٨٦ - مجيء شفت قائد روسيا إلى جيلان وحدث المعركة والهزيمة ..	
	٨٧ - بيان سيطرة نائب السلطنة على وسادة أملاك أذربيجان،	
202	والأخبار المتنوعة لذلك الإقليم	
	٨٨ - تحرك موكب نائب السلطنة إلى ناحية موغان وقتل إيشبخدر	
204	قائد روسيا	
	٨٩ - تكليف بعض أمراء أذربيجان على إيروان، وتفصيل أحوال ذلك	
206	الإقليم	
	٩٠ - ترويض مصطفى خان حاكم طالش باستمالة ميرزا عيسى	
208	القائم مقام	
	٩١ - وقائع سنة ألف ومائتين وإحدى وعشرين هجرية : تحرك على	
209	باشا والى بغداد إلى كرمانشاهان وانهزامه	
213	٩٢ - قتل إبراهيم خليل خان على يد الروس	

214	٩٢ - تحرك الموكب العظيم لمحاربة روس قراباغ مرة أخرى
217	٩٤ - قدوم موسى جوبر سفير دولة فرنسا
	٩٥ - محاربة الروس والقراباغيين في " كوتش إيلات " مع أبي الفتح
218	خان
219	٩٦ - توجه رايات الجلال إلى ناحية شيروان
	٩٧ - تكليف بيرقلى خان القاجارى وشيخ على خان على دريند وفزع
221	سليم خان حاكم شكى واطمئنتاته
	٩٨ - بعض الأسباب التى بعثت على رجوع الموكب المسعود من
222	شيروان
	٩٩ - محاربة مصطفى خان الشيروانى مع بيرقلى خان ووقوع
224	الهزيمة
225	١٠٠ - محاربة الروس مع سليم خان حاكم شكى وانهزامه
	١٠١ - مجيء مبعوث كدويتش قائد روسيا إلى بلاط نائب السلطنة
226	وإرساله إلى بلاط الخاقان صاحب عرش جمشيد
	١٠٢ - مجيء رسول من قبل الحاج يوسف باشا والالتماس بإطلاق
228	سراح سليمان باشا
	١٠٢ - تحرك موكب نائب السلطنة من تبريز ووصول أخبار هزيمة
231	الجيش الروسى من الجيش العثمانى

- ١٠٤ - ثورة أهالي اسلامبول وجماعة "الإنكشارية" (الجيش الحديث) على السلطان سليم ورفع السلطان مصطفى على العرش مكانه، وكيفية هزيمة جيش الروم (الجيش العثماني). 232
- ١٠٥ - مقتل علي باشا والي بغداد وجلوس سليمان باشا كهيا مكانه. 233
- ١٠٦ - عودة الموكب المظفر إلى تبريز ووصول ميرزا محمد رضا القزويني مع الجنرال غاردان وسائر السفراء إلى بلاط الخاقان الموفق، وتكليف عسكري خان بالسفارة 234
- ١٠٧ - تكليف السيد إبراهيم شيخ الإسلام الخوئي بالسفارة إلى دولة الروم (الدولة العثمانية) 237
- ١٠٨ - وقائع سنة ألف ومائتين وثلاث وعشرين هجرية ، ونقض عهد قائد روسيا 237
- ١٠٩ - قدوم كوييتش إلى إيروان 240
- ١١٠ - محاربة نائب السلطنة مع روس نخجوان 243
- ١١١ - عبور نائب السلطنة من مياه نهر أرس ، ومجيء موسى لاجار من قبل الجنرال غاردان خان من أجل السلام، وإصرار كوييتش على التمسك بقلعة إيروان 245
- ١١٢ - بيان هجوم الروس على قلعة إيروان وانهزامهم 247
- ١١٣ - قدوم السير هرفرد جنس بروننت سفير حكومة إنجلترا وتقوية علاقات الدولتين (إيران وإنجلترا) 252

- ١١٤ - وقائع سنة ألف ومائتين وأربع وعشرين هجرية، وعودة
الجنرال غاردان خان من إيران دون إذن نابليون 255
- ١١٥ - تحرك الرايات الخاقانية إلى مرج أوجان ووصول نائب
السلطنة إلى عتبة الخاقان المقبلة 259
- ١١٦ - تحرك نائب السلطنة إلى تاحية كنج، وظهور عداوة مصطفى
خان الطالشي 261
- ١١٧ - تقرير عمل رحلة الأمير محمد على ميرزا إلى الروس وهجوم
بعض من طائفة "بزتشلو" وعودته إلى إيروان 262
- ١١٨ - سفر فرج الله خان 263
- ١١٩ - عزم نائب السلطنة صوب كوكجه وكنجه 264
- ١٢٠ - إطاعة مصطفى خان الطالشي 269
- ١٢١ - تعيين ميرزا محمد حسن بوزارة نائب السلطنة ، ومجيء
"بارون ويردي" من أجل الهدنة 271
- ١٢٢ - وقائع سنة ألف ومائتين وخمس وعشرين هجرية ، وتعيين
ميرزا الكبير القائم مقام من أجل الهدنة على رغبة "طور
مصوف" وعدم اكتمال الهدنة 274
- ١٢٣ - تحرك الأمير على خان للإغارة على جمع من طوائف القوزاق 277
- ١٢٤ - تعهدات شيخ على خان حاكم قبه ومصطفى خان الشيرواني ،
وتكليف إبراهيم خان القاجاري 278

- ١٢٥ - أسر "طور مصوف" لسليمان خان والى "باش أتشوق"،
وهزيمة القائد حسين خان فى أخسقه من الروس وتعويض
هزيمة القائد مع الروس والاستيلاء على خندق حاجى قرا وقتل
280 جمع الروس الذى كان فى ذلك الخندق وتفريقهم
- ١٢٦ - قدوم ملكهم بهادر وإحضار المدفعية الإنجليزية إلى بلاط ملجأ
283 العالم ، وتفويض المدفعية المذكورة إلى نائب السلطنة
- ١٢٧ - التفويض بالفصل فى الأمور الحدودية لبغداد إلى نائب
284 السلطنة بموافقة الأمير محمد على ميرزا
- ١٢٨ - زهاب طور مصوف للاستيلاء على أخسقه وهزيمته من
285 شريف باشا
- ١٢٩ - وفاة الوزير ميرزا محمد حسن
286
- ١٣٠ - تكليف جمع من الجند على محاربة الروس "شيخ أويز"
287 واستئصال جماعة الروس على يد الجند
- ١٣١ - وقائع سنة ألف ومائتين وست وعشرين هجرية ، وقدوم يس
288 زاده عبد الوهاب سفير الدولة العثمانية
- ١٣٢ - تعيين ميرزا أبى الحسن خان بسفارة إنجلترا وعودته وقدوم
289 السيرجورأوزلى سفيراً فوق العادة إلى بلاط صاحب زحل
- ١٣٣ - حفل عرس الأمراء فى مرج "سلطانية"
291

- ١٣٤ - قدوم أمين باشا إلى قارص وتلك الحدود وعودته 295
- ١٣٥ - إغارة فتح على خان الحاكم العسكري لخوى وسلماس على
"وان" 300
- ١٣٦ - معارك شيخ على خان حاكم "ولكزيه" مع الروس 303
- ١٣٧ - إطلاق سراح عبد الله خان القاجارى من كنج، ورغبة الروس
فى الصلح بين إيران وروسيا 304
- ١٣٨ - بعض المخربين والمفسدين الذين وصلوا إلى قراباغ ، وبعض
المصائب التى حدثت للروس فى ذلك المكان 305
- ١٣٩ - تحرك نائب السلطنة من تبريز وتوجهه إلى قراباغ 308
- ١٤٠ - تحرك نائب السلطنة إلى خندق "سلطان بود"، والمعركة
العظيمة مع الروس وإحراز الجيش المنصور للنصر 310
- ١٤١ - تكليف أحمد خان مقدم وعسكر خان الأفشارى بمعاينة
مفسدى بلباس 315
- ١٤٢ - وصول أخبار معركة الوالى ألكسندر ميرزا مع الروس ،
وعداء أهالى "قسق" معهم ، ومطالبة قائد روسيا "مرقص"
بالصلح والسلام 316
- ١٤٣ - وصول نوروز سنة ألف ومائتين وثمان وعشرين هجرية ،
ومطالبة القائد الجديد "رديشتشوف" بالسلام بوساطة "جور
أوزلى" سفير دولة إنجلترا 317

	١٤٤ - ذكر قدوم الرايات السلطانية إلى مرج "سلطانية" وبيان سائر
319	الأحوال
	١٤٥ - إخضاع لنكران وأرجون طالش، وقرار مصطفى خان إلى
323	جاميشوان
327	١٤٦ - تعيين ميرزا رضا سفيراً لحكومة إيران لدى الدولة العثمانية .
328	١٤٧ - محادثات عديدة مع قائد الروس بشأن السلام وعدم تحقيقه
330	١٤٨ - قضية (هزيمة) "أصلان دوز"
	١٤٩ - الوقائع بعد القدوم إلى تبريز ومسببات تحرك رايات السعادة
337	وأحداث طالش
	١٥٠ - تكليف الأمراء على مقدمة الموكب المزين بالنجوم إلى
	أذربيجان وتحرك الراية الملكية إلى مرج أوجان، وبيان وقائع
340	سنة ألف ومائتين وتسع وعشرين هجرية
	١٥١ - اطلاع قائد روسيا على قدوم الموكب الملكى إلى مرج أوجان ،
	وتحريك سبل السلام بوساطة السفير الإنجليزى السير جور
343	أوزلى بارونت
345	١٥٢ - قدوم الحضرة العلية إلى دار السلطنة تبريز
346	١٥٣ - ظهور فتنة خواجه محمد الكاشغرى وانتهاء أمره
	١٥٤ - وضع بعض القوانين الملكية ونظام الجيش ، وتوجه نائب
348	السلطنة إلى دار الخلافة طهران وعودة حضرته

- ١٥٥ - السماح للسير جور أوزلى بالانصراف من البلاط وتحركه من
تقليس وبيطرسبورج من أجل محادثات السلام فيما بين دولتي
إيران وروسيا 350
- ١٥٦ - وقائع سنة ألف ومائتين وتسع وعشرين هجرية : ذكر بواعث
توجه الهمايون إلى ناحية خراسان ، وتعيين إسماعيل خان
الدامغانى لقيادة ذلك المكان ، وفتح هراة وفراه 352
- ١٥٧ - كيفية فساد محمد زمان خان عز الدينلو القاجارى مع جماعة
الترکمان ويموت فى إستراجاد وأسره على يد أهاليها وأعيانها . 355
- ١٥٨ - وقائع سنة ألف ومائتين وثلاثين ، وذكر سفارة ميرزا أبو
الحسن خان إلى دولة روسيا 357
- ١٥٩ - وفاة مصطفى خان أطلالشى وأحوال أبنائه من بعده ، وكيفية
أحوال جعفر قلى خان ، وثورة أهالى شكى وما آل إليه حالهم . 357
- ١٦٠ - هلاك إسحق القرائى وولده بأمر الأمير محمد ولى ميرزا ،
وثورة حكام خراسان ، ومجىء رحيم خان الأوزيكى وعودته . 358
- ١٦١ - وقلع سنة ألف ومائتين وإحدى وثلاثين هجرية ، وتعيين
الأمير حسين على ميرزا على خراسان 359
- ١٦٢ - بيان بالإغارة على طائفة بلباس لمرتين بقيادة أمير خان
القاجارى 360

- ١٦٣ - وقائع سنة ألف ومائتين واثنيتين وثلاثين فى بيان عودة ميرزا
أبى الحسن خان ومجىء "إسكندر يرملوف" سفير حكومة
روسيا بهدف إتمام السلام فيما بين الدولتين إيران وروسيا ،
361 وذهابه إلى دار الخلافة طهران وعودته
- ١٦٤ - وقائع سنة ألف ومائتين وثلاثة وثلاثين وتحرك الراية
السلطانية بقصد خراسان ، واضطراب مملكتى قندهار
364 وهراة
- ١٦٥ - وقائع سنة ألف ومائتين وأربع وثلاثين هجرية ، ووفاة ميرزا
370 محمد شفيع الصدر الأعظم
- ١٦٦ - زواج محمد ميرزا
371
- ١٦٧ - وقائع سنة ألف ومائتين وخمس وثلاثين
372
- ١٦٨ - وقائع سنة ألف ومائتين وست وثلاثين ، وتوجه رايات الهمايون
373 إلى ناحية خراسان وإطاعة جميع حكامها
- ١٦٩ - تكليف الأمير حسن على ميرزا بمعاقبة بنيادخان
374
- ١٧٠ - تكليف الأمير محمد قلى ميرزا بمعاقبة أتراك "تكة"
375
- ١٧١ - سوء سلوك حكام حدود ممالك الروم (الدولة العثمانية) مع
مستولى الدولة القاهرة ، وبواعث تحرك نائب السلطنة إلى تلك
376 الحدود والمناطق

- ١٧٢- وقائع سنة ألف ومائتين وسبع وثلاثين هجرية ، ومقاتلة باشوات
الروم مع نائب السلطنة فى قلعة "طوبراق" وهزيمة تلك الطائفة
392
- ١٧٣ - وفاة الأمير محمد على ميرزا
402
- ١٧٤ - بيان كيفية الأمراض المهلكة التى حدثت فى هذين العامين أو
الثلاث فى بعض من ممالك الصين والهند وإيران ، وبيان
ارتحال القائم مقام صدر الدولة
403
- ١٧٥- تناول الأكراد على ناحية " سلماس " ، وتعيين يوسف خان
الكرجى غلام الخاصة الشريفة مع مجموعة من الأبطال
والاستيلاء على قلعتى باشقلان وهكارى ، ومجىء مصطفى
خان وخلعه وعودته إلى هكارى
404
- ١٧٦- توسل محمود باشا بابان إلى نائب السلطنة ، وتعيين إبراهيم
خان الباكوى على تلك الحدود، وتنصيب محمود باشا فى
السليمانية والاستيلاء على كركوك وكوى وغارات الجيش
وأعمال السلب حتى ساحل الموصل
406
- ١٧٧ - وقائع سنة ألف ومائتين وثمانٍ وثلاثين هجرية ، وكيفية وقوع
المصالحة العامة فيما بين إيران والروم (الدولة العثمانية)
409
- ١٧٨ - نص اتفاقية الصلح بين الدولتين البهيتين بقلم ميرزا أبى
القاسم القائم مقام
410

416	١٧٩ - وقائع سنة ألف ومائتين وتسع وثلاثين
419	١٨٠ - وقائع سنة ألف ومائتين وأربعين
420	١٨١ - زواج جهانكير ميرزا وبديع الزمان ميرزا
420	١٨٢ - قصة الحاج هاشم خان فى إصفهان
423	١٨٣ - تفويض اللهيار خان القاجارى بمنصب الصدر الأعظم
423	١٨٤ - وقائع سنة ألف ومائتين وإحدى وأربعين هجرية
	١٨٥ - وفاة ألكسندر باوليچ إمبراطور روسيا ونبذة عن أحواله
425	وأخلاقه
425	١٨٦ - معركة الأمير حسن على ميرزا مع جيش خوارزم وهزيمتهم
427	١٨٧ - من مصائب هذا العام
427	١٨٨ - اختتام الكتاب

تقديم المراجع

يطيب لى أن أقدم للمكتبة العربية كتاباً قيماً عن تاريخ إيران وحروبها مع روسيا وباقي الدول المجاورة لها في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلاديين. وفي الحقيقة أن أهمية كتاب "المآثر السلطانية" في الوقت الحاضر بوصفه مصادر التاريخ الإيراني في العصر القاجاري الأول بالطبع تنبع من أهميته ومكانته التي حازها في وقته وعصره، وذلك أولاً : على المستوى الداخلي من قبل ولاية الأمر في إيران الذين اهتموا به إلى درجة طباعته في العام نفسه الذي انتهى المؤرخ فيه من تأليفه، وثانياً : على المستوى الخارجي، فلأنه كان يمثل تاريخ الأسرة القاجارية الحاكمة في إيران في تلك الفترة وعلاقاتها مع دول العالم؛ فقد ترجمه إلى اللغة الإنجليزية - وكما يقول إدوارد براون - السير هار فورد جنس بريتش تحت عنوان "تاريخ الأسرة القاجارية"، ونشره في لندن عام ١٨٣٢م الموافق ١٢٥٠هـ ق. ومع تلك الأهمية السابقة، فلا شك أن لكتاب "المآثر السلطانية" أهمية تاريخية كبيرة من نواح متعددة ولأسباب مختلفة، فمثلاً يقول الباحث والمحقق الإيراني المعاصر غلام حسين صدرى أفشار، عن أهميته ما يلي :

"إن كتاب "المآثر السلطانية" وبناءً على الاعتراف الضمني لمؤلفه، هو تاريخ رسمي وقانوني ودستوري، ومع هذا الوضع، فهو جدير بالاعتبار الخاص؛ لأن مؤلفه كان شاهداً على الأحداث ، وكثير من ذلك الذي بونه رآه بنفسه أو سمعه من شهود العيان وحققه، ومن هذا المنطلق يمكن أن يكون كتاب "المآثر السلطانية" وثيقة فعالة وجادة في مقابلة ومقارنة الوثائق التاريخية المتعلقة بحروب إيران وروسيا."

وبالإضافة إلى هذا، فمن جانبنا نرى أن أهمية هذا الكتاب التاريخية والأدبية تتمثل في الآتي :

١ - أنه من أهم الآثار التاريخية في العصر القاجارى الأول؛ إذ إنه يحتوى على تاريخ الأسرة القاجارية ونشأتها ومرحلة تأسيس الدولة على يد أغا محمد خان القاجارى وتاريخ سلطنة فتح على شاه القاجارى ومآثره، وأعمال ولى عهده حاكم مملكة أنزيبجان عباس ميرزا وحروب إيران مع كل من روسيا والدولة العثمانية وذلك حتى عام ١٢٤١هـ ق الموافق ١٨٢٧م.

٢ - كما أنه واحد من أهم المؤلفات التاريخية التى اهتمت بتسجيل وقائع المعارك والحروب الإيرانية الروسية التى وقعت فى الفترة من عام ١٢١٩هـ ق وحتى عام ١٢٤١هـ ق (١٨٠٤ م : ١٨٢٦ م)، وحيث إنه يحتوى على سجل كامل ووصف دقيق لهذه المعارك استقاه المؤرخ من الوثائق الرسمية للدولة ، حيث كان يعمل كاتب ديوان ولى العهد ومؤرخه الرسمى، ومما سمعه من شهود العيان الذين حضروا تلك المعارك.

٣ - أنه أثر تاريخى مهم يحتوى على تاريخ إيران فى العصر القاجارى الأول من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية والثقافية وبداية نهضة إيران فى العصر الحديث وانفتاحها على العالم الخارجى مع الدول المجاورة لها والدول الأوربية.

٤ - أنه يمثل صورة حية لحالة النثر الفارسى التاريخى وتطوره ونهضته التدريجية فى تلك المرحلة التى عُرُفت بمرحلة البعث أو العودة الأدبية إلى الأسلوب القديم.

٥ - أنه كتاب متميز ومتفرد باحتوائه على كل هذه الموضوعات المتنوعة والمهمة والتى قد لا توجد مجتمعة فى مصدر تاريخى آخر باللغة الفارسية أو غيرها، ولهذا يُعتبر "المآثر السلطانية" من المصادر والمراجع الأساسية والمهمة للتاريخ الإيرانى فى العهد القاجارى الأول وخاصة عهد السلطان فتح على شاه وولى عهده عباس ميرزا.

عبد الحفيظ يعقوب حجاب

تصدير المترجم

فى الربع الأخير من القرن الثانى عشر والنصف الأول من القرن الثالث عشر الهجريين (أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر الميلاديين)، كان يعيش فى إيران مؤرخ وأديب وكاتب وشاعر وهو عبد الرزاق بك بن نجفقلی خان بن شهبازخان الدنبلی النسب الخوئى الأصل التبريزي المسكن والمتخلص فى شعره بـ"مفتون".

وُلِدَ عبد الرزاق الدنبلی فى بلدة "خوى" التابعة لأذربيجان الإيرانية فى سنة ١١٧٦ هـ ق، وقد عاش حتى العاشرة من عمره تحت رعاية والده بتبريز الذى كان حاكماً عليها ، وبعدها عاش لمدة عشر سنوات أخرى رهينة بشيراز فى بلاط كريم خان الزندى، ثم عاش لفترة أربع سنوات أخرى بإصفهان فى أسر على مرادخان الزندى. ولم يشغله فى شيراز وإصفهان طوال هذه الفترة سوى تحصيله للعلم والأدب ومجالسته للعلماء والاشتغال بالتأليف.

وفى الرابعة والعشرين من عمره أى فى نهاية عام ١١٩٩ هـ ق، رجع عبد الرزاق الدنبلی من غربته إلى موطنه الأصلی فى خوى وتبريز باحثاً عن ملك أبيه وأجداده فوجد أن الفرصة قد فاتته، وكان قد اختار من قبل طريق العلم والأدب والتأليف، فانزوى فى مراغة وتبريز لفترة يمارس الكتابة والتأليف.

وبعد أن إستقر حكم إيران لفتح على شاه القاجارى (١٢١٢ هـ ق)، دخل عبد الرزاق الدنبلی فى خدمة عباس ميرزا ولى العهد وحاكم مملكة أذربيجان، ومنذ عام ١٢١٨ هـ ق وحتى وفاته فى عام ١٢٤٢ هـ ق، ظل عبد الرزاق الدنبلی بتبريز يعمل فى ديوان ولى العهد كاتباً ومؤرخاً ، وقد لاقى من الرعاية والعناية الكثير فى بلاطه حتى

أضحى من كبار رجال ذلك العهد ومن كبار مؤرخى الدولة القاجارية ومن أشهر كُتَّاب النثر فى ذلك العصر وأيضاً من رواد العودة إلى الأسلوب الأدبى القديم.

وقد عاصر عبد الرزاق الدُّنبلى ، فترات من أهم فترات إيران التاريخية، فقد عاصر عهد كريم خان الزندى وأعقابَه (١١٦٣هـ ق : ١٢٠٩هـ ق)، ثم عهد آغا محمد خان القاجارى مؤسس الدولة القاجارية (١٢٠٠هـ : ١٢١١هـ ق)، ثم أغلب فترة الحكم الطويلة لفتح على شاه القاجارى (١٢١٢هـ ق : ١٢٥٠هـ ق) وهذه الفترات تذر بال كثير من الحروب والأحداث المهمة فى تاريخ إيران خاصة ، ومنطقة الشرق الإسلامى عامة ، وقد نون عبد الرزاق الدُّنبلى أغلب هذه الأحداث كما أرخ للقاجاريين منذ بداية ظهورهم وحتى أحداث عام (١٢٤١هـ ق) فى كتابه " المآثر السلطانية " - موضوع الترجمة - وذلك بأمر السلطان فتحعليشاه القاجارى وولى عهده عباس ميرزا .

وقد كتب عبد الرزاق الدُّنبلى فى كثير من الموضوعات والمجالات، فله فى النظم والنثر الكثير من المؤلفات التى لم تحظ بالعناية الكاملة ؛ لأن أغلبها ربما قد ضاع وما طبع منها إلا القليل.

والمصدر الذى بين أيدينا الآن هو كتاب " المآثر السلطانية " الذى نون فيه عبد الرزاق الدُّنبلى مجموعة من الأحداث التاريخية المهمة فى تاريخ إيران وخاصة فترة حكم السلطان فتح على شاه القاجارى التى كان لها أثر كبير على مجريات الأمور فى إيران فى العصور التالية حتى وقتنا هذا . فمن هذه الأحداث المهمة مثلاً مجموعة الحروب التى وقعت بين إيران القاجارية وروسيا القيصرية فى تلك الفترة وخاصة منذ عام ١٢١٩هـ ق وحتى عام ١٢٤١هـ ق.

ومن هنا كان اختيارى هذا الكتاب لترجمته ونقله إلى اللغة العربية والتعليق على ما جاء به، حسبما تسمح الضرورة والحاجة.

أرجو أن أكون قد وفقت فى نقله وترجمته إلى العربية نقلاً أميناً، والله ولى التوفيق...

د / محمد سيد أبوزيد

ترجمة نص كتاب « المآثر السلطانية »

فى العهد المبارك

مهد ملك الدنيا الواسعة، ملك الملوك، صاحب القران^(١)، السلطان فتح على شاه القاجارى، وبفرمان نائب السلطنة والخلافة ولى عهد إيران الأمير الموفق عباس ميرزا، طُبِعَ هذا الكتاب المستطاب (المستحب) المسمى با "لمآثر سلطانية" من مؤلفات بلاغة الحُجج، فخر المحققين مولانا عبد الرزاق بيك الدنبلى، فى دار الطباعة بدار السلطنة تبريز، فى شهر رجب سنة ألف ومائتين وإحدى وأربعين هجرية قمرية.

(١) صاحب القران : لقب جديد أطلق على فتح على شاه بعد اللقب السابق (خاقان كشورستان)
(يعنى الخاقان المستولى على الممالك) وذلك بمناسبة مرور ثلاثين عاما على سلطنته ، وقران بمعنى عملة تساوى عشرة تومانات ، وقد ضربت هذه العملة الجديدة بهذه المناسبة . (انظر : نولوران كمنام ايران : زان يونير ، ترجمة ذبيبة الله منصورى ، ص ٦١٩) .

المقدمة

إن التوقيعة الملكية الغراء الممجة، التي تفوح برائحة الورد والعنبر الطيبة على ساحة الأرض من عطر طرة جماله، والديباجة البديعة البيان الممدوحة التي تُزين أيضاً أذن وعُنق الفلك من شعاع جواهره الرصيدة، موشحتان ومزintان باسم مسمى الملكية. وحيث خُلِقَ جسد آدم الطاهر من حفنة تراب باقتضاء الحكمة البالغة في دار صنع لاريب فيه، وبعد أربعين صباحاً من تخمير وتشريف اليد الإلهية وشائب الرحمة على تلك التربة، سُمِحَ لِلنَّاء الروح، وهي الجوهر المُجرد من تطرق الحوادث وسنوح السوانح، بتزيين العالم واستحسان حكمه في قالبها الحيواني، ولأنه [أى الله عز وجل] أعطى إذن الحكم لأعظم ملوكه فى مُلك البدن، وعَمَرَ ذلك القصر المكوّن بوجود عشرة خدام لكل بدن من نوى المفاخر الذين يدعون قواه الباطنية والظاهرية، التى تُفتح عقود الأسرار بغلبة المعرفة وتمييز الحق من الباطل، وتُظهر طائر فهمه بجناح التجرد على شرفة إيوان الزاهدين. وثانى تلك الأئمة والمحامد أنه عمر تحفة سيد الكائنات وتاج الموجودات وناثر بلاط ملك الأولياء وفخر الأوصياء وآله وأولاده^(١)، الذين هم السحاب المُمطر والأسود الغادرة وكواكب السماء وشموس الرفعة وباعثو وجود النجوم والأفلاك ومزintو عرش الماء والطين حتى أرضت ربح الصبا فى كل سحر صانع العطور والبلبل من عشق الورد.

أما بعد، فاليوم، الجواهر المجردة والمنزهة فى زهو وتباه ، وأصحاب محافل القدرة فى سعادة وسرور، وذرات عالم الأكوان فى سعة وانبساط، والكل يبحث عن إكمال السبيل والطريق معاً، ويسبحون ويهللون بأن مُوجد النفوس والعقول وصانع

(١) يقصد المؤرخ الرسول وآله من أولاد ابنته السيدة فاطمة الزهراء ، مع العلم بأن المؤرخ عبد الرزاق الدنبلى شيعى اثنا عشرى متعصب . (المترجم)

الإبداع والتكوين (الخلق) قد وضع ساحة الأرض مزخرفة ومُزينة تحت إمكان (قدرة) سلطان السلاطين بطل الماء والطين^(٢) ، ويأن مبشّر الرحمة ومُنشّر الرأفة فتح أبواب العيش والراحة (ص ٣) وأبواب السرور والأمن في وجه العالمين، والدنيا والجنان والأرض الخالدة للشاهنشاه (ملك الملوك) الأعظم مالك رقاب الأمم كسرى الترك والعجم، حاكم بنى آدم، الجالس على العرش الكسروي، الزاهد ذي القلب المشمس، سماء ظل عرش الخلافة، كرسى إقبال الشمس، جمال نور القمر، كمال الشمس، عدم زوال أساس العظمة، ظل الحشمة، أساس الشوكة، زينة الدولة، نُصرة الحرب، جنة المحفل، عظمة الدولة، هدوء وراحة السلطنة، سماحة سلوة الطبع، فصاحة اللغة، بلاغة البيان، شرف الحسب، أدب النسب، رفعة الفلك، منعة طاقة الأرض، ضياء صدر النجوم، بقاء الشعب، وفاء الشباب، المرآة الصافية للقلب، وصول الأجل للعدو، حصن الأمل للصديق، حُسْن العمل للمذنب، راحة المتألم، فتوح البطل المقيّد؛ ففي اللحظة التي يُظهرُ فيها يده الإلهية تكون الدنيا بأسرها غريقة في النعمة والنعيم، وفي اللحظة التي يضغطُ فيها بقدم السطوة تكون الدنيا بأسرها شعلة نار الجحيم. فانظر إلى العرش المرصع، العرش المعظم في إيوان السلطنة بين عالم الروح وروح عالم العلة غاية خلقه جوهر بحر علمه وبصيرته. [بيت ترجمته] .

إنه حضرة فتح علي شاه الذي وجوده من الأزل

والذي فاضت به روح القدس والأرواح المطهرة

والذي لازال ظلال إقباله على مفارق الأنام إلى يوم القيام، فسبحان الله! فما عدم الوعي هذا والفكر غير الناضج وعدم التعقل، وكيف تُشرح أوصافه ؟ وتعداد محامد أخلاقه على الألسن ومن بينها نشر الرحمة وبشر عطف وحب حضرته والتي وضعها منةً على أهل أنزبيجان، وفتح باب الدولة وأعطى صلات النعمة لابن الملك حاكم الدنيا باسط العدل ابن السلطان المظفر، وجعله حامى الإسلام وملجأ الأنام وأساس أمل الخواص والعوام، وهو جمشيد مملكة الشمس ومؤسس العدل وأنوار

(٢) يقصد السلطان فتح علي شاه القاجارى . (المترجم)

الشمس ومحبة الملائكة وطلعة البحر حاكم خاتم الطين جواهر البحر سلطان
السلطين منجم الرأفة والإحسان نائب السلطنة الياقوت المتلألئ لذلك المنجم ملك
الملوك خاتم جمشيد اللائق بالإقبال الأمير المتمكن المزين للعرش (ص ٤) الذي يهتز
العصر من دولته وقدرته، والفتنة من سياسة هذا المعفى رعوس فى عتبة فلك الحضرة
كالأرض، والقلوب طاوية للطريق بإرادة هذا الحاكم والسياسة الملكية ملك الملك ونزاهة
النفس الملكية لابن الملك الحر [بيت ترجمته] .

حضرة الشاه عباس ذلك الذى فى الإيوان يده كالبحر تحمل الذخائر

• والأمل هو البقاء حتى الزمان والرضا للقمر والنجوم، ولئلا تكون أفة الزوال لهذه
الدولة، ولئلا تصل عين الكمال [عين الحسد] إلى هذه الشوكة بمحمد وآله الأمجاد.
[بيت ترجمته] .

ساحة العالم على هذا النسق وأمر المعاليين على هذا الرونق

١ - شرح أحوال الطائفة القاجارية

ما إن وصل الفرمان من إيوان السلطنة الخالدة إلى العبد الفقير حاوى الأوراق عبد الرزاق بن نجفقلی، بأن يقوم - وعلى الرغم من عدم الفصاحة والاستطاعة - بتدوين وقائع الأحوال الميمونة، وبأن يجعل محاسن آثار الدولة الخالدة القرار تاج افتخار أخبار السلف. فجذب هذا العبد، وبمفاد أن المأمور معذور، حبل التدوين والإيضاح لمختصر من مآثر عهد الهمايون ووقائع أحوال وأوضاع الدولة المتزايدة يوماً بعد يوم، نون مبالغة الكتبة والتصنع فى الكلام والتطويل الممل والإيجاز المخل، وأخرج على صفحة البيان، بمعاونة سنون الأقلام، وقائع أحوال وأوضاع الحضرة العلية السلطانية وكيفية غزوات وحروب ولى العهد حامى الخلافة، وقد سُمى هذا الكتاب باسم " المآثر السلطانية " .

وفى افتتاح الحديث رُبطَ نظم الكلام بشرح أحوال الطائفة القاجارية الجليلة، وسلسلة نظم الحديث مرتبطة بمعرفة حسب تلك الطائفة ونسبها التى شعارها الشهامة. فالطائفة الجليلة الكسروية النبيلة هى من أعزة وأجلة أتراك جلائر، وجلائر من نيرون، وسابا نويان من جلائر، وسرتاق بن سابا، وقاجار بن سرتاق نويان. وقد كان من بين طوائف الأتراك القاجارية ثلاث طوائف، واحدة من سلدوس، وواحدة من تنكفوت، وواحدة من جلائر. فتلك التى من سلدوس لم تأت إلى إيران، وتلك التى من تنكفوت طائفة تابعة بحد ثلاثين أو أربعين بيتاً انضمت إلى سائر طوائف المغول وصارت من بينهم بلا اسم ولا رسم، وتلك التى من جلائر صارت صاحبة الدولة والشوكة، وكانت المنطقة الممتدة من شاطئ نهر "جيجون" وحتى حدود "الرى" تحت [ص ٥] حكم وفرمان سرتاق، وكان معزراً بأمر أباقاخان بتربية أرغون خان على النحو الذى سيرد ذكره قريباً، وقد وجد أرغون تربيته ورعايته. وكانت مملكة سرتاق المختصة به من "قزل أغاج مغان" وحتى حدود "نيسابور"، وكان يقيم فى جرجان، وقد كثر نسله فى جرجان ومازندارن. وفى عهد غازان خان والسابق عليه كان (قاجار) من الألف الخاصة المقربة من "تومان تايجو"، وبعد ذلك سلم غازان خان لابن تايجو

الحراسة (الشرطة)، وفوض إلى قاجار ب تومان تايجو، وأظهر له غاية العزة والاعتبار، وكانت ولاية أبيه في يده.

وقديماً لُقّب أولاد جلّائر بـ "كويانك" وهي بلغة الختائيين عبارة عن الحاكم الكبير أو الملك، وكانت لهم جناح ميسرة جيش طوفان القيامة وراء جنكيز خان، وقد عُرفوا واشتهروا بفتح القلاع وتحطيم العدو وقهر الأسود ومصارعة الخصوم ، وفي عهد جنكيز خان كان كبيرهم "موقلي كويانك"، وفي عهد "أوكتاي قاآن" كان "بوغول كويانك" على مكانة أبيه وكان يُظهر آثار الشهامة. وفي عهد "قبلا قا آن" كان "هتون نويان"^(١) أميراً كبيراً منهم [من آل جلّائر] وقد صار أيلوكه بن بروك قدان من قوم جلّائر مفتخراً ومعزّزاً بفرمان جنكيز خان بمنصب (أتاييك) معلم "أوكتاي قا آن" ومربيه مع الجيش الذي لانهاية له والذي كان تحت ظل رايته، وأتاييك بمعنى المعلم والمربي ، وأعطى (أوكتاي قاآن) للأمير أرغون، الذي كان من الأمراء العظام، عبودية وخدمة أيلوكه الذي كان تابعاً لأمره ونهيه ومنصباً أذنه على فرمانه، ولما كان الأمير أرغون رجلاً فصيحاً وعاقلاً وشجاعاً ارتفع أمره وتفوق على مراتب الأقران والأكفاء.

وفي عهد "منكوقا آن" كان "منكسار نويان" من جلّائر كبير المحكمين (بزرگ يارغو تشيان) وهي بمعنى أمير الديوان ومستجوب المذنبين، وكان يضع حكم الياسا في قراره. وقد جاء إلى إيران أروق ويوقا من أبناء كلاي مع هولاكوخان وكانا ملازمين عبودية أباقا خان، وقد صارا أميرين عظيمين بتربية ذلك الملك على الجاه .

وكان لسرتاق نويان بن سابا نويان، الذي كان أمير الأمراء في خراسان ومازندران في عهد طفولة (ص ٦) أرغون خان، ولد اسمه قاجار، الذي (جاء) منه نسل القاجاريين، وأصبح بداية تناسل وتكاثر هذه السلسلة الجليلة في مازندران وإستراباد وخراسان من أولاد قاجار.

(١) نويان : كلمة مغولية بمعنى أمير وقائد الجيش ولقب قائد الجيش عند المغول والترك . (انظر لغت نامه: على أكبر دهخدا ، جلد ٤٨ ، تهران ١٣٤٦ هـ ش ، ص ٩١١)

وعندما وُجدت الفرصة وأُغِير على أسرة جنكيزخان، أُرْسِلَتْ زوجة جنكيز خان التي كانت حاملاً بجوجي، عند أونك خان، ولما كان لأونك خان الصداقة والمحبة مع يسوكاي بهادر والد جنكيز خان من قديم الأيام فكان يدعو الابن له، وكان ينظر لتلك السيدة بعين الرحمة بوصفها عروس ابنه، وكان لاحترامه لها موضع الاعتبار، وقد بذل الشفقة والعطف بشأنها. وقال له الأمراء إنه كان يجب أن تسترد السيدة، فأجاب بأنها عروسي^(١)، ولا يليق النظر عليها بعين الخيانة، وقد رأى جنكيز خان منه مثل هذه الرجولة والإنسانية ورأى من أونك خان مراعاة الحقوق القديمة والكاتب الكبير. وأُرْسِلَ سابا نويان والد سرتاق وهو جد قاجار، الذي كان محرم أسرار وموضع نظر اعتبار الملك مسخر العالم القهار، إلى أونك خان لطلب السيدة، فنظر أونك خان إلى سابا نويان نظرة احترام وإجلال واعتبر مقدمه تكريماً له وسلم إليه زوجة جنكيز خان وصار عازماً على العبودية. ومن المصادفات أن أمسكت بالسيدة آلام الوضع في الطريق، وأتى جوجي إلى الوجود، ولأن الطريق كان مليئاً بالخاوف ولا يوجد مجال للتوقف والتجهيز والترتيب للمضجع والألبسة، فعجنوا قدرأ من الدقيق وأخذوا الطفل الواصل حديثاً (الرضيع) إلى العجين وأحضره إلى الحضن ونقلوه باحتياط كامل عند الأم حتى لا تتألم أعضائه ولا يتوجع، ولهذا السبب وضعوا له اسم "جوجي" وهو يعنى أنه أتى إلى الوجود فجأة.

ولما انقضت دولة جنكيزخان وشوكة المغول، حكم في إيران لفترة الشيخ حسن نويان وابنه السلطان أويس من طائفة جلائر الذين كانت لهما قرابة مع السلطان غازان والسلطان محمد خدابنده، ومآثرهم مذكورة ومدونة في كتب التواريخ.

والقصة أن الطائفة القاجارية كانت مشهورة بالشهامة والصرامة، وفي أيام سلطنة الشاه إسماعيل الصفوي^(٢) والشاه (ص ٧) طهماسب كان أهل الطائفة مفتخرين

(١) عروسي : صحيحها عروس ابني ، ويقصد ابن صديقه .

(٢) كانت الطائفة القاجارية مثل الطائفة الأفشارية إحدى القبائل التركية التي اعتمد عليها الصفويون في ثورتهم وتأسيس دولتهم . (انظر : The Cambridge History of Islam. vol. 1. P. 431.)

بجلائل الأمور كقيادة الجيش وحكم الحدود، وكانوا مفتخرين ومعرزين فى ساحة العالم بعلو الهمة والروعة ، وعندما وصلت نوبة السلطنة إلى الشاه عباس الماضى الصفوى، شغله الفكر بسبب كثرة وعدة تلك الجماعة، ففرّق جمعهم، ورَحَّلَ جمعاً منهم إلى مرو حجز به مواجهة الأوزبك وكلف جمعاً آخر على كنجه وإيروان، وعين جمعاً ثالثاً فى إستراباد التى كانت موطنهم الأصلى فى مواجهة الأتراك لحماية ثغورها.

٢ - بيان أحوال الجد الأعلى الخاقان فاتح البلاد فتح على خان

أخذ الجد الأعلى الخاقان سليمان المكانة^(١) جمعاً من طائفة "يموت"، وذهب بهم إلى قلعة "مبارك آباد". ومن بوابة أصلمس بك قاجار برناك رئيس الحرس، الذى كان على معرفة تامة به، دخلوا القلعة، وهجموا على محمد خان التركمانى ووزيره ميرزا أحمد وأفنوا كليهما. وبعد هذه الحال، أخذ أمر ذلك المحظوظ فى الارتفاع، فحكم مدينة إستراباد دار إمارته، وفى ذلك الأوان كان شكر بك وأسمه الكردى جهان بيكلو، الذى كان قد استعلى فى فندرسك وراميان، كان تعديه وإجحافه يزيد عن الحدود والنهائية ، وكان يرتكب قتل جمع من الأشراف فأسرع القادة القاجاريون إلى خدمة تلك الحضرة (فتح على خان) بسبب مشاهدتهم لهذه الأحوال، وطلبوا قبول ولاية وإمارة حضرته ، فتجنب حضرته هذا الأمر ، وفى النهاية أجلس فضل على بك شامبياتى ومحمد حسن خان قراموسالوا ومحمد تقى بك سرکشيك مع سائر العظماء والرؤساء حضرته على مسند الإمارة ، وصاروا فى ركاب النائب فتح على خان سالكين وادى النصره والاقتدار من أجل إبعاد شكر الكردى ، وأذاقوه سم الممات بضربة السيف الحاد بعد معارك وحروب كثيرة ، وكانوا قد جعلوا فى فمه شربة الحياة اللذيذة الطعم أمر من الحنظل ، وأطلقوا سراح حياته من سجنها . وبعد هذه الأحوال ، أساء فضل على بك ومحمد تقى بك النية فى حق النائب فتح على خان ،

(١) يقصد تشبيهه بنبى الله الملك سليمان بن داود عليهما السلام . (المترجم)

فلقيا جزاءهما ووصلا إلى زاوية العدم ، وتوجه النائب فتح على خان - بعد طرد الخصوم وإستئصال (ص ٨) الحاقدين - إلى تهئية شئون إستراباد وتوابعها وما حول ذلك الإقليم الذى هو كإرم العامرة^(١).

٣ - ذهاب فتح علي خان القائد إلى إصفهان من أجل صد الأفغان ومعاونة الشاه سلطان حسين الصفوى :

نظراً للإخلاص والمودة التى كان يكتنهما [فتح على خان] للأسرة الصفوية ، فقد أسرع مع ألف شخص من الشجعان القاجاريين والمصارعين الجلدين من أجل طرد أفغان قندهار الذين كانوا مشغولين بمحاصرة إصفهان ، ووجد الشاه سلطان حسين الصفوى محاصراً بالأفغان ، فكان يقود كل يوم المعارك البطولية والحملات الشجاعة ، وكان يرسل إلى الشاه فى إصفهان الغنائم والبيارق الكثيرة، وقد أشار الأمراء الذين لا عقل لهم ولا رأى، على الشاه الطيب ، بأنه يجب أن يعتبر هذا الأمر من التأييدات الإلهية ، وبأن يبرزوا بإعجاب بطولاته فى حضرة الشاه ، وأن يجعلوه قوى القلب ، راسخ القدم بالإنعامات الوافرة والخلاع الفاخرة ، وقد كان هو نفسه من داخله مستعداً لحرب الأفغان، فيقومو بطرد أعداء الدين والدولة . ومن سوء التدبير- مثمما عرضوا إلى الشاه - أن الطائفة القاجارية جمع شعارهم الجلادة وأنهم أسود غابة الحرب ، وأن فتح على خان أيضاً يضع أقدامه ادعاءً للنشاط فى ميدان الشجاعة ويرفع راية الاستعلاء فى ميدان فوضى البلاد وعندئذ يصبح موضع الإعجاب والإحسان فى مقابل هذه الخدمات والبطولات ، فيصعب ضبط عنانه . وقد نالت أقاويل هؤلاء الحمقى إعجاب الشاه سلطان حسين الصفوى ، الذى كان يوم الدولة الأسود وسوء حظها وغلبت على طالعها آثار الذلة والنكبة، فلم يعتنِ بأمر القاجاريين ولم يعتمد

(١) إرم العامرة : يقصد تشبيهه إستراباد بإرم ذات العماد التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم فى الآية رقم (٧) سورة الفجر . (المترجم)

عليهم . ورد النائب فتح على خان على أفعالهم وأقوالهم بعدم قبولها ، وصار قلبه المؤمل مجروحاً ، ويئس مما آل إليه أمرهم . وسلك طريقه إلى دياره . واستولى الأفغان على إصفهان ، ووصل إلى هناك ما وصل ، وذهب الفوج الكبير إلى طهران بإشارة أشرف الأفغانى ، وجعلوا ملك الرى بسبب الظلم وعدم الحساب مثل مدينة الرى . واستقبل النواب فتح على خان الأفغان فى "إبراهيم آباد" وفى " ورامين " بالجيش المقترب بالنصر ، ووقع بينهما القتال والصراع من الظهر حتى المساء ، وفى المساء أسرع الجيشان إلى ثكناتهما ، وفى الليلة نفسها وصل إلى النواب فتح على خان الخبر [ص ٩] بأن الشاه طهماسب - الذى كان قد أرسلوه إلى الخارج قبل خضوع إصفهان من أجل إيجاد وسيلة للأمر - ذهب إلى مازندران فى سنة ألف ومائة وسبع وثلاثين باحثاً عن العز والشرف فى بلدة أشرف ، فحرك النواب فتح على خان لواء الهجوم من إبراهيم آباد بسبب المودة التى كانت مع الأسرة الصفوية ، وعرض عليه الدخول فى خدمته ، فوقع اللوم والإعراض من أمراء الشاه طهماسب بسبب عودة النواب فتح على خان ، وآثروا قلب الشاه طهماسب بالوشاية والوقيعة ، ونقض فتح على خان عزمه بسبب سماعه لهذا الكلام ، وسلك طريقه إلى إستراباد ، وسعى الأمراء بالوساوس والشكوك الكثيرة عند الشاه طهماسب بأن يتجهز بصفوفه للقتال مع القائد فتح على خان فى مدينة أشرف بمازندران ، ووقعت الحرب السلطانية ، وسقط قتلى بلا حصر ، وتفرق الأمراء - الذين لا عقل لهم ولا رأى - كل فى زاوية ، ووقع الشاه طهماسب أسيراً فى يد القائد مقبوضاً عليه ، ولم يبتعد فتح على خان مرة أخرى عن إظهار المحبة والإخلاص وقام بتقديم مراسم التعظيم والتكريم له ، وحمل الشاه على الجاه إلى إستراباد ، واحتشد الجيش العظيم وتوجه إلى خراسان فى ركاب الشاه طهماسب ، وأدخل الأرض المقدسة إلى دائرة الخضوع ، وفى تلك الأوقات حضر نادر شاه (نادر قلى)^(١) عند الشاه طهماسب ، واعتبر أن النواب فتح على خان مُخل لشأنه وأمره ، فقعد لحضرته فى كمين الإزاحة والوقيعة ، ومهد لذلك مع جمع من الأمراء المتقلبين فى رأى . وفى الرابع عشر من شهر صفر سنة ألف

(١) يقصد نادرشاه الأفشارى وكان اسمه فى ذلك الوقت (نادر قلى) . (المترجم)

ومائة وتسع وثلاثين أراح (نادر قلّى) فتح على خان من بينهم . وعلى النهج الذى كان عليه حاز ترقيات عظيمة فى أقل فترة ، وأخرج الأفغان من إصفهان وشيراز ، والروم (العثمانيين) من نهاوند وأنرييجان ، والروس من جيلان ، وقاد الجيش لإخضاع بلاد الهند . وبدون تفكير عن هذا وذاك العذر قتل الشاه طهماسب وأرسله إلى فتح على خان فى وادى العدم .

٤ - فى بيان كيفية أحوال الخاقان ساكن الجنة محمد حسن خان :

كان للنواب فتح على خان ولدان رفيعا الجواهر ، أحدهما الخاقان ساكن الجنة محمد حسن خان [ص ١٠] والآخر محمد حسين خان الذى ودع الدنيا الفانية فى طفولته ، وكان محمد حسن خان وهو خلفه الأعظم وفيروزة فلكه الذى تحت خاتمه - يتربى ويتنشأ بعض الأوقات فى إستراباد وبعض الفترات وسط طائفة التركمان . وفى يوم من أيام الشباب وبداية نضارة روضة الحياة تنازع وتصارع على سراب راكض مع محمد زمان بك ابن محمد حسين خان قراموسالو ، فتوجه إلى أحشام التركمان مهموماً منكوب القلب، وأعد جمعاً من الترك والتركمان وذهب إلى إستراباد واستولى على المدينة ، وفر محمد زمان بك الذى كان قد نُصِبَ نيابة عن أبيه فى المدينة ، ووصل هو نفسه إلى بهبودخان . وفى تلك الأوقات كان بهبودخان قائداً وحاكماً لمنطقة إستراباد ومازندران من قبل نادرشاه الأفشارى ، وكان مستقراً فى ساحل "أنك" مع ستة أو سبعة آلاف شخص . فشحن القائد سيف القتال وتوجه إلى إستراباد ، وعلى ساحل نهر جرجان أعد ميدان القتال والحرب وهُزِمَ من نزاع لم تُعقد نهايته وهرب . ووصل هذا الخبر إلى نادرشاه فى الموصل ، فعين محمد حسين خان القاجارى ، وذهب محمد حسين خان مع جيش بهبود خان وأهل إستراباد إلى المدينة وخربها وأقام قمع المنارات من رؤس أهلها ، وقتل جمعاً من الطائفة القاجارية . ولم يجد محمد حسن خان المجال للقاء والانتقام ورجع إلى الصحراء مرة أخرى ، حتى اختل قصر وجود نادرشاه بسيف الأتراك الهتاك . ورجع حضرة محمد

حسن خان من صحراء تركمانية إلى إستراباد ، وجعلها مقر الدولة ، وأخضع جيلان ومازندران تحت سيطرته ، وجهز ما يقرب من عشرين ألف جندي .

والمشهور أن نادرشاه كان يقول لحسن على خان معير الممالك: " إنه كان قد قيل إن الياقوت كان قد رأى أربعة عشر مثقالاً والذي لم أره ، وقيل: إن الياقوت أربعة عشر مثقالاً محمد حسن خان، الذي قلت من أيدينا".

والخلاصة ، أن يوم ظهور دولة وإقبال محمد حسن خان كان في ازدياد ، إلى أن توجه كريم خان الزندي إلى إستراباد مع أربعين [ص ١١] ألفاً من المشاة والفرسان جمعهم من الألوار والبختيارين . فكان محمد حسن خان يرسل الجيش إلى الخارج ، وكان يحضر أفواجاً تلو الأفواج من جيش الألوار مقبوضاً عليهم . وفي خلال أربعين يوماً صار خمسة عشر ألف شخص من تلك الجماعة تافهين ولا قيمة لهم في يد صاحب التاج القاجاري ، وكانوا يقدرون غيرهم بعشرة أو اثني عشر ألف شخص مقيد وأسير ، وقد قُتل شجاع الدين خان الزندي بسيف الشجعان المظفرين ، وترك كريم خان الزندي متاع الملك وأثاثه وعتاده الحربي والمدفعية والمدافع الصغيرة (الهاونات) ولوازم السلطنة ، وحمل رحله عن شاطئ إستراباد ، وحرك جواده السريع إلى جانب إصفهان ، وصار المكسب الذي لاحدود له من نصيب كسرى ذي الجنب العالي . ووجه [محمد حسن خان] إرادة السفر إلى العراق وتحرك من إستراباد إلى أشرف بمارندارن ، وفي تلك الأوقات التي كان كريم خان الزندي فيها في إستراباد ، كانت جماعة لاريجاني قد انضمت مع جيش الألوار مُطعنة الخدمة والإخلاص ، وبعد عودة كريم خان لووا رأس الطاعة ودقوا طبول العصيان والتمرد ، فأمر حضرة السلطان بتعيين محمد ولي ميرزا مع مقيم خان الساروبي حاكم مازندران - الذي كان عظمة في العفة ورجولة في الغيرة وعلو الهمة - لصد [جماعة] لاريجاني ، وذهب الجيش إلى أمل بمارندران ، وقبل أن تقع تلك الحرب مع جماعة لاريجاني ، وضع محمد ولي خان بناء السلوك السيئ في ولاية أمل بسبب سوء النفس وشروعها ، وأطلق يده على شرف ونسوة وأطفال شعب أمل .

ولم يحتمل أهل مازندران حركات محمد ولى خان ، فقبضوا عليه وحبسوه ، وتجمعوا وذهبوا عند مقيم خان وأمروه عليهم وقرعوا طبول العصيان بصوت عالٍ ، وأقاموا فى سارى وأعجبوا واغترخوا بأنفسهم ، فتحرك حضرة السلطان من "أشرف" بلا متاع ولاعتاد وهجم على مقيم خان وأهل مازندران ، وخر مقيم خان من قدميه بسبب إصابته بمدفع الهاون وتم أسره . وتفرق أهل مازندران وفروا إلى الغابة ، وأُحرقَ مقيم خان فى النار بأمر السلطان ، وأمر بمصادرة وأخذ أموال بعض معارف مازندران ، ودفعوا عشرين ألف تومان بالضرب على يد المحصلين [ص ١٢] الأشداء ونجوا ، وقُتِلَ بعضهم .

٥- مجيء شاه بسندخان الأفغانى بغرض اخضاع إستراباد ، وهزيمته من حسين خان القاجارى والأبطال المظفرين ، وإخضاع جيلان وقزوین ، والقتال مع كريم خان الزندى وإخضاع إصفهان :

لقد وجد أحمد شاه الإبدالى حاكم قندهار مقدرة لاتحصى ، فقام بالسيطرة على خراسان ، وبعد السيطرة على الأراضى المقدسة ، أعطى لشاه بسندخان الأفغانى خمسة عشر ألفاً من الأفغان وقدموا إلى سبزوار عازمين إستراباد ، فرحل إبراهيم خان البغایرى وعيسى خان الكردى وعلى خان القليجى وعدد آخر من حكام خراسان بأهاليهم وعشائهم وقدموا إلى الدامغان. فأصدر النواب السلطانى محمد حسن خان أمراً بالقيادة لمحمد حسين خان الدلووى القاجارى، الذى كان من أعظم الأمراء، ومعه حكام خراسان وأربعة عشر ألفاً من الأبطال لطرده شاه بسندخان . وبعد التقاء الفريقين ، وقعت الهزيمة على الجيش الأفغانى ، ولم يستطع شاه بسندخان ضبط عنان نفسه حتى عند أحمد شاه. وبعد هذا الفتح المبين تحرك النواب محمد حسن خان من مازندران بجيوش بحر الصخب واصطف للحرب مع كريم خان ، وأسر محمد خان بى كله الزندى، الذى كان السيف قد قطع رجله بمقدار

الكف فاشتهر بـ بي كله^(١)، وهو من شجعان العصر ، ولم يكن أحدٌ أشجع وأجراً منه بعد كريم خان الزندى، ومعه سبعون شخصاً من الأمراء الزنديين ، وأرسلهم إلى مدينة "سارى" واستولى على إصفهان ، وتصادف التقاؤه مع كريم خان الزندى فى "كلرن آباد"، وهزمه، وموقعة "كلرن آباد" شائعة ومنتشرة على لسان أهالى إصفهان حتى الآن.

٦ - مقاتلة النواب محمد حسن خان مع آزادخان الأفغانى وإنزال الهزيمة به :

استولى آزادخان الأفغانى على أذربيجان، وجعل مقره ومأواه فى "أرومية" ، فتوجه السلطان محمد حسن خان للسيطرة على أذربيجان ، وتوجه آزادخان مع عشرين ألف شخص من الأفغان إلى ميدان القتال وأقدم على معركة الابتلاء والمحنة . ولأن مملكة الأفغان كانت فى أرومية، وكانوا يظهرون الجلادة والعناد فى قمة الشرف ، فانسحب جيش السلطان من أمامهم ، واغتاز حضرة السلطان من مشاهدة هذا الحال [ص ١٣] ، ودفع الجيش إلى الميدان ، وضغط بقدم الجرأة والجلادة فى ميدان الشجاعة ، وألحق بالأفغان الهزيمة الفاحشة . وفر آزادخان ومعه عدد من المقربين تجاه " تقليس " . وقام السلطان عظيم الشأن بجمع شتات الأفغان ، فَرَحَلَ ألف أسيرة من الأفغان والأوزبك وأرسلهم إلى مازندران عن طريق جيلان ، وأسرع هو مع حشد كثيف وجيش فى قوة الجبل من العراق إلى فارس ، وحاصر كريم خان الزندى فى شيراز ، وفى تلك الحالة ، رفع جمع من الأمراء القاجاريين رأس المخالفة وأظهروا أسلوب الخلف والنفاق ، فتفرق واضطرب معسكر بتلك العظمة ، وأدار النواب محمد حسن خان عنانه من شيراز إلى مازندران . وفى سنة ألف ومائة واثنتين وسبعين ذاق طعم الشهادة على يد اثنتين أو ثلاثة من الطائفة

(١) بي كله : تعنى فى الفارسية المعوق ، المعوج ، ناقص القدم . (المترجم)

القاجارية ، فأدخل وقوع هذه الواقعة السرور على كريم خان الزندى ، وصار حدوث هذه الحادثة سبباً لتفوقه وغلبته . [بيت ترجمته]

رفعوا التاج لقوم من مفرق الرأس * وعقدوا لقوم الجواهر على الجبين

وأصبح بلده [كريم خان] العراق [العجمى] آمناً، وساق جواد التطاول إلى مازندران وطبرستان ، وشتت بلاد إستراباد التى كانت دار إمارة تلك الأسرة الجليلة ، وفسخ جبل ذلك العقد من بعضه بيده الجسورة ، ونثر لآلى الجوهرة الفريدة فى بحر الملكية بيد العداوة والحق . فاستقر بعض من ذلك اللؤلؤ الأرى فلك الخلافة فى دار السلطنة قزوین ، وسمح للبعض الآخر بالإقامة فى دار العلم شیراز ، واحتفظ هو لديه بحضرة بطل العالم أبى النصر محمد شاه وأبى الفتح والظفر حسين قلى خان، اللذين شبا كلاهما فى صدف واحد وكانا أولاد محمد حسن خان^(١) ، أحدهما فلك المنزلة وهو العم الأكبر للحضرة العلية [فتحعليشاه القاجارى] وثانيهما توءم الشهامة وهو الوالد . وكان [كريم خان] يستعين بهما فى جلائل أمور العالم ، وكان يعثر على المعونة من رأيهما الرزين ، وكانا جالسين فى سرير السلطنة وفى حرم مشورة الأنس . وقد توجه النواب حسين قلى خان إلى إستراباد بإذن كريم خان ، ولدة عامين كان جواد إستعلائه سريع الحركة وخفيف العنان وسيف انتقامه رامياً بالنيران ، وجعل الذين خالفوا والده جميعهم طعمة للسيف الحاد ، وأعلن العصيان مع كريم خان [ص ١٤] وأخذ ملك المدين [حسين قلى خان] محمد خان سوادكوهى بحملة واحدة من صاحب الروح . ولما كان حضرة الحق جلا وعلا [الله جل جلاله] قد أناط راحة بلاد العباد فى عالم الكون والفساد بوجود ملجأ العالم هذا ، ورفع راية صاحب الدين والعدل والإنصاف هذا الملك كسرى صاحب العالم فى مضمار القضاء على يد حفظة الأرض والسماء الأطهار ، ففى ليلة الخميس الثامن عشر من شهر شوال سنة ألف ومائة وخمس وثمانين هجرية زين وأثار الحضرة العلية [فتحعليشاه] ،

(١) فى الأصل الفارسى محمد حسين خان وصحيحها محمد حسان خان . (المترجم)

جمشيد الشوكة مُدرك راية الإسكندر ، ساحة الدنيا من شعاع وجود السعادة المزين ، ووضعت مرضعة الدولة ثدى السعادة على قمه ، وعقد مربى القدرة تميمة السلطنة والجوهره الفريدة على ساعده المبارك ، وتلاقراء أدعية عالم القداسة عبارة: وإن يكاد على جماله مع كماله من أجل صد عين الكمال والحسد . ونثر مدبرو أمر بلاط القضاء والقدر دراهم الشمس ودنانير القمر على قمة رأس الهمايون ودماغه الميمونة من أجل بعثرتها ، وصار مسمى تلك الشجرة سرو حديقة الدولة ويرعم روضة السلطنة والخلافة بالاسم المبارك لجده الأمجد فتح على خان طاب ثراه . ولما مضت عدة سنوات على هذا ، فقد انقضى زمن حياة النواب حسين قُلى خان بسبب مؤامرة بعض الأشخاص من تركمان "يموت" .

٧ - بيان فتوحات ومراتب الخاقان المغفور له محمد شاه بعد موت كريم خان الزندى على سبيل الإجمال من وضع سياق هذا الكتاب حتى استشهاده حضرته :

فى يوم الثلاثاء الثالث عشر من شهر صفر سنة ألف ومائة وثلاث وتسعين هجرية جذب كريم خان الزندى سم الممات من يد ساقى الأجل ومات ، فأطلق الخاقان المغفور له محمد شاه العم الحاكم ملجأ الدين العنان من الحصن الحصين شيراز إلى ناحية إقليم دار المرز^(١) وإستراباد ، ووضع السعيد الموفق قدماً على سرير السعادة والنجاح ، وأهلك الأعداء وعمر الولايات وأصلحها .

والخلاصة من مآثره وهو خاتم مكارم الأخلاق وطريق السعادة واليقظة وإرادة البرق وهى من آثار شعار السلطنة، هى أن الخاقان المغفور له تحرك سريعاً مع الأخوان رفيعى الشأن جعفر قُلى خان ومهدى قُلى خان وبعض [ص ١٥] الأقارب

(١) دار المرز . أى دار الحدود ويقصد بها مازندارن . (المترجم)

والمخلصين من شيراز إلى إصفهان في مسافة ثلاثة أيام ، ومن هناك أداروا العنان واندفعوا إلى مقربة من مازندران ، وفي طهران لحق بالركب أبدال خان كردجهان بيكلو ورؤساء سائر الأكراد مع عشيرتهم وجماعتهم الذين كانوا مقيمين في منازل الري وإصفهان ، أما الإخوة الآخرون لحضرته في إستراباد فجاءوا إلى مازندران مع جمع بسبب خبر وفاة كريم خان واستقروا في بلدة "بارفروش" . وفي البداية ابتهجوا لبشرى تحرر الخاقان المغفور له ، وفي النهاية وقفوا بالنفاق والعناد بسبب فتنة بعض الحساد ، ووضعوا العوائق في طريق الأخ المحظوظ ، وعينوا جمعاً لمنع وصول الخاقان المغفور له إلى "سواد كوه" ، وبهذا انفصل بين ركاب حضرته وبين أخيه الآخر رضا قلى خان الذى فر إلى مازندران وأظهر مسلك عدم الوفاء ، فبعث الخاقان المغفور له بـ جعفر قلى خان إلى مرتضى قلى خان وأعطاه رسالة "بأنه على الرغم من البعد لعدة سنين ، فلو لم يكن لهم رغبة في ملاقاتنا ، فشوق الاضطرابات متعلق بنا ، وحتى الآن لم يصدر ولم يظهر من جانبنا الأمر الباعث على هذا التجنب والملل والموجب لعدم الرغبة هذه والقليل والقال وأنه كان يجب أن نُحذّر من الخلاف والنفاق وأن نسلم إلى الوفاق والاتفاق".

والخلاصة ، أن هذه النصائح لم تفد مرتضى قلى خان وأصر على العناد وانتهى الأمر إلى النزاع بين الإخوة واشتعلت الحرب بينهم ، وانفصل رضا قلى خان عن مرتضى قلى خان وذهب إلى بلدة بارفروش ووقعت الهزيمة على مرتضى قلى خان ، وذهب الخاقان المغفور له إلى بلدة بارفروش ، وأراد على مرادخان [الزندى] إخضاع مازندران ، وبتحريض من جماعة لاريجاني الذين انضموا إليه ، عين جيشاً جراراً من الألوار والزنديين ، فلاقوا الهزيمة الفاحشة من الخاقان المغفور له ورجعوا إلى طهران . وقصد الخاقان المغفور له إصفهان فوضع رضا قلى خان مرة أخرى لبنة الفساد بالأسلوب السرى ، فكلف الخاقان المغفور له على أمره جعفر قلى خان ، فلم يجد رضا قلى خان [ص ١٦] مأمناً ودخل مضطراً في خدمة الأخ عالى الجواهر ، وتعهد بالألّا يحوم حول الخلاف . وأمر الخاقان المغفور له بالعفو المقرون بالإغماض عن تقصيره ، وتحرك لإخضاع إصفهان ، وقدم إلى مقربة من طهران ، وكلف جعفر قلى خان بفوج من الجيش على قزوين . وفي منزل "تولاب" كلف مهدى قلى خان أخاه

الأصغر باستمالة جماعة لاريجاني . وفر رضا قُلي خان بعد رحيله من المعسكر الهمايوني وانضم إلى جماعة لاريجاني في "فيروز كوه" و"دماوند" ووضع لبنة إثارة الفتنة والفساد ، فأدرك الخاقان المغفور له أهمية صد العدو الداخلي ، وانعطف صوب مازندران . وفي أثناء توقف الخاقان المغفور له على مقربة من طهران تلاقى مرتضى قُلي خان ورضا قُلي خان مع بعضهما وسلكا طريقهما إلى جعفر قُلي خان الذي كان راجعاً من قزوین عازماً خدمة الأخ ، ومن هناك كُلفَ على أمر رضا قُلي خان وهزمه في بلدة "كجور" وقبض عليه وأحضره إلى خدمة الخاقان المغفور له . وأرسل مرتضى قُلي خان مصطفى قُلي خان مع عدد من الغلمان إلى خدمة الخاقان ، وأعلن الندم . وتوجه الخاقان المغفور له إلى ساري ، ومن هناك إلى بارفروش وتوقف بها ، وكلف جعفر قُلي خان ومصطفى قُلي خان بإخضاع جيلان ، وقرر لرضا قُلي خان استمالة أهالي لاريجاني ، فطغى ذلك الجهول مرة أخرى لتلون مزاجه وسواد فطرته ، وأظهر علامات العصيان . وفي شهر ذي الحجة المحرم سنة ألف ومائة وخمس وتسعين هجرية قدم [رضا قُلي خان] إلى بلدة بارفروش على حين غرة ، وحاصر مبنى ديوان الحضرة العلية ، ولتجاوزه عن الحد في العصيان قبض على الخاقان المغفور له وأرسله خلف الأغلال . فتجمع على الفور بسبب سماع هذه الأخبار جعفر قُلي خان ومرتضى قُلي خان وعلى قُلي خان وسائر الأمراء والحكام القاجاريين ، واندفعوا إلى رضا قُلي خان ، وهزموه بعد دفعيتين من القتال والجدال ، [ص ١٧] وقتلوا أعوانه وأنصاره وأمراءه وجنده ، واختار هو الفرار على القرار ، وذهب إلى العراق [العجمي] ، وانضم إلى علي مراد خان الزندي ، وبقي عنده لفترة ، وأظهر معه عدم الوفاء ، وانفصل عنه ، وذهب عند صادق خان الزندي في شيراز ، وبعد فترة سلك معه أيضاً طريق عدم الوفاء ، وفر من شيراز إلى خراسان ، وتوفي في مشهد المقدسة .

والقصة ، أنه بعد هروب رضا قُلي خان ، جعل الخاقان المغفور له الإخوة كل على قدر مرتبته موضع عطفه ورعايته ، ولكن مرتضى قُلي خان لم يحضر العطاء الفياض بسبب فتنة هذا أو ذاك ، فأرسل الخاقان المغفور له رسالة له " بأن المصلحة هكذا تقتضي بأن نتفق نحن الإخوة مع بعضنا ، وأن نتواجه بالصدق والصفاء مع بعضنا في الخفاء والعلانية أيضاً ، وأن نزيل غبار الأعداء المعفرين " ، ولم يقبل ثانية

معنى الاتفاق والاتحاد ، وأعد مرتضى قُلى خان خندقاً (كميناً) على بعد نصف فرسخ من "على آباد" ، وأطلق يده بقطع الطريق . فكُفَّ رضا قُلى خان القاجارى على رأسهم بأمر الخاقان ، وأخذوا الكمين بحملة واحدة ، وقام الخاقان المغفور له بمحاصرة مرتضى قُلى خان فى قلعة سارى ، وانضم جعفر قُلى خان من "تنكابن" إلى خدمة الأخ المحظوظ . وبعد معارك كثيرة وحروب ونزاعات لاتحصى ، دخل مرتضى قُلى خان فى العجز ، وخرج وقابل الأخ ، فعفى الخاقان المغفور له عن جرائمه وأنعم عليه بإستراباد وتوابعها ، وعطف على ملازمى ركابه .

وبعد تهدئة أمور لأريجان وسارى ، قام بأمر ولاية سمنان ، ومن هناك تحرك صوب الدامغان وبسطام ، وسلك كبار تلك المناطق سبيل الانقياد والخضوع ودخل نادر خان عرب فى الخدمة ، وصار موضع العطف والرعاية ، ومنح جعفر قُلى خان منطقة "بسطام" كإقطاعية ، ومنطقة "سمنان" لعل قُلى خان كإقطاعية أيضاً . وبادر خان محمد خان القاجارى بالخدمة ، وبتعهده تشرف مرتضى قُلى خان مع جمع من الأمراء القاجاريين بخدمة الأخ ذائع الصيت . وأصدر الخاقان المغفور له الأمر لمرتضى قُلى خان [ص ١٨] بأن يتوجه صوب رشت وجيلان ويستولى عليهما ، فذهب مرتضى قُلى خان مع الجيش العظيم إلى جيلان ، ودخل هدايت خان فى النزاع والقتال ، وطلب الأمان بعد خمسة وأربعين يوماً ، وأرسل الهدية وقبل الخدمة . واستدعى الخاقان المغفور له مرتضى قُلى خان إلى الركاب ، وتوجه من مازندران إلى ناحية إستراباد . وفى سنة ألف ومائة وسبع وتسعين [هـ . ق] لم يحتمل هدايت خان حرارة المقاومة ، وفر إلى شيروان .

ونزل الخاقان المغفور له محل الإجلال ، بعد وصول الأموال الديوانية من جيلان والانتهاء من أعمال قزوین وسلطانية وزنجان وكوران دشت ، وتوجه من هناك إلى سلطانية ، وفى فصل الخريف عطف بعنانه إلى مازندران ، وفى ربيع العام التالى توجه إلى قلعة طهران وحاصرها وكان على مراد خان الزندى فى همدان ، فعين مراد خان الزندى على مازندران ، فعين الخاقان المغفور له جعفر قُلى خان له حتى يهزمه ، وتفرق جيشه واضطرب ، ورحل على مراد خان فى أثناء هذه الأحوال من

إصفهان إلى شیراز ، واستولى على قلعة شیراز بعد تسعة أشهر من الحصار ، ودمر صادق خان الزندى وأباده مع أولاده وأعوانه وأنصاره ، وحرّم أبو الفتح خان بن كريم خان من زينة الإبصار . وبعد الانتهاء من مهام تلك المناطق رجع إلى إصفهان ، وازدهر أمره تماماً ، وأخذ في التحرك مع الحشد والحشم الكامل بقصد إخضاع مازندران وإستراباد ، واستراح في طهران ، وعين جيشاً من كل ناحية ، وكلف ابنه شيخ ويس مع جمع من الأمراء والجيش لإخضاع إستراباد ، وخربت مازندران بسبب اعتداء جيش الزنديين والألوار ، وتوقف شيخ ويس خان نفسه في سارى ، وعين محمد ظاهر خان الزندى مع فوج مهاجم على إستراباد . وفى أثناء ذلك ، اختلف مرتضى قلى خان ومصطفى قلى خان مع الخاقان المغفور له ، وانضموا إلى شيخ ويس خان ، وذهبوا إلى إستراباد بالاتفاق مع محمد ظاهر خان ، وحاصروا إستراباد لمدة شهر واحد ، فعين الخاقان المغفور له فرقاً من الأبطال [ص ١٩] الإستراباديين والقاجاريين لسد الطرق والشوارع ، وأغلّقوا طريق المرور والعبور والمؤن على شيخ ويس خان وجيشه اللامتناهى ، فحدث وسط معسكرهم قحط وغلاء شديد ، وتفرق معسكر بتلك العظيمة وقُبض على محمد ظاهر خان وقُتل ، ولم يحتمل ويس خان حرارة المقاومة وحيث كان متوقفاً فى سارى مع الأمراء والجنود وفر وانضم إلى على مراد خان فى طهران ، ورجع مرتضى قلى خان أيضاً ، وقصد جانب على مراد خان . وفى بلدة "قم" سمع بخبر وفاة على مراد خان [الزندى] فأسرع من هناك إلى رشت عن طريق قزوین ، وتوقف فترة فى ذلك المكان ، وذهب إلى "حاجى طرخان" ، ولاد بملكة روسيا كاترين (يكه ترينه) ، وظل يعيش فى تلك الحدود حتى ودع الدنيا الفانية، وأحضروا نعشه إلى إيران.

والحاصل، أنه بعد هزيمة شيخ ويس خان ومقتل محمد ظاهر خان ، كان على مراد خان سيىء الحال بسبب مرض الاستسقاء ، فساء حاله أكثر لوقوع هذه الأحوال ، فتوجه من طهران إلى مقربة من إصفهان ، وبالقرب من إصفهان خلت جواهر روحه من قالب الجسد . وقَدِمَ جعفر خان الزندى أخوه من أمه - الذى كان ابن صادق خان الزندى ، وكان مكلفاً على حدود الكردستان وخمسة - من

زنجان إلى إصفهان ، ورفع راية الاستعلاء والاستبداد ، واتكأ مكان أخيه على مسند العظمة .

وفى الرابع عشر من ربيع الأول سنة ألف ومائة وتسع وتسعين ، تحرك الخاقان المغفور له من إستراباد صوب العراق ، واستولى أولاً على مدينة " قم " ، وتوجه من هناك إلى كاشان ومنها إلى إصفهان ، وأسرع رؤساء وحكام العراق [العجمي] بالتشرف في الخدمة ، ولم يحتمل جعفر خان الزندي حرارة المقاومة في إصفهان ، وذهب إلى شیراز ، وتحرك الخاقان المغفور له إلى بدو صحراء بختياري وفراهان وكزاز ، وفرق كمينهم في محل " كهيز " ، وصار جمع كثير منهم طعمة لسيف المجاهدين .

وفى عام ألف ومائتين وواحد قاد الجيش إلى جيلان ، وأخضعها تحت سيطرته ، وجعل أحد الغلمان من هدايت خان هدفاً لرصاصة بندقيته في أثناء فراره من أنزلى إلى باكويه ، وأحضر رأسه إلى خدمة الخاقان المغفور له . [ص ٢٠] وفى سنة ألف ومائتين واثنين ، فقأ الخاقان المغفور له عين على خان حاكم " خمسة " في إصفهان بسبب خيانتته ، وكلف الجيش بنهب طائفة بختياري ، وذهب جعفر خان الزندي من شیراز إلى يزد ، فلاقى الهزيمة الفاحشة من مير محمد خان الطبسى ، ورجع إلى شیراز ، واغتر مير محمد خان ، وقدم إلى إصفهان ، فكلف الخاقان المغفور له جعفر قلى خان بتأديبه ، وفى ناحية رودشت بإصفهان حمى وطيس معركة القتال والنزاع فيما بينهما ، وبعد أداء المعارك العظيمة ، هُزم مير محمد خان ، وفر إلى طبس ، وقصد الخاقان المغفور له فارس ، وذهب حتى " مشهد مادر سليمان " ، ومن هناك رجع إلى إصفهان ، ومنها عاد إلى طهران .

وفى سنة ألف ومائتين وثلاث ، قُتل جعفر خان الزندي على يد أبناء أعمامه ، وهكذا كتب عليه القضاء ، وكان قد كلف ابنه لطف على خان بإخضاع مملكة اللار ، فرجع من هناك ، وأحضر قتلة الأب ، وقتلهم ، وتوجه الخاقان المغفور له لإخضاع فارس ، وعلى مقربة من شیراز تجهز لطف على خان مع عشرين ألفاً من الألوار والفرس ، وعقد الأمر على المواجهة والمقاتلة ، وبالقرب من مسجد " بردى " بشیراز ،

نظم الخاقان المغفور له الصفوف وعبأ الألو ف ، وبعد ساعة من الكر والفر ، لقي جيش فارس الهزيمة بالقتال الجلد لجعفر قلى خان ، وفر الضعفاء والمشتتون إلى مقربة من قلعة شيراز ، وأسر ثمانية عشر ألفاً من المشاة وقبض على جمع من أمراء لطف عليخان ، وفي هذا العام لم يتيسر إخضاع شيراز ، وتوجه الخاقان المغفور له إلى دار ملك الأنس والسرور (طهران).

وفي سنة ألف ومائتين وأربع (١٢٠٤ هـ.ق) ، أراد إخضاع أذربيجان ، وكانت نهاية العام الذي تهيأ فيه لذهن صادق خان الشقاقى العزم على المقابلة مع الخاقان على الجناب ، فأغار الخاقان المغفور له فى إحدى الليالى على مسافة أربعة وعشرين فرسخاً وخرب "سراب" بهجمة واحدة ، وأشعل نيران الإغارة والسلب فى تلك المناطق ، وأحرق بيوت ذلك المكان ، وفر صادق خان الشقاقى وذهب إلى قراباغ ، وانضم إلى الركاب فى تبريز مصطفى قلى خان حاكم قراجة داغ [ص ٢١] وحسين قلى خان الدينلى حاكم خوى ، وأخذ من كل واحد منهما البيت والرحل والرهينة ، ونصبهما على حكومة ولايتيهما كما كانا ، وبالإضافة إلى ذلك جعل حسين قلى خان الدينلى حاكماً لتبريز ، وخاف محمد قلى خان الأفشارى حاكم أرومية ، وفر إلى "محال إشنو" ، فكلف محمد خان عز الدينلو مع ثلاثة آلاف شخص على أرومية ، وحمل ملكه ودولته ، ونقلهما إلى معسكر الهمايون ، ولحق محمد قلى خان الأفشارى بمعسكر الهمايون بعد اطمئنانه ، وفى أثناء ذلك الوضع ، وصل خبر ثورة لطف على خان ، فتوجه الخاقان المغفور له من أذربيجان إلى العراق ، وكيفية هذه الأخبار على سبيل الإجمال: هو أن لطف على خان خرج من شيراز مع عشرين ألفاً من الفرسان والمشاة ، ووصل حتى قرب "قمشة" ، وكان الحضرة العلية زحل المنزلة الخاقانية ولى عهد الخاقان المغفور له ، السلطان فتح على شاه متوقفاً فى مرج "كندمان" بأمر الخاقان المغفور له ، وأراد لطف على خان محاربة الحضرة العلية ولى العهد فى "سميرم" ، وفى الليل بدل عبد الرحيم خان الشيرازى وبإشارة أخيه الحاج إبراهيم خان وصواب رأيه - حقوق لطفى على خان بالعقوق والعصيان ، وثاروا فى معسكر لطف على خان ، وترك لطف على خان معسكره ، وفر إلى شيراز مع مائتى شخص ، وأغلق الحاج إبراهيم خان الشيرازى أبواب القلعة ، ومنعه من دخول شيراز ، وهام

لطف على خان على وجهه مهموماً ومحزوناً في أطراف ویراری شیراز ، وعرض الحاج إبراهيم خان كيفية ما حدث على بلاط الخاقان ، وطلب قائداً ، فعين على شیراز مصطفى خان الدلوي القاجاري مع ميرزا رضا قلی منشی نوائي وثلاثة آلاف شخصاً ، وبعد القدوم إلى شیراز ، ضبط ميرزا رضا قلی الجواهر الكثيرة للفرسان والمشاة والذخائر والكنوز العديدة ، وأرسلها إلى إصفهان ، وولى لطف على خان وجهه تجاه ميناء " ريك " (١) ، وهناك جهز نفسه ، وعاد صوب شیراز ، فأطلع الحاج إبراهيم خان مصطفى خان ، وأخبره بهذا الوضع ، وهجم هو عليه مع سبعمائة فارس ، [ص ٢٢] ، وضغط لطف على خان في مقابل قدم الثبات ، وأوشك أن يأسر مصطفى خان ، وفي النهاية نجا من تلك المعركة بجهد ومحاولة شجاعة ، وبعد [وصول] تقرير الحاج إبراهيم خان ، كُفَّ جان محمد خان الدلوي مع جمع كثيف من الركاب إلى شیراز ، وتقاتل لطف على خان في ذلك الوقت ومعه جمعه الذي كان يصل إلى الألفين ، في مسجد بردي مع جان محمد خان ، وانتصر ووقع بعض من الحكام أسرى في ذلك المكان .

وفي سنة ألف ومائتين وست (١٢٠٦ هـ.ق) عزم الخاقان المغفور له على إخضاع شیراز من طهران ، وفي منزل "إيرج" ، أغار لطف على خان ليلاً على معسكر الهمايون ، ولم ينجز عملاً ، وفر من الديار سائراً على قدميه وقام الحاج إبراهيم خان الشيرازي مع أعيان فارس وأشرافها بالاستقبال ، ودخل الخاقان المغفور له قلعة شیراز ، وقام بترحيل أولاد كريم خان وعلى مراد خان ولطف على خان وسائر الأكابر والأمراء الزنديين ، وأرسلهم قرب مازندران وإستراباد .

وفي سنة ألف ومائتين وسبع (١٢٠٧ هـ.ق) خضعت جميع مناطق كرمان وبم ورماشير تحت قيادة النائب فتح على شاه ولي عهده ، وأصدر الأمر بتخريب قلعة شیراز ، التي كانت من منشآت كريم خان الزندي ، وتوجه إلى تأديب ومعاقبة

(١) ميناء إيراني على الخليج والعاصمة المركزية لمنطقة « حياة داود » والتي تقع في القسم الساحلي المجاور لمحافظة « بوشهر » . (انظر لغت نامه : على أكبر دهخدا ، جلد سوم ، ص ٤٢٥٨ .)

[طائفتي] يموت وكوكلان ، فقتل وأسر جمعاً كبيراً منهم ، وأقام قمع المنارات من رعوس تلك الجماعة .

وتوافق سنة ألف ومائتين وثمان (١٢٠٨ هـ.ق) عزمه على إخضاع خراسان والتي ترتبط بقصة ثورة أهالي كرمان ، وإخضاعها ، والقتل الشامل لذلك الإقليم العامر كعمران "إرم" ، وتفصيل هذا الإجمال ذلك : وهو أن لطف علي خان وبعد أن هام على وجهه كثيراً ، فر من طبس إلى قاين ، وهناك تسمى خفية بـ "سر مجيب" ، وحمل أهالي كرمان وحاكمها مرتضى قلى خان الكرمانى وملا عبد الله بيشنماز^(١) لطف علي خان مع عدد من أعمامه وبنى أعمامه وعدة أشخاص من الزنديين الذين لا نهاية لهم إلى كرمان ، واستجابوا للثورة والتمرد ، واتحد معهم أيضاً جمع كثير من أفغان بم و سيستان ، فهجم بسرعة الخاقان المغفور له من طهران بغرض صد هذه الفتنة ومعه الجيش الكثيف ويهدف [ص ٢٣] إخضاع كرمان ، وبعد النزول إلى أطراف قلعة كرمان ومحاصرة ذلك المكان ، أمر بحفر خندق عميقٍ حول المدينة ، وفي أطراف القلعة أقام بروج الأبطال في مواجهة بروج المدينة ، وانشغل الطرفان ليل نهار بالتجهيزات الحربية ، وفتحوا ثغرة من الداخل والخارج ، وطالت مدة الحصار إلى خمسة أشهر ، وانكشف القحط والغلاء في وسط القلعة حتى إنه خرج من المدينة تسعة آلاف شخص ولم يأت بالنفع أيضاً من أجل الباقين وتشرف حكم قدر القضاء بالنفاذ ، بأن حمل الأمراء والجيش بالهجوم ، وأخضعوا القلعة بالقهر والغلبة ودمروا أهالي ذلك المكان بالسيف الفالق للصخور . وفي يوم الجمعة التاسع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ألف ومائتين وتسع هجرية (١٢٠٩ هـ.ق) ، قاموا بالهجوم والإغارة ، وصعدوا إلى البروج واحتلوا المدينة ، وأطلقوا يد القتل والإغارة إلى درجة أنهم ظنوا أن لطف علي خان أصبح من بين القتلى ، وكان لطف علي خان في قلعة كرمان ، وفي أثناء الليل أخذ طريق "بم" وهو متوجع مع عدة أشخاص من الخدم والحشم ، وتتبع السيستانيون جواده في ذلك المكان ، ورموه في التراب ، وقيدوه ،

(١) بيشنماز : تعنى في الفارسية « إمام الصلاة » . (المترجم)

وأحضروه إلى خدمة الخاقان المغفور له ، وبعد إعمائه ، أرسله إلى طهران ، فقاموا بقتله ، وكما قتل من أهالي كرمان خلقاً بلا نهاية ، وأجرى جدولاً دموياً من دماء الكرمانيين ، وانتقلت مرة أخرى إلى الخاقان المغفور له قطعتان وهما من جواهر والد الخاقان المغفور له والمسميتان بـ تاج ماه (تاج القمر) ودریای نور (بحر النور) ، اللتان كانتا عند لطف علي خان مع سائر المجوهرات الأخرى .

وفي سنة ألف ومائتين وتسع [١٢٠٩ هـ.ق] ، قام بالرحيل إلى أذربيجان ، ووجه همته لإخضاع قراباغ والقبض على إبراهيم خليل خان جوانشير ، وفي هذا العام لم يتيسر إخضاع قلعة "بناه آباد" المشهورة بـ "شوشی" ، ومن هناك رفع راية الحرب بغرض إخضاع الكرجستان . وعلى الفور أنزل الهزيمة بأركلي خان والي الكرجستان ، ودخل قلعة تفليس ، ف وقعت في أيدي الجنود أموال طائلة وما يقرب من خمسة عشر ألفاً من الفتيات عرائس القمر والغلمان قضى اللون والنساء حمر الخدود ، ومسح أركلي خان طريق كاخ وكارتيل ، وتوقف الخاقان المغفور له تسعة أيام [ص ٢٤] في تبريز ، وتوجه إلى كنجه ، وقاد ولايتي شكي وشيروان للطاعة ، وفر مصطفى خان الشيرواني إلى "كوه فت" ، ورجع الخاقان المغفور له إلى دار الخلافة طهران .

وفي سنة ألف ومائتين وعشر هجرية [١٢١١ هـ.ق] جلس [على العرش] ووضع التاج على الرأس ، ويهدف إخضاع خراسان ، رفع راية النصر مع الجيش العظيم ، وفر نادر ميرزا حفيد نادر شاه الأفشاري ، بن شاهرخ ميرزا إلى قندهار ، وتعلق بأولاد تيمور شاه الأفغاني ، وبعد وصول الخاقان المغفور له إلى مقربة من مشهد المقدسة الرضوية ، أخضع قلعة مشهد بسهولة ، وقبض على شاهرخ ميرزا ، وطلب منه الخزائن النادرية التي كانت تحت تصرفه ، وبعد ذلك أعطى الجواهر ، ومرض وتوجه إلى عالم الآخرة .

وفي سنة ألف ومائتين وإحدى عشرة هجرية (١٢١١ هـ.ق) ، قاد الجيش إلى أذربيجان ، وكان في خدمته النواب الأمير عباس ميرزا والأمير محمد قلی ميرزا وحسين قلی خان وسليمان خان ، وقصد هادقاً إخضاع قلعة شوشی ، وأصدر الأمر

لحسين قُلى خان وسليمان خان والحاج إبراهيم خان الشيرازى وجمع من الأمراء بالتوقف فى أدينه بازار^(١) ، والتي كانت قريبة من القلعة - على رأس المؤن والأمتعة والتجهيزات الحربية ، وعبر هو نفسه مياه نهر أرس وقت الرياح ومعه جمع من الجنود وصادق الشقاقى الذى كان قد اطمأن منذ عام مضى ودخل فى الخدمة وتشرف بالقرب والمنزلة ، فاضطرب إبراهيم خليل خان وأصبح فى حيرة من خبر تحركه (الخاقان) ، وغادر القلعة الحصينة ، وسلك طريق الفرار تجاه الداغستان ، وصار الخاقان المغفور له داخل القلعة بدون مانع للدخول والخروج ، واستولى على الأثاث والأمتعة الكثيرة والخزائن التى لاتحصى من الأرمن والمسلمين .

ولأن كل إقبال فى عقبه زوال وكل ربيع فى عقبه شتاء ، وفى ليلة السبت الواحد والعشرين من شهر ذى الحجة الحرام [سنة ١٢١١ هـ.ق] والقريبة بطلوع الصبح الصادق ، أخطأ شخصان أو ثلاثة من الخدم وغلما ن بلاط زحل وهم شجرة العداوة الخبيثة ، التى نمت وترعرعت ثمارها منذ أوائل عهد الصبا وتباشير الطفولة فى مسقى الدولة السلطانية ، فبسبب بطشه وسفكه الدماء وشدته ، وخوفهم على أرواحهم [ص ٢٥] التى كانت معرضة للهلاك فى غد تلك الليلة ، عزموا على قتله ، وأسرعوا إلى مخدعه ، فوجدوه نائماً ، وجعلوه شهيداً بطعنة خنجر السرور عالى الجواهر ، ولو ثوا ثوب النوم الكسرى بالدم ، ولأن هذا العمل ظالم وجسارة عظيمة ، فلم يكن يدركه عقل العقلاء ، لأنه صدر فجأة من أولئك الجهلة التعساء ، وأخذوا التاج والقبة المرصعة مع باقى الأمتعة والأثاث السلطانى مثل الأساور المجوهرات والسيف المرصع المدمر للعدو وصندوق المجوهرات وغيره ، والذى كانت كل حبة منه زينة صدور وأكتاف سلاطين العهود ، وكُل قطعة منه ثروة منجم البحر ، وحملوها خفية ، ونقلوها عند صادق خان الشقاقى ، وأقروا له بالواقعة المُرعبة والمكروهة ، وفى البداية لم يصدقها ، وعندما وضعوا الأمتعة الملكية أمامه ، تيقن من وقوع الإقدام العجيب ، واستولى على جميع الأمتعة ، ومع مصاحبة هذا الحال ، أشرقت الشمس ، واطلع

(١) أدينه بازار : تعنى فى الفارسية : سوق الجمعة وهى اسم نهر على حدود إيران مع روسيا [مع حدود جمهورية أذربيجان الحالية] . (انظر لغت نامه ، على أكبر دهخدا ، جلد يك ، ص ٤٦ .) .

الأمراء والجنود الذين كانوا حاضرين فى القلعة على تلك الواقعة المؤلة للنفس ، فصاروا غرقى فى بحر الاضطراب ، ولم يوقفوا آلة العمل ، وأسرعت كل جماعة إلى صحراء وجبل ، وبعد اطلاق محمد حسين خان القاجارى رئيس الحرس وميرزا رضا قلى كاتب الممالك على هذا الخبر ، قدموا إلى غرفة نوم الغنى العادل ، وشاهدوا جسده الشريف - الذى كان زينة العرش - كسفينة سابحة فى بحر الدماء ، ورأوا استحالة نقل البدن الشريف ، وحملوا تلك اللأى والجواهر الثمينة التى كانت باقية على المكان بسبب الدهشة والحيرة ، وركبوا مع جمع من قادة الجيش ، وقصدوا مكان العرش عن طريق نخجوان ومراغه ، وتفرق المعسكر العظيم بسبب انتشار هذا الخبر ، وأزال حسين قلى خان وسليمان خان وجمع من الأمراء والحكام - الذين كانوا فى ركاب الأمراء - وسائل ومتاع السفر والاستعدادات الحربية ، وسلخوا برأسهم الطريق إلى مكان العرش ، وابتعد الحاج إبراهيم خان الشيرازى مع فوج من الزعماء ورؤساء حملة البنادق المازندرانين عن ملازمة الأمراء ، وساروا إلى مقربة من طهران عن طريق أردبيل وزنجان ، وبالقرب من أردبيل لحق بهم نجف قلى خان شاهسون مع الفرسان وطائفته ، والخالصة ، فقد وصل الأمراء [ص ٢٦] وحسين قلى خان وسليمان خان ومن كان مرافقهم من الجيش بأنفسهم إلى دار السلطنة طهران عن طريق رشت ، ووصل آخرون من طرق أخرى عبر طى الجبال والوديان بمشقة بالغة وصعوبة تفوق الحد والعد ، واستراحوا بالقرب من القلعة ، وأذعن حراس القلعة - الذين كان أكثرهم من أهالى مازندران - لأمر ونهى ومشورة وصلاح الوزير آصف النظرير ميرزا محمد شفيح - الذى كان معزولاً من العمل فى تلك الأوقات ، وكان قد نصب مكانه الحاج إبراهيم خان الشيرازى - وذلك طبقاً لصلاح الحال ووصية الخاقان ساكن الجنة ، واتحدوا مع ميرزا محمد خان الحاكم العسكرى لطهران ، ومنعوا جميع الأمراء والجنود من الدخول إلى طهران ، فأحكم الأمراء والجنود مضطرين أوتاد خيام الإقامة فى خارج الحصار الممتد ، ووضعوا عيوناً للمراقبة والانتظار من الداخل والخارج على طريق قدوم الخاقان الموفق ، وقدم إلى العراق على قلى خان أيضاً - الذى كان فى إيروان بعد سماعه بالواقعة المحزنة للأخ - مع الفوج الذى كان معه عن طريق خوى ومراغة وتبريز ، وحلق بصقره الملكى

على قرية "على شاه عوض" وهي من أرياف منطقة شهریار وهي واقعة على مسافة فرسخين من طهران ، وتخيل بخیال الأجنحة المحلقة أنه انطلق بنفسه فى مصیدة الاقبال ، وألقى برجل الإقامة فى المكان نفسه . وبعد عدة أيام عادت الروح من جدید لقلوب الأمراء والجنود المیتة من بشرى تحرك رایة ملك الملوك المطرزة بالنصر من دار العلم شیراز .

٨ - ذکر فتنة صادق خان الشقاقى :

ولما سلم قتلة الملك ساكن الجنة الأمتعة الملكية إلى صادق خان ، توجه إلى المعسكر الكبير فى أثناء الخروج من قلعة شوشى ، واحتفظ عنده بأولئك البلهاء محترفي الخيانة والسفهاء معوجي الفكر ، وعبر نهر أرس مع جمع من الأكراد الشقاقيين الذين كانوا حاضرين عنده ، واجتمعت عنده جيوش المعسكر الملكي المتفرقة خوفاً على أرواحها ، وتعب المعسكر الكبير ، ووصل إلى "سراب" الخربة ، وقام بإعداد لوازم الأمر ، متعللاً فى الظاهر بحجة إطلاق سراح [ص ٢٧] زوجته وابنه من قلعة قزوین ، وفى باطنه أنه عقد على جبينه عصاية عصيان ملك ایران بهوسه الفج بالمنزلة العالية للناج والجواهر ، وجمع طائفة الشقاقيين الذين كانوا منتشرين من ناحية سلدوز ومراغه وتبريز حتى حدود أردبیل ومغان ، وحرك أحد إخوته إلى ولاية تبريز ، والآخر إلى ولاية قراجه داغ ، ورفع هو الراية قرب العراق ، وعندما وصل إلى قزوین ، أغلق أهالى رؤساء ذلك الإقليم أبواب القلعة فى وجههم ، وفتحوا البنادق بالقذف ، وأظهروا الرجولة والشجاعة على البرج والحصن من أجل السمعة والعزة ، وفى تلك الأثناء أرسل بعضاً من رؤساء نكبة أمره إلى قرى قزوین متظاهراً تحت اسم جمع المؤن ، وأذكوا فتنة المخمورين ، وخربوا مساكن الفقراء ومنازل الأهالى ، وفى أقل مدة اكتسحوا أطراف وضواحي قزوین بالنهب والإغارة ، وهجموا على كل ناحية ، وأشعلوا نيران الأثانية والحقد بدون رحمة فى كل جانب ، وأحرقوا كل ما وجدوه فى کوخ كل مسكين من زاد أو سُنْبُلَة .

والقصة ، أنه فى أوقات الإقامة ، أغاروا على القلعة كرتين أو ثلاث كرات ، وقُتل وأسر جمع كبير من الطرفين ، وأصر صادق خان على إشعال الحصار ، وكان رؤساء قزوين يعلقون حصول هذا القصد على صد الأمراء القاجاريين له وعلى غلبة السلطان ذى الآثار الفريدونية (فتح على شاه) عليه، وتمسكوا بالتسويق والتمهيل ، وظلوا ينتظرون قنوم موكب الخاقان المؤيد الموفق ، وفى مناطق أذربيجان كان قلب أهل قراجه داغ أيضاً مثل الشقائق كالدّم ومكتوياً بالنار بسبب ظلم أخيه جعفرخان ، وفاض كأس الرغبة لشعب تبريز من ألم تعدى وتحدى الأخ الآخر محمد على سلطان ، فاستولى أوباش تبريز على منزل أخيه ، وكانوا يحملون نصيبهم من الأموال المسلوبة والغنائم المنهوبة من جيش الملك المقبور فى الجنة ، وكان الرؤساء وأصحاب الفطنة والأذكىاء ينسحبون إلى ذيل العزلة ، وكانوا ينتظرون وصول الفرح والفرج .

[ص ٢٨] وفى أوقات إقامته بقزوين كلف (صادق خان) أخويه من تبريز وقراجه داغ لتخريب قلعة خوى ، التى كانت فى ذلك الحال خالية من رؤساء الجيش ، وجمعوا أيضاً جمعاً كثيراً من الرعايا والفدائيين والترك والتاجيك وأصحاب الحرف والصنائع من تبريز وقراجه داغ ووجهوهم إلى خوى .

٩ - ذكر وصول خبر استشهاد السلطان السعيد إلى المسامع العلية لملك الأفاق ، وتحرك موكبه الهمايوني من فارس إلى العراق :

عندما عرضت الواقعة المحزنة للعم الذى لا نظير له على عاكفى الحضرة السنية الجليلة فى دار العلم شيراز ، اقترن الغم والملل بالخاطر المبارك للخابان ذى الإقبال العالى ، ولأنه كان منهكاً فى ذلك الحال فى أثناء الارتقاء إلى ذروة عرش الفلك ، فلم يراع تقديم مراسم العزاء ، وعلى الفور أخذ [طائر] العقاب فى الإقلاع وهو قابضاً على راية النصر ، من هذه الديار خالدة الآثار عازماً دار السلطنة طهران ، فوجدت القلوب المرتجفة الطمأنينة من عزم الشاه الجديد على العرش الجديد ،

فإذا كان لحسين قُلَى خان مجالٌ للفساد في ضمير خياله ، فإنه في الظاهر قد فلت من يده الأمر ومن قدمه قوة التصرف ، ودون إرادة منه لجأ إلى ظل مرحمة السلطان ، وحمل إلى جبل الحلم وبحر القلب ، وحصل على شرف تقبيل البساط خارج طهران ، وقد خلى الأمر أيضاً من يد على قُلَى خان بمجرد قدوم الخاقان المسعود ، بسبب مشاهدة حربة البأس والسطوة الخاقانية على الرغم من أنه كان يتخيل نفسه فاتح الدنيا ، فأصبح عاجزاً وملازماً للأرض ، وبفرمان الشمس جوزاء الأعلام أحضره غلمان بهرام الانتقام إلى موطن السريير المشبه بالعرش ، وبعد عدة أيام وبسبب ظهور خيانتة قيدت خطى وجود رؤيته عن الإبصار بحكم ملك الملوك ، وقبع صامتاً في زاوية داره ببلدة بارفروش ، ولأن متكأ الرئاسة وسريير عرش الحكم متعب من قدم الفلك ، فقد ادعى خاقان العصر المساواة في استعلاء وافتخار مع متكأ الشمس . [بيت ترجمته]

كان الحسن على مكانه ، فجلس هذا الكسروي كي يجلس كل شخص الآن على مكانه وقد غضب (فتح على شاه) من جرأة جماعة شقاقى الخسيصة ، فأمر أولاً : بتعيين حسين خان القاجارى رئيس فرقة الغلمان ومعه فوج موج البحر على هذا الإقليم من أجل طمأنة أهالى قزوین ، [ص ٢٩] وفى خلال هذه الأحوال سمع محمد ولى خان القاجارى - الذى كان مكلفاً من قبل الخاقان المغفور له بحراسة قلعة مشهد المقدسة الرضوية - بخبر الواقعة الموحشة ، فتحرك من هناك ، وتشرف بتقبيل الركاب الكسروى المقدس ، واعتبر الخاقان الفاتح للبلاد أن قدوم الجنود المظفرين من جملة المؤيدات للإقبال الذى لازوال له ، وتفاعل خيراً وعندئذ أمر بجمع قادة الجيش ومقربى عتبة بلاط زحل ، وفتح أبواب الخزائن ، وجهاز جيشاً محارباً شجاعاً ، وجزم العزم على محاربة الخصم قليل الحزم^(١) ، وأصدر الأمر حتى ضربوا الخيمة الخارجية والخيمة الكبيرة على طرف الصحراء ، وأخذت الراية التى هى فى شكل الأفعى - فى التحرك ناحية قزوین بقصد معاقبة المتمردين وبالقرب من قزوین رتب

(١) يقصد : صادق خان الثقافى . (المترجم)

الميمنة والمسيرة والقلب والجناح والمؤخرة والكمين ، ونهض أيضاً صادق خان من رأس الشقاق والنفاق فى مواجهة سلطان الأفاق ، ووضع الأبطال الرجال من كلا الطرفين أقدام الجرأة فى مضمار الجلادة ، واشتعلت نيران الحرب والضرب ، ومع أن الجيش الكردى ضغط بقدم الجلادة فى أول وهلة حتى وصلوا إلى تقديم أسباب ولوازم التضحية والفداء ، لكنهم وجدوا سيف الشجعان الفولاذى المحطم للعدو أحكم من سد الإسكندر^(١) ، فارتدت وجوه المشبهين بيأجوج فجأة عن مواجهة الأسود الغادرة ، وحمل صادق خان الهزيمة وهرب ، وصب غبار الخذلان على رأس السمعة والشرف ، وهجم الجيش السلطانى على رأسهم ، وخضب أشواك ونباتات صحراء القتال بدمائهم ، ومع الأمل بأن إخوته من وجه الجزم والعلم قد استولوا على حصن خوى ، وأحكموا حصار تبريز أيضاً ، وصل إلى سراب حتى يلجأ إليهم وقت الضرورة ، ولكن قبل هذه الواقعة ، اطلع إخوة حسين خان الدنبلى الصغار على نية إخوة صادق خان ، ولما كان حسين خان الدنبلى فى ذلك اليوم فى قزوین ، وكان جعفر قلى خان ملتزم الركاب المقترن بالنصر ، وكان الفريق الدنبلى منفصلاً الواحد عن الآخر منذ وقت تفرق جمع المعسكر الملكى ، وكانوا مثل سفينة [ص ٣٠] ، بلا ريان ، فاجتمعوا ، وتقابلوا فى مرند مع إخوة صادق خان وجيوشهم ، ومن يمن الحظ المنتصر لملك الملوك المؤيد ، ودون أن يحتاجوا إلى ترتيب اليمين واليسار ، وبحملة واحدة ، أنزلوا بهم الهزيمة الفاحشة ، ولم يتباطأ إخوة صادق ، وبسرعة كاملة ، فروا إلى مقربة من قلعة تبريز ، ومسحوا فى سرعة تامة مسافة أربعة عشر فرسخاً فى ساعتين ، ووصلوا إلى تبريز ، ومن المصادفات العجيبة أنه فى اليوم نفسه - الذى كان صادق خان قد فلت فيه عنانه من الجيش المظفر - لقي فيه إخوته أيضاً الهزيمة ، وارتعدت تبريز بين الحصار لمدة يومين أو ثلاثة كما لو كانت قلباً مضطرباً كالزئبق ، والتحق الأخوان وهما فى غاية الاضطراب بصادق خان فى سراب ، ولأن حبل جمع الأكراد الشقاقيين نوى الأصل السيئ قد صار متفسخاً ، وارتسم شاهد

(١) ويسمى أيضاً بسد يأجوج ومأجوج . (المترجم)

الفتح للخاقان فاتح البلاد ، فقبض غلمان الملكية على قتلة الخاقان ساكن الخلد ، وأحضروهم إلى الخاقان فاتح البلاد ، ويأمر ملكي تمت محاكمتهم . [بيت ترجمته] .

لم يمنح الله مطلقاً الموت وقد كتبته على أولئك العبيد

ونظراً للأخطاء الممنوحة للفلك الدوني وأبو العجائب الفلك المقلوب ، كانت قد وقعت أمتعة وأثاث السلطنة من يد قتلة الخاقان ساكن الجنة إلى يد صادق خان ، فصدر منشور قضاء العدل من ديوان الخاقان سليمان ذي الخاتم في صحبة إبراهيم خان عز الدينلو لاسترداد اللآلئ الثمينة ، وصارت ساحة الخلد المعجزة منطقة "زنجان" منبعاً لعين الحيوان ومنبئاً للورد والريحان ، وكتب صادق خان عُذر الشفاعة والاعتراف بالذنب متضرعاً في عريضة إلى بلاط ملجأ العالم ، وسلم أمتعة وأثاث السلطنة إلى إبراهيم خان ، وبعد قدوم إبراهيم خان إلى الركاب المستطاب ، صدر من بلاط صاحب العالم حكم العفو عن جرمه وخطئه ، ورشح لحكومة "كرمرود" و"سراب" .

وفي أثناء توقف الموكب المظفر في زنجان وصلت عرائض العبودية المتوائمة من أمراء وحكام أذربيجان ، وصارت أحوالهم جميعاً مقترنة بالعواطف الملكية الكريمة ، وسعد محمد خان الإيرواني - [ص ٢٠] الذي كان في الركاب المقدس - بحكومة منطقة "تشخور سعد" ، وافتخر إسماعيل خان القاجاري في مرافقته بحراسة قلعة إيروان ، ورُفعت رأس جعفر قُلي خان الدنبلي - الذي كان يصل إلى محل الحضور الباهر النور قبل أقرانه من القدائيين - بحكومة دار السلطنة تبريز وخوى ، وأيضاً كُلف بمنشور القضاء من المكان نفسه حسين قُلي خان عز الدينلو القاجاري من أجل إحضار نعش الخاقان المغفور له من عند إبراهيم خان حاكم قراباغ ، وأخذ اللواء المزركش بالنصر في التحرك من زنجان إلى دار السلطنة طهران ، وتوجه نظام الدولة سليمان خان تجاه دار الحدود رشت بهدف تنظيم شئون جيلان .

وفى الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ألف ومائتين واثنى عشرة (١٢١٢ هـ.ق) ، صار عرش السلطنة محسوداً من عامرة الكرم الزجاجى ، وبعد عدة أيام من الاستقرار فى مركز الدولة ، وصل نعش السلطان ساكن جنة عليين مع حفظة القرآن وقراء الألحان الداودية الأذربيجانية وجمع من العظماء والأعيان إلى دار الخلافة ، واستقبل الخاقان فاتح البلاد مع الأمراء والجنود المحفة المحفوفة بالمغفرة ، وفارت الدموع من حدقة عين السلطان والأمراء والجنود كسيل المياه ، ووضعوا المتوفى فى صندوق منقوش بالذهب ، وصدر الأمر لمحمد على خان القاجارى مع ميرزا موسى رئيس المنجمين والملا مصطفى القمشهاوى وإبراهيم خان عز الدينلو والقراء والحفاظ بالتوجه إلى المشهد المقدس بالنجف على ساكنها من التحية آلاف التحف^(١) ، فأسرع سليمان باشا والى بغداد بالاستقبال ، وأجرى لوازم التعظيم والتكريم ، ومن هناك نُقل النعش المطهر إلى النجف الأشرف ، ودفن فى تلك الأرض الطاهرة كالكنز .

١٠- ذكر جلوس اليمن المأنوس الخاقان فاتح البلاد على عرش السلطنة ، وتزين تاج الخلافة بظل كسرى فريد المنزلة :

فى ربيع "عام الفأر"^(٢) سنة ألف ومائتين واثنى عشرة هجرية ، زين كسرى صاحب عرش جمشيد - الذى دائماً مراد فلكه الأسد الأبلق زينة تلك الرياح ومراد الدنيا والآخرة جوادين راكضين فى ركابه المنتسب للظفر - تاج الخلافة [ص ٣٢] من مفرق ظل رأسه ، وفى ساعة - والتى كانت ساعات سعادة الرهين وسعود

(١) يقصد : الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه ؛ لأن مدفنه فى مدينة النجف بدولة العراق الحالية . (المترجم)

(٢) يونت نيل : عام الفأر وهى السنة السابعة من التقويم التركى الجفتائى . (انظر المعجم الفارسى الكبير ، إبراهيم الدسوقي شتا ، ج ٢ ، ص ٢٢٨١) .

الاقتراانات بقرينه - وضع الخديوى الذى لا نظير له قدم الفلك الطاحن على كرسى السلطنة ومكان عرش الإجلال ، واتكأ على مسند عرش الإقبال ، وأوصل الملك المانح للنشاط بشرى الأمن والأمان إلى أذن الشيخ والشاب ، ورأى متمردو الأطراف ورؤساء الأفاق صدورهم وأكتافهم مزينة ومحلاة بخلاع الشمس المشعة من دار خلع الإنعام السلطانية ، فوضعوا طوق العبودية وقلادة الخضوع على أعناقهم ، وسحبوا غطاء الخدمة والفدائية على أكتافهم ، وكنسوا غبار ساحة الإجلال بأهداب الأدب ، ومن وجه حسن الإخلاص وصفاء العقيدة ، قالوا للجلوس المئوس : ليكن مباركاً وليكن ميموناً ، وكانت بيادر الدرهم والدينار من ذيل صاحب الكنز خسرو صاحب العالم موضع حسد وعجب الأوراق المتفتحة وأوراق الأزهار ، فسقطت على كل ناحية من تحريك نسيم الربيع ، وأخلى غلمان شمس الطلعة حاشية قاع البحر من إيثار الذهب والجوهر ، ملئوا جيب ولبة قميص المتشرفين بالحضور السلطانى ، ورفع مقبلو أرض البلاط رأس المباهاة إلى أوج السماء من يمن إلفاف وإشفاف الخاقان ملجأ العالم .

١١- وصول الأمير محمود بن تيمور شاه الأفغانى إلى شرف حضور سلطان الدنيا الواسعة :

وفى الأوان نفسه ، أدرك الأمير محمود بن تيمور شاه الأفغانى شرف حضور فيض صاحب الخزانة الخاقان فاتح البلاد ، وقُدمت له من قبل سلطان الأفاق مراسم التدليل والعطف ، والتي كانت لائقة بمثل هذا الضيف .

وتوضيح هذا الإيهام وكشف ذلك الإيهام ، هو أن تيمور شاه الأفغانى - ومن أجل استحكام بناء سلطنته - جعل الأمير همايون - الذى كان أكبر أولاده - وليا للعهد ، وأعطاه محل استقلاله واستقراره فى دار القرار "قندهار" ، ومنح فى فخر الأمير محمود ولاية هراة ونواحيها أما هو فكان يقضى الشتاء والصيف فى دار

السلطنة كابل وبيشاور ، واعتقل إخوته في قلعة كابل، التي كانت معجزة في متانتها ورزانتها ، وكان يريخ خاطره من [ص ٢٣] فسادهم في بقاع ذلك الحصار المحصن .

وعندما خلع خلعة السلطنة ، وعبر لطريق الآخرة ، حضر الأمير زمان - الذي كان أصغر من الأمير همايون والأمير محمود - عند والده ، ووضع التاج على رأسه ، ورفع لواء الاستعلاء ، ولم يدخل الأخوان الكبيران رأسيهما تحت طاعته ، فاشتبكت الجيوش فيما بينها، وسالت الدماء ، وفي نهاية الأمر ، وقع الأمير همايون بعد هزيمته في يده ، وأفقد عينيه من نور الإبصار ، ورحل الأمير محمود والأمير فيروز الأخ الأصغر والأمير كامران ابنه مع عدة أشخاص من أعيان الأفغان ، والتجئوا إلى عتبة العطف والرعاية الحقيقية للسلطان المنتصر ، وبعد قدومهم إلى دار العبادة يزد ، وصلت كيفية أخبارهم إلى منزلة عرش السماء للعرض على عاكفي البلاط الجليل ، فعين السلطان فاتح البلاد إسماعيل أقا المكري لاستضافتهم وإعزازهم ، وأصدر فرمانات المشهورة إلى حكام الولايات بأن يكرموا مقدمهم في كل مكان وبأن يراعوا مراسم الضيافة لهم ، وبعد قدومهم إلى حفل الروض السلطاني المزين وإدراكهم حضور النور الملكي اللامع ، صاروا مجلاة صدأ مرآة خاطره المصقولة برحمته وعطفه وشفقته ، وصدر الحكم لـ تشراغ على نوائى بمواظبة صحبتهم ومداومة تسليتهم ، وأن يُبسط قسماً من الإيوان لحقلهم وسرورهم .

١٣- ذكر فتنة محمد خان بن زكى خان الزندى في إصفهان :

ولما طوى بساط الدولة الزندية على يد قهر البطل ساكن الجنة ، وصار ربيع دولتهم شتاءً ، سكن البادية الفارون من تلك الطائفة ومنهم محمد خان بن زكى خان في صحراء جرداء ، وطوى مرحلة في وادى الاضطراب . مصراع [ترجمته]

كل نهار في منزل وكل ليل في مكان

وقد صار فضاء الدنيا أضيق من السجن في وجهه ، فكان يعيش أحياناً في البصرة وأحياناً على أبواب بغداد خوفاً على روحه ، وكان يراوده في رأسه وبدون وعى خيال فج ، وكان يوصل الأزمنة من نهار إلى ليل ومن ليل إلى نهار ، وهو في غاية القلق والاضطراب ، وبعد واقعة السلطان المغفور له وفي أثناء خيانة صادق خان المغرور [ص ٢٤] توجه محمد خان من نواحي البصرة إلى "بهبهان" مع عدد من أقاربه وأتباعه ، على أمل أنه ربما يُشفى ألم مرضه العضال ، فرأى هناك الساعد والمعين الخالي الوفاض ، فذهب بقلب يائس إلى نواحي كازران ، فاجتمعت على أمره طائفة ممسّتى وهي من طوائف فارس ، فطلق جمع من جيش القيامة ذي الروح السلطانية الحلوة ، والذين كانوا حراساً لتلك الثغور ، وهزموه ، وفر إلى مقربة من "خبیص" وهو في غاية الاضطراب ، وفي تلك الحدود أيضاً طمع في الإغاة والحماية من الأفغان ، ويئس من مساعدة تلك الجماعة ، وأسرع مع الحسرة والندم إلى مقربة من إصفهان، ومن المصادفات ، أن كان حكام إصفهان وأعيانها في طهران بقصد تقبيل عتبة الخاقان فاتح البلاد ، فهجم أحد إخوة الحاج محمد حسين خان - الذي كان في إصفهان - وبدون خوف على تلك الجماعة بدون أن يسأل عن أحوالهم ، فقبضوا عليه ، وتخيل محمد خان من وقوع هذه الواقعة فتحاً في أمره ، فنزل من هناك إلى حديقة "سعدت آباد" واجتمع على رأسه جمع من الألوار الذين كانوا يقيمون في إصفهان ، ووقع رعايا إصفهان كالقطيع بلا راع في يد أولئك الذئاب المغرورة ، وجمع في مدة يومين أو ثلاثة أيام بلياليها الأمتعة الظاهرة من بضائع وخيول ودنانير ودراهم ، وفوض محمد خان بحكومة إصفهان لميرزا عبد الوهاب المستوفى ، وأطلق يده بأخذ ومصادرة أموال التجار وأغنياء تلك المدينة الخالدة المشهورة .

وعندما عُرض هذا الخبر على الحاكم العادل ، أصدر صاحب الحضرة العلية الظل الإلهي الأمر لحسين قُلى خان القاجارى الدولوى ومهر على خان داشلو واللهوردى خان عز الدينلو وحسين خان رئيس فرقة الغلمان مع عدد من أجل طردهم ، وبالقرب من "جز" حدث التقاء الفريقين ، ولم تجد تلك الطائفة حيلة سوى

الهرب ، فتعقبهم حسين خان ، وتوجه إلى عامرة سعادت آباد ، التي كانت محل استقرار أولئك القوم المؤسسين على النحس ، وفر محمد خان ورفاقه ، وفي خلال هذه الأحوال قبض يوسف خان البختياري على نجف خان الزندي - الذي كان في الحقيقة مضرماً لنيران هذه الفتنة [ص ٣٥] مع أعوانه وأنصاره ، وسيرهم إلى بلاط صاحب العالم ، فأذاق الخاقان فاتح البلاد أعوانه (نجف خان الزندي) شربة الهلاك والبوار من رأس نبع السيف البتار . أما هو - الذي كان دائماً دخاناً في هواء ، فقد طويت نخوته وغروره في طاقة أنفه ، وكُم فمه بقذيفة المدفع الثعبانية ، وانسحب رستم خان ابن أخيه - عند سماعه بقضية نجف خان - بنفسه إلى محل "سيلاخور" ، التي كانت محل إقامة [طائفتي] ياجلان وبيرانه وند ، واحتتمى بتلك الطائفة، وخضعت تلك الطائفة لتلك الزمرة السيئة الأصل . وفي ذلك الأوان ، اندفع نظر على خان إلى قلعة ياجلان التي كانت مقر محمد خان ، وقبض عليه ، وأراد أن يسيره إلى بلاط ملجأ العالم ، فاتحد المدعو مهدي الياجلاني مع جمع ، وأطلق سراح محمد خان من قبضتهم ، ونهض لإعانتته مع أعوانه ، وصار تحالف هاتين الفرقتين باعاً أكثر على فساد وشر محمد خان وأطلق نيران الفتنة والثورة مرة أخرى على إيوان زحل ، فعُين من جديد من قبل بلاط المجد والجلال محمد خان القاجاري حاكم كزاز وملاير وحسن خان الفيلي وتقى خان حاكم بروجرد لصد تلك الجماعة ، وبالقرب من سيلاخور اشتعلت الحرب ، وأصيب تقى خان البروجردى بجرح وسط المعارك وولى بوجهه إلى عالم الآخرة .

ولا جرم ، أنه لم يتقدم لمحمد خان الزندي شأن ، وسلكت كلتا الجماعتين طريق خلاف طريق الجبل الذي كانتا قد اختارتاه من أجل التحصين والحماية لهما ، وتدرجياً تجمع الغرباء من كل جانب ، وارتفعت ألسنة لهب الفتنة إلى ذلك الحد ، الذي يوضحه القلم بعد هذه السطور ، وقد أخدمت بمياه السيف المحطم لجيش العدو تحت قيادة محمد ولي خان القاجاري .

١٣ - وقائع سنة ألف ومائتين وثلاث عشرة هجرية وهى السنة الثانية لجلوس اليمى المأنوس ، وذكر تحرك موكب فاتح العالم إلى مقربة من أذربيجان بقصد تأديب المتمردين :

بعد انقضاء حفل النوروز المنتصر ، توجه الخاقان فاتح البلاد إلى ساحة الدنيا المضيفة لأداء مهمات الملك ، ولأنه قد جعل زلال عفوه مطهراً لجرائم صادق الشقاقى فقد جلس على متكأ حكومة سراب وكرمرد بحكم التوقيع [ص ٣٦] الخاقانى الموقع ، وفى تلك الأوقات - التى كان فيها جعفر قلى خان الدنبلى مفتخراً بولاية تبريز وخوى من مربى الدولة المطرزة بالخلود - سمح الحضرة العلية الخاقانية له بالانصراف من الركاب ، وقدم إلى تبريز عن طريق مراغه ، فوضع صادق خان لبنة العداوة مع جعفر قلى خان بسبب خيانتة الباطنة والعداوة السابقة التى كانت له معه ، فأحضر هو أيضاً (جعفر قلى خان) جمعاً ، وهجم على طائفة شقاقى ، وخرب سراب ، ولم يحتمل صادق خان حرارة المقاومة ، وترك الوطن المألوف ، ولوى عنانه إلى طريق مغان (موغان) ، وقصد من هناك ناحية شيروان ، وكان لفترة فى تلك الحدود مضطرباً الحال وحائراً ومستمراً فى هذا الخيال ، وهو لأن جعفر قلى خان حرم من البلاط الخاقانى لارتكابه الخيانة ، ولأن جعفر قلى خان أخذ النصيب الزائد على القبول من مائدة عوارف الحضرة العلية ، وبسبب ضيق الوعاء سحب رأسه من العبودية التى كانت عين الحرية ، وأدرك صادق خان هذا المعنى ، وفتح عليه طريق المجىء والذهاب وأسرع من شيروان إلى سراب ووضع لبنة الوسوسة مع جعفر قلى خان ، وتبعهم محمد خان الأفشارى نظراً لانعدامه من العقل وعدم تميزه وفتور رأيه وضعف نفسه - بالتملقات البلهاء والأطوار السفهية ، وجراهم خبر فتنة محمد خان الزندى ، وأوصلوا أنغام الخلاف إلى آذان الموالين والمعارضين ، وردوا على خطاب حراس السلطان وصار كل واحد منهم مهياً المعيشة فى مروج تبريز وأرومية وسراب مع الجيش الذى كان لهم فى حكم جماعة الغراب وفى مثال السراب ، وتوهموا أن الأمر مهياً لهم، فدفعوا الغم عن القلب ، ورفعوا لواء العصيان ، وعندما رأى حسين قلى خان - وهو ابن أخى محمد خان الأفشارى - عمه فى العمى والضلال ، ابتلع

غمه وحزنه ، وسلك طريق الحضرة العلية ، وبعد السماح له بتلثيم العتبة العلية فى موطئ سرير عرش الهمايون ، عرض حقيقة الحال ، فعطف عليه الخاقان فاتح البلاد ، وجزم العزم على معاقبة العصاة .

والتجأت يد النواب محمود ميرزا الأفغانى - الذى جاء بالحسرة من جور الزمان وجفاء أخيه زمان ميرزا وظلمه له - بستارة باب القصر الكسروى [ص ٢٧] ، واتسعت عين الرجاء من حضرته فى استخلاص الملك الموروث ، وحتى ذلك الوقت لم يترتب رأى حلال العقد من أجل نتيجة مطلوبة ، وإن كان مشتاقاً للالتزام بالركاب المستطاب ، لكن تحمل مشاق سفره جاء شاقاً على الطبع المنزه من وجهة رعاية الضيف ، ومع هذا ، كان هواء مقام العرش أحر من قلب العشاق ، وكلفه فى تحمل كامل بالتوقف فى كاشان ومشاهدتها وبضيافة أحد خدام (بلاط) زحل المقام ، كى تفتح الأيام رباط الغم عن القلب فى صحراء تلك الديار بصيد (طائر) الحجل الكبير الحجم حتى موعد ضياء شمس الظفر من مغرب السفر فى مشرق العزة وبأن تجلى الليالى فى قصر تلك المدينة صدأ كُربة الغربة عن مرآة خاطره بمصقل حديث الظرفاء والأشعار الدرية ، وأمر بتعيين محمد ولى خان القاجارى مع فوج من الجيش لقيادة إقليم على شكر ، وإخماد نار فتنة محمد خان بن زكى خان الزندى ، وقرر لحسين قلى خان الأفشارى بأن يسمح له بالانصراف من بلاط صاحب الدنيا ، وأن يجمع أنصاره من طائفة الأفشار ، وأن يخضع قلعة أروميه ، وأن يقبض على عمه بكل طريقة يعلمها ويقدرها ، وكلف نظام الدولة سليمان خان القاجارى بنقل الجيش ملجأ الظفر ، وأخذت الراية المنصورة فى التحرك من خلفه ، ولما صار بعد عدة أيام مرج سلطانية مضرباً بخيام جيش أثار النصر ، سقطت النار فى بيدر استقرار متمردي أنزبيجان ، فمن أولئك الثلاثة الخبثاء النفس صادق خان - الذى كان قد اختبر ذهب قلبه لمرات فى دار الضرب المعركة برمح الامتحان - لأن مقصوده كان ظهور خيانة جعفر قلى خان ، والتي صدرت ، فأعرض بوجهه عن مساعدة أعوانه ، وتوسل مضطراً إلى مسئولى الدولة ، وجعل سليمان خان شفيعاً لذنوبه ، ولم يضع يد الرفض على صدره ، وبكتابة العريضه الممزوجة بالتضرع طلب له العفو والأمان من

الحضرة العلية ، ومن بلاط الشاهنشاه وصل إلى صادق خان حاملاً بشرى جميع
الآمال ، نظم [بيت ترجمته] .

هذا بلاطنا فليس هو بلاط اليأس فأت قاصده حتى لو هزمت منه مائة مرة

[ص ٣٨]

وفي منزل "سنگ" قبل جيش العتبة المؤسسة على العدل التراب ، وتفسخت عقدة
جمع جعفر قلى خان ومحمد قلى خان عن بعضها ، وغاص زورق قرارهما فى نومة
الحيرة ، وبقلب مجروح ويد الحزن على جرحه ، والفريق يتشبث بكل حشيش^(١) ،
وخرجا برأسيهما ، فلجأ واحد إلى ديار البطل الرومى وواحد إلى قلعة أرومية عند
حسين قلى خان الأفشارى ، الذى كان قد ذهب إلى أرومية قبل تحرك الموكب المسعود
بمعاونة محمد على بك عرب رئيس فرقة الغلمان وبمرافقة طائفة بلباس ، فقبض على
عمه ، وأخضع القلعة ، وعرض كيفية الواقعة على موطئ العرش الأعلى ، وعين منشئ
الممالك ميرزا رضا قلى بالحكم السلطانى لضبط أمواله ومصادرتها ، وكلف أشرف
خان الدماوندى على حراسة البرج والحصن ، وفى السادس من شهر المحرم صار
الموكب المسعود خارج مدينة أرومية المنيرة للعالم عن طريق مراغه وسلدوز ، وسعد
القادة وعظماء تلك الأوطان من تلتيم عتبة آثار السدرة وصارت أموال ونخائر وأمتعة
محمد قلى خان وأثاث سلطنته التى ضببطت ، من نصيب الجنود المظفرين . وضاع
فى يوم واحد عن طريق حوادث السلب والنهب الذهب والفضة والخيل والبغال التى
كان قد جمعها فى سنوات .

وبعد الانتهاء من مهام أرومية ، توجهت راية معجزة النصر فى السابع عشر من
شهر محرم الحرام من سلماش إلى قرب خوى . وفى مرج تلك الأرض "خوى" أتت قبة
خيمة الملك الوردية اللون مزدانة فى مقام واحد مع قمة الفلك الزرقاوى اللون .

(١) « الفريق يتشبث بكل حشيش » مثل عربى ورد هكذا بعبارة العربية داخل النص الفارسى .
(المترجم)

١٤- ذكر وصول خبر فساد حسين قُلى خان إلى المسامع العلية لمقربى بلاط خديو الآفاق ، وعودة موكب الهمايون من أجل صده عن أذربيجان إلى العراق :

ومهما كان الضمير المكنون القابل للإلهام للخاقان فاتح البلاد فإنه لم ينتظف حديقة بلاد أذربيجان من الشوك والحسد والفتنة والاضطراب ومن وجود الفتنة الثائرة فى ذلك المنزل وذلك بمساعدة سيف الظلم الحارق ، ولم يعط الإذن لراية العزيمة بالانصراف إلى ناحية روضة العرش ، ولكنه فى ذلك الوقت ، وصل إلى المسامع العلية خبر فساد حسين قُلى خان [ص ٣٩] الأخ الممتلى بالجهل ، فانعطف عنان الجواد طاوى الدنيا إلى ناحية العراق [العجمى] بنية صد أهل النفاق .

وتوضيح ذلك الكلام ، هو أن خاقان البلاد الواسعة ، وبعد الانتهاء من أمر صادق خان والعودة إلى دار الملك طهران ، زين مفرق رأس حسين قُلى خان بفرمان ولاية فارس ، وسلمه وفوض إليه القليل من مهام ذلك المكان وناقصه لعدم استقامته ، وبعد الوصول إلى شیراز وفى بداية الأمر كان طوق الإطاعة فى رقبتة وكان يرفع راية العبودية فى مضمار الخدمة وبعدها وإجمالاً للكلام ، فإنه قد وجد المقدرة والاستعداد ، ولمجرد صلة إخوة الحضرة العلية وقع فى رأسه خيال الاستبداد وسقط فى قلبه الحقد والسوء الذى لا فائدة منه ، وبسبب قلة التجربة وحادثة السن لوى رقبتة عن حبل الطاعة ، وصار تحريض جمع من مقربى الخدمة والباحثين عن الفساد فى تلك المملكة إضافةً للسبب والعلة ، وألقى القبض على ميرزا نصر الله ، الذى كان المؤيد فى ذلك المكان حسب حكم ملك الملوك - ومعه جمع من رؤساء فارس - الذين كان يراهم مخلصين لهذا الأمر وفى محل الإنكار والرفض له - ووضعهم فى الأغلال الضيقة والسجن ، ومال إلى المشاهدين وأرسل فوجاً من الفرسان للقبض على جان محمد خان القاجارى ، الذى كان فى قلعة " لار " ، فولى جان محمد خان بوجهه من قلعة لار ، وبسبب حركته أسرع الشجعان والفرسان منطلقين إلى جانب العراق .

وبعد سماع هذا الخبر قدم حسين قُلى خان من شيراز مبطناً ومسرعاً في تعقبه له ولم يصل إلى غباره ، ووصل هو نفسه إلى كاشان ولم يرض على نفسه أيضاً العودة إلى شيراز ، وصار مضطراً إلى الاستعداد للعزم نحو العراق والسير إلى العمران ، وأراد إرسال الأمتعة والمؤن والعتاد إلى يزد في صحبة ميرزا علي كرايلي ، وعين غلامه رستم بك شام بيات على حراسة المدينة والمسجونين ، وفي أواسط شهر محرم الحرام ، قدم هو نفسه مع تجمع تام إلى دار السلطنة إصفهان ، وكان يخادع الناس في الظاهر بهذا الكلام بأن مقصده الحقيقي من هذا التحرك هو تقبيل عتبة الحضرة ، ولم يتفوه بإعلان ما في ضميره ، إلى درجة أنه لو أن أحداً من المثثرين كان يأتي على لسانه اسم كسرى الأنام بعبارة غير مقبولة ، فكان يستل لسانه من قفاه كلون البنفسج [ص ٤٠] ولأنه لم يكن ظاهر المجاهرة بالخلاف مع محمد علي خان القاجاري - الذي كان معيناً على حراسة إصفهان من قبل شهريار العمل الطيب [فتح على شاه] فلم تسر من مدبري أمر الدولة أيضاً أية إشارة على رده ومنعه ، ورأوا سهولة مواجهته ومقابلته على خلاف الإمعان والتفكر ، وبالمصادفة ، خرج محمد حسين خان الحاكم العسكري لإصفهان وعمال الديوان من المدينة ، واستقروا في أطراف المدينة ونصبوا العين على طريق وصول الحكم الأشرف ، ومع أن أكثر أهالي شيراز كانوا قد عرضوا وصول حسين قُلى خان إلى إصفهان ، ومرة أخرى أيضاً إلى مرتبة العرش الأعلى ، وفي خوى وصل هذا الخبر الصريح إلى المسامع العلية ، فكلف الخاقان فاتح البلاد سليمان خان ومعه حكام وقواد آذربيجان بالتوقف ، وسار قبلة الأفاق هو نفسه مع جمع من الجيش في طريق العراق ، وفي محل أرونق تبريز أحضروا محمد خان الزندي مقيد العينين إلى مرتبة العرش وفي البداية أتى أسره بالقال الحسن .

وتفصيل أحواله على وجه الإجمال ، ذلك أن محمد خان تحصن في "سيلاخور" مع جمع من طائفة ياجلان ، على النحو الذي وضحه قلم البيان في السطور السابقة ، وكان قد أغلق طريق المجيء والذهاب على الناس ، ووصل محمد ولي خان - الذي كان مكلفاً بطرده - إلى سيلاخور ، واشتعلت الحرب ، وبعد حروب وصراعات كثيرة ، فر محمد خان مع أعوانه وأنصاره من معركة القتال ، وفي أطراف دزفول وشوشتر أُسر

على يد الخيل الكثيرة ، وبإشارة الوالى حسن خان عُرى من حلية الإبصار ، وأحضروه إلى البلاط الكسروى مقيداً بالسلاسل وأطواق الذلة ، وبالحكم المحكم لحاكم العصر سلموه إلى سليمان خان ، وفى منزل كرمروود توجه لللازمة السعادة أبى الفتح خان الابن الأصغر لإبراهيم خليل خان جوانشير الذى كان قد سرى الحكم بإحضاره ، وفى ساحة زنجان تذكر الواقفون فى حضور الخاقان فاتح البلاد بأنه بعد تحرك خسرو الأفاق من خوى إلى العراق تجمع لسليمان خان الديوان حول الخيمة الكبيرة ، ونقلوا جميعاً من الطريق بواسطة على همت خان رئيس قبيلة كلياىى وخان باباخان قائد طائفة نانكلى ، ومع هذا كان يكرر القول [ص ٤١] بأن الشغل شاغل لمزين العرش - [مصراع ترجمته]

لم يكن عملى إراحة القلب

هو أن مولد معاملة الرئاسة يسرى فى شرايين عروقه ، فهو يزين هذه الجنة من أجل إصلاح هذا الفساد ويزيل الخلاف من وسطها ، وتعهد الجميع بالإيمان بأن يعتبروا فى كل حال سليمان خان رئيساً وكبيراً عليهم وألا يسوقوا على لسانهم اسماً غيره فى العظمة ، وبأن يغمضوا العين عن حقوق ولى النعمة وأن يسعوا فى العقوق والعصيان ، وتخيل الخاقان على الجانب تلك الغوغاء أقل من صراخ وضجيج الربابة ، وعزم إلى مقصده فى نفس اللحظة .

وفى مرج سلطانية أعد مجلس المشورة مع قادة الجيش وعظماء الجند ، وبعد المشاورة فى رأى استقر رأى الأبيض المضى الخاقانى على ذلك ، وهو بأن يشهر سيف المواجهة عن طريق همدان ودرجزين ، ويجهز أمر المعركة والحرب ، وأن تُزال أشواك وحسد الأشرار من على صفحة العراق ، وتشرف الحكم السامى بالصدور بافتخار محمد ولى خان ، وذلك بأن يقدم مع الجيش عن طريق إقليم على شكر وبروجرد إلى جلبايجان ، وأن يكون مترقباً لقدم الموكب المؤيد والحكم المتجدد ، ثم تحركت راية النصر المعجزة من سلطانية ، وصدر حكم القضاء الأمر بتفريق الجيش الذى كان مع سليمان خان ، وفى أحد المنازل وصل هذا الخبر إلى أركان الدولة ، وهو بأن ولى خان - وبعد قدومه من بروجرد طبقاً للفرمان الأشرف إلى أطراف

جلبايجان - سمع بخبر تحرك حسين قُلى خان من إصفهان ، وعلى الرغم من عناية الخاقان فاتح البلاد ، فلم يعتبر نفسه أقل من الآخرين ، وذهب عند حسين قُلى خان ، ولأن نعمة معارضة حسين قُلى خان قد وصلت إلى أذن الكبير والصغير بالعراق ، فانتشر هذا الخبر في إصفهان ، فقارت محبة الأمومة من قلب العين التي تسع الأفاق والقوة المدركة للزمن واختلط أنينه بحزنه ، وأرسل إلى حسين قُلى خان عدة مرات برسائل النصيح وبشائر العطف والمحبة ، وأرشده إلى الخدمة والطاعة ، ولم يرتد عن طريق الجهالة ، فلا جرم أن أصبح خاطره العفيف مصاحباً للملل ولما استقرت الشمس على الهودج في حجاب السحاب ، واجهه الجيش ليلاً في منزل [ص ٤٢] "تشاله" فنصحوه ولم يقع عليه بالنفع ، فبيّست عين الملك والأمة من صلاحه وفلاحه ، فتوجه (حسين قُلى خان) ناحية معسكر الملك ذى العمل الطيب لعل الرحمة تأتي عليه من قبل حضرته ولا تُقطع الرحمة بسيف التنافر والجدال ، حيث إنه كان يعلم طبع حضرته الكريم وعفوه العميم وقلبه السليم ورأيه المستقيم ، وشاهد الخلوة المختارة مقصورة العفة في منزل "ساروق" بمنطقة "قراهان" ، وبرؤية قرّة العين ظهر صاحب التاج وبدأ من العمل السيئ وانتهى بالقبيح ، وشرح حسين قُلى خان الحكاية ، وتمسك بهذا العذر وهو "بأن أموال ملك فارس لم تكن تكفى نفقاته على أى وجه ، لذا تجرأ على التحرك بهذا الخلاف والإقدام ، فلو يأمر الخاقان مانح الملك الذى قلبه فسيح وملكه وسيع ، وفى مقابل هذه النعمة العظيمة - بإضافة ملك كرمان أيضاً على إقطاعه ، وأن يرعى القلب الصغير من عظمة الهمة ، فسوف لا يبعد عن المنن الكريمة التى لا نهاية لها ، وسوف يضع أيضاً رأسه على خط الطاعة ، وسوف يترك مثيرى الفتنة والهجوم والإغارة " فقال الحضرة العلية فى جوابه ، " بأنه لا توجد مضايقة من جانبنا فى إضافة ملك كرمان ، وأنه إذا كان له رأى مخالف ، فلا يقطع برأس الرأى الأشراف وصلاح الدولة ، وفى الحقيقة أن ملكى وملكه واحد " واختصاراً للقول ، فإن حسين قُلى خان لم يكتف بكرمان ، وطالب أيضاً بإصفهان ، ولأن لجأه وسوء مزاجه موجه إلى المهد العالى خاصة وإلى كافة الأطراف عامة ، فقد سد الحضرة الخاقانية عليه طريق حجته ونظراً للجأته لوى برأسه إلى حجة أخرى ، فصار واضحاً للجميع ، أن مراده التجهز والإعداد للمعركة ، وليس طلب زيادة المعيشة ،

وفى اليوم التالى ، صدرت الإشارة للجيش حتى يقوموا بتعبئة الصفوف وترتيب الألوف وأن يقرروا أمر تقسيم الملك بلسان السيف المُقطع للرءوس وضرب العمود الثقيل ، ووصل إلى عاكفى السدة الجليلة ، أن حسين قلى خان قد عقد حزام الهمة مع أتباعه المتهورين للمواجهة فى " كمره " ، فاشتعلت نار الغيرة بالخديو فاتح البلاد ، وترك الأمتعة والمؤن والعتاد فى المنزل نفسه [ص ٤٣] وعين مهدى قلى خان القاجارى والحاج إبراهيم خان الشيرازى على حراسة المعسكر ، وسرت الإشارة للجيش بأن يسير مجرداً ودون عتاد ، ورفع شهريار المطلاع مع أبطال الجيش خيمة الجلادة إلى السماء على بعد فرسخين من معسكر حسين قلى خان .

وفى يوم السبت الثامن والعشرين من شهر صفر المظفر [١٢١٣ هـ .ق] نظموا صفوف الحرب وأرسل الحضرة العلية مرة أخرى من أجل إقامة الحجة ميرزا موسى رئيس المنجمين إلى حسين قلى خان يدعوه إلى الطاعة بالرفق والملاطفة ، فانتصح حسين قلى خان من النصيحة المقبولة وتيقظ من غفلة الوهم والغرور ، وصار الذكى العاقل من سكرة الغرور والتكبر ، وأدرك أن نجم السها معتم فى مقابل نجم البيضا^(١) ، وأن العصفور ضعيف فى مقلب طائر العقاب ، وتوجه عن أمر الحرب إلى جانب ملك فلك العظمة ، وتشفع بالعفو الخاقانى على هفواته وزلاته ، وجرى إلى الأمام ودون اختيار وقبل ركاب الحضرة العلية ، ولف الخاقان نو الضمير الصافى يده حول رقبتة ، وأخذه من يده ، وأحضره من ميدان الحرب إلى إيوان محفله ، وأحضرُوا ولى خان - الذى كان قد أعلن العصيان والتمرد كفراناً بالنعمة - إلى الملك ، ومع أنه كان فى المحاكمة الأولى ، فقد سرى أيضاً حكم بتأديبه من الجانب الكسروى ، وفى تلك الليلة ظل الجيشان على المكان حتى صباح اليوم التالى ، فنهض جيش معسكر حسين قلى خان من مكان إلى مكان ، وانضم إلى معسكر الهمايون ، ووفقاً لحكم الخاقان فاتح البلاد ، وصلت الأمتعة والمؤن والعتاد إلى معسكر العالم ، ومن هناك تحرك اللواء المزين بالنصر إلى كمره ، وصار حكام

(١) نجم السها هو نجم الدب الأكبر ، أما نجم البيضا فهو نجم الدب الأصغر . (المترجم)

ورؤساء العراق وفارس - الذين كانوا متفقين مع حسين قُلى خان - متلذذين من مائدة الإحسان الخاقانى بالولائم المتخمة بفوائد العفو والصفح والإغماض ، وبإذن الملك جوزاء الأعلام خطوا إلى طريق ديارهم ، [بيت ترجمته] .

الملوك متمتعون من الحظ والشباب فلا يقسون على ما تحت أيديهم

وعندما وصل هذا الخبر الموحش إلى الأنحاء ، وكان الظن بأن تُعلن الثورة والاضطرابات ، فلا جرم فى أن عين عدة أشخاص من الأمراء لتنظيم أمور ومهام الولايات ، وكان من بينهم ، توجه محمد على خان القاجارى - الذى كان فى ذلك الوقت منضما إلى الركاب من إصفهان - [ص ٤٤] إلى حدود فارس ، وسار حسين قُلى خان إلى كرمان ، ونوروز خان عز الدينلو إلى جبل كيلويه وبهبهان ، ووصل الموكب المنصور من كمره إلى دار الإيمان قم ، وبعد زيارة البقعة الطيبة الموسوية ، وفى أواسط شهر ربيع الآخر تباغت دار الخلافة طهران على أوج السماء من مقدم كسرى العصر .

١٦- وقائع أيام الإقامة فى دار الخلافة طهران :

ولما كان قد صدر فرمان أثر القضاء إلى سليمان خان ، " بأنه إذا قبض على على مت الكليايى وابنه حسين وخان باباي النانكى - الذين أخذوا مكاناً لهم فى كمين المعارضة ، وخدعوا من وسوسة الناس الجهلاء - فيحضرهم إلى البلاط مقيدى الأيدى ، وسوف يمحو كلية غبار أخطائه وزلاته من على صحيفة عمله ، وسوف يذوق جرعة من ذلال عفوه " . وبعد استقرار الحضرة العلية فى مركز عرش السلطنة ، أحضرهم سليمان خان مقيدى الأيدى إلى طهران ، وجلس هو على سرج الجواد الأصفر السلطانى ، وعرض (قائلاً) [بيتين ترجمتهما]

هذان الشيطان حرضاني على الذنب ————— وهما الحظ ذو العاقبة السيئة والعقل الناقص
فلو أنك تستوجب أسرى ولو تعفو يكون أفضل من الانتقام

ويسبب حرارة عرق حياؤه ، فأر عرق رحمة الشهر يار مُعفى الذنب ، وأمر
بمجازاة كفراته بالغفران ، وبعد إعماء على همت وابنه ، صاراً كقطع دماء في
مستنقع الأشرار ، وتلاشت أجزاءهما وأعضاهما في الهواء ، وعروا خان
باباي النابكلى من حلية الإبصار ومعه أيضاً عبد الله خان حاكم زنجان الذى كان قد
ظهرت منه عدة خيانات وكان منها إعماء توكل خان ، وقد أعطى ولاية سمنان
لحسين قلى خان ، وعزل ولى خان القاجارى بعيداً ومهجوراً عن شرف حضوره جزاءً
لجده وكفره .

وفى تلك الأيام ، كان النائب محمود ميرزا الأفغانى - وعلى الوضع الذى
وضحته السطور السابقة - مقيماً فى منزل كاشان طبقاً لحكم خديو العصر ، فدون
العريضة بقلم التمنى ، وطلب من مسئولى الدولة تخليص ملكه الموروث والتوجه صوب
مقصوده ، فقبل الحاضرة العلية مأمله ، ومنحه الإذن بالانصراف ، وصدرت الأحكام
المطاعة بافتخار حكام خراسان [ص ٤٥] ، وذلك بأن يضعوا قدم الجد والكد على
طريق الهمة لإعانة ومعاونة الأمير ، وأن يحصلوا على ملكه الموروث ، ويسلموه فى
يديه ، ومن ناحية رعاية الضيف عين له مضيفاً حتى يحمله فى عزة إلى دار العبادة
يزد ، وسوف تدون كيفية أحواله بعد هذه السطور. وفى خلال هذه الأحوال ، عرض
واقفو العتبة الجليلة فى منزلة العرش المشبه بالفلك بأن جعفر قلى خان الدنبلى هارب
كالخفاش من شعاع شمس الإقبال فى أثناء التوقف بأذربيجان ، ومختفى فى ظلمة
خبايا جبل "ماكو" ، ويعيش كلاجئ فى حماية أكراد يزيدي وشكاك خوفاً على روحه ،
وقد تجرأ جعفر قلى خان لسماعه بخبر فتنة حسين قلى خان ، فحمل معه فوجاً من
أكراد يزيدي من أملاك "مشير" و"بايزيد"^(١) ، ويأمل البحث عن الفساد ، حاصر قلعة خوى ،

(١) مشير وبايزيد : مناطق تابعة للدولة العثمانية فى ذلك الوقت . (المترجم)

وألقى بحسين خان الدنبلى حاكم خوى -الذى كان أخوه الأصغر- فى ضيق الحصار ، فعرض حسين خان كيفية ما حدث على البلاط السلطانى ، واستدعى الإمداد والمساعدة ، وصدر الحكم بأن يتوجه إبراهيم خان القاجارى الدولوى مع الجيش الجرار إلى تلك الديار ، وأن يجمع أيضاً عساكر أنرييجان ، وأن يصل بنفسه إلى خوى ، وأن يخلص حسين خان من مخمصة العناء ، فأسرع إبراهيم خان من مكان توقفه فى دار الخلافة إلى أنرييجان ، وبالمصادفة انحدر فرسان ومشاة تلك الأرض من جبل غازان إلى خوى ، ولحق به حسين خان أيضاً من القلعة ، وعلم جعفر قلى خان بالخبر ، وأقدم على المواجهة ، ف وقعت حرب عظيمة ومعركة جسمية بينهما من الظهر حتى المساء ، وفى لحظة واحدة سقطت الأجساد من طائفة يزيدى وشكاك على التراب ، وأجروا جدولاً دمويًا خارج مدينة خوى فأعرض جعفر قلى خان بوجهه مع أعوانه عن المعركة مثل حظه ، وتعقبهم الجيش المظفر ، وقتلوا كل من وجدوه ، وصارت الغنائم الكثيرة والخيول الجبلية المقتدرة من نصيب مجاهدى النصر ، ووصل جعفر قلى خان وبعادته المثلوفة وبآلف وسيلة إلى مسكن الأكراد ، ووجد الأسرى -الذين كانوا من طائفة دنبل- الأمان من بلاط السلطان صاحب البلاد بشفاعة حسين خان ، وأسرع أخباد^(١) الأكراد إلى دار البوار والهلاك من دم السيف المطير لشرر النار [ص ٤٦] وخُلِعَتْ الخلاع الفاخرة على قادة الجيش من دار خلع الإنعامات الملكية ، وتزين وسط حزام إبراهيم خان بخنجر مرصع علاوة على خلعة الرأس والصدر ، ووصل الحكم الأشرف إلى النفاذ بأن يتوجه من أجل راحة الرعية وجنود الجيش ، وأن يتوقف هو فى تبريز ، ويأن يعمل بما يصدر من حكم من مكان توقف السلطنة .

(١) أخباد: وردت هكذا فى النص الفارسى ، ولم أجد لها معنى لا فى الفارسية ولا فى العربية وأعتقد أن صحيحها كلمة " أخبات " جمع خبيث أو أخبات جمع خبيث وهو الشئ الحقيق والخبيث . (انظر: ترتيب القاموس : طاهر أحمد الزاوى ، ج ٢ ، ص ٤ .)

١٧- ذكر تعمير وتذهيب قبة سيد الشهداء^(١) الطاهرة ، وتركيب الباب الذهبى للضريح الفضى لحضرة المعصومة^(٢) على أبوابها آلاف التحية والثناء :

ولما صارت أبواب الفتوحات المتلاحقة مفتوحة على وجه الإقبال بمقاليد عنايات حضرة الحى الأبدى [الله جل جلاله] لكسرى ذى الدين العادل والاعتقاد الطاهر والفكر الخير ، فقد عقد الهمة على أن يستمد ، فى مقابل هذه العوارف والمواهب ، من بواطن سيد الرسل وأئمة السُّبُل وسلاطين الجزء والكل عليهم السلام^(٣) ، حيث إن قبض وبسط أمور بنى آدم بأيديهم ، فقد حكم السلطنة وحمى الدنيا على ذلك ، وعندئذ نفذ الحكم بتعمير وتذهيب القبة الطاهرة لحضرة سيد الشهداء ، ولما كان بناء القبة الطاهرة لتلك الحضرة - الذى كان قد تم شكل بنائه بأمر السلطان المغفور له [أغا محمد خان -] قد تشقق من بعضه بسبب تعجيل مشرفى العمل غير الأمناء ، وكان قرص القمر قد تصدأ ذهب سطح قوالبه ، فأُسند إلى راع أمين من ديوان قضاء الدين بأن يرفع قبة عرش الرواق ويبنى القبة المتينة المحكمة ، التى لا تقبل التصدع بمرور الشهور والأعوام ، ويأن يضيف إلى القوالب الذهب الكامل العيار الذى لا يتغير من غبار تصارييف الليل والنهار .

واليرم ، ويحمد الله سبحانه ، وبفضل المعمارى ذى الرأى الرزين كسرى طاهر الدين ، فإن بنيان تلك الروضة أحكم من السموات السبع [!!!!؟؟؟] وقوالبه الذهبية أشرق من الشمس المبنية [!!!!؟؟؟] .

(١) سيد الشهداء الإمام الحسين بن على رضى الله عنهما . (المترجم)

(٢) حضرة المعصومة هى السيدة فاطمة بنت الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق ومقردها فى مدينة (قم) . (المترجم)

(٣) يقصد الرسول والأئمة الأثنى عشر . (المترجم)

وفى ذلك الوقت أيضاً ، صدر أثر السعادة حكم الهمايون بتذهيب قبة فيض التوائم ، الدرة الطاهرة النبوية والبقعة الطيبة للبضعة الموسوية أى معصومة " قم " ، وسرت إشارة بأنه قبل إتمام التذهيب يُنصب الباب الذهبى على تلك العتبة عُش الجنة ، وبحكم كسرى المربى ، نقل تشراغ على خان نوائى الباب الشمسى الهئية إلى دار الإيمان قم ، ونصبوه فى مكانه ، وتم عمل تذهيب القبة المنورة على النحو المقرر وكما هو [ص ٤٧] حقه ، وقد أنفقت على هذا العمل المبهج النقود الكثيرة والأموال الضخمة ، وبقي هذا الأثر خبيراً فى العهد باسم مسمى الخديو الذى فى قدرة جمشيد ، وقد صار هذا باعثاً على المزيد من آمال أهل الإسلام ، وقد قام الخواص والعوام بالدعاء للدولة .

١٧- ذكر بعض الأحوال وبناء القصر القاجارى :

لقد اقتضى رأى مزين العالم السلطانى بأن تُبنى قطعة الأرض المملوءة بالتراب - التى كانت واقعة على بعد نصف فرسخ من مدينة طهران - حديقة مثل حديقة الفربوس المليئة بالأشجار والرياحين ، وأن يبنوا على ذروة القمة - التى هى مثل كومة العنبر ، والواقعة فى ذلك المكان - قصراً واسعاً وجذاباً ، فصار حكم القضاء الماضى نافذاً ، لكى يُظهر البناؤون والبستانيون فنونهم ، ولكى يقوم سعداء الحظ - طبقاً لأمر الهمايون ، فى ساعة مثل يوم - ببناء حديقة يكون شعاع ورودها كالنار المضرمة بالروح ، وتكون لطافة مياهها الجارية كالدموع الساقطة من عين الحيوان ، ولأن سطوح بعض من القطع لم تكن مستوية ، فقد ملئت أرضها الوعرة (غير المستوية) بالتراب الناعم ، وأزيلت قممها حتى تتساوى مع قريناتها ، وغُرست فى كل قطعة منها مختلف أشجار الفواكه والثمار وألوان شتلات الأشجار والرياحين والأزهار لموسمى الخريف والربيع ، وشُيد على أعلاها عمارة جذابة وقصر كالجنة مشتمل على البروج المحكمة والشرف والتحسينات الراسخة ، وأنشئوا فى مقابل الإيوان بحيرة واسعة - التى هى مثل عين الشمس - وفى وسطها عين تقور بالمياه الأنصع من مرآة الشمس .

وفى تلك الأثناء ، وصل إلى أنن محرمى الخلوة وخواصى الحضرة ، بأن طائر روح حسين خان الدنبلى سكن فى قصر الخالدين ، وبأن جعفر قلى خان صار داخل قلعة خوى بسرعة كاملة بدعوة من أوباش خوى الذين استولوا على خوى معه ، وجلس مكان أخيه ، وفى مسافة عدة أيام وصلت منه عريضة الضراعة إلى بلاط الخاقان المنتصر " بأنه إذا شملتتى ذرات شمس الرأفة الكسروية ، أكون تابعاً ومقتدياً بأخى الأكبر ، وواضعاً هوس الخدمة والفدائية على رأسى " ومع أن عذره ومكره كان قد أصبح مكرراً لمشاهدة كسرى الفلك ، وانعكست صورة أقواله [ص ٤٨] وأفعاله - التى كانت دائماً مصاحبة للخلاف - فى مرآة الضمير المشبه بالشمس ، ولكن ومن أجل إتمام الحجة ، فقد صدر حكم القضاء المعجزة " بأنه إن يكن صادقاً فى إظهار الطاعة ، ومشتاقاً لعبادة الحضرة فيُسير ولده إلى بلاط موطن الفلك ، وبأن يزيل فتنة سوء الفهم من أجل ظهور حسن الخدمة ، حتى يصير موضع العناية من الحضرة العلية حسب صفاء الإخلاص " . وفى تلك الأيام ، صار حسين قلى خان مرة ثانية مرتعداً من سيئات أعماله ، وعزم فى الخفاء التوجه إلى خراسان ، ومعه أتباعه ، وبسبب خوفه ، فقد طلب فى ذلك اليوم نفسه من الواقفين بقصر حرم الإجلال إرسال الشكوى بأن موارد مال ديوان سمنان غير كافى لى ، وأنه لو يضم ولاية أخرى عليها ، ويوافق على جمع خراجها ، فسوف لا يبتعد عن السجية الكريمة ، فلقى طلبه درجة القبول ، وأشرق أشعة حكومة كاشان وتوابعها على شُرْفَة قصر أماله ، ولأنه كان حزيناً ومغموماً بسبب عدم إنجابه للولد ، فقد صدر الأمر للأمير المحترم محمد تقى ميرزا ، فسار فى رفقته إلى كاشان حتى يعيش دائماً مع عمه كى يسعد قلبه بينوة الأمير ، فيتخلص من قيد هذا الغم أيضاً ، وصدر الأمر بتفويض ولاية سمنان إلى الأمير الموفق محمد ولى ميرزا ، وجعل ولاية قزوین تحت عناية الأمير النجيب محمد على ميرزا .

١٨- وقائع سنة ألف ومائتين وأربع عشرة هجرية ، وتحرك موكب فاتح العالم من طهران إلى ناحية خراسان ، وإخضاع نيسابور ، وتدوين أحوال تلك المنطقة :

ولما توجهت شمس العالم المنيرة بوجهها ضريبة للشرف ، واختفى جيش الشتاء أمام جيش الربيع وانهزم ، حلق طائر عنقاء همة السلطان كسرى مُزين العالم بجناحيه ، بعد انقضاء حفل النوروز بغرض تنظيم مُلك خراسان ، ولأنه فى الوقت الذى بعثر فيه الخاقان ساكن جنة عليين [أغا محمد خان] نظم عقد دولة الملك شاهرخ [الأفشارى] كما بعثر جبل عمره ، خرج نادر ميرزا بن شاهرخ من عتبة سلطان العرش الرضا عليه التحية والثناء ، واستظل بظل عطف أفغان هراة ، إلى أن وصل خبر القضية غير المرضية للخابقان [ص ٤٩] المغفور له إلى مسمع القاصى والدانى فى خراسان ، وأصبحت مملكة خراسان خالية من الجيش المنصور ، وكان الخاقان فاتح البلاد منشغلاً بإطفاء نائرة فساد وفتنة صادق خان الشقاقى ، ويتنظيم أمور أذربيجان ، فاغتنم نادر ميرزا الفرصة ، ووصل هو نفسه إلى مشهد المقدسة ، واستراح فى تلك الأرض الشريفة ، ومع أنه أرسل بعد قدومه العرائض المملوءة بالتضرع المشعرة على إعلان العبودية والطاعة إلى مرتبة العرش الأعلى ، ولكن بسبب حركاته وأفعاله لم يكن يصل نسيم الصدق والإخلاص إلى مشام أمناء دولة الفلك .

ولما حضر جميع حكام خراسان فى الركاب المستطاب عدا أمير كونه خان حاكم خبوشان واللهيارخان حاكم سبزوار ، طبقاً لفرمان القضاء النافذ ، فأدركوا أيضاً شرف تقبيل عتبة اساس الفلك ، وقبل تحرك الراية المظفرة ، وضع أولاً تاج هلال ولاية عهده على رأس عباس ميرزا ذلك النبت الغض الطرى فى روضة الدولة والإقبال ، والقمر حديث العهد لفلك الشوكة والإجلال ، والذى امتاز عن الكواكب اللامعة فى سماء السلطنة ، والأنجم البراقة فى فلك الخلافة ، بجودة الطبع وكرم وسخاء اليد ودأبه الأدب وعلو قدر الحسب ورزانة العقل والذكاء ، ووضع فى إصبعه خاتم نيابة

السلطنة وولاية العهد المشبه بكوكب المشتري ، وكلفه مع خمسة عشر ألف فارس جرار بالتوجه إلى ناحية أذربيجان ومعاقبة متمردي تلك المنطقة . [بيت ترجمته] .

الجميع مع الرماح في طابور العمــــل والجميع مع السيوف في أسر العمل

ولما كان الأمير الموفق في أول ربيعان ربيع العمر وأول قيادته للجيش وغلبته للعدو ، فقد صار نظام الدولة سليمان خان القاجارى عابراً في ركاب الأمير الذى شعاره النصره بأمر الخاقان الفلك الوقار ، وكما سرى الحكم لإبراهيم خان القاجارى أيضاً - الذى كان متوقفاً في تبريز بأمر الهمايون - بأن يكون من ملتزمى ركاب الأمير المحظوظ ، وخص بوزارة حضرته سلالة السادات والأشراف ميرزا عيسى - الذى كان ملقباً بميرزا الكبير ، وكان أسلافه في أغلب الفترات لهم الاختصاص بوزارة الحكام السالفين ، وعين أيضاً في تلك الأثناء إبراهيم خان - وهو ابن عم (الملك) شهریار [ص ٥٠] الحر - ومعه جيش تلك الحدود لتنظيم أمر العراق وفارس وصار متوجهاً إلى مرج " كندمان " بأمر خديو الآفاق ، وحضر أيضاً إلى بلاط الفلك المؤسس محمد أغا بن ديوان أفندى من قبل سليمان باشا ولى بغداد بالهدايا اللائقة والأحصنة العربية الأصيلة ، فصار موضع الاهتمام الخاقانى ، وأذن له بالرجوع ، ثم أخذ الموكب المُلجم بالنصر وفي احتشام كامل بالتحرك إلى ناحية خراسان ، وفي منزل دولاب تشرف ابن جعفر قلى خان بتقبيل الحضرة السنية ، وكان قد سرى فرمان بإحضاره ، وقدم نحسين قلى خان أيضاً من دار المؤمنين كاشان إلى البلاط المشبه بالفلك ، وتوجه إلى الأرض المقدسة جان محمد خان القاجارى وعباس خان وحسين قلى خان الدولوى مع سبعة آلاف فارس مسلحين بالحرايب الحديدية المسكّنة للرعْد كطليعة الجيش على عادة قيادته ، وضُرِبَتُ الخيام المنتهية بالظفر في منزل " فيروزكوه " لعدة أيام ، وفي ذلك المنزل سرى الحكم لحسين قلى خان بأن يستريح في مصيف ذلك المكان الخالد الأثر ، وذلك بسبب العلة الطارئة السوداء التى كانت قد شملت جميع أجزاء أعضائه - فتنحسّن علته ، وعن طريق جاجرم وإسفراین ضرب حامل خيمة الهمايون خيام الاحتشام في محل " بام " ، وفي هذا المنزل عين صادق

خان الشقاقى وحسين خان رئيس فرقة الغلمان مع خمسة آلاف فارس كبهرام بطل الحرب على "تشناران" ، ومن مخزن خاطر خاقان العصر صارت هذه اللالى اللامعة حلق الأذن والفرمان المسموع لهم ، بأنه حيثما يتقوى ممش خان الكردى بالإشفاق الملكى عليه ، ويبحث طريق البلاط المشبه بالكعبة [!!؟؟] ، ويرتجف عند محرمى محفل الأنس ، فيصبح مختصا بالافتخار ، ويبحث عن درجة الرفعة والتفوق على أمثاله ، أما إذا خسفه الخذلان الأبدى فى لبة قميصه ، فتتغطى عينه كالخفاش عن رؤية شمس السلطنة ، ويحاصرون قلعته ، ويغلقون عليه طريق الخروج والدخول ، ويعرضون كيفية الأحوال على البلاط المشبه بالفلك ، وقد فتحت شقة لواء الفلك الطاحن من تلك الأرض باتجاه نيسابور ، وفى ساحل نيشابور خرج ابن جعفر خان النيسابورى مع رؤساء المدينة [ص ٥١] من القلعة ، وأسجدوا جبهة الإرادة الممرغة بالطين على تراب وأرض البلاط المشبه بالفلك .

ولما كان منظور نظره [فتح على شاه] تخليص قلعة مشهد الرضا عليه التحية والثناء ومعاقبة نادر ميرزا ، فقد قرر بأن يقوم جمع من المشاة الباعثين للبرق مع الحرس المكلف بالحراسة فى حصن نيسابور ، وبأن يقصد الموكب العالى التحرك من ذلك الأقليم الواسع الجميل ، وأرسل جعفر خان بيات رسالة فى الخفاء لأبناء أعمامه بأن يضعوا قدم الجلادة فى طريق المخالفة حتى يتمكنوا ولا يعطوا الطريق للجيش المنصور إلى القلعة ، وحتى تتيسر فلا يضعوا قدماً على جادة الإطاعة ، وبسبب صدور هذا الأمر ، عصت نائرة غضب نار اللهب السلطانى رأس الأسد المتحير ، ولأن رحمته سابقة على غضبه ، فقد أرسل أولاً إلى القلعة الحاج إبراهيم خان الشيرازى والوزير ميرزا محمد شفيع من أجل إتمام الحجة والبرهان لأهل القلعة ، فأضاءت أنوار نصيحة الناصحين الأمناء ظلمة قلب المدعو حسين قلى بك ، وهو من بنى أعمام جعفر خان ، فهداً أهل القلعة ، وأسرع إلى البلاط آملاً فى اللجوء ، وقصد أهالى القلعة مجدداً بادية اللجاج والعناد بعد رحيل حسن قلى بك ، فصدر الأمر المقدر بالتنفيذ بالإغارة على خارج القلعة ومحاصرة نيسابور ، وهجم جيش البحر نو الموج السليمانى مثل البلاء السمائى على أطراف المدينة ، وأحاطوا بالقلعة ، وأشعلوا النار الظالمة فى أطراف المدينة ورفعوا راية النهب والغنيمة ، فصار جعفر خان مهموماً ،

وبهدف استمالة أهالى القلعة سمح بالمساعدة، وأصدر الخاقان فاتح البلاد الأمر لابن [جعفر خان] مع حسين قلى بك بالتوقف فى الركاب، وسمح له بالانصراف، ودخل القلعة، وبسبب خيانة النفس، أطلق يده باستعمال آلات الحرب، ففاض بحر قهر الحضرة العلية الظل الإلهى، ووصل الموج إلى الأوج، وبأمر بطل فلك المهابة حطموا طلسم جسم ابن جعفر خان فى بعضه بضربة السيف الحديدى، وقطعوا أعضائه إرباً إرباً [ص ٥٢] وألقوها على ساهرة الأرض، ولونوا الأحجار والطين من دمه، وأرسلوا الرأس واليدين والقدمين التى كانت فى الواقع مقطوعة بيد جهل جعفر خان وكانت مليئة بشباب وروح ابنه - إلى والده الجوهر السيئ، وصار حسين قلى بك ابن عمه معزراً بلقب خان ، وزُينت كتفيه وطرز صدره بخلاص الشمس المشرقة. وأصدر (الخابان) الأمر للجيش بإخضاع قلعة نيسابور، فكانت ساحة قلعة نيسابور فى كل صبح مليئة باللهب من نيران المدفعية والبنادق ، فظهرت فتنة يوم البعث لسكان ذلك المكان، وحبسوا القنوات الجارية بيد الظلم ، وضربوا الأشجار المثمرة وخلعوها من جذورها ببلاطة الجفاء وسيف الظلم ، وظل أهالى القلعة أسرى لمدة أربعين يوماً فى طرة العذاب وعقبات العقاب. وفى النهاية، أتى الأمان من طول الزمان، فأوصلوا التآوهات والصراخ إلى السماء ، وبإدراك ذلك الضرر الذى كان من نتائج أعمال جعفر خان، أرسل المتأوهون والصارخون الحاج روح الأمين، الذى كان من بين فضلاء ومشاهير تلك الأرض، مع واحد من بنى أعمام جعفر خان إلى بلاط بطل العصر المؤسس على العدل من أجل طلب الأمان، وتمنوا العفو والصفح وطلبوا المرحمة الملكية ، فقبل ملتمس أهل المدينة، وكلف الشيخ المعلم "على أصغر" باستمالة أهل نيسابور ، وبعد وصوله، توجه جعفر خان بوجه المعوذة إلى البلاط ، وجعل جبينه على تراب عتبة حارس كوكب زحل .

وعلاوة على العفو عن تقصيراته، أنعم [الخاقان] عليه بالخلع المزينة بأشعة الشمس والنور، وجعله مفتحراً ومتباهياً بمنشور حكومة نيسابور، وسمح له بالانصراف من بلاط صاحب المعدلة الملكية، وكلف تراب خان البروجردى مع جمع من حملة البنادق من ركاب الهمايون لحراسة نيسابور.

وعلى الرغم من أن صادق خان الشقاقى هو الشقاق ذاته وخيانتة لعدة مرات كانت معلومة على رأى مُزِين العالم، ولكن بالنظر إلى عدم إضاعة الوقت بسبب أفعاله القبيحة، فلم يؤخذ بالمعارضة والتأديب، وكلفه بأن يأخذ جيشه [ص ٥٣]، ويلتحق بجان محمد خان القاجارى، وينشغل فى مرافقته بمحاصرة قلعة مشهد المقدسة، وتوقف حسين قلى خان بيات فى نيسابور بالنيابة عن جعفر خان، والتزم جعفر خان نفسه الركاب المنتسب للنصر، وأخذ موكب فلك المهابة فى التحرك إلى جانب مشهد المقدسة، وبعد قدوم الجنود المظفرين، تحصن نادر ميرزا بالقلعة، والتف جيش القيامة وأحاط بالقلعة، وأغاروا على القرى والمزارع التى تعرضت للنهب، ونظراً لصفاء عقيدة الملك طاهر الدين مع الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، ومن أجل المحافظة على البقعة الرضوية لم يشر [فتح على شاه] بتشديد الحصار حتى لا يتضرر أهالى تلك الروضة عتبة العرش، فوقع نادر ميرزا فى دوامة بحر الاضطراب، وحرك العتاد والوسائل، وصار باحثاً عن ساحل النجاة، فتعلق بذيل العجز والانكسار، وعرض: "بأنه لو أعرض الملك الذى لاشبيه له عن هذا الحصار مع هذا العبد المفكر، فإنه لن يتخلى ولن يبعد عن الشفقة اللامحدودة وعن العناية التى لانهاية لها من خديو العالم، ومن أجل إحكام قواعد الخدمة والإخلاص، سوف يخصص لى واحدة من المتريبات على العفة والحياء بعقد زواج من الأميرات التى يعلم الملك صلاح أمرها ، وذلك لأن تدليل المجروحين ومعاونة المذلولين هى من شيم الأحرار"، وأفتتحت تمنياته بزينة النجاح وعلى وجه أمله أبواب الفلاح.

وفى الخامس عشر من شهر ربيع الأول [١٢١٤ هـ ق] أشرقت أشعة قُمير اللواء المطرز بالظفر باتجاه دار السلطنة طهران ، وفى منزل "تشناران" منح أمير كونه خان الخلعة وسمح له بالانصراف، وسمح للوزير ميرزا محمد شفيع بإحضار صبيته المرضية إلى مخدع الأمير حسين على ميرزا ، وساروا فى رفقة أمير كونه خان .

وفى منزل "جهان أرغيان"، سمح لجعفر خان بيات بالانصراف إلى مسئولية نيسابور ، ومن هناك ترك الموكب المزين بالخيول على بعد أربعة فراسخ من "القلعة"، وكانت أول مصادقة أيضاً لصديق خان مع اللهيارخان ، وفشلت المصادقة بينهما ، فقد بسط بساط الحيلة والخداع فى حفل التشاور باللعب المزيف ، وطلب له السماح [ص ٥٤] من حضرة الظل الإلهى ، بأن يذهب إلى قلعته قبل وصول الموكب السلطانى ، وبأن يهتم بأداء الواجبات ، وفى النهاية يجمع العلف والهدية، وعند قدوم الكوكبة الجليلة لا ينبعث له الخجل والانفعال ، فيرفع الخاقان فاتح البلاد رأسه بمنحه الخلعة الملكية ، وقد عبروا بلسان الإلهام بأن هذا الرحيل ليس هو العودة، فقد ذهب اللهيارخان إلى قلعته ، وهو على نيل الوقاحة بالوجه الذى صار عليه ، ولم يُظهر جيشاً من القلعة، وأظهر الوجه الأسود . ولما كان العقل المشغول راغب فى العودة إلى بيت شرف الدولة، فلم يهتم بكل الأمور ، وارتفعت راية العزيمة من القلعة إلى مكان عرش الدولة، وأعطى إبراهيم خان شادلو حاكم إسفراين مع سعادة قلى خان البغايرى التشريفات اللائقة، وسمح لكل واحد منهما بالانصراف إلى محله مكرم ، وأوصل أصف الدولة ميرزا محمد شفيع سيده العصمة إلى معسكر العالم فى ذلك المكان ، وفى منزل كلاته حدث توقف لمدة يوم واحد من أجل إراحة جيش ملجأ النصر ، وفى اليوم التالى انطلقت أعلام الظفر وراية النصر، وضربت خيام الفلك المزدحم خارج بسطام ، واقترب حسين قلى خان - الذى كان فى عيش وفير وحياة رغدة فى فيروزكوه - مسرعاً بتقيل الركاب المستطاب ، ومن ذلك المنزل نزل إلى الدامغان فى إجلال ، وأعطى الإذن لأثاث السلطنة وآلات الحرب بالانتقال من ذلك المكان، وأصدر الأمر بالتحرك بغرض الصيد والتجول فى الصحراء والجبال عن طريق "تششمه على"، وكان الخامس عشر من شهر ربيع الآخر عندما منحت الروح إلى الجسد ومنح فيض الربيع مزين العالم الرونق والنضارة فى مرج عرش السلطنة .

١٩- ذكر توجه رايات ولي عهد السلطنة والخلافة الأمير عباس ميرزا إلى ناحية أذربيجان ، وإخضاع قلعة هودر ، وانهزام جعفر قُلى خان :

قبل تحرك الحضرة العلية الظل الإلهي تجاه خراسان على النحو الذي سبق ذكره ، أصدر الأمر لنائب السلطنة والخلافة عباس ميرزا بهدف تأديب متمردي ولايات أذربيجان ، وبعد قدوم الحضرة العلية الخاقانية إلى دار السلطنة طهران ، أوصل المطلعون من ناقلى الأخبار إلى مسامع عاكفى بلاط ملجأ العالم [ص ٥٥] أن الأمير الأعظم ، وبعد حضوره إلى دار السلطنة تبريز، استراح عدة أيام بهدف إراحة الجيش ، ومن هناك نهض إلى مرج "يام" ، ولما كان جعفر قُلى خان قد أرسل ابنه إلى بلاط سماء الجاه وذلك بعد وفاة أخيه وقدمه هو إلى خوى، وكان قد صار متعهداً بالخدمة ومتقبلاً العبودية ، فقد أرسل ولي العهد إليه - وبناءً على تعهداته - واحداً من ملازمى الحضرة من أجل اختبار أقوال ذلك المخمور بخمر الغفلة، وبشره بإشارة إدراك سعادة الحضور، لكنه أصر على العناد والنفاق، فلا جرم أن استلزم تأديبه ، وشقت الأعلام المنتهية بالنصر طريقها من مرج يام إلى ناحية سلماش بغرض القتال والحرب، وعند تحرك الأمير ذى الجواهر العالية إلى تلك الحدود، علم جعفر قُلى خان بذلك، فترك واحداً من إخوته فى قلعة خوى ، وذهب هو وسط الأكراد نوى الأصل السيئ للاستعانة بهم بإمداد جمع الجيش المؤسس على الضلال، وجمع من عسكر أهالى إيروان وطوائف يزيدي وشكاك وسبيكى خمسة عشر ألف شخص، وبذل بحقوق ولي النعمة العقوق والعصيان، وعزم على الحرب، ولما كان الخوف قد حمل بطوائف وأحشام مناطق خوى وسلماش خوفاً من أذى جيش القيامة، وكانوا قد لجئوا إلى الأماكن الحصينة، التى كان من بينها قلعة هودر وهى من قلاع تلك المنطقة وكانت متراملة فى الرزانة والمتانة مع عمارة الفلك الخالد، وكانت مكدسة بنفائس الأموال ومزدحمة بوجود الأبطال الرجال، وحتى ذلك الزمان لم يكن قد وصل حبل فكر أى من السلاطين العظام على سطحها، فوضع الجيش ذو الكبد الفولاذى وجهه

الهمة من الأطراف والجوانب لإخضاع تلك القلعة المحكمة الأساس، ووضعت قلعة الملوك قدماً في دائرة التمرد بإشارة وترغيب أبدال أغا الكردي السبيكي الذي كان حارساً لذلك الحصن الحصين والثكنة المتينة من قبل جعفر قلى خان، ففتح يده باستعمال السيف والرمح محتماً باستحكام المكان، وهجم الجيش المسرع كالبرق وأخضع ذلك الحصن المحكم في لحظة واحدة، وذرى تراب وجود رمادهم في الريح الظلمة بالسيف القاذف للنار [ص ٥٦] وأذاقوا أكثرهم جرعة الهلاك والبوار، وتبعثرت عن بعضها الأموال التي كان أهالى تلك الديار قد حملوها إلى ذلك المكان لمدة سنوات عديدة، وصارت في لحظة واحدة عرضةً للنهب وفرصة للغارة والغنيمة، ولما صار أمر قلعة هودر مهياً، توجه جيش الظفر المعجزة بوجهه لتأديب المتمردين، وبسبب غاية التهور ومنتهى الجرأة تقدم جعفر قلى خان إلى أحد المنازل ومعه خمسة عشر ألف رجل وإدارة المدفعية التي كانت معه وكان قد أحضرها من خوى، وصمم على القتال والجدال في مواجهة الأمير الذى لا شبيه له، وطبقاً لإشارته فتح أهالى تلك القرى المياه لعدة أيام متوالية على صحراء سلماش حتى تقوص قوائم خيل جيش الأمير الباحث عن الحرب فى الوحل والطين، فلا تنجو من تلك الورطة الجسيمة، وفى النهاية ، عادت نتيجة ذلك المكر وتلك الحيلة على جيشه، فقد صارت قوائم مراكب كل واحد - التى غاصت فى تلك الأوحال - فى الحال طعمة للسيف البتار. وخلاصة القول، أنه فى اليوم السابع من شهر ربيع الآخر ١٢١٥ هـ ق وبالقرب من ديلمقان فى سلماش نظم ولى العهد الميمنة والميسرة والقلب والجناح والمؤخرة والكمين مع نظام البولة سليمان خان القاجارى وإبراهيم خان القاجارى وأحمد خان مقدم الحاكم العسكرى لتبريز ومراغه ورتب الجيش فوجاً فوجاً ، وقدم مبارزو الطرفين قدم الجلادة ، فالتهمت نار الحرب والجدال وارتفعت نار البلاء، وقد ظهرت صورة القيامة فى الدنيا بسبب صدمات وزلازل جيش محشر الرعب. وبسبب النيران المقنوفة من المدافع والبنادق والمدافع الصغيرة (الهاونات) صار [كوكب] الزهرة ماءً على سطح [كوكب] المريخ، وصار جسد [كوكب] زحل كباباً مشوياً .

وفى نهاية الأمر، انتصر جيش نائب السلطنة على المخالفين الأعداء، فلجأ جعفر قلى خان - بسبب هذه الهزيمة التى وصلتته حقاً - إلى قلعة ماكو، وهى من القلاع

المرتفعة فى تشخور سعد، وحصل على الأمتعة والعتاد والمدفعية والغنائم الكثيرة، فقام الأبطال بتعقبه، وقضوا على كل من رأوه بالسيف ودون رحمة، وقبضوا على أحياء كثيرين، وأرسلوهم إلى الأمير الموفق، ووجد أمراء الجيش وأمراء البلاط الإنعام والإحسان من هذه الخدمة ، وصارت أبواب الأمن والفلاح [ص ٥٧] مفتوحة على وجه دنيا أنريجان بسبب ظهور هذا الفتح المشهور ، وقدم الأمير الحريص على ذيوع صيته إلى بلدة خوى، وأصدر الأمر لبيرقلى خان القاجارى الشامبياتى بالتوقف فى ذلك المكان، وتحرك الموكب المنصور من خوى وقدم إلى تبريز ، وكان رعايا وأهالى ذلك المكان قد انفصلوا عن بلدانهم بسبب تنقلات جعفر قلى خان غير المفيدة، وكان بعضهم قد أبتلى بالفاقة والفقر، وبسبب إشاعة عدل ومساواة نائب السلطنة تعانقوا مع شاهد الأمن والراحة وعادوا إلى أماكنهم ومساكنهم ، وجاءوا إلى الراحة والهدوء وهم يحمون ظهور بعضهم بعضاً، وعادت المياه إلى وجه قراهم ومزارعهم من بستان معدلة الأمير، وأرسلوا يبشرى هذا الفتح المشهور عريضة إلى بلاط صاحب الدنيا خاقان العصر، فارتدوا الخلع المنسوجة بخيوط الذهب من خزانة إنعام كسرى بن زحل، وشربوا كنوس العناية والرعاية اللذيذة الطعم من خمر مصطبة إحسانه علانية .

٢٠- ذكر مجيء محمود ميرزا مرة أخرى إلى بلاط ملجأ الأعظم، ووقائع أيام التوقف فى دار السلطنة طهران :

ترك محمود ميرزا بعد وصوله إلى دار العبادة «يزد» أخاه الأصغر فيروز ميرزا هناك، وسار هو نفسه إلى ولاية خراسان، وبعد قدومه إلى تلك الحدود، صار أمير حسن خان الطبسى وأمير على خان عرب خزيمة حاكم قاين - طبقاً لحكم الحضرة العلية الخاقانية - عابرين الطريق وبازالين الروح فى سبيل إعانتته، فعقدوا جيوشهم، وتوجهوا إلى "فراه" عن طريق قاينات وكان خاطر إرادتهم هو أنه لا يجوز لهم التوقف زمناً فى أى مكان فى طريق إخضاعهم لقندهار واستئصال الأمير زمان، وعندما علم بمقصدهم قيصر ميرزا بن الأمير زمان الذى كان والى ولاية هراة - كلف زمان خان

الدرانى وتيمور خان التيمورى وإسحق خان القرائى بصددهم، فتوجهوا إليهم بالإشارة القيصرية، وبعد تقابل الفئتين مثل الأسد الشرس والنمر الغضبان، دارت نغمة الحرب يدفع الواحد الآخر، وضاعت الأرض على الأرض فيما بينهم بسبب استعمالهم السيف والرمح، ولما كان اشتداد محمود ميرزا من الطالع القوى [ص ٥٨] الأساس للخاقان العادل، فقد وقعت الهزيمة بالقرب من فراه على بناء قصر تجمع قيصر، وقدموا إلى هراة، وانضوى جمع غفير وخلق كثير من الأفغان تحت ظل راية محمود ميرزا، فارتفع شأنه، ومن يمن الإقبال الخالد للخاقان الفريد دخلت فراه أيضاً تحت سيطرته، وصار موفقاً ومحظوظاً، وعين ابنه كامران ميرزا بالنيابة عنه فى فراه، ووضع هو مع أمير على خان والجيش الباحث عن الحرب الزينة على جواد العزيمة وساقه إلى هراة، ونصب خيام الإقامة خارج تلك المدينة المحظوظة، واهتم بالعمل على محاصرة المدينة لمدة عشرين يوماً، ولم يكشف النقاب عن الوجه من وراء حجاب القضاء لشاهد التمنى، فبسبب وسوسة وإغواء أعوان قيصر انتشر الأفغان فى جيش محمود ميرزا، وأغاروا عليه، وعندما رأى محمود ميرزا شاهد عدم وفاء الزمن مع أعداء دولته، سلك برأسه طريق الفرار بسبب عجلة الفلك المقلوب وراية إقباله السيئة الطالع ووجهه مخضب بالدم من الدموع الحمراء، ورحل أمير على خان القايينى بجمعه أيضاً وسار إلى قاين، وقدم كامران ميرزا أيضاً غير موفق من فراه إلى يزد، وعرض الأحداث على البلاط المشبه بالفلك.

ولما كان جهانكيرخان جلبايجانى قد كُلف على يزد فى العام السابق - الذى كانت فيه راية الفتح قد شقت طريقها صوب خراسان - وذلك بأن يحمل فيروز وكامران ويتوجه بهما إلى ناحية هراة، وذلك حتى موعد قدوم الخاقان فاتح البلاد إلى تلك الحدود، فيقضى بحكم حكام خراسان ويجلسهم على مسند السعادة، ولما حدث توقف الموكب المسعود من أجل إخضاع نيسابور ومحاصرة الأرض المقدسة، فلم ينكشف وجه عروس مرادهم من خلف حجاب الخفاء، ولهذا، فبعد قدوم الموكب الملكى إلى دار السلطنة طهران قدم الأميران إلى البلاط بالاتفاق مع جهانكير خان وصارا أملين فى اللجوء، فأكرمهما حضرة الظل الإلهى، وأمر بتسييرهما إلى دار السلطنة إصفهان بعد استراحتهم عدة أيام من تعب الطريق حيث يقضون عدة أيام فى

متنزهات ذلك الأقليم الجذاب من أجل إزاحة كُربة الغُربة [ص ٥٩] وذلك حتى يقرر رأى مزين العالم موعد اقتضاء تأسيس دولتهم و توفيقهم .

وسلك محمود ميرزا بعد الهزيمة طريق الفرار خارج هراة وسلم عنان اختياره إلى يد مروض القضاء العادل، وفتح عنانه مثل العاصفة فى الجبل والصحراء وبكل ناحية ، وبعد عدة أيام قدم إلى مرو وشاهيجان، وسار من هناك إلى بخارا، وضرب يد الالتجاء بذيل شاهمراد الأوزبكي المعروف بـ بيك جان مستظفرا بوحدة الدين والمذهب^(١) وأملأ فى افتتاح أبواب الدولة، ولأنه أدرك أحواله وبعد فترة أن صورة مساعدته ليست معكوسة كما فى مرآة همة ندله، فقد قدم من هناك إلى خوارزم، وبحجة زيارة بيت الله الحرام، وكان لوالى ذلك المكان علاقة الإخلاص والعبودية مع حضرة السلطان فاتح البلاد، فأكرم مقدمه، وقام بتجهيز لوازم الحياة له، وصدر الأمر من الحاكم العادل بالنظر فى مراعات جانبه أكثر وأكثر ، وطبقاً للإشارة، نزل بمنزل أصف الحضرة الوزير ميرزا محمد شفيع، الذى بذل أيضاً لوازم الاهتمام فى إكرامه واحترامه طبقاً لحكم ملك الملوك الفريد، وفى جميع الأيام صار الحبيب المدلل حارق العدو متمتعاً وموفقاً بأنواع الإحسان من خزانة إنعام الملك. وبالنسبة للحكام الأفغان – الذين كانوا فى انخفاض وعلو وشدة ورخاء، وكانوا يطوون طريق الوفاء لحضرتهم، وكانوا يؤدون مراسم القبول وحقوق الخدمة فقد وصلت إليهم أنواع الرحمة والشفقة الملكية والعطف كل على قدر مراتبهم.

٢١ - مد بساط الفرح والسرور والاحتفال بعرس الأمير حسين على ميرزا :

عندما وضع قرن (خضم) الخريف المخرف قدماً فى الروضة، أطلقت ريح الخريف يدها فى نثر سبائك الذهب عن أوراق كروم العنب، وانقضى رأى مزين العالم على ذلك، وهو أن تُمنح صبية خدر العفة – التى انتهى شرح إحضارها بلسان القلم

(١) يقصد المؤرخ هنا أن محمود ميرزا الأفغانى كان سنى المذهب كما كان شاهمراد الأوزبكي فى حين كان فتح على شاه القاجرى شيعياً .

المسكى الرائحة - الافتخار بشرف الزوجية والسعادة الأسرية للهلال الجلى
الظهور فى سماء المجد والجلال، والصبح باهر النور فى أفق العظمة والإقبال الأمير
حسين على ميرزا [ص ٦٠] فانتشرت فى العالم بشرى السرور وخبر الفرحه،
وفتح خازن الجنان أبواب الدلال والنعم على وجه العالمين، فتوجه حكام وأعيان
الولايات من كافة الأرجاء إلى بلاط الخاقان فاتح البلاد، وفى أواسط شهر جمادى
الآخر، وبأمر الخاقان الأعظم نهض القائمون على الحفل بتزيين الأسواق وواجهة
القصر والمنزل، وزينوا خيام الحجرات الملكية بالصور والتماثيل العجيبة، وعزف
بحرارة عازفو المحافل التى على شاكلة محافل الجنة، وكان اللاعبون بالنار يهيجون
النار بأيديهم من المشاعل النائرة للبرق كما لو كان الأسد الشرس وجسم الفيل
السكران، وكان لاعبو فنون السحر يأتون بألف لعبة متشابهة مثل مشعوذى الفلك،
ولما مضى أسبوع واحد واضحاً ومخفياً للقاصى والدانى بسرور وحسن عيش
الحياة، شعر [ترجمته]

ليلة أسعد من صبح الرؤية * والهواء النائر لعنبر مثل طرة الحبيب

فأحضروا تلك الجالسة فى خيمة العفة - التى كانت قد ربتهها قابلة العهد
والمشاة المزيئة لوجه الدنيا وراء نقاب الحجاب وحريم الحرمة، تلك البرعمة الملائكية
التى قتلها حاجبها فى المرج بسبب الحسد - إلى الإيوان المشبه بالسماء وإلى المخدع
المشبه بالبستان للأمير عالى المنزلة، وثنروا على رعوسهم المزيئة بالتاج الأطباق
الذهبية والفضية المنحوتة من الجواهر الثمينة ودرهم ودنانير الأمراء وعطية عمان.
وبعد انتهاء الحفل والفرح، مر الأمراء والأعيان أمام ساحة قصر الشهرىار صاحب
البلاد بالهبات الجليلة والتحف والهدايا الوافرة، فصاروا مفتخرين بالخلاع الفاخرة
ومرفوعى الرأس بالإنعامات الوافرة .

٢٣- ذكر وصول ميرزا مهدي على خان مبعوث حاكم ممالك الهند إلى بلاط كسرى هوشنك^(١) المثقف، وحضور سفراء تيبو سلطان حاكم الدكن^(٢) :

ولما صارت عظمة سلطنة وفتوحات الحضرة العلية زينة أذن أصحاب خانقاهات عالم الملكوت اتضحت صورة هذه الأنبياء في مرآة الفكر الرزين والتصور الحكيم بعيد النظر لعقلاء دولة الإنجليز الإفرنجية وحكمائها الذين يسترشدون بالعقل والمعرفة في تنظيم شئون مملكتهم واختراع الصناعات وروائع الفنون، والذين يطورون مراسم الطقوس المسيحية بسبب أبى العجائب الذهن [ص ٦١] المتوهج والفكر المحمص، وذلك لأن الملك (الله) ذا الجلال قد وضع زمام مقدرات شعب إيران في القبضة المقتدرة للشهريار عالى المقام، وقد فتح أبواب حسن سلوكه وشوخته وجلالته في وجه الشيخ والشاب، وزين وجه طلعتة وإقباله بوشم الخلود، وهذب روضة حظه من الحسبك وشوك النقص والعيب، فكان لتجديد العهد القديمة^(٣) سيستلزم الوفاق بين الدولتين العليتين، ولا جرم أن سرت إشارة من قبل الملك ذى الجاه الإنجليزى إلى حاكم ممالك الهند -الذى كان قد نشر في أثناء حكمه لواء الاستقلال في تلك البلاد - بأن يُعين أحد وكلائه للسفارة بالبلاط المشبه بالفلك ومعه روائع تحف الهند وبدائع هدايا مملكة

(١) كسرى هوشنك المثقف اسم ثانى ملوك الأسرة البشداية الأسطورية .

(٢) تيبو سلطان : آخر أمراء ولاية « ميسور » الهندية من ١٧٤٩ إلى ١٧٩٩ م ، وكان من أشد أعداء إنجلترا ، عقد صداقة مع فرنسا وتحارب مع إنجلترا وحكام الهند (الراجات) المواليين لهم ، وفي النهاية قتل على يد الإنجليز . (اظر لغت نامه : على أكبر دهخدا ، جلد بنجم ، ص ٦٣٠٢) .

(٣) يرجع تاريخ العلاقات الإيرانية الإنجليزية إلى النصف الثانى من القرن السادس عشر الميلادى [العاشر الهجرى] عندما قررت شركة موسكو الروسية التجارة مع فارس وإنجلترا عن طريق روسيا ، وكانت شركة موسكو المذكورة قد بدأت فى إرسال مبعوثيها إلى الشاه طهماسب الصفوى فى سنة ١٥٦٢ م لعقد اتفاقية مع إيران من ناحية ومع روسيا وإنجلترا من ناحية أخرى ، وبذلك كان الإنجليز هم أول ثلاث أمم أوروبية (إنجلترا وفرنسا وألمانيا) فتحو العلاقات السياسية والتجارية مع إيران . (انظر : The Legacy of Persia : A.J. Arberry. P. 344)

إنجلترا، وبأن يكتب الرسالة المشتمة على إعلان التهنئة بالسلطنة والمُعربة عن معانى ومضامين المودة، وطبقاً لإشارة الملك على المقام قدم ميرزا مهدى على خان الملقب ببطل الحرب المُهاب -الذى كان أصله من ولاية خراسان ومن جملة العقلاء - فى أواخر شهر ربيع الأول، وعرض الرسالة والهدايا على نظر الملك الشريف، فصار محل عطف وإشفاق الفكر الأبيض المشرق للظل الإلهى.

وعلى نسق هذه الحال، وصل السفراء الفصحاء من قبل تيبو سلطان ملك دار الملك الدكن ومعهم التحف الجميلة والعديدة التى كان من بينها ثلاثة سلاسل بمقدار محيط جسم الفيل ، وقد صار السفراء موضع شفقة وعطف لا نهاية لهما، وفى الأوان نفسه أقرعت مسامع أولياء الدولة القاهرة بخبر مقتل تيبو سلطان وانتقال مملكته إلى دولة الإنجليز، فعاد كل واحد من مبعوثيه إلى موطنه الأصلى.

وفى أواخر العام نفسه ضرب اللهيارخان يد التوسل إلى ذيل عفو وصفح كسرى صاحب البلاد، ودخل من باب الالتجاء طالباً العذر عن ماضيه، وأرسل واحداً من وكلائه الموثوق بهم إلى بلاط صاحب السماء وكان قد التمس أن يعين أحد خدام البلاط لإحضار مربية عفته المستورة - التى كان قد تعهد بإرسالها سابقاً [ص ٦٢] -حتى يوصلها إلى خيمة سراى العزة ، وطبقاً لتمنياته صدر الأمر بهذه الخدمة لميرزا أسد الله مستوفى الديوان الأعلى .

٢٣ - التفويض المالى والإدارى لمملكة فارس وإقليم مازندران إلى الأمير حسين على ميرزا والأمير محمد قلى ميرزا ، ووقائع أخرى :

كان مقتضى علو همة وسمو فطرة الخاقان فريدون المعدلة ذلك : بأن يكون كل واحد من أشبال غابة السلطنة وأقمار أفلاك الجلالة والخلافة -الذين تربوا تربية صحيحة فى ظل المظلة الموهومة بالراحة والذين أضاء شعاع التربية الخاقانية على وجنات أحوالهم - ملكاً فى مملكة مستقلة، وأن يكون كل واحد منهم فى إقليم على حده. وعلى هذا وضع نظم مملكة فارس الفسيحة الأرجاء تحت رعاية همة الأمير

شمس ألقا حسين على ميرزا، وأمر بتعيين حضرة الأمير جمشيد الطلعة محمد قلى ميرزا لإمارة إقليم مازندران الجنة، وافتخر مقرب الحضرة تشراغ على خان نوائى بمنصب مربى الأمير وبوزارة مملكة فارس، وصار ميرزا نصر الله قرين الإعزاز بوزارة مازندران، وسلك عدة أشخاص من الأمراء القاجاريين فى الركاب المستطاب لكل واحد منهما، ودخلوا بالخدمة والفدائية فى مشاورات الأمور الملكية والخدمات المتفق عليها، وسار اللواء الطاحن للفلك من دار السلطنة طهران إلى ناحية دار الإيمان قم بغرض زيارة المضجع الطاهر جوهرة جعبة النبوة والرسالة فاطمة بنت موسى بن جعفر عليهم صلوات الله الملك الأكبر مزين العالم، وبعد الحضور إلى ذلك المكان المؤسس على الفيض، قام بأداء أركان الزيارة والخشوع ولوازم الاستكانة والخضوع، واستمد من حضرتهم الهمة والتمس الشفاعة وتسلى لعدة ليالٍ متوالية فى تلك البقعة المباركة بتلاوة الآيات وحفظ مواقيت صلوات عزة الدارين واستقامة النشأتين، وسُرت ذيل العجزة والمساكين بسبب الذهب والفضة، وأسّر وأسعد العجزة والعلماء والسادات بالرواتب المقررة والإنعامات المتكاثرة والإحسان الوافر.

وقد سرت الإشارة إلى المعمارين المهرة [ص ٦٣] ومهندسى فكر إقليدس بتعمير البقاع والمساجد التى كانت قد اندرست بشدة بمرور الشهور والأعوام، وتشرف بالنفاز حكم القضاء ببناء المدرسة الجديدة المعروفة بالفيضية، وتذهيب القبة الميمونة لحضرة المعصومة، وتعمير مسجد الإمام حسن العسكرى عليه السلام، وتجديد دار الشفاء واستراحات القوافل الموقوفة على العتبة المقدسة، والحمام والسوق من أجل الزوار والمجاورين لعتبة ساكنى دار الملائكة، والتى لن يكون فى الإمكان تدوين شرح تلك الأبنية المشبهة بالفلك المؤسس على صفحة البيان . وبعد أداء مراسم الزيارة، أمر الخاقان فاتح البلاد بالرجوع من دار المؤمنين «قم» إلى مستقر السلطنة. وكما عاد مظفراً ومنصوراً من السفر ذى الأثر الخير لأذربيجان نور حديقة إجلال الأمراء نصيب بحر النوال النائب ولى العهد عباس ميرزا، فأدرك شرف الحضور موفور السرور الأشرف.

٢٤ - وقائع السنة ذات الطالع الميمون وهي سنة ألف ومائتين وخمس عشرة، وتحرك موكب الهمايون إلى خراسان، والأخبار الواردة عن أحوال تلك المنطقة :

بعد انقضاء حفل النوروز، وبينما كان الحاضرة العلية السلطانية مع قرينه الطالع الميمون ورفيقة الإقبال المتزايد يوماً بعد يوم في حفل المشورة الخاص بمحادثة إطلاق مقدمة راية الهمايون إلى جانب مملكة خراسان ذات الفيض الظاهر، ففي تلك الأثناء قدم "طرهباز خان" الأفغانى بإشارة من الشاه زمان ومن قبل الوزير الأعظم وفادارخان عند اعتماد الدولة الحاج إبراهيم خان، فكانت خلاصة رسالته ونقاوة فكره الفج ذلك بأنه: "لا الشاه زمان يسحب قدماً عن جادة الخضوع والإطاعة، ولا الخاقان فاتح البلاد يحرك جواد مجرة العنان وجيش الشجعان بعزم السفر إلى خراسان" فتغبر خاطر شمس المآثر السلطانية بسبب طلبهم، وأعرض وجه الهمايون عن قبول ملتسمهم، وعزم التوجه إلى ناحية خراسان لهم.

وبسبب القرار الذى ورد ضمن الروايات السابقة، صار ازدياد الإشفاق بشأن صادق خان المنافق باعثاً أكثر على الخيانة وأظهرت خيانتة يوماً بعد يوم، فكان يتلاعب فى مقام احتياله وغدره [ص ٦٤] ومن بينها أنه أغوى ممش خان الكردى، وكان قد يأسه فى معاقبته ومصادرتة من قبل كسرى الذى فى تحمله كالجبل بعله عدم اقتضاء الوقت، وقبل عدة أيام من ثورته سرت إشارة بالقبض عليه وحبسه، وفى فراش المرض نامت عينه فى ذلة عن رؤية العالم مثلما [نامت] عين الفتنة فى هذا العهد وودع الحياة، وجاء ساروخان أخوه أحمر الوجه بمشيخة طائفة شقاقى وجاء أخوه الآخر محمد على سلطان بلقب "خان" وقيادة فرسان شقاقى المحبين للشهرة، وعندئذ سمح لطرهبازخان بالانصراف المكرم، وبون فى جوابه أن سلسلة العقد الملكية مربوطة برباط الخنجر الحاد وأن عقدة أمر حمى الدنيا مفتوحة بأنامل السهم والسيف ، ولا بد لنا نحن النواب الهمايون (السلطان) من المطالبة بالملك الموروث وإخضاع خراسان، وإذا كان لهم أيضاً ادعاء موجود فى ملك خراسان، فقطعه وفصله بلسان السيف الواضح كالشمس وإجابة الرسالة هى السيف والرمح.

٢٥- إرسال حاكم الهند للجنرال ملكم بهادر للسفارة في خدمة الحضرة العلية الخاقانية :

ولما كانت العلاقات والروابط قوية ومتواصلة فيما بين دولتي إيران وإنجلترا منذ قديم الأزل وحتى الآن، فقد كان السفراء والمبعوثون يترددون بينهما، وبناءً على هذا، وفي هذا العام، عين حاكم الهند السابق ماركويس لاردويلزلي (اللورد ولسلي) -الذي كان قد وصل إلى منصب الوزارة- وبإشارة من الملك ذي الجاه الإنجليزى "بريكه ديرجان"^(١)، الجنرال ملكم بهادر بسفارة إيران، وكان أصل ماركويس لاردويلزلي من مملكة أيرلنده ومن نجباء تلك المملكة والأسرة العريقة، وكان في البداية من جملة مستشاري ديوان الشعب الإنجليزى، وبسبب خبرته ونجابه أصله وجوهر ذاته وعلو همته وذكائه وفطنته وفراسته نُصِب حاكماً على مملكة الهند، وبعد فترة أختص بوزارة دولة الإنجليز.

والخلاصة، أنه لما وصل الجنرال ملكم بهادر إلى ميناء بوشهر، عين الحضرة العلية الخاقانية فتح على خان نوري نائب رئيس القصر الملكى -الذى كان رجلاً خبيراً وعاقلاً [ص ٦٥] لاستضافته حتى يقوم بأداء مراسم المحبة والضيافة له في كل ولاية من حدود فارس، وقابل فتح على خان نوري السفير اللبق في شیراز وقدم معه منسجماً إلى دار الخلافة طهران.

وفي يوم أسعد من صباح يوم النوروز، استقر الحضرة العلية الظل الإلهي على عرش السلطنة، وتشرف السفير العالم المثقف بالحضور في مرتبة العرش الأعلى، وبعد عدة أيام مرت من على النظر الأشرف عدة قطع من الماس والمرايا الأوضح من مرايا الحواس ومروحة العود والصندل ونفائس الحرير كهدية، فلاقت شرف إعجابه وثنائه، وطبقاً لإشارة الشهریار الوحيد، اعتبر أمناء الدولة ومسئولو الحضرة مقدم

(١) بريكه دير جان: ورد اسم هذا الملك الإنجليزى في بعض المصادر الأخرى باسم "جورج ريجنت" أو "جورج السادس". (انظر: إسناد رسمي در روابط سياسى ایران با انگلیس وروس وعثمانی، غلام حسين ميرزا صالح، ج ١، ص ٧٢)

السفير الحكيم العالم غنيمة، فاحترموه، وبسطوا من أجله محفل الضيافة، وفرشوا له موائد النعم المختلفة، ووصل نص الاتفاقية -التي كانت قد تحررت بقلم حاكم الهند والمبنية على ضوابط الاتحاد والمبادئ والعدل - إلى نظر مقربي الحضرة، ووفقاً لتمنيات السفير العالم، حررت وثيقة المعاهدة بقلم كُتَّاب عطارٍ من قبل كسرى فاتح البلاد والمقيدة بالقيود نفسها والمتضمنة على العهود نفسها ، وخُتِمت بخاتم سليمان خان القاجارى، وسلمت ليد المبعوث.

وخلاصة مضمونها^(١) ذلك: أن تكون الدولتان العليتان فى حكم واحد، وبأن تكونا صديقتين مع بعضيهما وعدوتين مع عدويهما، وأنه إذا أظهرت دولة أخرى العداوة والمخاصمة مع واحدة من هاتين الدولتين، تقوم هاتان الدولتان بتنفيذ شروط الاتفاق والمساندة والمناصرة، ويستخدمان فى صد العدو الخارجى وسائل الدفاع والمقاومة والعدوان.

وبعد الانتهاء من مراسم السفارة، تزينت قامات المبعوثين من أعلى إلى أسفل - كل على قدر مراتبهم - بالخلاع الفاخرة والإحسانات الوافرة، وعين الحاج خليل خان ملك التجار من [قبل] الحضرة ذى الرتبة القلعية الظل الإلهى ومعه التجهيزات ووسائل الحياة اللائقة بسفارة الدولة المذكورة، ولائقاً برسالة ديار الهند ومبلغاً لرد خطاب حاكم تلك الديار توءم النزاهة والعفاف، وتوجه إلى مقصده بمرافقة السفير، وعما قريب [ص ٦٦] وإن شاء الله تعالى سوف يوضح قلم البيان بالتدوين كيفية أحواله.

(١) تعتمد المؤرخ عبد الرزاق الدنبلى هنا عدم الإفصاح عن بنود هذه الاتفاقية حيث كانت تعتبر من أسرار الدولة والحكم واكتفى فقط بعرض مضمونها بطريقة مبهمة وغير واضحة . (المترجم)

٢٦ - ذكر تعيين ولى العهد الأمير عباس ميرزا مع الجيش الطاحن لحجر الجرانيت على منطقة أذربيجان، وتحريك اللواء الملكى الطاحن للفلك إلى منطقة خراسان، وإخضاع قلعة مزنيان، وتأديب اللهيار خان حاكم سبزوار :

أصدر [الخاقان] الأمر بتعيين نائب السلطنة عباس ميرزا مع الجيش المحرق للعالم والمهيا للفتح وسليمان خان وإبراهيم خان ورضا قلى خان القاجارى لتنظيم شئون صفحة أذربيجان، وفى هذا السفر انتظمت أمور نخجوان وبعض مهام أذربيجان وشئونها، كما وصل أيضاً إلى أمر أيروان قليل من النظام.

وفى عزمه إلى خراسان، وقبل تحريك اللواء شعار الظفر، حرك يوم الاثنين الثانى من شهر ذى الحجة الحرام فى مقدمة جيش الأبطال إبراهيم خان بن العم مع عشرة آلاف فارس من مرتدى الصولجان وواضعى الخناجر وصار مهدى قلى خان الدولوى وحسين خان القائد مسرعين فى ركابه، وسرى حكم أيضاً للأمير كونه خان زعفرانلو حاكم خبوشان وإبراهيم خان شادلو حاكم إسفراين بأن ينضما إلى معسكر النواب إبراهيم خان مع الجيوش الثائرة، وبأن يحاصروا قلعة "آق"، وبأن يظهروا فى إخضاع القلعة فى صورة المجاهد المنطلق حتى وصول الموكب المنصور، وبأن يوصلوا إلى مسامع المستحصنين أصوات البعث والنشور من دوى المدافع المدمرة للقلعة.

وفى الخامس عشر من شهر ذى الحجة الحرام [١٢١٥ هـ.ق]، ألفت خيمة الشوكة الملكية بظلها على المرج المضىء للقلب "فيروزكوه"، وتزاحمت خيام العزة والقدرة فى روضة نمكه لمدة خمسة أيام من أجل استعراض حملة بنادق مارندران وإستراباد، فدكت طبقة القشرة الأرضية من آثارهم.

وقد قرر لحسين قلى خان بأسبقية محاصرة سبزوار، وقد صار أهالى مزنيان - الذين كانوا يتمنعون فى المواجهة بسبب مستحدثات اللهيارخان وفى رزاة ومثانة القلاع الخيبرية والسد السكندرى - متأملين على استحكام المكان، فاستكبروا عن

طاعة وعبودية الحضرة. وقد أشار الحضرة العلية إلى الجيش نمر العزيمة بإخضاع تلك القلعة، فأحاط حملة البنادق المشعلون للنيران حول القلعة، وبسبب الخوف والرعب من المدافع محرقة الذهب والقذائف [ص ٦٧] المدوية بأصوات النفير والبنادق المولدة للصواعق، جعلوا النهار المتلألئ ظلمةً وسواداً في أعين أهالي القلعة، وفي أقل مدة صارت يد أهل قلعة مزينان قاصرة عن هذا وذاك، فالتجئوا خلف طوق الأمان، وخضعت القلعة المحكمة، ووصل إلى المطيع والعاصي ذلك الذي كان لاثقاً من الرحمة والمشقة والرأفة والغلظة، وزالت أموالهم وأمتعتهم المدخرة بنهب وسلب الجنود، وكُف أقاخان القاجارى مع فوج من الجيش بحراسة القلعة وتوقف بها، وأخذت راية النصر في التحرك إلى جانب سبزووار، وبعد النزول إلى تلك الديار، صار حسين قلى خان مكلفاً بإخضاع نيسابور وكان يجاهد في محاصرة ذلك المكان، وشاهد اللهيارخان بعينه صورة الموت في مرآة خاطره، فأرسل ابنته -التي كان أسد الله مستوفى الديوان الأعلى قد رحل لإحضارها، وكان اللهيارخان قد أخر حصول مطلبه حتى ذلك اليوم - داخل حجاب الهودج إلى الحرملك الملكى، وخط وجه العريضة بخط العذر، ولأنه جعل وجهه أسود، فقد صار مستدعياً وطالِباً ذلك: بما أن حساب العمر قد تجاوز الستين وصار ربيع يوم الشباب مفتناً على يد خصمه الخريف، فلو يعفو الملك مرحمة العدل عن إحضار هذا العبد الحقير، ولو تعطيه المسمحة الملكية يومين مهلة للحياة يقضيهما على الطاعة فى زاوية الإنزواء، فلو يكون بعيداً عن مروءة الجبله الكريمة وروية القلب الرحيم. نظم [بيت ترجمته]

لو تقبل فلا بعد عن كرمك * وعذر الذنب لا يملكه طالب العذر

ولأن صورة هذه الحكاية كان معناها الغدر والحيلة، فلم يقبلها طبع الملك الحكيم العاقل وأصدر الأمر إلى الجنود بالإقامة بالقرب من قلعة سبزووار، وبتنظيم الغارات وتخريب بقاع تلك الديار ومحاصرتها.

ولما كان اللهيارخان وجعفر خان بيات قد أرسلوا -قبل وصول الموكب الملكى إلى تلك المناطق - وكلاءهما الموثوق بهم عند الأمير زمان الأفغانى من أجل الاستشفاع

إلى بلاط ملجأ العالم خديو الزمان، فقد كانا يضعان أعين الانتظار على طريق قدوم الشفعاء، وكانا يداومان على الثبات في القلعة حتى ذلك الزمان الذي ضاق فيه الأمر على محصورى سبزوار ونيسابور[ص ٦٨] وكادت تصطدم أقدام صبرهما بالصخر، فوصل ثانية طرهبازخان وبإشارة من الملك زمان ومن قبل وفادراخان بالتحف والهدايا اللائقة إلى بلاط كوكب زحل، وفي أرض سبزوار المرج الأخضر وضع رأسه في موطئ سرير العرش الملكي الوردى اللون، وحل الذؤابة عن وجهه شاهد السر، وعرض بلسان المحتاج ما هو دائماً. نظم [بيتين ترجمتهما] .

خراسان ملك في يد مغيرى الاغتصاب

وفي داخل ملكك يا موسى الذئب حارس للغنم

كانت الحسرة هي أن خازن كنز العرش هو أهريمن(١)

وكان الظلم هو أن حاكم صدر الشرع هو أبو الحكم

"ولكن هناك حفنة من الحقراء وعدة من الأخساء مرتعدين وخائفين بسبب خوفهم على أرواحهم وجزاءً لخيانتهم وهم متخفون وراء أسوار خراسان، فلا قدرة لهم جديرة بقتال شهريار الفلك ولا طاقة ولا مقدرة لهم في مقابل بحر الجيش اللامحدود، فلو يقبل الخديو الذى دينه الرحمة شفاعة هذا الفكر الخير، فيفتح العقدة عن أعمال المفسدين بأنامل عفوه، وبعد انعطاف العنان المظفر إلى ناحية مكان العرش، سيجعلهم هذا مريد الخير بالألطف الملكية يسيرون إلى البلاط المشبه بالفلك مرتاحي القلب وبدون شائبة إكراه، ولو لم يكن، فناصرية راية النصر عائدة مرة أخرى بحمد الله، ويد الجيش طويلة في فتح البلاد".

ولما كان في المبادئ فتح باب الصداقة والمعاهدة من قبل الأمير زمان، فقد كان رد المسئول وسد أبواب قبول مأملة مخالفاً لدستور السلطنة ومنافياً لرؤية الوفاق ،

(١) أهريمن : اسم إله الشر في الديانة الزرادشتية ، الشيطان ، الظلم ، الطاغية ، وهو مرشد السيئات مثل يزدان مرشد الخير . (انظر : لغت نامه : على أكبر دهخدا ، جلد سوم ، ص ١٣٤٧)

فأعطى الحضرة العلية الخاقانية الإذن للجيش بالانصراف عن محاصرة نيسابور، ومن المكان نفسه حصل الأمير محمود -الذى كان ملتزماً بالركاب فى ذلك الوقت - على الإذن بالانصراف صوب مقصده الراغب فيه، وصارت الأحكام الغالبة والمنتصرة على سياق السطور السابقة نافذة على حكام خراسان بأنه لايجوز لهم الإهمال فى إمداده ومعاونته.

وعادت راية النصر والهمة من سبزوار، وألقت بشعاعها إلى ناحية مكان العرش وأدرك شرف تقبيل البساط كل من حسين قلى خان فى إسفراين وإبراهيم خان فى آق قلعة، وانصرف عن البلاط الملكى أمير كونه خان زعفرانلو وإبراهيم خان شادلو، وأسرعوا إلى ولايات محل حكمها [ص ٦٩]، ورجع بأمر السلطان أقاخان أيضاً الذى كان فى "ينكى قلعة"، وكلف مكانه إبراهيم خان عرب بسطامى مع حملة بنادق العرب والعجم.

وعن طريق "تششمه على"، وعلى عادته فى الصيد، جعل الحضرة العلية ساحة سمنان أكثر نورانية من الفلك الأعلى بسبب لمعان وإشراق نور التاج الهلالى الشكل، وقد صار قصره الفاتن للقلب [موضع] حسد مرسوم مصورى الصين بسبب بسط بساط السرور والفرح من أجل عرس وانسراح الأمير محمد ولى ميرزا، وكانت كل واحدة من منازل هذه المنطقة كمحفل السماء بسبب عزف العود ولحن وترنيم الريابة ونغماتها.

وبعد انقضاء أيام الأتس والطرب، أخذت أعلام النهضة فى التحرك. وفى الرابع عشر من شهر ربيع الآخر، ترونق ربيع دار السلطنة طهران من قدوم السلطان الجالس على عرش جمشيد، واستطلع على انفراد ولعدة أيام من عمال وحكام فارس والعراق - الذين كان قد سرى حكم لإحضارهم من أجل التحقق من أحوال الرعية أو جبر كسر نوى القلوب المنكسره بكمال العدل، ومن ذلك المكان ومن أجل تنظيم شئون جيلان وتزيين محفل عيش الأمير محمد على خان، صارت دار الملك قزوين محسودة من الفريوس الأعلى بسبب مقدم شهريار العادل والمتدين، وحضر حكام جيلان إلى

موطئ العرش الأعلى فى ذلك المكان، واكتفت أمورهم وشئونهم على الوجه الذى كان مقتضياً لرأى صاحب العالم.

وبتهيئة حفل العرس والفرح والسرور، صارت لوازم الأنس والطرب جاهزة بالأسلوب الأسر للقلب، وصارت أبواب السعادة والفرحة مفتوحة على وجه الشعب، ولأنه قد هيا أمر العيش والحياة وقد أتى خاطر الأشرف صافياً فى إنهاء تلك المهام، فقد كلف النواب إبراهيم خان ومن أجل استقلال أمر جيلان باستقرار العمال فى أمور ديوان إقليم رشت، وتحرك لواء الظفر منجذباً إلى جانب مكان العرش، ورجع ولى عهد إيران الأمير الموفق عباس ميرزا أيضاً فى تلك الأوقات بالحكم السلطانى من أذربيجان، وصار متباهياً بتقبيل عتبة الحضرة العلية كما صار محظوظاً من العناية التى لا حدود لها.

٢٧ - تذهيب القبة المباركة للمعصومة، وبناء عمارة إصفهان وسائر عمارات أثر الجنة :

وفى ربيع العام المبارك نفسه ، شرع فى تذهيب القبة الطاهرة والبقعة الطيبة [ص ٧٠] العلة الغائية من خلق الماء والطين لحضرة المعصومة صلوات الله عليها، وبناء المدرسة، فقد أزال المعماريون العلماء والبناءون البارزون فى الصنعة القبة القديمة، ورفعوا القبة الاستوائية من جديد على تسع أروقة عالية السقف، وأغلقوا سداً محكماً على نهر قم الجارى من جهتها الغربية، وضموا ساحة الصحنين (الفنائين) القديمين إلى بعضهما، وجاءت المدرسة المغزية للروح خالية من الأشكال الهندسية مع فناء الخلد المشابه لشكل الجنة والمشتمل على الحجرات والأحواض والجداول، فكل حجرة منها غرفة من الجنة وأنوارها القدسية ظاهرة ومبينة على أربع شرف من الطين والطوب، فالغربية منها هى المشرفة فى أحد أطرافها على فضاء المدرسة، ومن إحدى النواحي التى تطل على النهر أنشئ القسم العلوى المخصوص من أجل إقامة الشهرىار الفريد، وعلى ناحية الصحن العلوى والمتصل بروضة عرش

الأساس حجرات منقوشة بالذهب، وعلى الناحية الأخرى رُتب حوض مخزن بالمياه والذي يقف السمك على سطحه ويفكر العقلاء بعيدو النظر في الخوض فيه بركبهم، وتزينت القبة المنورة مع الدماغ من القوالب المعجونة بالذهب وحيث أسقط القالب الذهبي الشمس من طاقة قلب السماء، وفتح الفلك المقوس الظهر عينه بالنظر عليها بنظارة الشمس والقمر في الصباح والمساء.

وطبقاً للحكم الأشرف. فإن طلبة العلوم الدينية والعارفين بمعالم اليقين - المستقرة بهم قوانين الملة وشعاع الشرائع قائم بمصباح بيانهم- مسبحون من كل نافذة كالملائكة على نوافذ انفلك، ومتناظرون ومتحاضرون في كل موضع مثل الملائكة والذاكرين على الأماكن القدسية، في حل أسرار المعاني مع بعضهم البعض. وثواب ذلك عائد بالعشى والإشراق على العهد ذى الأثر السعيد لظل حضرة من له التسبيح وهو الخمر الأبدية معشوق اللطف الإلهي.

وأيضاً في تلك السنة، سرى الحكم للحاج محمد حسين خان حاكم إصفهان، وذلك بأن يتم كل الفضاء الواقع ما بين عمارة تشهل ستون (الأربعين عمود) وعمارة بهشت آيين (مثل الجنة) وهى من أبنية السلاطين الصفويين - فى صورة قصر مبتهج على نظام الجنة، وجمع هو أيضاً امثالاً للأمر المشبه بالقدر - البنائين العلماء ورسامى الفنون ونجارى حرفة نوح، وأنجز عمارة محتوية [ص ٧١] على الدواوين الحديثة الطراز والقصور الكاملة وحديقة النارج (البرتقال اليوسفى) والأحواض الزجاجية الجذابة وقصر الاستراحة والحمام.

وكذلك طبقاً لحكم القضاء العادل، بنوا رباطاً محكماً على شاطئ نهر جاجرود وهو معبر قوافل مازندران فى وقت الشتاء ولم يكن به منزل لإقامة القوافل، وهو مشتمل على الحجرات الكثيرة والخلاة والحمام والبيوت اللازمة القائمة مقام حجرة الأثير لتجمدى صولة البرد الشديد، وانتهى بناء رباط من الأحجار والجبس تحت رعاية المعمارين المهرة فى قرية "كناره" الكردية أيضاً، التى كانت مأوى عابرى العراق وفارس بسبب فقدانهم المنزل ومحل نومهم فى الشتاء، وقد صار أجره الدنيوى والأخروى عائداً على عهد الهمايون السعيد.

٢٨ - ذكر وقائع السنة الخامسة لجلوس الهمايون، وهى السنة المطابقة لسنة ألف ومائتين وست عشرة هجرية، والقبض على الحاج إبراهيم خان الشيرازى بسيئات أعماله :

وبعد الفراغ من حفل العيد، قام الحضرة العلية بتنظيم مهام وشئون السلطنة، ولما اقترب وصول آثار نهضة راية الظفر، ولم يظهر وصول أى أثر من قبل اللهيارخان قليجى وجعفرخان بيات فى إنجاز وعدهما بالعهد وفقاً لتعهد الأمير زمان على النحو الذى سبق ذكره، فقد كُلف النائب إبراهيم خان بالتوجه إلى سبزوار مع عشرين ألفاً من المشاة والفرسان الصاعقة اللاعبين بالسهام النافذة، وصار مقررًا لعدد من الأمراء المخضرمين، إبراهيم خان ومحمد خان بولو وبير قلى خان شام بياتى، ومن الغلمان حسين خان، ومن حكام خراسان أمير كونه خان زعفرانلو وإبراهيم خان شادلو، وذلك: بأن يخرجوا يد النهب والإغارة وقدم الإضرار والخسارة من كم التطاول والاعتداء فى تلك الديار، ولا يجوز لهم التعاون مع بعضهم فى القتل والقفل والتكسير والإيذاء وتخريب القلاع والمنازل وإحراق بيادر الأرواح ونهب الغلال، وحيث كان اللهيارخان مستوجباً محاكمته بنفسه (فقط)، ولكن بشؤمه ذى العاقبة السيئة، صار جمع كثير من رعايا سبزوار المرج الأخضر مهانين بسحقهم بالأقدام.

وكان الحاج إبراهيم خان الشيرازى قد وجد [ص ٧٢] المنزلة والمقام مع بداية الدولة الزندية، ففى البداية عمل فترة فى منصب حاكم القرية (كدخدا)، وفترة فى رئاسة شرطة شيراز، وذلك حتى الوقت الذى وقع فيه زمام حكومة فارس فى يد جعفر خان [الزندى] - فوصل كوكب عزته إلى ذروة الرقى، وزال عصر جعفر خان، ووصلت نوبة النشاط إلى ابنه لطف على خان، وحتى ذلك الحين لم يجد استقلال أمره، وفى مقابل السنوات العديدة وبدواعى التمرد وجنون العظمة فكر فى إثارة سلسلة الفساد، فحرك جمعاً من الألوار، وأشرك معه الذهب والفضة فى مخالفة ومعارضة لطف على خان، حتى وافته الفرصة، فخلعوا عنه حلة الزعامة، وقلعوا جذور دولته ببلطة الحق المجهول . [بيت ترجمته]

شخص ما كان يربى الذئب الرضيع

فلما شب وترعرع مزق جسد سيده عن بعضه

وحتى تلك الأوقات -التي كان السلطان السعيد [أغا محمد خان القاجارى]
أنار الله برهانه قد رفع فيها لواء الظفر بإخضاع مملكة أذربيجان، وقد ترك السلطان
فاتح البلاد [فتح على شاه القاجارى] فى دار السلطنة إصفهان - خرج لطف على
خان - الذى كان غافلاً عن أمر القضاء - من شیراز برغبة تخليص العراق، ونظراً
لشدة الثقة المتوفرة للحاج إبراهيم خان، سلمه فى يده مفتاح القلعة، وتحرك السلطان
صاحب البلاد (فتح على شاه) من إصفهان، ورفع العلم الكاويانى فى قمشه، وحتى
ذلك الحين لم يعمل الأمر إلى المواجهة والمقاتلة، ووضع عبد الرحيم خان ومحمد على
خان إخوان الحاج إبراهيم خان -الذان كان لهما علم بتواطئه وفكرة إفساد معركة
لطف على خان، وفى منزل سميرم، وفى الجزء المتبقى من الليلة الماضية، وضعا
أساس الفتنة والاضطراب، ومالا إلى الريح المخالفة، فطافت سفينة معسكر لطف
على خان فى نومة الحيرة والاضطراب، وخرج إخوان الحاج إبراهيم خان -الذان
كانا ربانين لهذا الزورق- بمتاعيهما سالمين من هذه الورطة، وسلكا طريقهما إلى
شیراز، وانضما إلى أخيهما الملحد، وصار لطف على خان غريق بحر الاضطراب
والحيرة، وتولى الحاج إبراهيم خان فى ملك فارس حكم مفتاح مخازن الدولة الزندية ،
وجلس بنفسه واضعاً رأسه على متكأ حكومة فارس، ولأنه رأى الناس حوله طوعاً
[ص ٧٣] أو كرهاً، فقد بسط بساط الثروة لعدة أيام، إلا أنه فى النهاية، تقدم برجله
مضطراً إلى ذيل طاعة الخاقان المغفور، وسلم له فى الظاهر وبقلب سليم قلعة
شیراز، ولكن كان فى باطن ظنه الوصول إلى مرتبة الرئاسة الموهومة، وكان يعتقد
أنه لائق وجدير بهذا الأمر العظيم. وعلى الدوام، كان فسقه ظاهراً على رأى مزين
العالم السلطانى^(١)، ولكن، فقد ظهرت منه فى عين المبصر للظاهر الخدمة - التى

(١) يحاول المؤرخ عبد الرزاق الدنبلى بقدر الإمكان تبرئة مواقف السلطان فتح على شاه ولى نعمته
مع أعدائه وخصومه .

كانت فى الواقع هى الخيانة نفسها، ومن أجل صلاح أمره، فكان قد حطم ظهر الخصم الماهر بقوة الفكر الصحيح، ومن أجل إسكات لسان الخير والشر وجذب قلوب البعيد والقريب، فقد رأى التأخير فى إفنائهم وإبقاء جزائهم، وحتى ذلك الحين لم يصدر منه الجرم الظاهر، وفى بداية الأمر، فوض إليه بإمارة فارس، ولم يُظهر هو أيضاً تقصيراً من شدة العمل فى طول الأمل، فأشعل لفترة فى شيراز شرارة الظلم والتعدى وخاط بإبرة الرغبة والطمع عيون الشباب الأبرياء الباقين من الطائفة الزندية فى بعضها، وأحرق فى دفعة واحدة بيادر أرواح الأسرات القديمة فى فارس وبعدها وضع قدمه فى موطئ عرش الخلافة بمرتبة الوزارة العالية، وتعامل بلا مروءة مع عبيد الله، وفرق الفقراء والضعفاء عن أمهاتهم وأبنائهم وأقربائهم، وأصر أكثر وأكثر على الإضرار بالناس، وكان يغرس بنور الشوك من أجل أن يمسك بذيله.

وقد وجد المنزلة والمكانة فى موقع السلطنة، وذلك عندما أسرع السلطان السعيد من دار الفناء إلى ملك البقاء، وأخذ العرش المشبه بالفلك زينته من حسن وجمال الخديو الفريد، وتفتحت بطراوة ورود شوكة الحاج إبراهيم خان فى عهد دولة السلطان صاحب البلاد، ويسبب العناية الملكية ارتفعت رأس كل واحد من إخوته وأبنائه بحكومة إحدى الولايات، فطالت أيدي وألسنة ظلمهم وأذاهم على الناس، ولما اقترب زمن المكافآت اللازم لطبيعة الدهر، وصلت تأوهات وصرخات المظلومين إلى مسامع مقيمى عتبة الجلال، ومع أن الطبع الغيور للملك راعى الرعية قد صار متغيراً من ذلك، فإنه قام ثانية بنصحه من وجه الرأفة والرقعة لعله يتأثر [ص ٧٤] فيمنع نفسه عن الظلم، ولم يقع بالنفع حبسه فى داره، وسلك الطريق نفسها فى غير الصواب.

ووصلت عاقبة الأمر إلى محلها، حيث كان يتحدد حضوره فى كل يوم لمواجهة ومشافهة ظلمه وتعديه، وفى تلك الحالات لم ينفعه مطلقاً الوعيد والإهمال ثانية من موقف المحاكمة السلطانية ولم تفتح عين العبرة على ما آل إليه أمره، وبهذه الأفعال غير المقبولة لم يتقاعد فى مكانه، وأعلن عند هذا وذاك من بعض المتحدثين عبثاً، أنه أصبح جديراً بكمال السياسة، ومضى غشه وتصرفه فى مال الديوان عن الحد والنهاية، وأخيراً، وبعد توجيه الخيانة العظمى إليه رفع سواد إنسان عينه بالسكين،

وَقُطِعَ لِسَانُهُ مِنْ حَلْقِهِ بِالْكَزْكَ الْحَادِ، وَأُخِذَتْ مِنْهُ الْفِضَّةُ وَالذَّهَبُ وَالْأَمْوَالُ الْمَدْفُونَةُ -
الَّتِي كَانَتْ رَأْسَ مَالٍ غَرُورِهِ، وَصَدَرَتْ الْأَحْكَامُ الْمَطَاعَةُ كَيْ يُوَصِّلُوا أَوْلَادَهُ وَإِخْوَتَهُ
وَأَعْوَانَهُ فِي أَنْحَاءِ الْمَمَالِكِ الْمَحْرُوسَةِ إِلَى جِزَاءِ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِهِمْ، وَيُخْلَصُوا الْمَظْلُومِينَ
وَالضُّعَفَاءَ مِنْ سِيَاسَتِهِمْ وَإِدَارَتِهِمْ. وَبِالْحُكْمِ الْمَشْبِهِ بِالْقَدْرِ فَقَدْ الْبَعُضُ مِنْهُمْ الْوَعَى مِنْ
كَأْسِ خَمْرِ السَّيْفِ، وَكَمَا خَفَتِ مَصَابِيحُ نَظَرِ الْبَعْضِ الْآخَرِ مِنْهُمْ، وَكُلُّ مَا كَانُوا قَدْ
فَعَلُوهُ فِي حَيَاتِهِمْ مَعَ النَّاسِ أَتَوْا مَقْبُوضًا عَلَيْهِمْ بِنَفْسِ الْحَالَةِ، وَفِي مَدَّةِ أَرْبَعَةِ عَشَرَ
يَوْمًا تَبَدَّلَ أَسَاسُ الْعِزِّ وَالْجَاهِ -الَّذِي لَمْ يَكُنْ قَدْ رَأَاهُ آلُ بَرْمَك- بِمِثْلِ ذَلِكَ الذَّلِّ وَتِلْكَ
الْحَقَارَةِ إِلَى دَرَجَةٍ أَنَّهُ أَصْبَحَ كَذِيلَ الْمَحْشَرِ فِي وَقْتِ اللَّيْلِ الْمَظْلَمِ، وَقَدْ صَارَتْ ثَرْوَةُ وَعِزُّ
دَوْلَتِهِمْ مَبْعَثَرَةٌ هَكَذَا -الَّتِي كَانُوا قَدْ جَمَعُوهَا لِسِنَوَاتٍ عَدِيدَةٍ بِقُوَّةِ الظُّلْمِ، وَكَانَتْ
الدُّوَابُّ الْقَوِيَّةُ تَتَنَّى مِنْ حَمْلِهَا، بِحَيْثُ لَا يَسْتَطِيعُ النَّمْلُ الْمُسْرِعُ جَمْعَ حَبَّتَيْنِ مِنْهَا فِي
مَكَانٍ وَاحِدٍ، وَكَانَ الْحَاجُّ [إِبْرَاهِيمُ خَانَ] وَزَوْجَتُهُ وَأَوْلَادُهُ عُمَى الْبَصْرِ فِي قَرْوِينَ
بِالْحُكْمِ السُّلْطَانِيِّ حَتَّى رَحَلُوا إِلَى الْقَبْرِ.

وَقَدْ جَاءَتْ خَلْعَةُ الْوِزَارَةِ وَعَلَى الْوَضْعِ السَّابِقِ -لَائِقَةً عَلَى قَامَةِ أَصْفِ الْحَضْرَةِ
مِيرْزَا مُحَمَّدٍ شَفِيعٍ، وَتَسَابِقِ جَوَادِ عِزْمِ نِظَامِ الدَّوْلَةِ سَلِيمَانَ خَانَ الْقَاجَارِيٍّ مَعَ خَمْسَةِ
عَشَرَ أَلْفَ فَارِسٍ بِأَمْرِ شَهْرِيَّارِ فَلَكَ الْبُلَاطُ فِي مِيدَانِ تَخْرِيْبِ دِيَارِ إِقَامَةِ جَعْفَرِ خَانَ
بِيَّاتٍ، وَاللَّهُ هُوَ الْمَوْفِقُ.

٢٩ - ذَكَرَ يَقْظَةً فَتَنَةَ حُسَيْنِ قُلَى خَانَ مَرَّةً أُخْرَى ، وَإِخْمَادَهَا عَلَى يَدِ كَسْرَى الْعَادِلِ :

وَعَلَى النَّحْوِ الَّذِي أَوْضَحْتَهُ السُّطُورُ سَابِقًا [ص ٧٥] ، فَإِنْ حُسَيْنِ قُلَى خَانَ قَدْ
سَقَطَتْ عَلَى رَأْسِهِ الرِّغْبَةُ فِي ادِّعَاءِ الرِّئَاسَةِ بِإِغْوَاءِ شَيْطَانِ النَّاسِ لَهُ بَوَسَاوِسِ الْجَهْلِ
وَالظَّنِّ، فَهِيَ إِرَادَةٌ مَعَ إِرَادَةِ اللَّهِ تَتَنَازَعُ كَمَا لَوْ كَانَ نَجْمٌ يَتَعَلَّقُ بِشَمْسٍ رَحْمَةُ اللَّهِ،
فَوْقَ كَالْظِّلِّ عَلَى الثَّرَى، وَوَضَعَ عُنْقَهُ فِي قَيْدِ الْعِبُودِيَّةِ وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ مُحَقَّقًا حَقِيقَةَ حَالِهِ
عَلَى النَّاسِ حَتَّى ذَلِكَ الْحِينِ، فَقَدْ اقْتَضَتْ الْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ إِمْهَالَهُ، وَحَتَّى يَظْهَرَ مَعَ بَعْضِ

الذين مذهبهم النفاق من غير أهله، ويأتى بالبرهان للخلق على فعله ودعواه، ولا جرم أن فتح القلب الطاهر لشهريار العالم أبواب العطف والعفو والصفح على وجه عصره [حسين قلى خان]، ورفع رأسه بحكومة كاشان، قطالت يد ظلّمه وجوره على ضعفاء تلك الديار، وأتى واضحاً لجميع الناس مقداره ومنزلته بسبب أبى العجائب أحواله وأفعاله، ولأنه قد أحرق فترة منازل وأكواخ المساكين بنيران الظلم، وادخر رأس مال الاستعداد، ومرة ثانية، نفش النسر جناحيه وريشه، وحلق بفكره فى هوى الجيفة الحقيمة، وعاد إلى رأسه ظنه الأسود القديم البعيد منه والطويل، فكان يسعى فى الخفاء لجمع العدة، وفى الظاهر كان يرتدى حجاب إعلان العبودية وحسن الخدمة على وجه ما فى الضمير، فأحياناً كان يميل إلى ترك الدنيا حتى يعلم دنياويوه أنه تارك للدنيا وصارف النظر عن التاج والعرش، وأحياناً كان يتجنب الحياة فى رداء النفاق ويفرش سجادة العبادة فى المسجد والمحراب، وحتى يعلم هذا وذاك ماله من الثروة والحظ، وكان يبعث كل يوم إلى موطئ العرش المشبه بالفلك العريضة المتضرعة والمشعرة على عبودية الحضرة العلية وإنكار همته على الدنيا، وكان الخاقان ذو الهمة العالية يفاخره بالفرامانات المنذرة له من السخط السلطاني والمبشرة له من النصيحة النافعة فى التحرز من الوسوس النفسية، لعله يفوق من الغفلة، ويسقط قدر فكره الأسود من الغليان.

ومضت فترة على هذا الوضع، وكان المدعو محمد قاسم شخصاً مجهول الحال ومقلوباً من الرأس إلى القدم - وكانت له قرابة مع طائفة بيرانوند - فكان دائماً أسير القيد لعدة أيام فى مدينته بسبب ادعائه صناعة وعمل الإكسير، ولقب نفسه فى مكان ما بلقب "ملا بارانى"، وهرب، [ص ٧٦] وراج على الألسنة فى بلد باسم "ملا محمد"، وقطع السلسلة وهرب، وفى مكان ما أعطى لنفسه شهرة باسم "محمد القاسم"، وصار معروفاً به.

واعتقد حسين قلى خان قدومه فالاً خيراً من أجل الادخار لرأس مال السلطنة، واعتبر مقدمه غنيمة، فأعطى له مكاناً لخلوته الخاصة، وبألف عن الحد فى احترامه، وفى ظلال هذا الوضع، قدم إلى كاشان سيد ملىء بالغش والخداع - وكانت له علاقة.

ألفة سابقة مع محمد القاسم، فوضعا البناء هكذا مع بعضهما، وذلك: بأن يختار السيد زاوية العزلة، وبأن يطوى ذيل الصحبة عن معاشرة أهل العصر، وأن يعد نفسه من الأصدقاء الغرباء وعارف بالله الأوحى، وأن يُخبر أحياناً عن الأمور المخفية، وأن يُشير أحياناً إلى الرموز الغيبية، وذلك حتى يتصوره أهل كاشان من أقطاب وأوتاد الزمان، ويصبحوا راغبين في ملاقاته، وبأن تصل هذه الحكاية إلى أذن حسين قلى خان، فيطلبه.

وإجمالاً لذلك، غاب السيد عن الأنظار، فغلب الشوق لرؤيته على الطبائع، وشاعت كراماته على الألسنة والأفواه، وبتحريك من محمد قاسم، أظهر عدة أشخاص من محرمى الخلوة مراتب عرفانه على ضمير حسين قلى خان، فرغب حسين قلى خان في حضوره طمعاً في الاستعانة من باطنه القاسق، واشتعلت فيه نار الشوق له أكثر بسبب إنكاره، وفي النهاية وبكيفية مشقة الفتى ميسرة، قضى معه ليلة في خلوته الخاصة، فزين السيد المشعوز في نظره اللعبة المليئة بسحر الألوان الغريبة مثل تخیلات السحر، وقال: "أنا نائب لصاحب العصر"^(١) ونائبه عن الاهتمام بالأمور الدنيوية، ولكن كلام محمد القاسم في كفاءة هذا الأمر هو وثيقة وسند، وهو مبسوط اليد في فتح أبواب السعادة، وييسر الارتقاء إلى المدارج العليا والسلطنة بمساعدته، وحتى تستطيع [ذلك] فلا تلو رأسك من ربة إطاعته إلى النهاية مطلقاً"، فخطفت هذه البشرى قلب حسين قلى خان من كفه وصبره من قلبه، وزادت محبته لمحمد قاسم وإخلاصه، ووصل الأمر إلى أنه كان يقف الليالى أمامه مثل العبيد المقيدين من أيديهم، وكان يضع على قدمه رأس العجز والخضوع والضعف، وجلس حسين قلى خان بلا عمل كالنقش على الجدار [ص ٧٧]، وكلية سلم لذلك القاسق عنان اختياره، فبداية جر بحكمه جميع المجرمين القدامى - الذين رفضوا مخالفة السلطنة وأصروا على نصحه - إلى السجن، فجعل البعض منهم يائساً من رؤية الدنيا المضيفة بالمشروط الظالم، وقبض على البعض الآخر، وحبسهم في زاوية.

(١) يقصد المؤرخ من صاحب العصر الإمام الثانى عشر المهدي الغائب حسب اعتقاد الشيعة الاثنى عشرية فى عودة الإمام الغائب وهو صاحب العصر كما يقولون . (المترجم)

وفى أواسط شهر ربيع الأول، قَدَّمَ [حسين قُلَى خان] على نفسه الأمير الموفق محمد تقى خان بسبب الخداع، وفى منتصف الليل نقل رحله ومتاعه من كاشان إلى نظنز. وجمع جمعاً من المشاة بالطوع والفرع، وتوجه إلى إصفهان، ودخل إلى المدينة على حين غرة، وأشاع بأن الحاج محمد حسين خان -وطبقاً لحكم الخديو - معزول عن حكومة إصفهان، وبأن الأمير محمد تقى خان والى وحاكم إصفهان صغیرها وكبیرها، وزعم بأن نغمة هذه الأسطورة صادقة، فترك الحاج محمد حسين خان عرش السلطنة -الذى كان صانعو الذهب المهرة مشغولين بصناعته- وكل الأموال والأمتعة التى يملكها، وسلك طريق الفرار، وعندما اتضح للناس كذب هذا الكلام، فإن الأمر كان قد قلت من اليد، والسهم من القوس، واضطر كل واحد من عمال إصفهان إلى زاوية الفرار. واستقر حسين قُلَى خان فى حديقة "سعدت آباد"، وأطلق يده فى أخذ أموال التجار ومصادرة أموال أصحاب المقدره فى تلك الديار، وضرب باسمه العملة بالذهب والفضة، والتف أوباش ومحتالو إصفهان الذين لا اسم لهم ولا رسم، حول محمد قاسم، وصاروا أصحاب الثروة والمنزلة ومالكى الدرهم والدينار، وعندما وصل هذا الخبر إلى صاحب المسامع العلية «فريدون المكانة»، نفذت كحكم القضاء أحكام القدر المعجزة إلى أطراف الممالك والثغور، وذلك بأن يغلق حكام وقادة جيش كل الديار الشوارع والمعابر أمام وجهه ويتخذوا أماكنهم مع جمع كامل على رءوس المعابر والمضايق والشعاب، فلا يمرؤ أو يخرجوا، ودون احترام للإخوة، يقيدوه من يده، ويحضرونه إلى ركابه المبارك.

وكما صدر الأمر إلى جان محمد خان وحسين قُلَى خان الدولوى مع جمع غفير من جيش أثر القيامة من أجل جمع الجيش المظفر إلى قم وكاشان، وبأن ينتظروا وصول موكب الإقبال [ص ٧٨]، وفى مساق تلك الأحوال، وصل النائب إبراهيم خان وسليمان خان من خراسان، وقدم أيضاً عباس ميرزا أخو نادر ميرزا بإشارة من أخيه مظهرأ العجز والقصور وطالبأ العفو عن التقصير بتقبيل العتبة العلية. وعُرف الخبر الجديد وانتشر، بأن حسين قُلَى خان -بحكم محمد قاسم- جلس على وسادة الحكم فى إصفهان بسبب صدقه وبساطته، ولم يتقبل الطبع الغيور للشهريار أكثر من هذا التأمل والتحمل، فسرى فرمان المشبه بالقضاء لولى عهد السلطنة الأمير عباس

ميرزا - وهو نور بصر الدولة - فى دار السلطنة طهران - وهى عين المملكة ومكان عرش المعدلة - ولأصف الحضرة ميرزا محمد شفيح بأن يلتزم حضور الأمير الموفق، وتقرر لهما: بأن يرعيا جانب الجزم والحزم فى تنظيم شئون طهران ومازندران، وبأن يوصلا وقائع الأحوال يوماً بيوم بالعرض على رأى منير العالم، وبأنه لو لم يكن قد اجتمع الجيش اللامعود من الممالك القريبة والبعيدة فى ظل الراية الممدودة، وظهرت كفاية نفس ملتزمى الركاب المنصور من أجل تخريب معركة شره وفساده ، فإنه فى أوائل شهر ربيع الآخر يطير عقاب راية الشمس المعجزة الجازم من طهران، ويسيرا جيشاً كالسيل المزمجر فى الركاب الكسروى إلى ناحية إصفهان . وبمجرد طلوع قمير راية الشمس، سقطت أشعة نور (نجم) سها وجود حسين قلى خان بسبب النور والبهاء، وترك ملكه ورحله وأثقاله وأحماله فى قلعة إصفهان، وملاً المخازن بالحبوب والغلال، وكلف وكلاءه بحراسة ذلك المكان، وأكد لهم بأنه: طالما لم يصل من جانبه خبر، فيغلقون القلعة بحزام الهمة ولايفتحون أبوابها فى وجه أى شخص:، واختار المدعو الحاج جعفر الإصفهاني أخا باقر خان الخراساني بالنيابة عنه على أهل المدينة، وولى وجهه إلى صحراء بلا حياة ويادية مجهولة.

وفى الوقت الذى ظللت فيه راية الفيروز الملكية على ساحة إصفهان ، لم يكن فى تلك الديار ديار لأركان حسين قلى خان ، فقد أوصل الحاج جعفر أيضاً نفسه ناهضاً وساقطاً إلى قلعة إصفهان.

[ص ٧٩] وبعد أسبوع واحد، كلف الحضرة العلية، النائب إبراهيم خان مع فوج من الجيش بتخليص قلعة إصفهان والقبض على الحاج جعفر، فرحل الجيش المنصور متعقباً حسين قلى خان حتى نواحي جلبايجان وكرمانشاهان، بحيث إنه إذا ذهب إلى ناحية بغداد بسبب السطوة القانئية فإنهم يمنعون، ويقبضون عليه ويحضرونه إلى البلاط. وفى منزل جلبايجان، عُرض على السلطان صاحب البلاد، بأن محمد قاسم حمل حسين قلى خان إلى سيلاخور وبروجرد على أمل مساعدة وعون [طائفتى] بيرانوند وباجلان، ولم تطيعاه تلك الطائفتان، وانضم إليه عدة أشخاص منها - الذين خلت أيديهم من السلاح - بوسوسة محمد قاسم، وأسرع جمع من

غلمانته إلى المعسكر الملكى عندما رأوا ما آل إليه حاله، وعلى الرغم من ذلك أغلق الطرق والمسالك عليه كل من أقاخان القاجارى فى سيلاخور، ومحمد على خان فى بروجرد، وأخذوا أماكنهم مع الأبطال المشهورين فى المعارك فى محل معارضته بالطريق، ولاجرم أن تناثرت عدته وآلاته الثقيلة المحكمة، وفر إلى جانب كرمانشاهان وبغداد، فصدر بالتبليغ الأمر الملكى البليغ فى صحبة المسرعين بمفاخرة أقاخان ومحمد على خان، وذلك بأن يسرعوا فى تعقبه فوراً، وبأن يضيقوا الأمر عليه، ولايسمحوا له بأن يخطو إلى تراب بغداد أو إلى أى بلاد أخرى.

وفى اليوم الذى صار فيه مرج كمره مضرِباً للخيام المنتهية بالنصر، وصل الخبر بأن: محمد قاسم عندما رأى أن أمر حسين قلى خان ضائع، عزم مع أعوانه على الفرار، فسحب مقربو حسين قلى خان الحجاب من أمام أمره (محمد قاسم)، برأس أنامل الوشاية وقول السوء، فأُسر بأغلال وسلاسل المحاكمة، وبعد يوم واحد خلاص محمد قاسم نفسه من الأغلال بسبب المكر والحيلة والخداع، وولى وجهه إلى ديار مجهولة ووادى ليست له نهاية، وأخفى حسين قلى خان رأس خيط العمل بسبب رحيله، ووضع بقية الأمتعة والأثاث فى قرية، وفر إلى طريق دار الأمان «قم»، وحتى الآن لم يتحقق أنه سوف يلجأ إلى عتبة المعصومة عليها السلام أم سيسلك طريقاً آخر.

فأصدر الخاقان القابض على البلاد الأمر بتعيين جمعاً إلى قم عن طريق مشك آباد فراهان، حيث إنه من الممكن فى أثناء المصادفة أن يلجأ حينئذ من وجه المصادفة إلى عتبة البقعة الطاهرة [ص ٨٠]، وهو المراد والتوقيت، فلا يعزم إلى ناحية أخرى، ويربونه، وأخذ موكب الهمايون فى التحرك كحملات الموج إلى منزل "محلات"، وفى ذلك المكان تحقق بأن حسين قلى خان تصادم بالمكلفين على أمره، فرأى أن رقعة أمره منحصرة فى التوسل إلى الذيل الطاهر للبقعة الطيبة لـ "خواجه لولاك"^(١).

(١) خواجه لولاك : لقب حضرة الرسول الأكرم والذى أخذ من هذا الحديث القدسى الذى يخاطبه بذلك : لولاك لما خلقت الأفلاك . انظر لغت نامه ، على أكبر دهخدا ، جلد ششم ، ص ٨٧٩٢ .

واختار مقامه فى ظل تلك القبة فلك الرواق، وفى اليوم التالى رفع الشهرىار نو النجم العالى راية العزىمة إلى ناحىة دار المؤمنىن قم، وفى أواخر شهر ربىع الآخر ظهرت ساحة قم كالمنزل الفىروزى بسبب إقامة الخىام المظفرة فىها، وعندما عزم على الزىارة وضع رأسه وجسده كله على التراب، وأتى الأمير محمد تقى مىرزا مستقىداً من تقبىل ىد الشهرىار باسط المحبة، وألقى حسىن قلى خان سىف العجز على رقبتة وارتمى إلى ذىل العفو الكسروى المحطم للعدو، ولس جبین المعذرة بالتقرب، وطلب العذر بدموع كثىرة وسكب الدموع المفعمة بالدماء على وجهه وعلى ذىل الشهرىار الذى شعاره العدل، فأخذ عرق حمىة الإخوة فى التحرك، ورفع رأسه بىد المرحمة من التراب ورفعها إلى أوج الأفلاك وصار حسىن قلى خان وبناءً على طلبه وتمنى بلقىس [والدة فتح على شاه] مهد العزة ومرىم عهد العفة وىحكم كسرى كعبة المحبة – مقىماً فى دار الأمان قم، وقضى أوقاته فى الزىارة والعبادة.

وبعد يوم واحد، انجذبت أعلام النصر ناحىة مكان العرش ، وصار عدة أشخاص من حقراء (طائفة) بىرانوند وىرها –الذىن كانوا أساس الفتنة– أسرى كمن الجيش المقىد للعدو، وىحكم ملك الملوك العزىز وصل بعضهم بعىن الحسرة إلى العالم المفتوح وأعضاؤهم ممثلاً بها، وىعضهم فى أعلى قمم المنارات، وذلك جزاءً لهم، فاستراحت الدنيا من الفتنة.

ولما جلس حسىن قلى خان فترة فى قم، أغلق طرىق زىارة تلك التربة على المجاورىن، وبسبب إىذائه وأحواله غىر المناسبة وصلت روح أهل دار الأمان إلى اللب، فصار حكم القدر العادل نافذاً فى تظلم الحاضرىن والزائرىن، وأحضروه إلى دار السلطنة طهران، وحُبس فترة فى قصر النواب إبراهىم خان، وفى النهایة، وبمقتضى الرأى الرزىن والفكر المبىن [ص ٨١] للشهرىار العادل حوصر فى محل من قرى شمىران، وجاء خندقه وبرجه معكوساً ومحروساً عن رؤىة الدنيا كأعماله، وصارت مائدة نعم أىامه ولىالىه جاهزة من الدىوان الأعلى، وصار أنىسه سجادة العبادة وتلاوة المصحف المجىد والذكر والأوراد وادخار زاد المعاد، وقد وجد توفىق الخىر بالقهر والجبر.

٣٠ - قدوم اللهيارخان إلى بلاط الفلك الدوار :

إن التجسس والخصومة والعناد مع المحمول بيد الله تحت الأيدي باعث على انكباب الوجه على الأرض وجر جبل البلاء على النفس، وإن عدم إطاعته وعصيانه لأوامر ونواهي ظل الإله^(١) دليل على سبب الذلة والحقارة وموصل إلى منزلة الضلالة والخذلان، فمثل ذلك وبعد ذلك كله، اغتر اللهيارخان بنفسه وزين الفساد، فخرّب سبزوار، وشرّد نفسه.

ولما أنهى النائب إبراهيم خان أمر اللهيارخان، وعاد إلى البلاط الكسروي، فقد ارتد اللهيارخان إلى عقله، ووجد نفسه دون أسباب ولوازم الحياة ووجد الشعب مشتتاً، ومن المشاكل التي حدثت في تلك الأوقات، أن قامت مجموعة من تركمان الصحراء بالهجوم بغرض الإغارة على مناطق سبزوار، فرحل خلفهم قليتش آقا الذي كان أمير السيف وقوة ساعده في اليوم الذي يكون فيه بلا مساعد ومعين، وفي أثناء القتال سلك طريق ديار فنائه، وانقسم ظهر طاقة اللهيارخان، ولم يجد وسيلة لضياع أمره سوى اللجوء إلى البلاط الملكي. مصراع [ترجمته]

كيف يهرب منك شخص وأنت مخلص

ومع أنه كان يعلم عفو تلك الحضرة العليم، ولكنه لم يكن يملك الرجوع بوجهه إلى بلاط الخاقان صاحب البلاد بسبب كثرة ذنوبه، ومن أجل الراحة والاطمئنان سير واحداً من أبناء أعمامه إلى عتبة الرحمة والرضا، وضرب يد التوسل بذيل شفاعته ولي النعمة وخليفة حضرة الخلافة الأمير عباس ميرزا، ولأنه في اليوم نفسه انسحب ابنه أيضاً - الذي كان يحيا في ظل حماية الأمير - برحلة إلى ديار الفناء بسبب حظه الأسود، فجاءت الرحمة على وجه الأمير الحر، والتمس في حضرة السلطنة وطلب له الشفاعته، فزين كسرى باسط المحبة والعطف شاهد تمنى الأمير بالقبول [ص ٨٢]

(١) يقصد المؤرخ بالمحمول بيد الله تحت الأيدي وظل الإله : السلطان فتح على شاه القاجارى على أساس أن الحاكم هو ظل الله في الأرض . (المترجم)

وانصرف مبعوثه من البلاط الشهريارى مؤملاً وأسرع إليه، وهاجر اللهياريان مع زوجته وولده وأقاربه وأتباعه من طائفة قليتشى جميعاً وودع ديار سبزوار، ولحق بدار الملك طهران، وصارت جبهة مقدرة مسحوقة بتراب العتبة المؤسسة على العدل، وغرس عود الرحمة الإلهية، فظهرت نضارة أمله العاجز بسبب العفو عن أخطائه وزلاته وازدياد منزلته ومكانته، ولم يرحل الفقير من باب لطفه مردوداً، فصار مرفوع الرأس من حضرة بحر اليسار برعاية رقباب ملك سبزوار وإقطاعية قرية إشتهارد فى قزوین، التى كانت المسكن القديم لطائفة قليتشى وما كان ناقصه من فوائده وعوائده فى فترة العصيان والكفر بالنعمة، فقد زاد إلى أضعافه بمجرد لفته من قبل الحضرة العلية. بيت شعر [ترجمته]

مع أنه يغضب من الفعل القبيح ولكن ما إن عدت طوى ما حدث

٣١- ذكر مجمل أحوال شيخ العرب عبد العزيز والطائفة الوهابية :

إن عبد العزيز هو شيخ قبيلة من العرب البدو، ومجمل حاله، أنه كان كبير القبيلة ومن مشايخها، وكان المدعو عبد الوهاب^(١) من تلك القبيلة والذي تتلمذ كثيراً عند المدعو محمد من أهل نواحي البصرة، وفى النهاية، قدم إلى إصفهان من أجل الدراسة، وهناك قضى عمراً فى التعلم بالمدارس، فتعلم الفقه والأصول والنحو والصرف، وهكذا اعتقد أنه اطلع على دقائق عقائد كل أمة، وكان اعتقاده هذا: بأن الله الواجب تعالى واحد، وأن وجوب إرسال الرسل والكتاب هو أمر بلا ريب وبلا شك، وبأن كتاب الله كاف بعد رحيل نبي آخر الزمان [محمد صلى الله عليه وسلم]، وأنه فى كل عهد [يظهر] مجتهد من أهل الأمة، يكشف الأمور الصعبة الغامضة،

(١) يقصد الشيخ محمد بن عبد الوهاب صاحب الحركة الدينية فى شبه الجزيرة العربية والتى عُرفت بالوهابية (١٦٩٦ : ١٧٩١ م) .

فعهد أبى بكر وعهد عمر وعهد عثمان وعهد أمير المؤمنين الحيدر وزمن الشافعى وأبى حنيفة وعصر حضرة الإمام جعفر، فعندما يموت مجتهد، يأتى آخر مكانه ، يستخرج من كتاب الله القضايا والأحكام حتى يعمل الناس بقوله. وأيضاً، بأن القباب العالية على المزارات والقبور، وإحضار الهدايا والندور، وتذهيب البقاع بالذهب والفضة وزيارتهم [ص ٨٣] وتقيل أعتاب تلك الزمرة العظيمة الشأن، وصناعة ختم^(١) (مهر نماز) من تربتها والصلاة عليها بدعة فى الشريعة وشرك بالله، وبأن مرتكبى هذه الأطوار والأحوال هم بمنزلة الكفار، وفى حق تلك الجماعة فإن الحق تعالى دعاهم فى القرآن بالمشركين الذين كانوا يصنعون الأصنام بأيديهم وكانوا يعتبرونها وسائلهم عند الله، وكانوا يقومون بالطواف [حولها] والخدمة والسجود لها وعبادتها، فإذا كانوا يعترفون بالوحدانية لغير الله، وإذا كانوا يعتبرون تلك الجمادات شفعاء ووسائل لهم، فلا إله مستقلاً (منزهاً)، وقد جعلوا بعض الاجتهادات المظلمة من هذا القبيل فى شعاع الدين.

ورحل من إصفهان إلى وسط قبيلته، وتحدث مع الشيخ عبد العزيز بمثل هذه الأفكار، ولأنه كان لعبد العزيز الرغبة فى الزعامة والشهرة، حيث إن كل من له هوس غالب على رأسه ينتشر بسرعة مراده من الدين الجديد والمذهب الحديث، فقبل كلامه وعدل عن المذهب والسنة، ودعا العرب إلى هذا الدين، ومن أجل مذهبه دخل مع أعراب أطراف البادية فى قتال ونزاع، فهزم من العدو أحياناً وهزمه أحياناً أخرى، حتى قفزت دولته وقدرته، فبنى حصناً قويا كالدرع الحديدى فى الدرعية، ويوماً بعد يوم كثرت عدته وثروته، وأخضع أكثر قبائل الصحراء تحت سيطرته، ومضى نفاذ أمره عن الحد، ووصل أبناؤه إلى سنى الرشد ، فصعد المسمى سعود -الذى كان كبيرهم- على قدم الشجاعة والرجولة، وبالحيلة والتدبير والخداع وبقوة السنان والسيف قبل له جمع كبير من العرب أمره، ودخلوا طريق حكمه.

(١) مهرنماز : قطعة من طين الأماكن الشيعية المقدسة توضع فى موضع الجبهة عند السجود ، عند الشيعة الاثنى عشرية ، (انظر : المعجم الفارسى الكبير : ج ٢ ، ص ٢٨٢٧) .

وبهذا الخيال، ظن بأنه يُخرب العتبات وبقاع أئمة الدين عليهم السلام، التي كان يعتبرها بزعمه بدعة شنيعة، وبأنه يُقتل الزائرين والمجاورين الذين كان يظنهم مشركين وعباد أصنام، فقصده النجف الأشرف عدة مرات، وقد ظن أنه سيجد الطريق لإطفاء نور الحق، فاصطدم بصخر قوى ساعد الحق ووعى واطلاع شيعة عرب [قبيلة] خزاعة وغيرها، وباستحكام قلعة تيرندبيرش.

ولأنه منذ عهد سيطرة نادر شاه الأفشاري وحتى عهد دولة [ص ٨٤] ملك الملوك الموفق، فإنه وبحمد الله قد استراح شعب إيران، ورجع كل واحد منهم، كان قد اختار الجلاء عن الوطن، إلى دياره، فمنذ ما يقرب من ستين عاماً أي عندما هاجر أغنياء وأثرياء جميع ولايات إيران والهند بسبب شيوع الفتن وانتشارها، والتجئوا إلى أعتاب الأئمة الطاهرين حتى تؤمن أنفسهم وأموالهم من الحلال والحرام، ولا تتلف من ظلم المعتدين ببركة الجوار، وبسبب كثرة الغرباء في المشاهد المقدسة النجف وكاظمين وكربلاء، فلم يكن يوجد مكان واحد من أجل المتوطنين، ولم يكن هناك مقام بسبب التوطن وطول مدة الإقامة في تلك الأماكن الفياضة بالمساكن التي هي محل للزهد والتقوى والإعراض عن زخارف الدنيا والاهتمام بالعالم الآخر، [ولذا] فإن وقوع الحرام والعيش المدام (اللهو الدائم) بمقتضى الطبيعة البشرية وعادة النفس الجريئة المولعة هكذا بأكل الربا وإحداث البدع الشنيعة وقبائح الأعمال وفضائح الأفعال التي لو كانوا يقدمون على أي واحدة منها في سائر بلاد الإسلام لاستوجب توبيخهم ولومهم، بل وأيضاً التعذير والعقاب، وتدرجياً، وصلت [الأمور] إلى حد عدم الخشية في جميع العتبات المقدسة، ولا سيما في كربلاء، حيث صارت محرمات الشريعة محللة، ووقعت الذنوب - التي كانت تسلك في الخفاء - من الحجب وعلى الملأ، فلا خجل ولا خشية من الله، ولا حياء من حجة الإله^(١) - الذي هو عالم وبصير بخفايا الأسرار، فما هو مكان الخطايا والفحشاء - بسبب جمع الأموال - ما لم يكونوا يذهبون سنوياً لزيارة العتبة المطهرة، حتى يصلوا إلى تصفية الباطن عن طريق المنهيات والمواظبة على العبادات وادخار الحسنات.

(١) حجة الإله : يقصد المهدي المنتظر حسب اعتقاد الشيعة الاثنى عشرية .

وقد صار واجباً على الله الواجب تعالى وأمنائه أن يُظهر تلك الأرض المقدسة – التي لاتحمل الخبائث – باليد النجسة من لوث جنابة النفوس وأرجاس نفائث الأموال، ويُزيل غشاوة الغفلة من أمام أعين وقلوب الناس بالسيف الحاد المثير لفتنة سعود، ولاجرم أن ولى عنهم الحظ المسعود جزاءً لسيئات أعمالهم، فتسلط سعود وبإشارة من عبد العزيز مثلما تسلط بخت النصر على بنى إسرائيل^(١)، وكيفية ذلك، وكما كان لعبد العزيز، أن ضعف السيف الجسور ويد وقدم التدبير والحيلة فى إخضاع حصار النجف [ص ٨٥]، فعقد عزم الهمة الصحيحة على تخريب كربلاء وقتل أهلها وهى محل الكرب والبلاء، وأغلق حصاراً غير محكم، وبإشارته، رحل سعود فى شهر ذى الحجة من العام نفسه على رأس اثنى عشر ألفاً من جنوده العنيدى، وعن طريق "بريامداد" وفى يوم الغدير هجموا غفلة على مدينة كربلاء، وأصابوا وقتلوا كل ما وجدوه من شيوخ وشباب...، وحطموا الضريح الطاهر والصندوق المنير لحضرة سيد الشهداء عليه السلام...، وضربوا (فسخوا) عقوده بأناملهم...، وأغاروا على خزانة العتبة، ونهبوا القناديل الفضية والذهبية والأمتعة والملابس التى كانت فى الروضة المقدسة، وحفروا القوالب الذهبية ومرايا إيوان العرش، وهدموا الأبواب والحوائط، واستولوا على الذهب والدرر والجواهر والنفائس والأمتعة التى جاءت من كل بلد والتى كانت فى بيت الخزانة. وأجروا سيلاً من دماء الأطفال والنساء، ومرة أخرى وقعت واقعة كربلاء عياناً يوم عاشوراء فى تلك الأرض الطاهرة^(٢)، وكان عدد القتلى وفق تقرير الثقات ما يقرب من خمسة آلاف شخص، وحساب الأموال التى نهبت لا يعلمها إلا الله، وقد نام فى التراب المظلم الشباب نوى الوجوه الحسنة الجميلة – الذين كانت الشمس فى حيرة واضطراب من مشاهدة طلعتهم، وكانت طرة المحبوبة الوردية اللون المخضبة بالدم تتلوى ألماً من نواباتهم، واختفت خلف حُجب التراب وجوه فضلاء الحق ملائكية الطبع، الذين يضطرب من جبينهم النورانى كوكب المشتري

(١) إشارة إلى السبى البابلى لليهود قبل الميلاد . (المترجم)

(٢) يقصد واقعة استشهاد الإمام الحسين بن على (ع) يوم عاشوراء على يد جند يزيد بن معاوية. (المترجم)

فى خطابيه وكوكب عطارى فى قلمه، وبعد سبع أو ثمان ساعات من القتل والنهب، ربطوا أحمالهم على الحمير والجمال، وتوجهوا إلى الدرعية. ولو يحدث لعوام الناس شك من هذا فى قلوبهم وفتور فى إيمانهم بسبب ضعف يقينهم، بأنه يجب (ينبغي) ألا تتحمل غيرة المعصوم^(١) هذا الحال، ولا يتركهم بأن يجعلوا عدداً من الأنفس الجليلة مُهانة فى جواره، وبأن يلوثوا أجساد الأطهار فى ذلك التراب بسيف الظلم، وبأن يحطموا الصندوق المطهر ويقلعوا قوالب الذهب [ص ٨٦] من الباب والحائط، فواقعة كربلاء واستشهاد حضرته على الصحراء هى بلا شك دافع لهم وقاطع لسلسلة التشكيك والريب، بأنه على الرغم من وجود الإمام المفترض طاعته وتيقن الناس على وجوب إطاعته، فإنهم - وبلا خجل من إله العالم ولا حياء من نبي آخر الزمان. حطموا العهود وعقدوا الصفوف واستلوا السيوف وقطعوا رؤوس الأئمة، وأسالوا الدم الطاهر العترة على الأرض بدون أدنى اعتبار للحمية وتأمل للعبرة، ونخلوا تراب خذلان الدنيا والآخرة على رأسه وعالمه، وحطموا بالرمح صدر مرآة الكون والذى كان مستودع أسرار المدلل ، وفسخوا شكل العقود للضريح القضى -الذى كان قرصاً من النور القدسى- بيد الظلم الصريح.

وطبقاً للظاهر، فإن تلك الحادثة أجدر بالتشكيك والبحث عن هذا وذلك بأن يقتلوا فى جواره المذنبين وأصحاب الأفعال القبيحة، وينهبوا الأموال الحرام ويحطموا الصندوق الخشبى والضريح الحديدى، فمع أن شهادة حضرته كانت فى الظاهر شراً فإنها كانت فى الباطن عائدة بالخير الكثير وبالمصلحة على حضرته وعلى الأمة والتي لايمكن إحصاء عددها.

وإجمالاً لذلك، فإنه بعد سنوح هذه السانحة، أرسل الخديو بهرام الانتقام، إسماعيل بيك بيات غلام إلى بغداد وكتب لسليمان باشا خطاباً توضيحياً بأنه إذا تدخل جيش إيران عبر المملكة العثمانية فلا يصل لذهن مسئولى تلك الدولة العلية

(١) يقصد بالمعصوم الإمام الحسين ، حيث يعتقد الشيعة الاثنى عشرية فى عصمة الأئمة وهو اعتقاد خاطئ حيث إن المعصمة لله وحده فقط ، فحتى الرسول (ﷺ) لم يكن معصوماً إلا فى الوحي ، والله أعلم . (المترجم)

الأفكار البعيدة، وتعلن ذلك حتى يصد (جيش إيران) الطائفة الوهابية بعون حضرة البارى (الله جل جلاله) وحتى لا يستمر أمرهم محكماً فيسهل طريقهم ولا يصعب أمرهم السهل وبسبب التساهل فى هذا الشأن لا ينتهى الأمر السهل إلى الصعوبة، وعرض سليمان باشا فى جوابه بأنه فى قرار حكم الدولة العثمانية قد تجمعت من كل ناحية أسباب وعوامل قلع أسس تلك الطائفة، وعما قريب، لن يبقى أثر منها على صفحة الزمان، ولن يتبعها حاجة لتعب وإزعاج جيش إيران من أجل هذا الأمر، وبأن تعمير الروضة الطاهرة وجميع تعويضات أثارها ولوازم تلك البقعة أيضاً فى عهد هذه الدولة، وإن شاء الله سوف يتم بهذه السرعة نفسها وبقوة الفعل، وبالمصادفة وفى الأوان نفسه [ص ٨٧] أسرع سليمان باشا من العالم الفانى إلى العالم الباقي، فحدث اختلال كامل فى أمور بغداد والبصرة، ولم تصبح الفرصة [موجودة] لمسئولى الدولة العثمانية لتدبير أمر تلك الطائفة.

٣٢- وقائع سنة الكلب^(١) [وهى سنة] ألف ومائتين وسبع عشرة هجرية :

اتكأ كسرى المدلل للحبيب والمُحرق للعدو على العرش الجمشيدى كالشمس على عرش [برج] الحمل والورد المتفتح على العرش المشبه بالزمرد، ووقف ولاية العهد كالبدور ينظم منازلها ووقف الأمراء نوى القدر العالى على نسق النجوم فى صدر مجلس الفلك المزين، وقد بذرت يد صاحب الخزانة بيدر الذهب والفضة، وألقى بخلع التشريفات على أكتافهم وصدورهم من دار الخلع الملكية، ولنظم المهام والشئون القريبة والبعيدة، جعل السيف الهلالى الشكل، الذى هو مفتاح أبواب الفتح والظفر، زينة الحزام، وجعل الجيش المظفر غنياً من الذهب والفضة بعتاء اليد المتأثرة بالسحاب، ورفع لواء الهمة شمس المعجزة بعزم إخضاع بقية ملك خراسان، فكلف أولاً: ابن العم بهمن الشأن إبراهيم خان ليكون فى مقدمة الجيش أثر النصر، وقبل

(١) إيت ئيل : سنة الكلب وهى السنة الحادية عشرة من التقويم التركى الشرقى . (انظر المعجم الفارسى الكبير : إبراهيم الدسوقى شتا ، ج ١ ، ص ٢٢١) .

عدة أيام من تحرك موكب المستولى على البلاد، مع عشرة آلاف من الفرسان والمشاة لمعاينة متمردي نيسابور.

وفى يوم السابع عشر من شهر المحرم [١٢١٧ هـ.ق] وضع الخاقان نجم الخدم قدمه على الركاب ، المشبه بالهلال فى ساعة كصبح الوصال الوقت المبارك ذى الطالع السعيد، وبالعزم إلى خراسان فتح عقدة من مقدمة علم الظفر، ومن أجل استجمام الدواب، صار مرج "رادكان" لعدة أيام مضرباً للخيام المنتهية بالنصر، وصار إسحق خان القرائى وجعفر خان بيات حاكم نيسابور متفافرين ومتباهين بتقيل العتبة الملكية، ووقف كل من اللهيارخان وإبراهيم خان شادلو حاكم إسفراين وأميركونه خان حاكم خبوشان مع سائر حكام مملكة خراسان فى ظل راية الشمس المعجزة من أجل أداء الخدمة ورعاية مراسم الفدائية، وقد وضعوا أذانهم على سماع الأمر لتقديم العبودية، وكلف نظام الدولة سليمان خان القاجارى وحسين خان رئيس فرقة الغلمان بإخضاع قلعة "تشناران"، ونصب الأمير الموفق محمد على ميرزا مع إسحق خان القرائى القائد وفوج من شجعان [ص ٨٨] ساحة الحرب على ناحية الأرض المقدسة، وتحرك موكب فاتح البلاد أيضاً إلى مشهد المقدسة مع عالم من الأسود السفاكة للدماء وتماسيح بحر الغضب.

وفى يوم الاثنين التاسع من شهر ربيع الأول، التفت الجيش ملجأ الظفر خارج مدينة مشهد، وبسبب النهب وغارة الأتراك الشجعان، جعلوا الدنيا المنيرة سوداء فى نظر نادر ميرزا ومحصورى حصار التعب والعناء، وبسبب طول مدة الحصار اشتعلت نائرة القحط والغلاء، وبسبب مرارة الحياة وانعدام القوات وقوة اقتران الملل بالخلق وصل الموت إلى أرواحهم والسكين إلى أعناقهم. فتوجه ميرزا محمد مهدى المشهدى علامة العلماء ونحريير الحكماء والفقهاء - الذى كان سيداً فاضلاً وعالماً بالذات الإلهية - إلى عتبة أساس العدل من أجل الاستشفاع لفقراء وضعفاء مشهد المقدسة، وفى المحفل المشابه للجنة الكسروية التمس خلاص أهل مشهد المقدسة، وقدم العرض على أساس أن الخطأ الذى يستوجب السخط السلطانى والباعث على الغضب الملكى هو ليس خطأ فقراء القلعة، وأن تسليم القلعة وإخراج نادر ميرزا -الذى كان شعاره

عدم الشكر- متعذر وصعب على العجزة والمساكين، وأن مفاتيح أبواب المدينة وزمام اختيار أهل القلعة في يد ذلك الغادر الجائر، فما يصير هو أن يترك كسرى فاتح البلاد إخضاع القلعة عدة شهور، وأن يوقف تدبير أمر نادر ميرزا الآيل للخذلان إلى موضع آخر حتى يفكر أهل المدينة في حيلة لأمره ويخرجوا عنان الاختيار والاقتدار من قبضة قدرته، ويعدوا المدينة تحت تصرف مسئولى دولة العصر بالتمهيد الذى يعلمونه ويقدرّون عليه، فينجون من فكرة السخط والعذاب. وصدق أمراء خراسان أيضاً على قول حضرته وتعهدوا بهذا العهد.

وكان ظاهراً على الضمير الخاقانى المنير، بأنه لو يخضع قلعة الأرض المقدسة بالغلبة والقهر، فلسوف يصبح رجال ونساء تلك الناحية -الذين هم مستريحون فى ظل مولاي الثامن^(١)- طعمة لسيف الأبطال السفاك للدماء وعرضة للأتراك الشجعان، وللضرورة قبل شفاعة الفاضل الكامل من وجه كمال المرحمة، وقرر إخضاع القلعة على التعهد الذى مضى فى عهده [ص ٨٩] حكام خراسان، وكلف حسين خان رئيس فرقة الغلمان بقيادة ولاية خراسان علاوة على حكومة نيسابور. وأخذت الرايات المنصورة فى التحرك إلى ناحية دار الخلافة طهران، وانشغل هو لعدة أيام فى التنزه والصيد فى منزل "تششمه على" الذى كان روضاً عامراً ومريحاً، ومن هناك صار بطل جيش ملجأ الظفر كحل عين أهالى بلدة سمنان، وقد أعطوا للنائب الأمير محمد ولى ميرزا الاحتفالات المقبولة وقدموا له الهدايا اللائقة.

وفى خلال تلك الأحداث، حضر محمود ميرزا الأفغانى، على النحو الذى سبق ذكره، إلى ولاية "قايين" لطلب مساندة واستمداد الخاقان فاتح البلاد حضرة فلك المنزل، وعقد جمعاً قليلاً وعزم إلى قندهار بقوة الإقبال الخالدة لكسرى الذى لاشبيه

(١) يقصد الإمام على بن موسى الرضا المتوفى سنة ٢٠٢ هـ.ق وهو الإمام الثامن فى الترتيب الاثنى عشرى عند الشيعة الإمامية الاثنى عشرية ومدفنه بمدينة مشهد عاصمة إقليم خراسان . (انظر الإسلام فى إيران : تأليف بطروشوفسكى ، ترجمة وتعليق د. السباعى محمد السباعى ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، بتصرف ص ٣٠٦ : ٢١٢) .

له، وفى يوم الوصول وياتتشار هذا الخبر بأن فوجاً من الأبطال القاجاريين ذهبوا مع محمود ميرزا، لم ير القائد - الذى كان مستقراً فى قندهار من قبل الشاه زمان- فى نفسه مقدرة على الاستقرار، فولى بوجهه إلى وادى الفرار، ووضع الدهر الصانع للشعوذة على كف محمود ميرزا زمام اختيار قندهار، فترك ابنه كامران فى تلك الديار، وقام هو بنفسه خفيف العنان إلى ناحية كابل، وعمرى زينة بصر الشاه زمان الذى كان قد علق أخيه كامران يوماً من عينيهِ على شاهد معشوق السلطنة، ورفع بنفسه لواء السلطنة إلى ذروة السماء، ومع خوف الأمير قيصر بن الشاه زمان - الذى كان والى دار السلطنة هراة بحكم والده - من تعب عمه، توجه مع فيروزا ميرزا أخى الأمير محمود خوفاً على أرواحهما مستمسكين بالحبل المتين للإعانة الكسروية وعزماً إلى بلاط زحل الشهريار صاحب التاج، ولم يهمل السلطان ملجأ الإسلام أيضاً رعاية جانبيهما، وبإظهار اللطف والعناية الملكية رفعوا قمة اعتباريهما إلى أوج الفلك، وبعد التتزه والصيد ألفت مظلة العدل على رءوس مستظلى دار الخلافة، وتشرف بالحسن والزينة مرة أخرى أهالى ذلك المكان المؤسس على الفيض بسبب قدوم الموكب المسعود.

٣٣- ذكر حفل زفاف وفرح [ص ٩٠] ولى عهد السلطنة والخلافة الأمير عباس ميرزا أدام الله أيام سلطنة وولاية عهده :

اقتضى رأى القدر المقدر بالقضاء النافذ للخاقان المستولى على البلاد بأن يسعد إيوان الشمس مشرق السلطنة وصاحب تاج نائب السلطنة والخلافة ولى العهد الأمير عباس ميرزا من طلعة [كوكب] المشتري، وبأن يظهر فى أكثر زينة وجمال من بروج الأفلاك كوكب الزهرة بالمنظر المحمود لمنازل القمر وبسيطة الأرض بيمن وبركة هذا الحفل المسعود، فحرر هذه الهبة بالاسم المشهور بميرزا محمد خان الدولوى القاجارى وهو من عظماء هذه الطائفة الجليلة الشأن وركن من أركان هذه الدولة الخالدة الأساس، وأصدر الأمر بخطبة صبيته العفيفة - التى كانت درة صدف العزة

وبرعمة شجر ورد النجاة ومريم حريم العفة والعصمة ويلقيس عرش العظمة، للأمير الشاب المحظوظ، وتشرف بالصدر حكم العالم المطاع بترتيب الحفل الملكى وإعداد لوازم حفل الزفاف والفرح والسرور الكسرى واجتماع أكابر وأعيان الممالك المحروسة إلى مركز الخلافة طهران. وقد نهض القائمون بأمر دولة عصر المقدرة بترتيب لوازم الحفل والعرس، فزينوا الأسواق والمنازل ونسقوها كساحات الجنان، وكانت الليالى مضاعة بالأنوار اللامعة بسبب إشعال المشاعل والشموع، وبالنهار كانت موائد الشهوات النفسية والحظوظ الجسمانية جاهزة ومهيأة على مائدة أهل الدنيا بسبب كثرة ووفرة أنواع النعمة والنعيم، ويسبب أبى العجائب [كان] الأساتذة اللاعبين بالنار فى ليالى الفرح المملوء بالطرب ، كانت كل زاوية من مجلس الحفل كصورة الفيل المشتعل بالنيران مع صورة الأسد المهاجم وكان كل صف من المحفل كساحة العالم المليئة بالسرور، وقد ارتعدت كأس العهد من خمر الطرب بسبب نغمات المطربين وأصوات العود والناى المغذية للروح. والخلاصة، أنه لما مضى أسبوع أو أسبوعان للخلائق فى عيش وحياة سعيدة. نظم [بيت ترجمته]

ليلة أسعد من صبح الحياة مُزيدة للسرور كأيام الشباب

وكانوا قد كشفوا النقاب عن وجه قمر وجوه مخدع الفلك، وقد وضعوا نوافح مسك الغزال التاتارى فى أدراج الرياح، ودخل جميع الأمراء والأعيان وكافة طوائف الخدم والحشم وعظماء عتبة السماء المؤسسة بالمشاعل الذهبية والفضية وبأصوات [ص ٩١] الطبول وموسيقىات ناى مهد ماء حياة العهد ويترك الزينة والاحتفال - الذى لم تكن رأته العين المنيرة لفيروزة المهد - إلى الإيوان العامر كأم للأمير الذى يشبه الإسكندر فى خصاله .

وفى الصباح الذى ارتدى فيه كسرى النجوم والكواكب السيارة الخلعة المذهبة على صورته وقد ظهر وعلى طرته عقاب مقوس جميل أزرق اللون، مر الوزراء والأمراء والأعيان من أمام نظر الشمس المؤثرة لملك الملوك المشبه بجمشيد بالهدايا المتنوعة،

فصاروا موضع الإشفاق والعطف السلطاني، ووجدت صدور وأكتاف فخرهم الزينة بالخلاع الثمينة، وأشرق أشعة الرعاية الخاقانية على وجنات أحوالهم.

٣٤ - تكملة حكاية قيصر ميرزا الأفغاني :

.... ولما رأى قيصر ميرزا في عتبة جلال الحضرة العلية كعبة النجاة من حوادث الزمان، ورأى في البلاط الكسروي قبلة الحاجات، فرعى السلطان المطلع بالأمور أيضاً جانبه بالعنايات الملكية والعواطف الكسروية، وخص حضرته كل يوم بمكرمة جديدة وعناية لا حد لها، وقد تأكد أن محمود ميرزا قد بدل مكافآت الشكر على نعمة الملك بالكفران والجحود، وقابل احترام مساعدة ولي النعمة بالطغيان والفساد.

وفي المساء حضر إلى بلاط الفلك الدوار بعض من عظماء حكام الأفغان أيضاً لمراعاة هذا الحال، وعرضوا ذلك بأنه الآن [قُضِيَ] عام وقيصر ميرزا مقيم بالعتبة وأن قرّة أعين أنصاره هو أن يقدم على الطريق الرئيسي للمرحمة الملكية المعينة في كل وقت من قوة الإقبال الكسروي على خصمه القوى، وبسبب انتصاره تُظلم عين عمه المغموم منها قلبه كثيراً، وعلى معارضة بالألا يسعى إلا لطريق الخدمة ولا يبحث عن عمل سوى وسيلة التقرب إلى البلاط.

ولما كانت صورة عقيدة قيصر ميرزا معكوسة في مرآة عقل الحضرة العلية، فقبل خاطر الأشرف ملتزمات الحكام الأفغان، وزين صدورهم وأكتافهم بالتشريفات الخاصة السلطانية، ومنح حضرة قيصر ميرزا عطايا السيف المرصع والخنجر والأواني الفضية والذهبية والخيمة الملكية الكبيرة والأحصنة ولوازم الحياة الملوكية، وسمح له بالانصراف إلى ناحية كابل وقندهار، [ص ٩٢] وافتخر حكام وقادة تلك المنطقة وارتفعت رءوسهم واحداً واحداً بالخطاب الكسروي، وسرى الحكم على ذلك: "بأننا أمرنا باستدعاء وطلب حكام الأفغان للسير إلى تلك الحدود لحضرة قيصر ميرزا الأفغاني، وبأننا فتحنا أبواب الاستعانة على وجه أحواله، وبأن يعتبروا الامتثال للمثال الخاقاني واجب، وبأن يواظبوا على جمع الكتابات وعلى مساعدة تلك الحضرة ويسارعوا إلى دار القرار قندهار، وبأن يجعلوه مستقلاً في ملكه."

٣٥- وقائع العام المبارك وهو سنة ألف ومائتين وثمانى عشرة، ومعاقبة طائفتى كوكلان ويموت :

وبعد انقضاء الحفل النوروزى، أقام حضرة نائب السلطنة العلية وخليفة الخلافة البهية الأمير عباس ميرزا احتفال الزينة، وقام بعرض الهدايا، فكان من جملة المعروضات التى مرت من أمام نظر الحضرة السلطانية ذات الأثر الكيمياءى، ألف قطعة من حجر البرق الملون (المرمرى) وهى من فلذات أكباد قاع البحر ومتربيات على أشعة الشمس وبعضها خضراء مثل خط حاجب الحسنات، وبعضها حمراء مثل شفاه الجميلات الياقوتية الحمراء، وعدة قطع صفراء مثل جوهر الخمر الصافى المتساقط من الكأس المتلألئة ، وعدة قطع بيضاء وصافية مثل نجمة السحر المشعة، وعشرة أحصنة فولاذية الحافر ونعل هلالى الشكل وقوية فى السير وسريعة، وعدة قوافل من النوق الحمراء ذات أسنمة كبيرة وأجراسها كالنجوم. وعلاوة على ذلك، عرض ألف كيس من النقود الذهبية والحرير المصرى وحرير الديباج الصينى والأطلس الشاهى وسائر النقائس وأقمشة عديدة إلى درجة أن المحاسب والمحصى لا يسعه ضبطها فى طاقة الحساب، ولا يقدر وزنها فى ميزان الوزن. وكانت السماء خلال عرض تلك المعروضات فى حسرة وغم منكر، وقد سال الخجل على وجه الشمس المضىء بسبب حسد عبید الإحسان المتقلبين فى الرأى. وتفقدت العاطفة الخيرة الملكية الأمير الذى لا شبيه له، فرفع رأسه المبارك بالعنايات الملكية على قمة الفلك وقبة السماء.

وتحركات رايات أثر الظفر إلى تأديب طائفتى يموت وكوكلان اللتين تسكنان فى ساحل نهر جرجان، وهما فى تلك المنطقة تحت طوع حاكم إستراباد وصاحب [ص ٩٣] أماكنهم ومساكنهم، وتدفعان الضرائب للدولة العلية القاجارية وتخضعان لأوامرها ونواهيها، وفى ذلك الأوان، ظهرت شكوى من قبل القائم بأمر ولاية أنريجان أمام صدر إيوان زحل الرفعة بسبب سوء سلوك تلك الطائفة المؤسسة على الشقاوة، فأخذ موكب أثر الظفر والنصر فى التحرك من دار الخلافة طهران بقصد التجول فى ولاية مازندران وتأديب ومعاقبة المثيرين للفتنة والفساد، ومن ذلك المكان

وفى منزل "قراشيخ" - الذى كان محل الإقامة للتركمان - سعى الجيش المنصور بحكم الخاقان الموفق إلى صد تلك الجماعة المنبوذة، فكانوا مثل الأسود فى تلك الصحراء باحثين عن صيد أكواخهم بسبب نار الإغارة المشتعلة، وجاءت النساء والأولاد والبنات أسرى ومقبوضاً عليهم فى يد الأبطال ربائب الظفر، وجاء الأحياء الباقون من السيف مطالبين بالأمان خوفاً على أرواحهم، وجاء دافعوا الضرائب وجمع من معارفهم مع رحلهم إلى دار السلطنة طهران حيث تراب عتبة الفلك المؤسسة، وتقبل الباقون تقديم الخدمات الديوانية.

ومن هناك وجه الموكب المقترن بالنصر عزمه إلى مرج "كالبوش" وبعد الانشغال بالصيد، قدم إلى عين "على بلاغى"، وفى ذلك المكان سعد بالصيد لمدة أربعين يوماً، ونال النائب ولى عهد السلطنة والخلافة الأمير عباس ميرزا شرف فيض الحضور الخاقانى، ومن هناك قدم إلى دار الخلافة طهران بالحظ الموفق.

٣٦- إخضاع قلعة مشهد المقدسة، وأسر نادر ميرزا مع أولاده وإخوته :

طلب حسين خان القاجارى قائد خراسان - الذى كان مكلفاً بإخضاع قلعة مشهد المقدسة وبالقبض على نادر ميرزا - من الخاقان فاتح البلاد قدوم الأمير محمد ولى ميرزا مع الجيش الطاحن للعدو، فقرر ملك الملوك جمشيد الشوكة للأمير فريدون الحشمة مع جيش تمساح الصولة ونمر الجواهر بالتوجه إلى خراسان وإخضاع قلعة مشهد المقدسة، وتوقف الأمير فى نيسابور، وربط حسين خان القائد حزام الجد والاجتهاد لإخضاع القلعة [ص ٩٤]، ولما طالت مدة الحصار ، فقد استمر أمر قلعة الملوك بالاضطرار.

وفى أواخر الشهر المبارك رمضان من العام نفسه [١٢١٨ هـ.ق.]، وفى فجر -وحيث هزم جيش فارس الظلام فى ميدان الفلك بسبب ظهور تباشير الصباح - أخذ الأبطال الغالبون للرجال والشجعان الهازمون للعدو فى التحرك من خنادقهم بقصد الاستيلاء على القلعة مع ملازمى الركاب وملازمى عنان القائد حسين خان، وهجموا

على البرج والحصن من كل ناحية على هيئة السيل المزمجر والبحر الصاخب، ويسبب مشاهدة هذا الحال، أغلق خدم الروضة المنورة أبواب العتبة المقدسة من أجل المحافظة على ذلك المكان ذى الأثر الفيضى ولما رأى نادر ميرزا نفسه فى فم تمساح البلاء كسمكة وقعت فى شبكة الاضطراب فاعتبر أن هيجان أساس هذه الفتنة من منبع الحقائق التحرير الكامل والمدقق الفاضل ميرزا محمد مهدى المشهدى، فتوجه إلى عرش إمام الحضرة، وبسبب منتهى الضلالة والتهور فى العتبة المقدسة حطم قاعدة العمود والدريزين، وتخطى بقدم قلة الأدب مع جمع إلى حريم الحرم - اللاتى كانت جدائلهن ناثرة العنبر والمعقودة على الجوارى مكنسة لذلك الحرم، ويمتهدى قلة الحياء وعدم الخجل انزوى فى جانب فأدرك حضرة الميرزا - الذى كان فى حالة الانشغال بأوراد الصلاة - وهو مستل سيفه، وفتح عليه لسانه بالكلام البذئ وبالقاحة، وطعنه عدة طعنات منكرة، وركب على الفور مسرعاً وفر إلى جانب "تشناران"، وفى هذه الحالة صعد الجيش المنصور إلى برج وحصن المدينة واستولى على القلعة، وجذبوا الأيدي إلى النهب والسلب، فمنع القائد حسين خان الجيش الذى بعدد النمل وبطبع الثعابين من الهجوم والإغارة، وكان نادر ميرزا قد هبط وهو فى حالة اختلال كامل إلى خيمة أحد خدم تلك المناطق على بعد أربعة فراسخ من مشهد المقدسة وكانت نيته أن يصل بنفسه إلى تشناران ومن هناك يلقى بسفينة وجوده إلى ساحل النجاة، وفى هذه الحالة قبض جمع من بدو الصحراء على ذلك المتعوس الشقى، وأحضروه عند حسين خان الذى أرسله إلى خدمة الأمير عالى المقام، ويسبب غاية الحيرة كانت الدموع تسيل من عينيه [ص ٩٥]، ويسبب أن نار القلب كانت ذائبة فى بوتقة الحسرة.

وبالمصاحب لهذا الحال، خلق طائر الروح الساكنة فى الجنة القدسية علامة العالم بسبب تلك الطعنات الفائرة إلى فراديس وحدائق الجنان، وعندئذ، قاموا بتجهيزه وتكفينه ودفنوه فى جوار حضرة الإمام، وكان عمره ما يقرب من السبعين عاماً عندما توجه بوجهه من الدنيا العامرة بالوحشة إلى روضة الرضوان.

ثم قيد الأمير نو السحنة الملائكية [محمد ولى ميرزا] نادر ميرزا وأولاده وإخوته ووضعهم فى الأغلال وأرسلهم إلى بلاط الخاقان الفريد، وفى أثناء تعذيبه والتنكيل به أوقفه الحضرة العلية الخاقانية وسأله بنفسه الشريفة ووبخه عن قبائح أفعاله وفضائح أعماله، فأنكر هو قتل علامة العصر، وكان يقول بأنه جرح وسط الهزيمة والفوضى، وبعد إثبات هذا الذنب -الذى كان أعلى ذنوبه - صدر أولاً فرمان ملك الملوك العادل، فقطعت يده -التي كانت قد قطعت حياة السيد الفاضل، وكما قطع لسانه الذى لم يكن فى فرمانه، وبإشارة من كزلك غلبة وقهر العالم اسودت بصيرة دنياه، وبعدها توجه إخوته إلى دار البوار، وعروا أولاده من زينة البصر وأسكنوهم زاوية الذلة والحقارة.

٣٧- فى بيان وقائع العام ذى الطالع الميمون سنة ألف ومائتين وتسع عشرة هجرية^(١) وهى السنة السابعة لجلوس الميمنة المأنوسة :

وضع كسرى تاج الشمس عرش الفلك، قدم ظل الفلك على العرش المرصع بالإقبال السعيد من أجل حفل النوروز المنتصر، وفتح اليد النائرة بالجوهر بنثر الدراهم والدنانير فجعل الأمراء والجيش موضع الإحسان والإنعام. وبعد انقضاء حفل النوروز المنتصر، جعل اهتمامه فى بناء وتنظيم الملك والأمة، ولما كان محمد خان القاجارى الحاكم العسكرى (أمير الأمراء) لإيروان - يلوى رقبته أحياناً عن طوق الإطاعة وربقة فرمان والأمر، ولم يكن يصل منه إلى الظهور معنى الإخلاص والمحبة التى كانت فى هوى خاطر أولياء دولة فلك المقدرة، وبسبب الخوف والوحشة غير المسببة - والتى كانت ممسكة بخناق ضميره- فلم يصبح حول المقربة السلطانية، وكانت متانة قلعتة أيضاً مزيدة للعلة والسبب [ص ٩٦] وعن طريق هذه الأسباب

(١) يوافق عام ١٢١٩ هـ.ق. ، بداية الجولة الأولى لحروب إيران وروسيا وقد انتهت فى عام ١٢٢٨ هـ.ق. بتوقيع اتفاقية « كلستان » بين الجانبين .

رضى عن زيادة مقدرة الروس - الذين كانوا قد وجدوا طريقهم فى ذلك الأوان إلى كنجته وتقليس، وكلية لم يكن يرغب [أن تكون] الساحة خالية من الأعداء، فاقترض رأى زينة الملك السلطانى على تخليه قلعة إيروان من الغرباء، وملء برج وحصن ذلك المكان بوجود الرجال المكلفين، وبعد ذلك القيام بطرد الأعداء بعزم صادق ورأى ثابت.

ولذلك، ومن أجل تنظيم مملكة أذربيجان وتخلى صفحة إيروان من وجود الغرباء وإصلاح المفاسد، كلف الأمير الحر النواب نائب السلطنة والخلافة (ولى العهد) الأمير عباس ميرزا مع ثلاثين ألفاً من المشاة والفرسان على إيروان، ولما كان وزير النواب، نائب السلطنة سلاله الأطياب ميرزا عيسى المشهور بميرزا الكبير القائم مقام صدر الدولة مكلفاً على النحو الذى سبق ذكره - بإنجاز وعمل مهام وشئون دار الخلافة طهران وبانتظام أمور النائب حسن على ميرزا الذى كان حاكم تلك الناحية، وبناءً على ذلك، التزم الركاب المنتسب للنصر الوزير نو الضمير الصافى والرأى الأصفى^(١) زينة الملك ميرزا محمد شفيع صدر الوزراء، وسار فى ركابه جمع من الأمراء القاجاريين مثل سليمان خان قوانلو ومهدى قلى خان قوانلو ومهدى قلى خان بولو ورضا قلى خان وبير قلى خان وعلى خان ونجف خان واللهوردى خان القاجارى وحكام أذربيجان ولوازم السلطنة من الخيمة والسراىق والبلاط والخلوة والمعسكر والبنادق الفاتحة للقلاع ودار الطبول والأبواق ونفير صوت الرعد .

وعندما أخذت قباب معسكر الأمير ذى الشأن الفريدونى زينة القباب السبعة خارج قلعة طهران، أمر الخاقان المظفر من أجل توديع الابن المحبوب وتفقد المعسكر الباحث عن النصر بمشاهدة الخيمة والسراىق وبتنظيم أمر الأمراء والجيش بازديحام الركاب ظل الفلك، وبسبب عظمة الشوكة السليمانية جعل منزل الأمير محسوداً من الأفلاك السماوية التسعة. وبسبب كمال إنعامه وإكرامه، زين قامته مع استقامته

(١) نسبة إلى أصف الحضرة وزير سليمان بن داود عليهما السلام . (المترجم)

بالدرع ذات الحلقة الداودية^(١) الضيقة التي كانت سلاسلها العنبرية تتساقط مثل سلاسل الشعر من صفائر الفاتنات، وكانت هذه الدرع الجميلة كجدائل تركان [زوجة جنكيز] [ص ٩٧] قد بقيت ذكرى من تولى خان بن جنكيز عهداً بعد عهد.

وعلى كل، ففي أواخر شهر ذي الحجة الحرام، أخذ موكب الهمايون بطالع السعد والإقبال الميمون في التحرك إلى ناحية أنزيبجان، وفي يوم وصوله إلى ساحة قزوين، تعجل الأمير صاحب العز والقدرة محمد على ميرزا بمراسم الاستقبال، وقدم لوازم المحبة والضيافة، وفتحت شقة لواء زينة النصر إلى ناحية أنزيبجان.

وعندما استجابت ساحات تلك الحدود للنور والضيء بسبب قدوم الميمنة الضرورية تقدم الأمراء وسائر حكام أنزيبجان بالهدايا اللاتقة، فازدادوا في مراتب آمالهم بسبب الألفاف والإشفاقات المتنوعة. ولما كان ولي العهد يولى همته على رفاه حال الرعية والمرءوسين والعبيد، فقد فكر الوزير حارق الظلم ومدخر العدل في معاملة الرعية بإسلوب الشفقة والرحمة مع أنه كانت جميع الأماكن لمنازل ومراحل عبور الجيش مليئة بالمزارع والمواشى حتى ولاية إيروان، فقد بقيت مصونة زراعات وأموال كل ولاية من جيش أثر القيامة بسبب البأس والسطوة الملكيتين، وبسبب الهيبة والمعاقبة لم يكن أحد محتاجاً أن يسرق نعجة من فقير، أو أن يتلف غصن لوز دون رحمة تحت حافر دابة.

وقد أرسل صدر الدولة ويحكم النواب نائب السلطنة من دار السلطنة تبريز الرسل الفصحاء إلى محمد خان القاجارى أمير أمراء تشخورسعد بإيروان حاملين الرسائل المنصحة والمشتمة على الوعد والوعيد والمحتوية على الترغيب والتهديد والمُحرضة على الأسبقية فى الخدمة والوصول بالمثل إلى بلاط ملك الملوك جمشيد الشوكة والمظهر لشمول العواطف الكسروية والمكارم الملكية. وبسبب استماعه لخبر نهضة الأمير، رحل رعايا وأحشام قرى إيروان وتوابعها، فسير بعضهم إلى القلعة

(١) نسبة إلى نروع نبي الله داود الحديدية التي كان يصنعها بنفسه من الحديد .

وبعضهم إلى ناحية بايزيد ووان، وخربوا مثل هذه الولاية التي كانت تعطى الخبر في العمران عن المصر الجامع بيد العقل وفرقوا وشتتوا أهالي تلك المنطقة إلى كل حد وبر في ولاية الروم (الدولة العثمانية)، وأغلق أبواب [ص ٩٨] القلعة على نفسه، وجلس خلف الحصار والجدران، وسير أحد معتمديه إلى تقليس، وطالب روسيا بالمعونة والمدد، ورغبها في محاربة ولي العهد، ووعدا بتسليم قلعة إيروان إليها بعد الغلبة على جيش إيران.

٣٨- بيان إجمالي عن أوضاع الممالك الروسية وتفصيل أحوالهم، وبيان بتدخلات تلك الجماعة بالحيلة والتزوير في ديار الكرجستان :

إن طائفة الروس هم المشهورون ببنى الأصفر، ومملكتهم أرض عريضة ودولة واسعة، وقد دون المؤرخون الروس بأن تأسيس حكومة وسلطنة روسيا كان في سنة مائتين وثمان وستين هجرية، ولقب ملوك الروس هو "الزار" (القيصر) مثلما تلقب ملوك الترك بـ الخاقان وملوك الصين بـ فغفور، ومثلما يُلقب الآن قرالات الفرنج (ملوك أوروبا) بالإمبراطور، والذين يسعى كل شخص منهم جاهداً لأن يقولوا عنه ويكتبوا له الإمبراطور الأعظم، ولم يذكروا قبل ذلك التاريخ بأن حاكماً [كان] موجوداً، وفي التاريخ المذكور كان كبير الروس المدعو روريك^(١)، ومنذ ذلك التاريخ وبعد مائة وواحد وعشرين عاماً دونوا أيضاً أن أهالي تلك المنطقة كانوا وثنيين. وفي سنة ثلاثمائة وتسع وثمانين هجرية، أحضر المدعو "وليد يمر" عظيم الروس من ولاية قريق - التي يقال لها اليونان - بعض الآداب المسيحية وكتباً عديدة، ونشأهم تنشئة لائقة ونقلهم

(١) يؤكد محمد فاتح عقيل معلومات المؤرخ عبد الرزاق الدنبلي التاريخية عن روسيا فينكر : "عمل الروس الشماليون على توحيد القبائل السلافية وتم ذلك على يد زعيمهم "روريك" في سنة ٨٦٢ م = [٢٦٨ هـ] ويمكننا اتخاذ تلك السنة تاريخ بدء قيام روسيا كوحدة سياسية . (انظر الاتحاد السوفيتي : محمد فاتح عقيل ، الإسكندرية ، ١٩٥٨ م ، ص ٧ .)

من الوثنية إلى الدين المسيحي، وقد أحسن على رقبة أهالي تلك المنطقة إحساناً عظيماً، ولهذا السبب يأخذون « وليد يمر » فى التعظيم بعد بطرس الكبير.

وفى سنة ستمائة وخمس وعشرين هجرية، أخضع جوجى خان بن جنكيز خان مع جمع من التتار ولاية روسيا، وترك عدداً من جيشه هناك ورجع، وفى سنة سبعمائة وأربع وسبعين هجرية، ثار المدعو "ديمترى إيوان ومج" فى موسكو، وأخرج التتار من تلك الولاية، واستقل بنفسه، وبعد ذلك بثلاثين عاماً أخضع الأمير تيمور جورجيان موسكو ونهبها وترك هناك جمعاً من الجيش، وفى سنة تسعمائة واثنى عشرة هجرية أعاد المدعو "إيوان سلويج" [ص ٩٩] السلطنة الروسية، وقد أخرج جيش الأمير تيمور جميعه من موسكو، وأضاف بعض الولايات القريبة والمجاورة مثل مرداق والأماكن الأخرى إلى مملكة الروس.

وفى سنة ألف وخمس عشرة هجرية، استولى اثنان من قرالات الفرچ (ملوك أوربا) وهما بول وسويد مع سبعين ألفاً من الجنود والفرسان وجمع من التتار على موسكو، وبعد نهبها أشعلوا فيها النيران وقتلوا مائة وعشرين ألف شخص ورجعوا بسبب انعدام التجهيزات والمؤن.

وبعد ذلك، وصل المدعو "فيدور" إلى حكومة روسيا ولم يبق منه أولاد وانقطعت سلسلتهم، وكانت حكومة الروس من البداية (منذ النشأة) وحتى هذا الزمان سبعمائة عام ونيف ومن بعد ذلك صار "بوريس كودانيف" أخو زوجة فيدور ملكاً، وفى عهده حدث قحط لمدة ثلاثة أعوام، فهلك من موسكو وتوابعها ما يزيد على خمسمائة ألف شخص، وبعد وفاة بوريس بقيت دولة روسيا بلا ملك، وفى سنة ألف وثلاث وثلاثين انتقلت سلطنة روسيا إلى هذه الأسرة التى ينتسب إليها "ألكسندر باوليتش" الحالى، وهى أسرة ميكائيل فيدوريتش وهو واحد من المنسويين إلى الملك القديم، وكان كبير جميع كنائس روسيا، وقد خطب فى الناس يوماً: "إن رب الأرباب ألهمنى بأن تجعلوا واحداً من طائفة "فيدوريتش" الملك"، وفى اليوم التالى، قال للناس: "إن الحق تعالى حكم بأن تجعلوا ميكائيل الملك نفسه، فهجم الشعب على ميكائيل هجوماً عظيماً والتمسوا إليه وأجلسوه على العرش، وقد نشر العلوم فى زمانه، كما أرسل السفراء

إلى أرض الفرنجة، ووطد أواصر الألفة والاتفاق مع ملوكها، ولكن مدة سلطنته لم تطل، ومات.

وفى تاريخ سنة ألف وستين هجرية جلس على العرش بن ميكائيل المسمى بالكسيه مكان أبيه وجدد العهد مع طائفة القوزاق^(١)، وذلك: بأن يستعد القوزاق بتجهيز جيش له عند الضرورة، كما وضع قانوناً وذلك بأن كل شخص له ملك ورعية (كل حاكم) لا يتحدث مع رعيته ولا يبحث حكماً وأن يرفع الدعوى أمام الشرع المسيحي حتى يصدر الحكم [ص ١٠٠]، وذلك يعنى أن الملك يسلم نفسه لرعيته، ولا يتحدث عن قليل أو كثير، واستولى على جميع الأحكام القديمة والملفات الورقية التى كانت فى يد الشعب ووضعها فى حجرة فى مدينة موسكو، وعن عمد وفى أثناء الليل أشعل النار فيها، وفى اليوم التالى خاطب الناس (قائلاً) إنه : "بالأمس احترقت كل أوراق الشعب وملفاته، ولذلك ليس لأحد حكم على ريعتى، والملك أبو الرعية، والأب حاكم على الأولاد وهو الذى يهديهم ويرشدهم ويربيهم، والآن الحكم حكم كتابى وهو مدرجة به الأحكام الشرعية والعرفية والملكية، وينبغى على جميع الشعب ألا يخرجوا عن أحكام ذلك الكتاب.

وقد فتح بالكسيه طرق التجارة والمواصلات مع الصين، فكان التجار وأصحاب المعاملات الصينيون يجلبون من هذه الأرض الحرير والريوند^(٢) والخشب الصينى وسائر البضائع، وكانوا يحملون من مملكة روسيا جلود السنجاب^(٣) والثعلب

(١) القوزاق : فرع من الأتراك الرعاة الذين فروا من الخوارزميين ودخلوا تحت حكم جنكيز خان ، ثم أصبحوا جزءاً من الجيش الذهبى فى إمبراطورية المغول الغربية وكانوا يعيشون فى مرتفعات التركستان ، بعد ذلك تقسموا إلى ثلاث معسكرات (الصغير والوسط والكبير) ، وفى سنة ١٧٣١ م انضم المعسكر الصغير إلى روسيا التى استولت على مدينتهم " آق مشهد " على ساحل نهر سيردريا [سيحون] فى سنة ١٨٥٢ م . انظر لفت نامه : على أكبر دهمدا ، جلد ٢٨ ، بتصريف من ص ٢٦٦ .

(٢) الريوند : نوع من الأعشاب وله أقسام : الصينى والفارسى والسورىانى وهو علاج معروف للإسهال .

(٣) السنجاب حيوان معروف أكبر من الفأر وله فراء ثمين ، يوجد فى بلاد الترك والصقالبة .

والخز^(١) وسائر البضائع إلى الصين، وكان مشتاقاً كثيراً لصناعة السفن الحربية، ولكن لعدم وجود صداقة بينه وبين جميع دول الفرنجة وكان مع بعضهم دائماً في صراع، فإنه لم تتح له الفرصة لصناعة السفن، وكانت مدة حكم بالكسية ست سنوات.

وفي عام ألف ومائة وواحد هجرية، ودع [بالكسية] عرش السلطنة، وكانت وصيته هي أن: تقسم مملكة روسيا بين ولديه وابنته، فكان فيدور وإيوان من زوجته الأولى وپطرس من زوجته الثانية، وبالرغم من أنهم أجلسوا [الأخت] فيدور^(٢) مكان الأب، لكن مع وجود پطرس فإن أمرها وأمر أخيها لم يجدا الرنوق والصفاء، وكانا ضعيفي الجسم ونحيفي الجثة، وكانت سلطنة فيدور ست سنوات وبدون استقلال، حيث كانت هي وأخوها تحت سيطرة پطرس.

وقد ولد پطرس الأول في سنة ألف وثمان وتسعين هجرية، وعندما وصل إلى السلطنة، وضع القوانين، وعلى الرغم من صغر سنه فإنه كان يكتسب الشهرة مثل سائر ملوك الفرنجة في التدريب على الأسس ونظام المعارك وآداب ميدان الحرب، وكان يتدرب بين الجنود الحادثي في التدريب، وكان له هوى كثير في صناعة السفن الحربية المبحرة على سطح البحر، وكان ذا طبع حاد وهمة عظيمة وسعى وجهد في العمل [ص ١٠١] ، ففي الوقت الذي كان يرسل فيه سفيراً إلى هولندا وهي إحدى ممالك الفرنجة، أدخل نفسه أيضاً داخل غلمان السفير، وكان يخدمه في الطريق، وعندما وصلوا إلى عاصمة هولندا، قفز من أمام السفير وألقى بنفسه في سفينة حربية ودخل مع النجارين وعمل معهم لفترة، ولما كان يسمع بأنه يوجد في إنجلترا نجارين حاذقين وصناع سفن ماهرين، فقد ذهب إلى إنجلترا، ولدة سنتين كان يعمل هناك نجاراً بالنهار وفي الليالي كان يتجول في أحياء ومحلات تلك المدينة من أجل

(١) الخز : حيوان من فصيلة الثعالب يشبه السمور وله فراء ثمين يعيش في وسط آسيا وأوروبا .
(انظر لغت نامه ، على أكبر دهبدا ، جلد هشتم ، ص ١١٠ ، ١٢١٣٧ ، ١٢١٤٨)

(٢) ورد اسمها في بعض المصادر الأخرى باسم "صوفيا" .

الإمام بقوانين ومراسم وعادات الشعب وسلوكه، فكان يزداد علماً على علمه، وبعد رجوعه إلى ولايته، أمر شعبه بالسياحة، فأدخل جماعة الروس - الذين كان لهم في ذلك الزمان حكم الحيوانات والبهائم والسباع ضمن دائرة الأنس، وكان يسعى بنفسه إلى تنظيم جيش المملكة، وفي أقل مدة وصل الجيش إلى ثلاثين ألف جندي، وتدرجياً قدم أصحاب الصنائع والحرفيون من كل مكان إلى مملكة روسيا، فنشروا الصناعات الجيدة، واشتهرت صناعات ذلك المكان مثل سائر ممالك الفرنجة .

وفي سنة ألف ومائة وسبعين هجرية أسس مدينة "بطرسبورج"، وقد فكر في تخطيطها ووضعها مدة أربعة شهور، وقد حقد أهل السويد عليه في بناء هذه المدينة، وتحاربوا معه عدة مرات، فانهزم هو في البداية وانتصر في النهاية وظفر عليهم، وفي تلك الأثناء وقعت حرب له مع الدولة العثمانية فتقابلوا على ساحل نهر "بروث"، وقد ظنت زوجته كاترين - التي كانت ذكية ومديرة - أن الهزيمة واقعة على الجيش الروسي من الجيش العثماني، فأرسلت خفية تحفة ثمينة إلى الصدر الأعظم العثماني، الذي غير الحرب بالصلح والهدنة، وقد روى أن الدولة العثمانية قتلت الصدر الأعظم لصدور هذه الخيانة منه، حيث لم يكن لجماعة الروس في هذه المرة قوه واستعداد يحصى، ولو أن الدولة العثمانية قد تحاربت معهم لما بقي أثر من جماعة الروس في الأرض.

والخلاصة أن كاترين بهذا المعنى وبهذا التدبير قد اشترت حياة طائفة روسيا ودولة زوجها بالذهب، وقد ذهب بطرس للمرة الثانية أيضاً [ص ١٠٢] في صورة أخرى للسياحة إلى النمسا والممالك الأفرنجية الأخرى، ومن هناك رجع إلى باريس ومنها عاد إلى ولايته، وجهاز جيشاً عظيماً، وأنشأ المراسى والسفن الحربية في الموانئ الروسية، وشيد القلاع، وزاد في عمران الولاية، ومنع أهالي روسيا من الاعتقادات الفاسدة وأدخلهم في الدين المسيحي، ووضع القوانين التي تستخدمها الدولة، وشيد المدن والعمائر وأجرى العيون وأصلح الأنهار من أجل عبور السفن

والملاحه، وقد كان كريم الطبع وحاداً فى تنفيذ سياسته، وكانت زوجته كاترين تضع
مراهم اللطف وحسن الطبع على جروحه، وكان يشرب الخمر فى شبابه وتركها فى
النهاية، وكان له ولد باسم "ألكس" الذى كان يقضى أوقاته فى اللهو واللعب والفساد
وغرور الشباب وعلى خلاف أخلاق والده، كالرماد المتبقى من النار، وكان يخالف
دائماً أحكام وأفكار والده، ولم يكن فى هيئة صاحب مُلك وسلطان، فقد كان يتعلل
ويتسوف بإهمال وتمارض فى تنفيذ كل حكم كان يصله من والده، وعلى الرغم من أن
والده كان يهدده ويخوفه بسبب أفعاله غير الملائمة، فلم تكن مفيدة معه، وكان بطرس
قد ذهب للمرة الأخيرة إلى فرنسا فى زى مختلف، وجعله نائباً عنه فى مكانه،
ولما رأى والده بعيداً عنه ترك ولايته، وبقي ما يزيد عن العام فى ولاية إيطاليا، ولم
يكن أحد مطلعاً على مكانه، وعاد والده من السياحة، وأرسل رجلاً فوجده وأحضره
إلى موسكو، وفى حضور أهل الدين المسيحى والقساوسة وكبار ولاية روسيا تبرأ من
ابنه، وأفتى حكام الشرع بفتوى عقلية بقتله، ثم خلطوا له السم القاتل فى طعامه
وطهوا بساط عمره، وأجلس بطرس الكبير زوجته كاترين مكانه، وسلك هو طريق
الآخرة وكانت كاترين امرأة شجاعة وذكية وخبيرة وعاقلة ورخيصة الصوت ومهتمة
بالفقراء والرعية وبالإنصاف وبالمرءة، وكانت تأمر بالعفو عن الرعايا والشخصيات
الضعيفة غير القادرة على أداء ضريبة الديوان، وفى تلك الفترة [ص ١٠٢] استمالت
المشردين عن الوطن - الذين كان بطرس قد بعثهم - وطمأننتهم وأحضرتهم ثانية إلى
الوطن، وأعطت من الخزانة مرتبات الجيش لعدة شهور والتي كانت متبقية لهم،
وفتحت أبواب الرحمة والرأفة على وجه خلائق العصر، وكانت لها صداقة ومعاهدة مع
ملك النمسا ، فكان كل منهما فى كل وقت يمد الآخر بجيش عند الضرورة، واستمالت
طائفة القوزاق الذين كانوا غير راضين عن بطرس وودتهم وعطفت عليهم، وأضافت
من مُلك التتار ومرداق إلى مُلك روسيا، ولم تعمّر طويلاً، وعند الوفاة أجلس على
العرش "ألكس بطرس الثانى" الذى كان حفيد بطرس الأول وبدلت هى العرش
بالتابوت. ووصل ألكس إلى السلطنة فى الثانية عشرة من عمره، وبعد ثلاث سنوات
مات بمرض جلدى. وفى سنة ألف ومائة وخمسين هجرية صعدت إلى عرش السلطنة

"كوين آن" ابنة إيوان الذي كان الابن الثاني لبطرس الأول، وفي ذلك الوقت^(١) قدم محمود الأفغانى إلى إصفهان وألقى بمحاصرة الشاه سلطان حسين الصفوى، الذى أرسل ابنه طهماسب ميرزا إلى الخارج لى يجد وسيلة لأمرهم، وكما وقع من الدولة العثمانية أيضاً تداخل وتناول على مملكتى العراق وأذربيجان، ولما لم يكن لإيران فى ذلك الوقت ملك على العرش ولم يكن لساحة تلك المملكة صاحب فقد نقضت أيضاً جماعة الروس العهد، وبلغوا بأنفسهم أطراف رشت، وفتحوا حملة التدخل والفساد وتوسل طهماسب ميرزا إليهم من أجل حيلة لأمره، وقتل الأفغان الشاه سلطان حسين الصفوى وخرج نادر شاه الأفشارى من خراسان، فأخرج الأفغان والعثمانيين من العراق وأذربيجان وأخلى ساحة إيران من وجود الجيش الأجنبى، وأخضع الهند والتركستان، ومن أجل إتمام الحجة أرسل رسالة ورسولاً إلى حكومة روسيا، ولما كان مدبرو أمر تلك المملكة على اطلاع كامل بمدى سطوته وقسوته، أبطلوا الخطة التى كانوا قد أعدوها وأغلقوا الحملة التى كانوا قد فتحوها فى رشت ودريند، وتوجهوا إلى ديارهم، كما توجهت "كوين آن" أيضاً إلى طريقها [ص ١٠٤] ووضعوا اسم السلطنة على اسم "إيوان" الطفل ابن العامين والذى كان ابن أخت كوين آن وبعد ذلك قُتِلَت بالسلطنة إليزابيث ابنة بطرس الأول، فسممت الطفل المذكور وبعدها أودعت هى أيضاً السلطنة إلى بطرس الثالث، وفى سنة ألف ومائة وسبعة وسبعين هجرية أصبح بطرس الثالث الملك، وقد كان سخييف الرأى سىئ الطبع، ولم يكن أهل مملكته راضين عنه، وعندما مر على حكمه ستة أعوام قُتل على يد أهالى روسيا، وأجلسوا مكانه زوجته التى كانت مسماة بكاترين الثانية وهى ابنة ملك النمسا، وكانت امرأة صاحبة عزم وجزم وعقل وفطنة ورأى وتدبير، وقد حكمت خمسة وعشرين عاماً، وكانت ذات

(١) وكما هو معروف، كان هجوم الأفغان على إصفهان فى سنة ١١٢٥ هـ ق = ١٧٢٢ م وفى ذلك الوقت كان بطرس الأول هو الحاكم فى روسيا ولم تكن "كوين آن" قد وصلت إلى الحكم بعد، وما حدث من اعتداءات روسية على إيران فى تلك الفترة كانت بقيادة بطرس الأول وليس بقيادة كوين آن. وقد عاصرت هى فترة حكم نادرشاه الأفشارى فى إيران وذلك كما يوضح المؤرخ عبدالرزاق الدنبلى فى السطور التالية. (المترجم)

عظمة وشوكة كاملتين، وكانت ميالة إلى أمور الخير، وقد بذلت المساعي في انتظام الدولة الروسية، فأبدلت الدين المسيحي، أى أنها ألغت الأمر الذى كان مخالفاً للشرع والقواعد الملكية الروسية، ووضعت مكانه التقاليد والآداب الطيبة والتي تفيد الشعب وتناسبه، وكما وضعت أساس النزاع مع الدولة العثمانية، وأضافت إلى مملكة روسيا ولاية طائفة كريمة^(١) - الذين كان لهم مكان واسع وكانوا خاضعين لدولة الروم (الدولة العثمانية) - مع جزيرة اليونان والتي يقال لها مدينة، وبعد ذلك رضيت دولة الروم (العثمانية) طوعاً أو كرهاً بالأى يعترض حراس موانئها السفن الروسية وتعتبر دون ممانعة ويأتى يدخلوا من هناك سفن المحاربين والتجار الفرنجة إلى البحر، وقسمت ولاية روسيا إلى عدة أقاليم، وسلمت كل إقليم إلى حاكم، وأسست دار الشفاء فى موسكو، وأخرجت عين المياه العذبة، ونصبت صورة بطرس الأول على قمة جبل.

وفى سنة ألف ومائة وثمان وتسعين، أعلن أركلى خان (هرقل) والى الكرجستان ولاءه وطاعته لها، وأنشأت فى [مدينة] بطرسبورج مدرسة لأطفال النجباء ومدرسة أخرى لدراسة العلوم وتصنيف الكتب والتربية والتعليم، وكانت تعطى مصروفاتها من حسابها، وقد بنت فى كل مدينة المدارس الأولية (الابتدائية)، وكان كل طفل ينبغ فى كل صناعة كان يصبح موضع إنعامها وإحسانها، وأنشأت مدرسة أخرى فى بطرسبورج من أجل [ص ١٠٥] صناعة السفن وعلم حرب البحار، وأنشأت طريق موسكو إلى بطرسبورج على نحو يسير بسهولة، وأنفقت على ذلك الطريق من خزانة أربعة كرورات^(٢) أشرفية^(٣) (مليونى أشرفى)، وأضافت خمسين ألف أشرفى زيادة على نفقات مدارس موسكو.

(١) ولاية كريمة : شبه جزيرة القرم . (المترجم)

(٢) كرور: كلمة هندية تعادل خمسمائة ألف أى نصف مليون عند الإيرانيين، وعشرة ملايين عند الهنود . (انظر: المعجم الفارسى الكبير ، ج ٢ ، ص ٢٢١٥)

(٣) أشرفى: عملة ذهبية كانت فى إيران زمن القاجاريين وزنها (١٨) حبة حمص (انظر: المرجع السابق نفسه ، ج ١ ، ص ١١٤)

وفى سنة ألف ومائتين وعشر هجرية، أرسلت جيشاً من الروس للهجوم على ممالك إيران وكانت تأمل فى التدخل فى الكرجستان، ونقضت العهد والميثاق، ولأنه كان فى بداية دولة الخاقان المغفور له آقا محمد شاه القاجارى قد صار مرتضى قلى خان - الذى كان أخاً لحضرته - متغير الوجه عنه، وخرج من إستراباد وانضم إلى ملكة روسيا، وكان شاباً حسن المنظر ومتناسق الأعضاء، فأعجبت ملكة روسيا بشبابه وجماله واعتبرته غنيمة فى أول وصول مقدمه، فدلتته بأنواع إعزازها وإكرامها، وبمنحه التاج والحزام والدرر الفضية والذهبية وجعلته قرين حظوظه المتعددة، وفى تلك الأقاليم أمرت مرتضى قلى خان بالبقاء وهيأت له دائماً نقص لوازم عيشه، وكانت توكل همته فى الحصول على مقصودها الأسمى إلى الطائف الحيل، وفى السنة التى أخضع فيها الخاقان المغفور له محمد شاه مدينة تفليس، وصل إلى أركلى خان البأس الوافر من الخاقان ساكن الخلد، وصار حكام داغستان وقرا باغ وشيروانات متزلزلين من البأس الشديد للخابان سعيد خاطر، فاغتتمت ملكة روسيا الفرصة، وكلفت قائد حربها - الذى فصلت إحدى قدميه فى معركة بطلقة المدفع فوضع له قدم من الذهب عوضاً عنها وهو المشهور بقزل إياغ - مع أربعين ألفاً من مشاة نيران جهنم المتطايير وعشرين ألف فارس ومدفعية أصوات الرعد المحملة بالنيران عن طريق دربند، وعندما وصل خارج دربند كان يريد أن يدمر أسوار القلعة بضربها بدانات المدفعية، ولأن أساس أسوار القلعة كان محكماً مثل بناء عهد أصدقاء نوى قلب واحد، فقد شيدت من أحجار طويلة وعريضة وصخور ضخمة وصلبة، فلم تُثقب بعدة آلاف من دانات المدفعية المحملة بالنيران [ص ١٠٦]، وبعد عدة أشهر من الحصار حيث قطع أهالى دربند وشيخ على خان حاكمها الرؤوس من جماعة الروس، وزحفوا أجسادهم فى التراب والدم، ولكن المدعو خضر بيك - وهو من غلمان شيخ على خان القدامى وكان يعمل فى خدمة والده - أغمض عينيه عن العيش والملح وحقوق ولى النعمة القديمة، فسعى للخيانة واتحد مع فوج من المتواطئين، وعلى غفلة، وضع مدينة دربند تحت تصرف قزل إياغ - الذى عبر من هناك وصار عازماً صحراء مغان، فعزم الخاقان المغفور له محمد شاه القاجارى على صد جيش روسيا بجيشه اللامتناهى، وعند مقربة من أردبيل صار مضرباً لخيام دليلى الظفر، فأصبح قزل إياغ

غريق بحر الاضطراب والحيرة بسبب سماعه خبر النهضة السلطانية وكانت له نية العودة، فأوصلوا إليه الخبر بأن رهبان روح ملكة روسيا قد قرع على سطح هذا الدير الملىء بالحسرة ناقوس الرحيل، فتصادف هذا الخبر مع ذلك النبأ، وفتح قزل إياغ على عجل راية الرجوع إلى مملكة روسيا وكانت مدة سلطنة كاترين الثانية خمسة وعشرين عاماً، وكان لها ولد اسمه "بال"، وعلى الرغم من أن والدته كانت قد أوصت في وقت وفاتها ألا يجلسوه على العرش بسبب عدم لياقته للسلطنة، ولكن طبقاً لدستور روسيا، فإنه بعد خمس سنوات وفترة من سلطنته، خنقه عدة أشخاص من عظماء الروس في منزله.

وفي سنة ألف ومائتين وستة عشرة هجرية، خلف "ألكسندر باوليتش" أباه "بال" وكان في العام الرابع والعشرين وقت وفاة والده، وبسبب حسن أخلاقه واستعداداته الذاتية، كان جميع الخلق راغبين فيه ومائلين إليه، فأركبوه في عظمة وشوكة تامتين وحملوه إلى بيت الملك وأجلسوه على العرش وقالوا له: مبارك عليك، والآن هو الملك المستقل لممالك روسيا، وقد أجلس مكان وزراء أبيه -الذين لم يكن الشعب راضياً عنهم - وزراء طبيى المحضر ورجال كرماء الأصل.

وحتى ذلك الوقت، كان لكل واحدة من طوائف الروس زى مخصوص، فأبطل تلك القاعدة، وحكم بأن يلبس كل شخص كل الألبسة التى يريدها، فأصبح البعض من الكسبة والأثرياء - الذين كانوا قادرين على الألبسة الفاخرة ولم يكونوا يستطيعون ذلك - سعداء ومسرورين لاستعمالهم [ص ١٠٧] كل أنواع الألبسة، ولهذا السبب صار أغلب الروس مريديه وشاكريه، وأيضاً قرر لعدة قباطنة بأن يسافروا فى سياحة بحرية ومعهم التجهيزات والاستعدادات لمدة ثلاث سنوات، وبأن يحكوا كل مايرونه عن أحوال العالم، وقد استمرت مدة رحلتهم عاماً واحداً، وأيضاً بنى مدرسة فى مدينة "جرجاف"، وعين جميع المدرسين، وكانت نفقاتها ستة عشر ألف أشرفى من حساب الخزانة الملكية، وكان يستعمل ويتداول علم الميثاروالاجى وهو عبارة عن (علم) معرفة اختلافات المناخ فى كل شهر عن طريق منجمى عاصمة بولته، وأنفق مبلغاً كبيراً على

هذا العلم. وقد وقعت له معارك عظيمة مع نابليون وسائر دول وممالك الفرنجة (أوروبا) - والتي يكون تدوين أحوالها باعثاً على التطويل في الكلام وليس مناسباً لسياق هذا المقام، وقد دون أهالي روسيا كتاباً مستقلاً في هذا الموضوع وسائر وقائعه، وأيضاً رقى ألكسندر باوليتش طائفة اليهود -الذين كانوا قاطنين في الممالك الروسية وكانوا أذلة ومخنولين بحكم عادة كل مملكة- ورعاهم وأعطاهم الخطابات، بالأى يدفعوا شيئاً من قيمة المنزل في كل ولاية يكونون فيها، وبأن يقيم أى واحد منهم المنزل في أى مكان ويكون متعلقاً بهم وبأولادهم، وبأن يقيموا الكنائس^(١) والمدارس من أجل أنفسهم، وبأن يسمحوا لأطفالهم بالتعلم، وبأن يكونوا أحراراً مثل الروس وعين على اليهود عمدةً وحاكماً منهم، وبالأى يهينهم الروس ولا يذلّوهم ولا يوبخوهم، وبأن كل من يدخل الجيش من أولادهم يُسلك معهم مسلك الروس، وبأن يأتى إلى كل مكان كل من يريد أن يذهب، وبأن كل واحد من اليهود يدخل في الدين المسيحى يعفى لمدة عشرين سنة ولا يعطى شيئاً للديوان، وبعد عشرين سنة يسلك معهم طبقاً لقانون الروس، وبناءً على هذه التمهيدات والمقدمات، فى سنة ألف ومائتين وثلاث وثلاثين، انتقل ثلاثون ألفاً من اليهود وتحولوا إلى الدين المسيحى وتحول أمرهم إلى الصدر الأعظم الروسى.

والخلاصة أن ألكسندر باوليتش وقع مثل كاترين الثانية فى فكرة كسر العهد القديمة مع دولة [ص ١٠٨] إيران، وفى ذلك الأوان توجه أركلى خان إلى طريق الآخرة، وحدث الخلاف والتفاق بين جورجىن خان [جورجى الثانى عشر] ابنه الأكبر وسائر أولاده، وأسرع ابنه ألكسندر ميرزا إلى الدولة العلية إيران، فوجد الإنعام والإحسان، وبصدد إكرامه أعلى ألكسندر باوليتش ملك روسيا جورجىن خان وأرسل أحد وزرائه - الذى كان باسم سيبانلو [سيسسانوف] ومشهوراً فى إيران

(١) وردت كلمة الكنائس فى النص الفارسى وهذا خطأ لأن مكان العبادة عند اليهود يسمى « المعبد » وليس الكنيسة وهى مكان العبادة عند المسيحيين وليس اليهود . (المترجم)

بايشبخدر^(١) وهو قائد صاحب عزم وغيور ومغرور ومعروف بالشدة والطيش ومشهور بالجلادة والشجاعة مع جمع من العساكر وفرسان القوزاق وعدة عربات من المدفعية إلى تفليس، وأغمض جورجيين خان أيضاً عينه عن مراقبة عواقب الأمور بسبب حماقته، ووضع على عنقه طوق الخضوع لتلك الجماعة، وسلم مدينة تفليس المشبهة بالجنة إلى سيطرة مسئولى الدولة الروسية، وهو فى الواقع أشعل النار بيده وأحرق أسرته وجمعاً من الناس، وبالمصاحب لهذا الحال اختطف ذئب الأجل جورجيين خان [فى عام ١٢١٥ هـ.ق.]، وبعد اكتساب هذا النوع من سوء السمعة لم يقبل حسابه من فمه ورحل من دار الاحتساب هذه وبقيت منه الأسطورة والسيرة. وبعد وفاة جورجيين خان، أرسل إيشبخدر قائد روسيا "ده ده فال" زوجة ذلك القبيح السريرة مع عدد من أولاده وأهله إلى مكان عرش ملك روسيا وهم فى حالة اختلال كامل ومثل الأسرى، وفى وقت إرسالها، كان قد ذهب إليها الجنرال "لاجار" قائلاً لها: الآن يجب أن تسيرى ودون إهمال وإهمال، وبناءً على تعلل "ده ده فال" كان الجنرال قد تقدم مصممًا أن يقبض يدها ويسيرها عنقاً، فتصادف أن كان لده ده فال تحت اللباد خنجر - الذى يقال له قمة^(٢)، وفى ذلك الحال سحبت القمة وضربت الجنرال لاجار وقتلته، وفر طهمورث ميرزا ابنها من الكرجستان، وتوجه بوجه الحاجة إلى بلاط ملك الملوك المظلوم فى الإحسان، وسقطت من جنورها أسيرة أولاد والى تفليس ذات السنين العديدة، ورحلوا الجميع ونقلوهم إلى "بطرس بوردج" ولم يبق من سلسلتهم أثر. ومع أن أركلى خان وجورجيين خان كانا من جملة حكام [ص ١٠٨] تلك الناحية الذين أساءوا لشرفهم بالخضوع للجيش الأجنبى فى موطن قدم الدولة المسيحية وكان لهم قدم السابقون السابقون أولئك المقربون^(٣)، فكان الجزاء لأسبقية خدمتهم أنه لم يبق لهم أثر منهم ومن أولادهم فى الكرجستان.

(١) إيشبخدر : يقال إنها تحريف لكلمة Inspector وهى كلمة إنجليزية بمعنى المفتش والمراقب . (انظر تاريخ إيران بعد الإسلام : عباس إقبال ، ترجمة : د . محمد علاء الدين منصور ، ص ٧٦٥) .

(٢) قمة : حربة صغيرة ذات حدين .

(٣) مأخوذ من قوله تعالى ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿ سورة الواقعة آيتى ١٠ و ١١ .

٣٩ - سقوط قلعة كنجه فى يد الروس بسبب معارضة أرامنة كنجه :

ولما فتحت الفرقة الروسية حمل الإقامة فى الكرجستان، اجتذبت سعتها واعتدال مياهها وهوائها المؤثر فى القلب قلوب تلك الطائفة، وبسبب هوسهم فى اختراق الولايات القريبة والمجاورة، حركوا الجيوش عدة مرات إلى معاقل جار وتله المنفعة، وفى تلك المناطق أسالوا دماء الأبرياء على تراب المذلة والهوان.

ومن ثم، وفى شهر رمضان المبارك سنة ألف ومائتين وتسع عشره هجرية ارتفعت الراية إلى ناحية كنجه، وعرض جواد خان القاجارى حاكم ذلك المكان هذه المقدمة على بلاط الخديو جمشيد الاقتدار: "لو أن فوجاً من الجيش يقدم من العتبة الملكية فى صورة هجوم وإغارة فصدر الأمر وتوجهوا، ولكن بسبب بُعد الطريق، وحتى ذلك الحين، وصل بنفسه إلى القلعة سعيد بك غلام كحامل البريد، ولم يرد آخر غيره^(١)، وقدم إيشبخدر مع جيشه وحاصر القلعة، فجعلوا حاكم كنجه وأهلها متعيين فى مصيدة العذاب، وقدم جواد خان ولأول وهلة وبسبب شجاعته بنفسه إلى خارج القلعة مرة أو لمرتين كفراشة على لهب وشرر مدافعهم القاذفة للنيران، وجاهد بجهد الشجاعة، وفى النهاية وبسبب مخالفة نصيب بك شمس الدينلو وأرامنة كنجه الذين استعدوا لخيانته وانفصلوا عنه فى ساحة القتال وميدان المعركة وانضموا إلى جماعة الروس، وفى غرة شوال هجموا من كل ناحية وبارشاد الأرمن لهم، وخرج حراس القلعة لمنع وصول تلك الجماعة وأطلقوا يد الضرب والطعن، فصعدوا على البرج الذى كان الحراس غافلين عن حراسته، وملئوا فضاء القلعة بالدخان من شرر بنادقهم المحملة بالنيران، ثم انصبوا بالتعاقب على القلعة، وقاموا بالقتل والإغارة مدة ثلاث ساعات وخطوا الدم بالتراب، وأذاقوا جواد خان مع أحد أبنائه وجمع غفير شربة الشهادة، [ص ١١٠] وبسبب طوفان سيف الدم أوصلوا موج الدم إلى أوج الأفلاك،

(١) من الملاحظ هنا تقاعس جيش إيران إزاء هذا الزحف والتقدم الروسى . (المترجم)

وبعد إخضاع القلعة والقتل الشنيع، ساقوا إلى الخارج الأحياء الباقين من السيف شريفهم ووضيعهم، وأخلوا تلك القلعة - التي انحصرت على المسلمين - من وجود الأهالي، واستولوا هم على مراصد ومعابر ذلك المكان.

وبعد وقوع هذه المقدمة المزيّدة للحيرة، ازدادت لإيشبخدر شدة الفتنة والغرور والنخوة، فأرسل الرسل إلى حكام قراباغ وإيروان ودعاهم إلى الطاعة، وطالبهم بتسليم القلاع ورغب في تقويض الأماكن المستحكمة لتلك البقاع والرباع وعلى الرغم من أن حكام قراباغ وإيروان كانوا في الظاهر راكضين في طريق العبودية وطاعة الحضرة العلية، فإنهم كانوا في الباطن يبحثون بالطبع عن هذا النوع من الوسائل عن طريق الإهمال والتهاون في تنفيذ الخدمات السلطانية والتعلل والتكاسل في تقديم الواجبات والضرائب الديوانية^(١) وفي خلال هذه الأحوال، كان ملك الملوك الفريد مشغولاً بإخضاع خراسان، حيث عرضوا كيفية هذه الأخبار على الواقفين بسلم السرير المشبه بالعرش، وكان وصول هذه الأخبار مقترناً مع بشرى إخضاع مشهد المقدسة الرضوية واختلط هذا الشهد وذاك السم معاً على النحو الذي وجد تنوينه.

وفي ذلك الأوان، أسرع النواب نائب السلطنة مع الجيش اللامحصور إلى أذربيجان وأحاط بأطراف قلعة إيروان، وتفصيل تلك القصة سوف نشرحها عن قريب بمعاونة أقلام التدوين، ونوضح كيفية ذلك عياناً على وجه الإجمال، وذلك بعون الله الملك المنان.

(١) يقول عباس إقبال في هذا الشأن: ولما رأى محمد خان [الإيرواني] تقادى سيسانوف الحرب مع عباس ميرزا لم يمكنه من إيروان وطلب العفو من ولي عهد إيران فعفا عنه عباس ميرزا . (انظر : تاريخ إيران بعد الإسلام ، عباس إقبال : ترجمة : محمد علاء الدين منصور ، ص ٧٦٥)

٤٠ - تكليف مهد قلى خان بترحيل طوائف إيروان ، ووصول تلك الجماعة إلى خدمة الأمير فريدون العظمة :

تحرك النواب نائب السلطنة ولى العهد فى الرابع عشر من شهر صفر مع الجيش من دار السلطنة تبريز إلى ناحية إيروان، وعلى بعد نصف فرسخ من إيروان، ضربت السرايدات الجيلة. وعلى الفور، أنشأوا خندقاً على ساحل نهر زنكى، وفى يوم الوصول إلى قلعة الملوك ملأت أبواب الحرب فضاء الفلك الفيروزي ذات اللون الأزرق بالأصوات من صدى المدافع والبنادق، ولما كان على الدوام ضمير مكنون النواب نائب السلطنة فى عمران البلاد وإراحة العباد [ص ١١١] فاقتضى رأيه الرزين وفكره القويم أن يحرك رعايا وأحشام إيروان وأن يستميلهم ويطمئنتهم بالمراحم الكسروية اللامحدودة، وأن يسكنهم فى أماكنهم الأصلية ويطمئنتهم ويؤمنهم من تعرض جيش ملجأ الظفر لهم.

وبناءً على هذا، صدرت الأوامر والأحكام من بلاط الأمير إلى حكام الثغور وباشوات الولايات العثمانية القريبة والبعيدة المبنية على رعاية صلاح الدولتين العليتين واستمراراً لمراسم الاتحاد والعدل واستحكاماً لقواعد الوفاق والاتحاد، وطلب طائفة وأحشام ولاية إيروان منهم، وكلف مهد قلى خان الدلويى القاجارى مع ستة آلاف فارس جرار على ناحية قارص وذلك بأن يراعى أولاً اللين والرفق بالنسبة للمعارف والأحشام وبأن يجعلهم راغبين إلى الطاف وإشفاقات سلطان الأفاق، وبأن يوصلهم إلى مكان إقامتهم، وحينما لا يأتى الرفق والملاطفة بالنفع وتمانعوا فى الرحيل، فتعامل معهم بحد السف اللامع، وقبض وأسروا أناثهم وذكورهم وسلم أموالهم إلى ربح صرصر الغارة والنهب العاتية.

وبعد وصول خان إلى تلك المنطقة، تقدم باشوات تلك الأقاليم بقدم الصديق والإخلاص، وأظهروا الخدمات اللائقة، ورحلوا طائفتى كنجرلو وقاجار وسلموا أموالهم وبوابهم وأغنامهم إلى تصرف مهدى قلى خان، وساقهم هو وكان متجهاً إلى إيروان حيث تفاجأ إيشبخدر ومعه عشرون ألفاً من المشاة المسلحين بالنيران وخمسة

أو ستة آلاف فارس وثلاثون عربة مدفع ذات الشرر الجهنمي بمهدى قلى خان وجنوده
فى منازل بنبك بإيروان.

شعر [بيت ترجمته]

جيش فى هيبة مثل أمواج البحر وجمع فى كثرة مثل أعداد النجوم

ولما كان الجيش شارب الدماء على هيئة أفواج مكلفاً بسوق الدواب والأغنام
والماشية ، فقد صار مهدى قلى خان مع سبعمائة فارس – الذين كانوا حاضرين معه
سداً ليأجوج البلاء، وأراد الروس الحرب، فصاروا جسراً هائلاً فى مقابل سيولهم
حتى يصل باقى جيش الطوائف والقبائل إلى مقام المعسكر والقرى القريبة
والمجاورة، ورجع هو بنفسه أيضاً وانضم إلى المعسكر.

٤١ – مجيء إيشبخدر لإمداد محمد خان الإيرواني ومحاربته [ص ١١٢]
مع الجيش الخاقانى :

توقف إيشبخدر عدة أيام فى منازل بنبك بإيروان، وفى أواخر شهر ربيع الأول
[١٢١٩ هـ.ق] يوم الأحد وفى أثناء العصر، توجه من هناك وبازدحام كامل وكثرة
لا كلام فيها ويرأس مليئة بالفساد والشرور حاملاً ، متاع النخوة والغرور، وكان قد
اقترب جمع من جيش روسيا – فى أثناء الوصول إلى تلك الحدود – من قلعة كليسيا
وكانوا قد تصوروا أنها خالية، وفى تلك الحالة، أمسك قليل من حراس ملجأ الظفر
الذين كانوا هناك – ببنادقهم ووقفوا صامتين، وبالقرب من أسوار القلعة، فتحوا على
صدورهم طلقات البنادق، فأصابوا عدة أشخاص وقتلوا عدة أشخاص، وأوصل
حراس جيش أثر الظفر هذا الخبر إلى نائب السلطنة، وفى تلك الأثناء كانت
الشمس قد اقتربت إلى الغروب، فقرر النائب ولى العهد لعلى قلى خان شاهسون

الذى كان رجلاً شجاعاً وخبيراً ومن فدائية بلاط ملجأ العالم- بأن يكون مع جمع من الأبطال الرجال فى كمين العداوة بالقرب من أوتش كليسيا، وبأن يكون مراقباً لأحوال الروس، ولا يتركون تلك الجماعة مستريحين حتى الصباح بسبب إثارة غلظة الجرح والتمرغ فى الولولة والعويل والصراخ، وفى صباح الاثنين رغب مشاة وفرسان معسكر العالم فى البحث عن المكان، وزينوا صدورهم وأكتافهم بأنواع السلاح، ولأنه فى مثل ذلك اليوم، قد صار خندقان خاليين من الجيش، فكان يظن أن ساكنى قلعة إيروان انتهزوا الفرصة وأوصلوا العين الجارحة فجأة إلى الأمتعة والأثاث والأحمال والأثقال ، فقرر النواب ولى العهد مراعاة للحزم والاحتياط لأصف الحضرة ميرزا محمد شفيع الوزير القديم وأحمد خان مقدم حاكم تبريز ومراغة مع جمع من الفرسان والمشاة لحراسة الخندق، وأخذ جيش الإسلام فى التحرك من مقامه فوجاً فوجاً، فصاروا مجتمعين تحت ظل لواء النواب نائب السلطنة الطاحن للفلك، وصاروا مسرعين من اليمين واليسار إلى ساحة الحرب والقتال، وبسبب صخب كارثة الحرب وصراخ الحناجر سقطت الولولة على الفلك الأعلى والزلزلة فى أجزاء الأرض، وقام إيشبخدر قائد روسيا بتعبئة الصفوف وتسوية الألوف بالقرب من أوتش كليسيا^(١) بسبب مراقبته لنهضة وتحرك الأمير، [ص ١١٣] فقسم مدافعه ثعابين المهابة ومشاته نمور الصولة على شكل ثلاث قلاع حيث كانت كل قلعة منفصلة عن الأخرى بـ مائتى قدم، وجلس هو كالشعلة وسط مدافع نيران جهنم، ولما وصل الجيشان فى مقابل بعضهما، رفع الروس أيديهم فى أول ميدان المعركة على عربات المدافع المفسدة للعالم، وشرعوا فى القذف بالقنابل الفالقة لجبال الألبرز، وبسبب رعد وبرق البنادق وصل اللهب والشرر إلى سقف السماء، وأخذ جيش الإسلام فى التحرك من صفوفه بأمر نائب السلطنة والخلافة بسبب مشاهدته لهذا الحال، وانفصل من بين الصفوف

(١) يذكر عباس إقبال هذا المكان باسم "إتشميازين" ولذلك يطلق عليها حرب إتشميازين فى ١٢١٩ هـ (انظر تاريخ إيران بعد الإسلام : ترجمة : محمد علاء الدين منصور ، ص ٧٦٥)

فرسان طوائف شاهسون وخواجه وند وعبد الملكى، وحرصوا على قلعة من تلك القلاع الثلاثة الجواد العظيم الهيكل الذى له المقدرة على السير فى التراب والمشى فى الماء، فأسقط جيش روسيا على رؤوسهم وعلى خنادقهم قنابل المدافع ورصاص البنادق مثل البرد، وجرى فرسان معركة النزال وسط ألسنة اللهب الحادة، ويحد سيف الدم صعدوا قطرات الدم من رؤوس الأعداء إلى أوج الفلك العالى، فصار مشاة روسيا مضطربين كالنمر الغاضب، وكان فضاء المعركة مضيئاً ومظلماً بسبب برق ودخان مدافعهم وبنادقهم، فتحركت أقدام ثباتهم واستقرارهم من المكان وفروا من تلك القلعة إلى قلعة أخرى، ورفع جيش الإسلام الذى شعاره الظفر يده بالإغارة والنهب على خيمة وعتاد تلك الجماعة، وأسروا وقبضوا على جمع منهم، ووقع إيشبخدر على جانبه بسبب فزعه من صعوبة القتال وغلبة الأبطال الرجال وكان يشير بيده كل لحظة، فكان يرغب المشاة فى الحرب والسعى.

ولما صار كسرى منتصف النهار متميلاً إلى خلوة الغروب، وشاهد حجاب الظلام فى الأمام ، ولولا حائل الإبصار، فانسحب جيش الإسلام من الحرب بأمر النائب الأمير ورجعوا من ميدان الصراع والجدال، واستراحوا فى مخابئهم، وقُتل وجُرح جمع كثير من بين الطرفين، كما تم القبض على جمع من الروس وفرسان القوزاق وأسروهم، وانشغل الطرفان لمدة ثلاثة أيام متوالية بالحرب والقتال، ولما لم يظهر وجه شاهد الفتح [ص ١١٤] فقد سكن كل واحد من الجيشين إلى معسكره من أجل الاستعداد والتجهز. وبسبب غرور إيشبخدر - الذى كان يعلمه رئيس ديوان شجعان العصر - فكان قد كتب فى بداية هذه الرحلة ومعه جمع من شجعان الكرجستان إلى ملك روسيا وتعهده بأن يخضع ولاية إيروان بنفس ذلك الجيش، وبسبب مشاهدته لهذا النوع من القتال فقد لقي الهزيمة وانسحب من معركة الحرب، وعض على أسنان اليأس وتعبت يداه ، وتخذق أبطال جيش الإسلام على هيئة أفواج فى خنادق العداوة وتربصوا لهم فى كمائن العناد، وفتحوا فى وجوههم أبواب التجسس.

٤٢ - إطاعة محمد خان القاجارى أمير أمراء إيروان باستمالة آصف الخررة ميرزا محمد شفيع :

ولما كان محمد خان القاجارى الحاكم العسكرى لإيروان، وبسبب كثرة همه وخوفه، فقد أشعل مثل تلك النار بمعاونة قداحة الشرر والوقاحة، ولما نظر جيداً ووجد نفسه حطب ذلك الشرر لهب جهنم، فقد أخذ يعرض أصابع الندامة بأسنان الحيرة، وفاق من سكرة الغفلة واستيقظ من النوم المجهول، وصار سالكاً منهج الصدق والوفاء، وطاويماً طريق العبودية^(١) وطلب من مقيمى البلاط قدوم الوزير الذى لا شبيه له إلى القلعة كي تنطفئ نار الضيق والوحدة والعبث بزال مواعظ وتسليه قلب آصف العصر، وستر قبائح أعماله وإخفاء أفعاله بذيل العفو والإغماض، وبعد العفو عن جرائمه يسرع فى طمأنينة كاملة إلى خدمة [كوكب] زحل الرفعة، ويدرك فيض الحضور.

وطبقاً لآمنياته، لحق به فى القلعة آصف الخررة ميرزا محمد شفيع الوزير، فأمله بمراحم ملك الملوك الموفق اللامحصورة، وبإشفاق وعطف النائب ولى العهد اللذين لا نهاية لهما، ورجع إلى المعسكر وبعد قدوم آصف الخررة إلى المعسكر أرسل محمد خان ابنه بهدية إلى خدمة نائب السلطنة، وصار متعهداً بالخدمات والفدائية.

٤٣ - بيان مجيء جيش روسيا إلى رأس قلعة إيروان، وكيفية حروبه مع أهالى القلعة :

رحل النائب ولى العهد من مكان الخندق ، ونزل بمنزل « قرخ بلاغ » [ص ١١٥] واختار الإقامة فى ذلك المكان لعدة أيام من أجل الاستجمام وإراحة الدواب، ولم ير

(١) يقول عباس إقبال فى هذا الشأن : ولما رأى محمد خان [الإيروانى] تقادى سيسانوف الحرب مع عباس ميرزا لم يمكنه من إيروان وطلب العفو من ولى عهد إيران فعفا عنه عباس ميرزا . (انظر : تاريخ إيران بعد الإسلام ، عباس إقبال : ترجمة : محمد علاء الدين منصور : ص ٧٦٥) .

إيشبخدر فى أمره هدفًا بسبب سماعه لانقياد محمد خان إلى أولياء الدولة المسعودة، واطلاعه على كيفية إطاعته لخدام عتبة الفلك المؤسس، فصار متحيراً ومضطرباً، ولجأ إلى الحيلة والتزوير والخداع.

وفى الصباح وعلى غفلة، طلع عن طريق دره ، الذى كان فاصلاً بينه وبين معسكر نائب السلطنة، وبسبب مشاهدته هذا الحال ، ركب الأمير على ظهر جمل قوى وطوى الصحراء، ومن المصادفات فى ذلك اليوم ، أن أمراء الجيش كانوا قد جلسوا للراحة فى خيام الاستراحة غافلين عن التفكير فى الأمر ، وكانوا قد جعلوا أهالى المعسكر بالقرب من المراعى، وفى استعجال تام جمعوا من المشاة والفرسان من كان سهل الوصول إليهم، واصطفوا على من بعد فى مقابل دره، وبجوار المعسكر بدعوا الحرب، وشرعوا فى القذف بالمدافع والبنادق وفى النهاية، أعمل جيش روسيا يد الحيلة ، فوقع جيش الإسلام فى فكر مؤنه وعتاده وأحماله، وعلاوة على ذلك، وجد الفرصة فى ذلك الوقت جمع مختلف من طوائف القوزاق وشمس الدينلو الذين كانوا قد تفرقوا فى منطقة تقليس وكانوا قد التجئوا إلى بلاط النواب نائب السلطنة - ورفعوا أيديهم على المعسكر ، فتزلزل أفراد الجيش وأحاد الجنود، ورجعوا إلى المعسكر، وفكروا فى حمل المؤن والأحمال والعتاد، وتوجهوا إلى الطرف الشرقى لإيروان ، وأصاب النائب ولى العهد عدة أشخاص بالرمح ، ولما اضطرب جمع من متخوفى الجيش، فلم يقع الزجر والعنف بالإفادة والنفع، وتوجه جيش روسيا خلفهم ناحية إيروان، وانصبوا على مسجد ذلك المكان الرفيع البنيان - الذى كان خالياً من الأهالى - وأعدوا الخنادق من كل جانب، وأثاروا جلجلة وغوغاء يوم البعث فى العالم بسبب أصوات المدافع والبنادق، فطلع أهالى القلعة على قمة البرج والحصن، ولم يستعدوا للحرب، وأغلقوا المدافع الثعبانية المهابة وسط تلك الجماعة، ونزل النواب نائب السلطنة فى منزل صدرك وقام باستجماع أهل المعسكر ، وعرض كيفية الأخبار على البلاط السلطاني [ص ١١٦]، وحرّم على نفسه الراحة والهدوء بسبب التفكير فى الاستعداد والتدبير فى أمر المعركة وإمداد ومعاونة أهل القلعة.

٤٤ - توجه الراية الملكية معجزة النصر إلى إيروان، ومعارك جيش الإسلام مع جيش روسيا :

عُرِضَتْ كيفية هذه الأخبار على عاكفى البلاط، الذى هو فى مقدار الفلك، فى مرج سلطانية، فأخذ [السلطان] فى تحريك أعلام النصر مع ذلك الجيش نفسه الذى كان حاضراً فى ركاب صاحب النصر بهدف محاربة الروس، وأرسل مقرب الحضرة إسماعيل بك الدامغانى فى المقدمة مع جمع من الأبطال الخراسانيين، وعبر نهر آرس فى مسافة عدة أيام، وعلى مسافة ثلاثة فراسخ من إيروان، أصبح معسكر ولى العهد مثل ساحة الفلك المنير بسبب قدومه الميمون، وبعد التوقف لمدة يومين فى ذلك المكان، اختار النائب ولى العهد جمعاً من أبطال الجيش والشجعان المحاربين لخدمة الخاقان الجمشيدى الشأن المتطوع لحرب الروس وصاحب المجد الفريدونى، ورتب فرقة من الجيش فى زينة وجمال، وسارت هذه الفرقة مع ولى العهد فى المقدمة، وخلف حضرته ارتفعت إلى أوج السماء راية الفتح معجزة السلطان الموفق. وطردها جيش روسيا من خنادقهم دفعة واحدة، فتحصنت تلك الجماعة فى المسجد ذى البنيان الرفيع وجعلوه قلعته، وفتحوا أيديهم بإطلاق البنادق. والخلاصة أن مشاة وفرسان الجيش السلطاني كافحوا حتى نهاية ذلك اليوم ذى العاقبة المحرقة، وكانت الحرب مستمرة بينهما حتى المساء، فُقتل وجُرح خلق كثير من الطرفين، وأسر جمع أيضاً بأنشطة صيد الثعابين المجاهدين المظفرين، وعندما أظلم الليل انسحب من القتال جيش الخاقان الفريد ذى الطالع الميمون، وعاد إلى معسكر الهمايون.

٤٥ - بيان بتحريك فوج من الجيش إلى قلعة إيروان :

ولأن حراس برج وحصن قلعة إيروان كان أكثرهم من أرامنة تلك الأقاليم، ولم يكن لهم ثقة فى صاحب القلعة بسبب الإخوة فى الدين، وكان محمد خان أيضاً قد عرض الموضوع نفسه من القلعة على موطى العرش الأعلى، فقد كلف الخاقان الهازم للعدو فوجاً من المشاة [ص ١١٧] الكرمانيين المتجهزين للحرب بحراسة البرج

والحصن، وكان جيش روسيا فى خنادقه مترقباً وحيث دخل الجيش المنتصر ذلك الحصن الحصين من إحدى جهات القلعة وفى منتصف النهار، فلقى الإنعام والإحسان والإعجاب من الحضرة العلية السلطانية، وأوصل أهالى القلعة صخب سرورهم وصيحات انبساطهم وفرحهم إلى الفلك الأعلى.

٤٦ - إغارة جيش روسيا ليلاً على معسكر فلك العظيمة :

وفى منتصف ذات ليلة - التى كان عِقد القمر فيها قد تفسخ بسبب اعتداء الظلام الأسود على وجه الفلك المشبه بلون الماء - تحرك جيش روسيا من معسكره ومعه عدة عربات من المدفعية بغرض الإغارة الليلية، وفى تلك الليلة المظلمة، كان الخاقان الذى هو فى مقام الفلك قد أمر بتعيين حسن خان قائد الغلمان مع جمع كحراس بالقرب من خنادق روسيا، وكان حسن خان - الذى كان مشهوراً بالكياسة والخبرة - مطلعاً فى تلك الليلة على حركتهم، ولأن الروس لم يكونوا يعلمون مكان نزول معسكر ملجأ الظفر، فقد أخطئوا فى بداية الإقدام على الاقتحام، وكانوا يبحثون تارة فى جهة اليمين وتارة فى جهة اليسار، وكان حسن خان مع جمع من الغلمان والفرسان المثيرين للثورة خلف جماعة الروس ومراقبين لهم وطالبيين لعزمهم، ولما رفع الصبح الصادق البيرق النوراني على سطح الفلك الدخاني، تحرك جيش روسيا إلى ناحية المعسكر، فأنفذ حسن خان على الفور فارساً من ذلك المكان، وأطلع الخاقان ذا الشأن الأفروآسيابى^(١) على كيفية قصدهم وإرادتهم، فكلف كسرى ملجأ الإسلام الجنود المسعودين بالركوب، وفى تلك الحالة ظهر جيش روسيا على التل الذى كان على جانب معسكر الهمايون واستراحوا لمدة ساعة على سطح التل نفسه ، وبعد ذلك حملوا أيديهم على إطلاق قذائف المدفعية وضغطوا بقدم ثباتهم واستقرارهم فى

(١) أفروآسيابى : نسبة إلى أفروآسياب ملك توران. (انظر المعجم الفارسى الكبير: إبراهيم الدسوقي شتا ، ج ١ ، ص ١٣٣)

ميدان المعركة، فأتى ظهور هذا الفعل ثقیل الظل على الطبع السلطانی الغیور، وعلى هذا النحو هاجم جيش ربيب الظفر العدو، فوجه إليه الضربات الشجاعة، فقتل وجرح الكثير في جيش روسيا عن طريق الحملات الشجاعة لجيش ملجأ النصر، وعندئذ ولى جيش روسيا مدبراً يائساً ومحبطاً من ميدان القتال [ص ١١٨] وفر إلى خنادقه، فتعقبهم أيضاً جيش الإسلام، وفتح ساعد الجلادة في تحطيم العدو، ثم أعطى الخديو صاحب خاتم جمشيد الأمر لجيش جلادة العدة من المشاة والفرسان باستئصال تلك الجماعة، فأحاط جيش أثر القيامة بأطراف وجوانب خنادقهم، ومنع جميع المؤن عن تلك الطائفة، وقتلوا كل من وجدوه في الذهاب والإياب بالسيف الظالم، وطبقاً لفرمان القضاء ابتعدوا لأيام ولياليها عن الراحة والطمأنينة وابتعد جاسوس النوم عن حريم العين، وجلسوا متيقظين ومنتبهين على المراسد والمعابر مستعدين للحرب والقتال، وأغلقوا طرق المرور والعبور على تلك الجماعة، وفي خلال تلك الأحوال كان جمع كثير من الكرجستان وأصحاب المعاملات والتجار من بلدة تقليس مع فوج من روسيا ومعهم أموالهم وبضائعهم الثمينة ومتوجهين إلى ديارهم، وبالقرب من الخندق التقوا فجأة ووضعوا أساس الحرب والمعركة مع حراس الجيش المحارب الذين كانوا تحت قيادة على خان القاجارى وعلى قلى خان شاهسون، فنفذت شظايا البنادق من كلا الطرفين في فقرات ظهر الأبطال، ووصل إلى أذن المجاهدين رسالة خطية مجاهرة برسالة الأجل، ولما سقط عدة أشخاص من الطرفين على تراب الهلاك، هجم على خان وعلى قلى خان من اليمين ومن اليسار مع الأبطال الذين شعارهم الظفر، وأسروهم جميعاً وأغاروا على أموالهم وبوابهم ونقودهم وبضائعهم، وقيبوا الأسرى من أيديهم وأعناقهم في المصيدة وأرسلوهم إلى البلاط، فكانت ساحة المعسكر تسمع حسد الروضة بسبب ضوء الوجوه الملائكية للكرجيين والروس، وقد اختار كسرى الموفق من بينهم جمعاً من نوات الشعر الأسود واختصهم ضمن غلمان الخواص.

ولما كان قد رحل جمع من تلك الطائفة بمتاعهم إلى مواقع بنبك أيروان بالمحاكمة الشديدة، فقد كانوا ينقلون المؤن من الكرجستان إلى ذلك المكان ومنه إلى معسكرهم، فقد أمر الحضرة العلية بتعيين بيرقلى خان مع فوج من الأبطال

الصائدين للعدو على رأسهم، فهبط بيرقلى خان مع الجنود المسعوديين عليهم كالبلاء الفجائى، وأخبر روس ذلك المكان [ص ١١٩] إيشبخدر عن كيفية الأحداث وطلبوا منه العون والمدد، وبسبب استماعه هذا الخبر بدأ فى الظهور كالبخور على الفحم وأحضر قادة الجيش واختار من بينهم مشاة النيران الشجعان المشهورين بالسالدات^(١) الأصلاب وهم المشهورين بينهم بالجلادة، وسير فى صحبتهم عدة عربات من المدفعية لإحضار المؤن وإمداد سكان بنبك. وكلف الحضرة العلية الخاقانية أيضاً من على الجانب الآخر على قلى خان شاهسون، فأرسل على قلى خان على الفور إلى بيرقلى خان عن طريق أحد الفرسان وأخبره بتحريك الروس، وقرر بأن يرفع بيرقلى خان أيضاً راية الحرب والمعركة من تلك الناحية.

والخلاصة، أن على قلى خان وبيرقلى خان أسرعاً من الأمام ومن الخلف وأدركا الروس وسط بنبك وإيروان وأحاطوا الجميع كالصيد، وارتفعت من الناحيتين الشعلة الثائرة، وبأقل مجهود فسخوا حبل جمعهم عن بعضه، ونجا عدة أشخاص من تلك الطائفة الحمقاء، وتم أسر بعضهم، ورجع جيش الإسلام مظفراً ومنصوراً إلى معسكر مسعى العالم، وأقاموا التلال على بعضها من رءوس جيش روسيا وعظمائها أمام خيمة الهمايون، وبعد ذلك كان قد صار ما يقرب من أربعة عشر ألف شخص من جيش الروس فى يد الأسود الصائدة للعدو مابين قتيل وأسير وهالك.

وفى أوائل شهر ربيع الثانى، رحل [إيشبخدر] من شاطئ قلعة إيروان وتوجه إلى تفليس، فتنبعه حراس جيش ملجأ الظفر واستولوا على ألوية وغنائم كثيرة منه.

وفى الواقع، إن التعب الذى تحمله النائب الحضرة العلية السلطانية والأفكار الصائبة والتدابير الحسنة التى نفذها لم تكن فى مقدور أى من السلاطين السابقين، فقد رأى وعلم عقلاء العصر، وأثثوا على التدابير الملكية وأعجببتهم، ومن المعلوم

(١) سالدات : بمعنى جندى وهى مأخوذة من الفرنسية أو الألمانية وتنطق سولدات Soldat

(انظر : (A Comprehensive Persian - English, Dictionary by F. Steingass, P.

والمعروف أن جيشاً بلا نظام (أى جيش نون تحديث) لا يُيسر فتحاً ينشرح منه القلب ولا يُيسر أمراً يريح خاطر، ففي ذلك الوقت ولفترات كان جيش إيران وأهل الإسلام بلا نظام، وفي هذه المرة [ص ١٢٠] اختار إيشبخدر جميع الجنود والأبطال الشجعان بالإضافة إلى النظام وغيره فى جيش روسيا وكان هو نفسه أيضاً بلا مثيل ولا نظير فى الحزم والقدرة ولم يكن فى أرض الفرنجة (أوروبا) أيضاً شخص أقدر وأنجب منه، وبالرغم من وجود هذه الأوضاع، فإن جيش إيران غير المنظم اصطف للقتال مايقرب من شهرين فى مواجهتهم، ولم يكن قد فك الخاقان ذو الاقبال العالى الحزام لمدة أربعين يوماً ولم يكن قد وضع جنبه على أرض الراحة، ولم يكن قد سلك خاطره سوى بحر وقلع تلك الجماعة وقمعها واستئصالها، ولم يكن يهتم بأى شئ وبأى أمر وكان قد حرم على نفسه الراحة والاستقرار بالليل والنهار بسبب همته الكسروية، ولا شك أن الحضرة الأحدية^(١) سوف يصل فى مقابل مثل هذا الصبر إلى فتح مبين ، الذى هو طراز الفتوحات وأساس افتخار أذكىاء العالم وذلك من وراء حجاب الغيب إلى منصة الظهور، مثلما كان نصيب عصر الإسلام والمسلمين. والخلاصة أن محمد خان القاجارى حاكم إيروان وكفى على خان كنجرلو وسائر أهالى قلعة إيروان - الذين كانوا أسرى فى مضيق محاصرة الروس - قد وجدوا خلاصهم ونجوا من مضيق المخاطرة وقذائف المدفعية وهاونات الروس عن طريق تنفيذ الإرادات والعزائم الملكية وإجراء الانتصارات والغلبة الملكية، وولوا وجههم إلى بلاط الخاقان المرتفع الرأس، ومرغوا جباههم بتراب عتبة العدل، وصارت خدماتهم وفدائياتهم منظورة بنظر كسرى الموفق، فتشرفوا باختصاصهم بشمول العواطف وفيوض العوارف الملكية، وكان ابن محمد خان من ملتزمى الركاب المستطاب، فسمح له بالانصراف من بلاط صاحب العالم، وفوض حكومة إيروان وكما كانت إلى محمد خان، وأمر أن تكون ولاية نخجوان بالإضافة إلى طائفة كنجرلو تحت عناية كلب على خان ورعايته، وسمح لكليهما بالانصراف مكرمين.

(١) تعبير الحضرة الأحدية : وإن كان يقصد الفريد الذى لا شبيه له فإنه تعبير نرى أنه غير مقبول وغير مستساغ . (المترجم)

ولما كانت قد حانت أوقات السفر بسبب وصول الخريف ووصول عهد رياح الخريف وتساقط أوراق أشجار الكروم، فقد لوى خاقان العصر عنانه إلى مكان عرش السلطنة، ووصل موكب مُزين العالم في الرابع عشر [ص ١٢١] من شهر رجب المرجب [١٢١٩ هـ.ق.] إلى مركز الخلافة عن طريق تبريز من ناحية دار السلطنة طهران ناخلة المسك.

٤٧ - كيفية وفاة الحاج خليل خان في بمبيء، ومجيء المستر منستى وتعيين محمد نبى خان بسفارة الهند وعودته إلى البلاط الخاقانى :

كانت قد أوضحت أكثر المراسيم المدونة أن الحضرة العلية كان قد كلف الحاج خليل القزوينى بالتوجه إلى الهند فى صحبة السفير الإنجليزى ملكم بهادر، وبعد وصول الحاج خليل خان إلى ميناء بمبيء عين له وزير إنجلترا لارديولزلى [اللورد والسلى] مأتى فرد من جنود الهند من أجل تعظيمه واحترامه، وذلك ليكونوا عنده وفى خدمته، وحدث أن ألقى أحد أولئك المأتى فرد بندقية فى غير مكانها خارجاً عن النظام، فاستلزم المحاكمة، بعد ذلك خرج كبيرهم ليحاكمه، فالتمس بعض الأشخاص من الحاج خليل خان العذر والشفاعة، ولما لم يكونوا متعرفين على لغة بعضهم، فقد ولى المراد من بينهم وانتهى الأمر إلى القيل والقال والنزاع والجدال، وخرج الحاج خليل خان حتى يرى ماذا يكون الأمر، فانطلقت نيران بندقية من وسطهم وأصاب الحاج خليل خان فتوفى فى مكانه، وكان الأمر هكذا من القضاء والقدر حيث إن سفيراً عازماً مقصده فى كامل العزة والاحترام ، وفى الطريق يهلك دون سبب وقصد^(١) . وعندئذ استدعى لارديولزلى وزير إنجلترا المستر منستى قنصل

(١) يقول غلام حسين ميرزا صالح عن سبب قتل الحاج خليل خان رواية أخرى مفادها بأن معركة قد نشبت بين غلمانه من الإيرانيين وبين حراسه من الهنود بسبب اصطياح الحراس الإيرانيين بعض الطيور التى كان يعتبرها الهنود غير صالحة للذبح وغير مستحبة ، فنشبت المعركة بينهما وانتهت فى النهاية بمقتل الحاج خليل خان كور أوغلى . (انظر: إسناد رسمى در روابط سياسى ايران بانكليس وروس وعثمانى ، مقدمه غلام حسين ميرزا صالح ، جلد أول ، تهران جاب أول ، ١٣٦٥ هـ.ش ، ص ١٦)

البصرة^(١) من ميناء بوشهر وأرسله إلى خدمة الحضرة العلية الخاقانية من أجل طلب العذر، وفي مرج سلطانية أدرك شرف الحضور السلطاني وصار موضع العناية، وكُف بالسفارة محمد نبي، الذي كان ابن أخت الحاج خليل خان، وتوجه محمد نبي خان عاجزاً مقصده بالتجهيزات واللوازم الكثيرة، وفي يوم وصوله إلى بمبيء قام جميع أهاليها من جيش ورعايا وأعزة وأعيان في ما يقرب من مائتي ألف شخص باستقباله، ودخل في إعزاز واحترام كاملين، وأدى شروط السفارة ولوازمها بأنفة لائقة، ولكمال المحبة والصداقة كلفوه يوماً باستعراض الجيش وتفقدته، وفي اليوم التالي اصطحبوه إلى استعراض ومشاهدة دار المدفعية وكلفوه باستعراض السفن الحربية، ومن أجل المشاهدة والعلم [ص ١٢٢] بكيفية حرق طلقة المدفع البناء الخشبي للسفينة، وقد قبل محمد نبي خان غافلاً عن هذه المبالغ الخطيرة وهذا الضرر وتلك الخسارة، وعندئذ كانت قيمة السفينة - التي كانت راسية على سطح بحر القلعة - ما يقرب من عشرة آلاف تومان، فجعل المدفعيون القذائف نصف ساخنة وملئوا بها المدافع وضربوا بها السفينة المذكورة حتى اشتعلت فيها النيران بعد لحظة واحترقت.

وقد ظل في بمبيء لمدة خمسة شهور، وبقي في تلك الديار في عزة واعتبار كاملين، وتوقف عاماً أيضاً بعد ذلك في البنغال، وفي أثناء عودته اصطحبته التجهيزات الكثيرة ولوازم السفر العديدة من أثاث وحاجيات وغيرها، ولحق ببلاط الخاقان فاتح البلاد.

٤٨ - ذكر وصول رسل ناصر الدين توره أمير التركستان إلى دار

الخلافة طهران، وتمسكه بهذه الدولة الخالدة البنيان :

إن ناصر الدين توره هو الأخ الأصغر لـ ميرحيدر بن شاه مراد الملقب بـ بيكي جان وهو ابن دانيال أتاليق بن حكيم أتاليق، الذي كان لأبائه

(١) قنصل البصرة : باليوز بصره ، أي القنصل الإنجليزي بالبصرة التي كانت تابعة في ذلك الوقت للعثمانيين، وكان مقيماً في ذلك الوقت في ميناء بوشهر الإيراني . (المترجم)

رتبة أتاييكي^(١) (المربي والمعلم) في حضرة الحكام الچنكيزيين، ولهذا السبب لقبوا بأتاليق، وتوره في اللغة التركية بمعنى قاعدة وطرز وأسلوب، وتقال أيضاً لكتاب الياسا الچنكيزية، والآن على السنة وأفواه أهل ما وراء النهر المقصود من استماع توره هو الأمير، ولأن ناصر الدين هذا وميرحيدر حفيدا أبو الفيض خان من ناحية الأم وهو من أحفاد چنكيزخان، ولهذا عرفوا بتوره، ووصفوا بهذا الوصف، وأصلهم من أوزبك خان حفيد جوجي خان، وبعد ذلك لقب الأمير معصوم بـ بيك جان وعُرف بولي النعمة واشتهر بـ شاه مراد، وأصبح بعد أبيه حاكم ما وراء النهر، وقد جعل الفساد علانية في مرو وخراسان، فأرسل بيرام على خان القاجاري الجيش عدة مرات، وخرج هو بنفسه عدة مرات إلى مرو، وفي النهاية قتل بيرام على خان واستولى على مدينة مرو وأسر أهلها جميعاً وحملهم إلى بخارا وسلمهم إلى أشد أنواع التعب والمشقة وهدموا سد مرو وخربوا المدينة بكون خجل، فأسرع الحاج محمد حسين خان [ص ١٢٣]- الذي كان أرشد أولاد بيرام على خان - إلى البلاط الخاقاني، فصار موضع أنواع العناية ووجد النظر بالفضل والكمال برتبة المندامة في خدمة الخاقان الفريد، وفي خلال هذه الأحوال تحول بيكي جان إلى رحلة الآخرة، فصار ميرحيدر ابنه الأكبر الحاكم مكان أبي الظلم، وارتفعت نوبة إمارته في بلاد ما وراء النهر، وكان في البداية ميالاً باقتضاء الفطرة إلى سفك الدماء وكسر الخواطر مثل الأب ذي الجوهر السيئ، فتعجل بإفناء النفوس وتخريب البيوت، ولهذا السبب جفلت وتزلزلت طباع أعيان بخارى من سياسته، والتمس جميع الرعايا اختلال بولته من بلاط الإله الواحد المتعال، وأحضروا ناصر الدين توره من دار الملك مرو إلى بخار من أجل انتظام أمره، وعن طريق الحيلة والتنوير أظهر فنون المواعظ والنصائح، فلم تؤثر أقوال ذلك الغبي اللاشعورية في أذن ناصر الدين أكثر تأثيراً من طنين الذباب، ولهذا لم تتوجه أذنه إلى استماع كلامه، وسمح لرسوله بالرجوع ومعه خطاب ممزوج بسم الخلاف والمعارضة، ورأى

(١) أتايك ، أتاليق : كلمتان تركيتان وهما بمعنى المربي والمعلم وهما لقب لمنصب المربي والمعلم.
(انظر لغت نامه : على أكبر دهخدا ، جلد اول ، ص ٨٣٠ ، ٨٤٢)

وسيلة أمره في التوسل إلى البلاط الخاقاني وأرسل العريضة الممزوجة بالضراعة إلى البلاط، وطبقاً لمبعوثيه نفذ فرمان قضاء النظام: "بأن ناصر الدين توره، الذي طلب من هناك النصر والمساعدة من حضرتنا، ورأى أن يفتح الطريق إلى العناية الملكية وهو بمنزلة الابن للنائب سلطاننا، وعما قريب ويعون الباري جل جلاله سيستفيد من وصال شاهد الدولة".

وصدر الأمر الملكي البليغ من مصدر الجلال بافتخار تميمة ساعد إقبال محمد ولي ميرزا حاكم ممالك خراسان، وذلك بأنه: لما أصبح أمير التركستان معرضاً عن أخيه ميرحيدر توره، فيكون [محمد ولي ميرزا] لذلك الابن صاحب السعادة اليد الماسة لحلقة طرق أبواب الاصطناع التي لا حد لها ويكون ملزماً في كل حال برعاية جانب الأمير ذي الأصل العالي، ويتحتم في ذمة المهمة تنفيذ انتظام المهام وحصول المراد".

وانطلقت راية العزيمة لمعاونته وتخليص مرو، وصدر الأمر بافتخار مبعوثيه بالإنعامات الوافرة والخلاع الفاخرة [ص ١٢٤] وسمح لهم بالانصراف مكرمين.

٤٩ - بيان وقائع سنة ألف ومأتين وعشرين هجرية وهي السنة الثامنة للجلوس^(١)، وكيفية طغيان محمد خان الأفغاني :

ولما جعل السلطان الذهبي تاج الشمس روضة الحمل مقاماً لأشعة الأنوار، فقد جعل الملك الأعظم وصاحب العالم المكرم العرش نو الحظ المظفر في سعادة وتوفيق موضع حسد مناظر الفلك وموضع غيرة منازل القمر والشمس وذلك من أجل الاحتفال النوروزي، وأمر بالإنعام على جميع الوزراء والأمراء وعظماء الجيش وزعماء كل بلد من الشفاعة النائرة للدرر واليد النائرة للذهب الخاصه بالسلطنة، وبأن تُفتح الغصن النائرة للذهب أمام ساحة العرش بسبب وفرة الدراهم والدنانير.

(١) يقصد جلوس السلطان فتح على شاه القاجاري على العرش .

ولما انقضى حفل النوروز المنتصر، أشرق شعاع العناية السلطانية بإنجاز مهام وواجبات الملك والأمة، وفي خلال ذلك الحال، عُرض على موطنى العرش الأعلى خبر استئصال محمد خان الأفغانى، وكيفية هذا الإجمال كذلك: إن محمد خان هو ابن أعظم خان الأفغانى الغلجائى، وكان نسل هذه الأسرة مشردين ومشتتين بسبب الكفران بالنعمة، وفي أواخر دولة أحمد شاه الأفغانى الإبدالى هاجر أبوه أعظم خان من قندهار بسبب خلاف وقع فيما بين الغلجائية والإبدالية والتحق مع فوج من طائفته بكريم خان الزندى، فأسكنهم كريم خان الزندى فى نرماشير بكرمان، واستقلت هذه الطائفة فى تلك النواحي، وشيدوا تدريجيا القلاع المحكمة، وفى عهد هذه الدولة العلية وحيث كُلفت دار الأمان كرمان وإقطاعية ذلك الإقليم وفوضت إلى حضرة إعتضاد الدولة إبراهيم خان ابن العم، ومع أن محمد خان كان ثمر غص النفاق والخيانة^(١)، ومع التسرع فى الوقت فقد جاء طائفاً بالبلاط ومشمولاً بعواطف الخاقان ملجأ العدالة، فقد سرت عناية تفويض ولاية نرماشير عليه وكما كان. وبعد الوصول إلى تلك الحدود لوى رأسه عن الفرمان الشهريارى، ومصاحبة لذلك، شاع فى تلك المناطق قحط وغلاء لا حد لهما، وبموجب حكم الهمايون حملوا على ظهور الجمال القوية الحبوب والغلال من شيراز وإصفهان ويزد إلى ذلك المكان، ولم تكن توجد قشة واحدة (الشيء القليل) [ص ١٢٥] ولاجرم أنه كان يتعذر تعيين الجيش، وبهذه الوسيلة انتزع محمد خان قلعة "بم" بالنزاع وكان النائب إبراهيم خان يعلم أولاً أهمية حراسة قلعة "بم" فسير إسماعيل خان العربى حاكم جندق -الذى كان من صوفية هذه الدولة جنة الرونق - مع جمع لحراسة ذلك المكان، وثانياً، قام بإرسال العرائض إلى الحضرة العلية يذكر فيها مخالفة ومعارضة محمد خان، فقدم من عاصمة الدولة نوروز خان القاجارى عز الدينلو - وهو الحاجب الكبير وأمير بلاط سماء الجاه- مع فوج من الشجعان المدمرين للمتمردين فى سرعه وخفه كالقضاء السمائى. ولما سمع محمد خان بخبر تحرك نوروز خان، انسحب برحله إلى قلعة

(١) واضح تحامل المؤرخ ضد محمد خان الأفغانى لمجرد أنه كان خصماً للسلطان فتح على شاه وهذا يؤكد انحياز عبد الرزاق المؤرخ للحاكم ولى نعمته. (المترجم)

نرماشير، وأحاط الجيش بالقلعة المحكمه، وقضى عدة أيام وسط المعارك المهولة، وفي النهاية هجم من كل ناحية وجانب، وأخضع القلعة، فصار جمع كثير عرضة لسيف الشجعان المصارعين للأسود، وأصُيب محمد خان وسط الهزيمة بطعنتين منكرتين ولجأ إلى طريق الهروب مع عدة أشخاص من الأفغان، ورحل خارجاً وهو محتضراً مع ألف عاجز وضعيف وجر نفسه إلى ناحية بلوتشستان، وتعرض للسيف الظالم سائر مرافقيه وأعوانه من الأفغان والسيستانيين ؛ الذين صاروا في كل مكان مضطرين لجيش مريخ الصولة السلطانية، ورجع نوروزخان والجيش المنتصر مظفراً ومنصوراً إلى بلاط موطن زحل.

٥٠- بيان تكليف النواب نائب السلطنة والخلافة بمملكة أذربيجان من أجل محاربة روسيا :

وفي العام الماضي، وبعد العودة من رحلة إيروان، كان الرأي المنظور بنظرة العطف للخاقان فاتح البلاد، بأن يترك النواب نائب السلطنة ولي العهد في مستقر السلطنة ومقر الخلافة ، وبأن يتوجه هو في السنة القادمة بالنفس الغالية لمحاربة الروس، وفي وقت الاستعداد لسفر أذربيجان ظهرت آثار الملل على الوجه الذي كالشمس للأمير الشاب المحظوظ بسبب مشاهدة هذا الحال، وعرضت العين الممتلئة بالدموع وجه الحاجة في خدمة الخاقان المنصور وطلب: "بأنه يحب أن تُفوض خدمة محاربة الروس [ص ١٢٦] وتعويض ما فات من رحلة إيروان بعهدة اهتمام هذا العبد الأحقر مؤسس العبودية، فسمح له الخديو فاتح البلاد بسبب كمال مرحمته على تصور أن لنائب السلطنة سروراً للسفر في رأسه بمقتضى هوس الشباب وهوى السعادة، حيث إنه في أثناء تحرك لواء فاتح العالم وفي أيام توقف الأمير في دار السلطنة طهران يميل إلى السفر عازماً إقليم أُرستان وينشغل في تلك المناطق بالنزهة والصيد، فطلب نائب السلطنة اقتضاءً للهمة العالية فسخ عزيمة موكب الظفر المائوس وإظهار الرغبة في السفر إلى أذربيجان، فنفذ الخاقان فاتح البلاد ملتمس حضرته

بناءً على استرضاء خاطره، وكلفه بالسفر إلى أنزيبجان. وبعد تحرك موكب نائب السلطنة والنزول الجليل خارج قلعة دار السلطنة طهران تشرف بالقدوم مكرماً الخاقان أثر الرحمة إلى معسكر الابن المحبوب، وفي اليوم التالي رفع النواب نائب السلطنة راية العزيمة صوب تلك الحدود ومعه جمع من الأمراء والحكام الذين كانوا مكلفين بالسفر إلى أنزيبجان في ركاب حضرته، وقد صار ميرزا عيسى الملقب بالوزير ميرزا الكبير -الذي كان مكلفاً في العام الماضي بتنظيم أمور دار السلطنة طهران - ولما كان الهلال بعيداً عن نور شمس الحضور - فقد صار في هذا السفر ملتزماً ركاب الأمير ذي الجواهر العالية بأمر صاحب التاج ، ومع أن إتمام هذه الخدمة كان موكولاً للرأي الرزين للأمير العزيز المتمكن، فإن الحضرة العلية الخاقانية نظر ثانية باحثاً عن رضا خاطر واطمئنان الأمير، وبحجة النزهة والصيد في ناحية أنزيبجان - جعل في الرابع والعشرين من شهر صفر المظفر مرج سلطانية مضرباً لسراياك العز والشأن.

وبعد عدة أيام من التوقف بسلطانية، ارتفعت راية النصر صوب أنزيبجان، وفي أثناء تحرك رايات فاتح البلاد من مرج سلطانية، كلف مقرب الحضرة إسماعيل خان الدامغانى - وهو من خواص غلمان بلاط ملجأ العالم وموصوفاً بالجلادة الزائدة ومعروفاً بالكياسة الوافرة - [ص ١٢٧] مع جمع من طلائع مضمار الظفر وفدائى ساحة الرجولة والفضل، وأمره بأن يلحق بالنائب ولى العهد، وبأن يتبع رأى مزين ملك القضاء المقتضى، وفي مقابل تحرك موكب فاتح العالم من سراب، أصدر الأمر للأمير على خان الأخ العزيز لنائب السلطنة الموفق بالتوقف في "زنجان" وفي منزل "ميانج" وجه النواب نائب السلطنة والخلافة - طبقاً لدستور العمل السلطاني - مهدى قلى خان القاجارى مع فوج من الجيش أثر النصر إلى إيروان، وقرر له: بأنه لو أوقف محمد خان عادته السابقة في الارتباط مع الروس وجعفر قلى خان، ويقضى أوقاته في الخدمة والإخلاص حتى يقوم بتقويته ومساندته في الاستقلال، وإلا فسوف ينحيه عن حكم الولاية ويعزله، وبأن ينشغل هو بحكم ذلك المكان ويضبط أمور الولاية وينظمها، وكلف بمرافقته أيضاً إسماعيل خان القاجارى حاكم خوى الذى كان متوقفاً هناك.

٥١ - بيان بعض من مآثر النواب نائب السلطنة العلية والتي تيسرت لحضرتة بالتوفيق الإلهي في الدين والدولة والمُلك والأمة :

لقد رأى مستظلو القبة المقرنسة ومشاهدو الفلك المقوس، وعلموا أن ملك الدنيا
وحاكم شعر [بيت ترجمته]

شعاع العقل المجرد فتوح للروح المطهرة * وفيوض النفس المقدسة جمال لقدرة الله

العالم أى الظل الأخص والنور المشخص حضرة الملك السلطان فتح على شاه
القاجارى ، أدام الله تعالى ظلال إقباله وآثار أفضاله على مفارق الأنام إلى يوم
القيام - قد كرم وعزز الأمير النجيب حضرة عباس ميرزا الذى جعله فى عرش
التوفيقات الإلهية بمعونات وبمفاد "أعط القوس" أى محبة نيابة السلطنة وولاية العهد
لتكن خالدة فى جميع العالم بين العالمين أجمع، وعلاوة على ذلك، لقد كان مفتخرًا
ومعززًا بهذا الخطاب من الملك مُزين الأرض كسرى فاتح العالم السلطان المغفور له
محمد شاه القاجارى أنار الله برهانه، فى بداية عهد الصبى وصباح النشوء والنمو،
ففى هذا الوقت اختار ملك الملوك الأعظم مملكة أنزريجان -التي هى من [ص ١٢٨]
الممالك المحروسة مثل حرارة غريزة الروح للجسم، وغريزة القلب للروح، ونور الإيمان
للقلب، ومثل الوجه للبدن ونور عين البصيرة للوجه - من أجل يمن إقبال ولى العهد،
وأعطى الإذن لموكبه المزين بالنجوم بالتوقف فى تلك الأرض والوطن، وأطلق يد تأييده
فى هذه البلاد.

ولقد كان الطغاة والمفسدون من الأجانب والمحليين قد أطلقوا عنانهم وأودعوا
محاسن ومساوئ الراحة إلى ربح الفتنة والإغارة، فلا نظام للجيش ولا انتظام للرعية
ولا قوام للعمل ولا مكان ولا مقام للترضى الركاب ولا قلعة للحماية كى تستخدم للعمل
فى الهجوم، ولا شهرة ولا إنجاز من المشاة والفرسان، كى يُحسب حسابها فى ميدان

ساحة الحرب ووقت المعركة، فتبعثر عِقد نظم أمور الرعية والجيش وتفكك كتاب الملك والأمة، وكان قد أشعل النار الظالمة من كل ناحية الحكام الطامعون في جلب منافع عبدة الأهواء بالإغارة على الأموال التي بين أيديهم، وأحرقوا البيوت من أجل جمع الخزائن، فهبط حضرة ولي العهد الذي هو رحمة في حُسن الصورة ومعنى الآية^(١)، وهو ملك في صورة "أحسن التقويم"^(٢) والذي جاء متمكناً بيد البذل على عرش دولة السماء، وهو الأمير، وهو صاحب الدولة المتناسق الأعضاء، وهو سامي الفطرة وملئكي الطلعة ونور عين السلطنة وروح جسم العظمة، وهو العين المتأمللة لإحدى بصائره مع نور ضياء الحضور ومسلك الحلم والحياء، وهو عاص على المعاصي منذ بداية عمره الغالي الذي يزيد عن الرابعة والثلاثين^(٣)، وبالرغم من وجود القدرة الملكية فهو يُعرض عن المناهى والملاهى وينشر محامد أفعاله ويبث مكارم أعماله، وتسبق رحمته على غضبه [!!؟؟]، ولا يلتفت إلى التقصير في خدمة العبيد الباذلين لأرواحهم، وهو يستولى على خاتم غيرة دينه من الشيطان كسليمان^(٤) ولا يتقرب ولا يعبس وجهه عند هجوم الحوادث ونزول المصائب بسبب وفرة توكله، ويده قوية وغنية في العطايا، وقلبه في وسع البحر من بدر عظمة طبعه، وقلبه الصغير شجاع في القصر والميدان، وهو باذل أكثر أوقاته في الغزوات ومتوجه للحرب والقتال بالنفس الغالية [ص ١٢٩] وملتزم بالحملات واندحار الرايات، وهو في غاية العطف والرافة مع مرءوسيه ورعاياه، وأنه لو كان يطول سفر حضرته قليلاً في الغزو والجهاد، لكان

(١) يحاول المؤرخ عبد الرزاق الدنبلي إضفاء شيء من القداسة والشرعية على ولي نعمته ولي العهد عباس ميرزا، فيصوره على أنه كالملاك أو الرسول الذي يهبط من السماء مبشراً بالخير لأهله. (المترجم)

(٢) مأخوذ من الآية الكريمة: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ سورة : التين الآية رقم : ٤ (المترجم)

(٣) بما أن مولد عباس ميرزا كان في عام ١٢٠٢ هـ ق وعمره في ذلك الوقت يزيد على الرابعة والثلاثين ، فيكون تدوين عبد الرزاق الدنبلي هذا الكلام في عام ١٢٢٧ هـ تقريباً . (المترجم)

(٤) إشارة إلى خاتم نبي الله سليمان عليه السلام .

الظن بالقلق والاضطراب والخوف، وكان الصغير والكبير فى هذه الولاية يضع له النذور، فحتى العجائز والشيوخ كانوا يحملون رأس مال مغزلهم إلى السوق ويبيعونه، وكانوا يؤثرونه فى سبيل الله بنية سلامة ذاته الكاملة الصفات، فإكليل الدولة مزين بظل قمة رأسه وأيوان العظمة والشوكة موضع حسد وغيره الروض بشعاع سعادة قدومه، وقانونه عدل إلى درجة أن الجيش صاحب الظفر كان ينزل لفترة على جانب مزارع وجدائق الشعب ولم يكن يقطف شخص سنبله ، ولم يكن يصل الضرر إلى تفاحة بلا رحمة ويسبب عدم النظام، ولا يشرب شخص قدراً من النشا بسبب خوفه من شرطة احتسابه ولا يتحصل على دينار من القمار، وقد أخفى اللصوص وقطاع الطرق رءوسهم داخل فتحة ثوب الخمول، وانزوا فى زوايا الأغوار خوفاً من المحاكمة، فذات مرة كان لجمع من الطوائف سكن بالقرب من المعسكر، وضاعت بقرتهم العجوز، وكانت قد وقعت فى المعسكر من نفسها بسبب ضعفها ومرضاها، وعرضت بقرتهم بدون لجام الرأس بضاعتها على خيام المعسكر، وكانت تدور وتلف فى وسط المعسكر، ولم يكن شخص فى حاجة إلى مساعدة لكى يسوقها ويخفيها عن أعين الناس أو يقيدها من أقدامها ويحلب لبنها لنفسه، إلى أن نهضت عجوز وأخذت بقرتها وأوصلتها إلى منزلها.

وحكام الولايات معزولون بالرغم من استقلالهم وملومون ومحزونون بسبب تمنيم الظلم، وكل نفقات جديرة بقبول عمال الديوان يصدر الأمر بقبولها من الدولة ويجرى المستوفون (محصلو الضرائب) وكتاب البلاط الحساب، ومع أن قبضة السيطرة للحكام حادة، فإن أسنان الطمع باردة بسبب عبوس وتكشير المحاسبين، فأى حاكم فى أى ولاية لايجرؤ على أخذ دينار عدا المقاوله والأجر الديوانى، وفى جميع الولايات لا يستطيع أن يقسو ظلم القوى على المظلوم الضعيف ومع أن الهمة الملكية مقضية ومصروفة على ازدهار ورونق الدين والدولة، وأن اليد النائرة للجوهر رهينة ومقيدة بانتظام الملك والأمة، فإن دفع الخزائن الكسروية فى بداية الحرب والنزاع مع روسيا لانتظام [ص ١٣٠] المهام المتعلقة والمرتبطة بأمر الغزو والجهاد، ومع أن ثروة الحكومة لم تكن مقيدة لغير ولاية أنرييجان ، فقد أنفق فى مدة العامين

الخزائن والكنوز الدقيانوسية^(١) من أجل جيش الدولة الخالدة الاتصال، حتى جلس على ظهر جواد الفلك المتبختر، وقد عقد الحزام على مقاسات حرب الروس، فلسطين عديدة، سواء في الصيف أو في الشتاء، لم يسحب قدمه عن الركاب ويده عن العنان ولم يكن يستريح لحظة، وكان مشغولاً بالحرب والقتال في الأيام الحارة والأجواء الباردة، وفي فتنة الحرب والمعركة كان يتخيل شربة الموت المرة أذ من العسل ولم يكن يتضايق من الروح الحلوة، وقد ساوى اللذة الدنيوية والعزة الكسروية وكان أحياناً مع الجيش البطل في آران^(٢) وأحياناً في كنجه وشيروان وسط دخان المدافع والبنادق، وكان يعطف عنان جواد السماء الأشهب المتبختر في صحراء موغان الحارة - التي هي نموذج لساحة النيران - في قلب حرارة تموز الأكثر حرارة من قلب جمر الشتاء وصدر الكانون^(٣) وذلك لمجرد مراقبة ورعاية مصلحة الإسلام، وفي كمال ثورة البرد - الذي من شدة برودة الشتاء ترتعد السمكة من مياهه كما يرتعد حيوان السمندر من النار^(٤)، وكان يتوقف موكب دليل الظفر على ساحل أردبيل وهي نموذج لكرة الزمهرير والجليد، وبسبب كمال الغيرة والحمية ومراعاة حماية ورعاية العجزة والملهوفين في هذه الولاية صرف النظر عن المسكن والمأوى القديم والمسعود بتقبيل عتبة السماء المقتدرة لكسرى صاحب عرش جمشيد، وقد صار الخادمة والمربي لعذارى هذه الولاية كالأم والأخت، فدخلن في كنف حمايته وظل رأفته وقد أمر

(١) الدقيانوسية : نسبة إلى كنوز دقيانوس وهو الملك الذي كان أهل الكهف معاصرين له . انظر تجربة الأحرار وتسليية الأبرار : عبد الرازق بيك ديبلى ، تحقيق وحاشيه حسن قاضى طباطباني ، ج ٢ ، ص ١٨٤ .

(٢) آران : اسم منطقة أنزيبجان الشمالية ، ويقول صاحب معجم البلدان : آران بالفتح وتشديد الراء وألف ونون اسم أعجمي لولاية واسعة ويلاذ كثيرة منها جنزة وهي التي تسميها العامة كنجه وبردعة وشمكور وبيلقان وبين أنزيبجان وآران نهر يقال له الرس كلما جاوره من ناحية المغرب والشمال فهو من آران وما كان من جهة المشرق فهو من أنزيبجان ، (انظر معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، ج ١ ، ص ١٨٣) .

(٣) كانون : الموقد .

(٤) حيوان السمندر (أو السمندل) : حيوان خرافي يقال إنه لا يعيش إلا في النار . (انظر : المعجم الفارسي الكبير ، إبراهيم شتا ، ج ٢ ، ص ١٦٠٨) .

بتحديد مكان إقامة ساكنى حجاب الحرم من العراق إلى أنريجان وذلك ليكونوا مشاركين قصور ومعسكرات نساء المسلمين. ومع أنه كان يُعين المشاة والفرسان من جيش كسرى صاحب العالم الجرار من العراق وفارس وكرمان ومازندران وخراسان لحراسة هذا الإقليم وكان يقدم لوازم الحرب والمعركة وكان يصّيع الخزائن الملكية، لكنه عند الحرب والجهاد لم يكن يراعى ويستخدم قانون المسلمين السالفين [ص ١٣١]، ولم يكن أمر الحرب مهياً وجاهزاً على الوجه المرغوب، وقد أمر النواب نائب السلطنة بالملاحظة والدقة فى النظر بأن حرب الفرنجة على النظام نفسه الذى أشار إليه الله الحميد فى القرآن المجيد، وقد فقد جيش إيران النظام القديم من يديه، وقد حصل الأعداء على القاعدة والنظام نفسيهما .

٥٢ - بناء العسكرية الحديثة :

وكيفية هذه المقدمة كذلك: عندما هاجر قمر البطحاء [النبى ﷺ] من مكة المكرمة، وجعل ساحة المدينة المنورة سماءً ثانيةً من أنوار طلعتة، ورفع علم النبوة وراية الدين على الخلق فى العالم وقد كان أنكباء الصحابة ينضمون إلى خدمته واحد تلو الآخر وكانوا يعقدون حزام الاجتهاد فى الغزو والجهاد. ونظام الحرب فى الإسلام هو فى الآية الكريمة التى نصها : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَّرْصُورٌ ﴾ (١) . كان قد وُضِعَ على أسلوب هو أنهم كانوا يخططون ذيل الغيرة الواحد فى الآخر، وكانوا يحرقون بيدى العدو بشعلة السيف، وكانوا يجعلون الاصطفاف للحرب على قاعدة ونظام الاصطفاف للصلاة، ويسبب ثباتهم ورسوخهم فى ميدان الحرب كان الحمار الوحشى يضع دمع الحسرة على قلبه ، ويسبب نظامهم واستمرارهم كان اتحاد وهيكلى منازل القمر ونظمه تسقط من نظر المشاهدين.

(١) سورة الصف ، الآية رقم ٤ .

وبرعاية هذا النظام، هَزَمَ جيش الإسلام ملوك الأطراف والأقاليم في أقل مدة، وركل ممالكهم بصدمات الدنيا المضطربة، وصار زلال سنن الدين جارياً من العين الغامرة والوافرة بالحق واليقين، ولعت مشاعل نور الإسلام في قلوب البعيد والقريب من الترك والتاجيك. ولما انسحب شمس الرسل وهادى السبل خلف حجاب الغروب، فقد كان هذا الأسلوب والنظام مصوناً ومحفوظاً لفترة أيضاً، وكان الصحابة يرسلون الجيوش ويفتحون القلاع والديار، ومن بعد ذلك وجد الضعف والفتور طريقه إلى هذا النظام، فنظراً لعدم الاهتمام والرعاية، فقد ولت هذه القاعدة من يد الإيرانيين^(١)، وصارت مستخدمة وسط أوروبا وشاعت بين أهل الفرنجة، وقد أعد هذه القاعدة وهذا النظام القدماء أيضاً في بعض العهود ودونوها في مصنفاتهم ومدوناتهم على القاعدة القديمة وهو شاهد العدل، وأيضاً فُقدت قاعدة العمل ونظامه [ص ١٣٢] إلى أن أحضر الملا حسين واعظ الكاشفي في عهد السلطان حسين ميرزا بايقرا [التيموري ٨٧٣ هـ.ق : ٩١١ هـ.ق] نموذجاً للبندقية التي كانت شائعة في مملكة الفرنج، فكانوا يصنعونها تدريجياً، وفي تلك الأوقات، وبالنظر إلى التعيش وطلب الراحة، أوصل السلطان المذكور الفتور والضعف إلى قواعد الحرب.

وظهر الشاه إسماعيل الصفوي، فكان بناء أمره وشأنه على إخلاص ومحبة مريديه، وفي هذا العهد، وبقاعدة أن كل شيء يرجع إلى أصله، حول حضرة نائب السلطنة القاعدة القديمة ضمن الإخلاص الصميم لأهل إيران، وعرضها على بلاط زحل الملكي، وطبقاً لإشارة ملك الملوك صدرت الأحكام السامية إلى حكام ولايات أذربيجان، وصدرت بعد فترة إلى سائر الممالك المحروسة لإنشاء الجيش الحديث. وفي أذربيجان اختار الشباب الشجعان اللائقين وسلمهم الأجور والمقررات والألبسة وسائر الاستعدادات من رئاسة الديوان، وعين معلمى النظام العسكرى من فرنسا وإنجلترا، واستخدمهم في تعليم أعمال الحرب والقتال، وفي الركاب المنصور وفي مدة العامين لقي ما يساوى الاثنى عشر ألف جندي الاستحسان والإعجاب في النظر المبارك،

(١) كان من المفروض أن يقول : من يد المسلمين ، لأن الإيرانيين ليسوا هم المسلمون فقط . (المترجم)

وعلاوة على الخفة والسرعة والرماية وضرب الأهداف وتدمير قاعدة العدو والجندية، فقد كانوا يعمرون البندقية ويفرغونها ولم يكونوا يقطعون الدخان عن بعضه، فقد وصلوا في تدريبات المشاة إلى حد أنهم لو كلفوا على ناحية فكان يحدث أنهم كانوا يطوون في المنزل الواحد اثني عشر فرسخاً، ولو أنهم قابلوا مصادفة في ذلك المكان العدو، فقد كانوا يشتبكون معه دون عذر التعب والإعياء وكانوا يوفقون، وذلك مثلاً حدث عدة مرات في رحلة بلباس والأكراد وأماكن أخرى، وفي أثناء التدريب والرماية والقذف بالنيران وتعلم القواعد والنظام، كان يتوجه أحياناً بنفسه النفيسة إلى ساحة تعليمهم وكان هو نفسه أيضاً يتدرب وكان يرتب صفوفهم بالرؤية والحلاوة التي تجب، وكان ينعم ويحسن على أحوال كل واحد منهم.

وفي ذلك الوقت، وصلت من ممالك إنجلترا ما يقدر بستة آلاف قطعة بندقية [ص ١٣٣] التي كانت طلاقاتها جميعاً من مقاس واحد وبصناعة وبشكل واحد، وقد تقرر أن يقوم أساتذة صناعة البنادق الإيرانيين في دار الأسلحة بالإشراف على صناعة البندقية على الصنع والتركيب نفسيهما، وفي أقل مدة أُنتج بسعى الأساتذة الإيرانيين ما يقدر بنحو عشرين ألف قطعة بندقية ناثرة لنيران المعركة؛ وهي التي تستعمل منذ ذلك الوقت وحتى الآن، وغير ذلك النوع من البنادق، يصنعون بنادق "جوهر دار" على طريقة حسن الجزائري وموسى، وعلى نحو وتخطيط القرم وينموذج سائر مصانع الروم (العثمانيين) - والتي تصوب من سبعمئة قدم أو ألف قدم - وذلك من أجل الغلمان والخدم من حملة البنادق الجرارة، وتكلفتها وتصنيعها ليس أقل من بنادق جوهر دار الرومية، ويجرى إتمام سائر أسلحتهم وآلات الحرب أيضاً على هذا النهج والصورة.

وقد أنشأ مصنع البارود على نظام مصنع بارود الفرنجة، وقد صار جاهزاً بحيث يتم فيه إنتاج وعمل ثلاثة أحمال الحمار^(١) من البارود في اليوم الواحد،

(١) أصل الحمار أو الجمل أو الجواد : وحدة حمل مستعملة في إيران .

ولم يقتنع بهذه الصناعات، فقد أرسل الأساتذة من إيران إلى إنجلترا، وعين مبلغاً كبيراً لمصروفات ومرتبات تلك الجماعة، وقد رجعوا بعد أربع سنوات، والآن يستخدم في إيران من عمل الأساتذة الإيرانيين الزناد (حجر النار) والبندقية وسائر الأسلحة وآلات الحرب، وهي أكثر فاعلية وأداءً من مثيلاتها الإنجليزية.

٥٣ - ومن جملة الأركان العظيمة للعسكرية الحديثة : تصنيع المدفعية وتدريب أهالي إيران على القذف بالمدافع :

ولقد عين حضرة نائب السلطنة المدفعيين المهرة نوى النيران الجهنمية من إنجلترا وفرنسا مثل المستر "لنزي" وغيره، وقد حصل الشباب الأقوياء الشجعان على المعرفة والإلمام بقواعد المدفعية، وأسسوا قاعدةً للتدريب ووضعوا بناءها. وقد أقيم فرن صب المدفع وعجلاته على الطراز الإفرنجي ، فخرج من هذا القرن منذ البداية وحتى الآن ما يقرب من مائة عربة مدفع محطم للصخر ومثير لفتنة العالم والتي تمت بصورة كاملة وباجتهاد الأساتذة الإيرانيين، وقد أركبوا المدافع على العربات، فالمدفع الذي كان ينقله نادرشاه بمقدرة إلى "دره خان" و"رامين" بواسطة مائة شخص من أجل محاربة [ص ١٣٤] الأفغان عديمي القدرة، وقد كان يُعمر ويُفرغ بواسطة عشرين أو ثلاثين شخص، والآن تحول إلى خمس أو ست مدفعيين وأربعة رؤوس من الأحصنة الجبلية في جسم الفيل في ميدان العدو، فيحولوها إلى كل ناحية يريدونها.

وقد تدرب المدفعيون على إطلاق المدافع باجتهاد وجد كاملين، ويسبب خفتهم ومهارتهم كانوا يعمرّون المدفع ويفرغونه سبع مرات في دقيقة واحدة، وعلى التوالي كانوا يواصلون الدخان بالدخان، وكانوا ينتشرون النيران في الهواء على البيادر، وبإستثناء رئيس المدفعية والنائب وخدمة الأحصنة يصل عدد عمال دار المدفعية إلى ما يقرب من ألف مدفعي والذين لهم المرتبات والمؤن من رئاسة ديوان صاحب الشوكة، وبإستثناء أحصنة المدافع التي يشتريها أيضاً بمبالغ كبيرة والتي تندفع وسط عربات فلك العظيمة لا تتيسر بسهولة كل واحدة من تلك الأشياء التي ذكرت، بل يجب أن

تضيع الخزائن معها في أدراج الرياح حتى تأخذ هذه الأعمال المحمودة صورة كمالها واكتمالها. والآن في جميع أنحاء إيران بل وفي ديار الفرنجة لا يتيسر على هذا النسق اهتمام هكذا واستعداد للقاعدة والنظام.

وفي سنة ألف ومائتين واثنين وثلاثين - التي كان قد حضر فيها "يرملوف" قائد الكرجستان من دولة روسيا بالتحف والهدايا إلى بلاط ملجأ العالم، من أجل إتمام الصلح بين دولتي إيران وروسيا، وكان قد تشرف في تبريز في خدمة نائب السلطنة لاستعراض ومشاهدة دار المدفعية، وكان المدفعيون المهرة القاذفون للنيران يتدربون على المدافع، فلاحظ القائد المذكور، واعترف بنفسه مقرأً بأنه ليس في بلاد الفرنجة مدفعيون قاذفون للمدافع على نفس هذه القواعد والمهارة، وعرض بأن معرفتهم بالآداب ومهارتهم وحيويتهم مرجحة ومفضلة على مراتب ودرجات الفرنجة.

وفي شأن بناء العسكرية الحديثة، بذل السلطان سليم ملك الروم (العثماني) المساعي، ولم يستطع الاستمرار والدوام على هذه القاعدة رغم العدة والشوكة والكثرة التي لاحدود لها والمتيسرة لممالك الروم، فثارت عليه جماعة "ينكي تشرى" الجيش الحديث وعزلوا حضرته من السلطنة ورفعوا إليها مكانه السلطان مصطفى بن عبد الحميد خان [ص ١٣٥]، وقبضوا على المدعو الحاج إبراهيم -الذي كان قد أصبح المؤسس للقاعدة الجديدة - مع جمع من رجال الدولة، وقتلوه.

وقد أصبح حضرة نائب السلطنة العلية بالتوفيق الإلهي والتأييد السلطاني وغاية الاهتمام بالأمر والجد والاجتهاد في المعركة هو المؤسس لأساس قاعدة الجيش والعسكرية الحديثة، فقد حول أهل إيران بالتدليل والنصح من العادة السابقة إلى التعود على العسكرية والقانون الجديد، فقام مع الفرسان والمشاة والجنود والمدفعيين النافرين للنار بمحاربة الروس، فأنزلوا الهزائم الفاحشة بتلك الجماعة في عدة أماكن، ورفعوا راية الاستيلاء والاستعلاء في العالم، مثلما ستذكر بعد ذلك كل واحدة في موضعها. وكان الأمر كذلك إلى أن انتهى الأمر بالصلح والسلام بين الدولتين على رغبة ملك روسيا.

٥٤ - تعيين المهندسين وتشبيد القلاع الهرمية البنيان :

لقد أوقف [ولى العهد عباس ميرزا] جمعاً من أولاد أمراء هذه الديار، الذين كانوا معروفين بالكياسة والفظانة، على تعليم علم الهندسة على الطريقة الأفرنجية وذلك غلاوة على علم الهندسة الإيرانية، وكانت تلك الجماعة قد حازت مهارة كاملة فى مدة قليلة على يد موسى لامى الفرنسى الذى كان مهندساً ذكياً وفيلسوفاً صاحب ذهن واعٍ، وقد أصبحوا مهرة فى علم الهندسة ومعرفة علوم المساحة ومعرفة مكامن الطعن والضرب وإعداد أماكن المعسكرات وتجهيزها وفرش الخيام على النظام العسكرى ، وتشبيد القلاع على الطراز والأسلوب الأفرنجى، كما أصبح عدة أشخاص علماء فى اللغة الفرنسية وقراءة وكتابة مراسلات فرنسا.

٥٥ - تشبيد القلاع ذات الأيئة السامية والرفيعة التى شيدت كل واحدة منها على الطراز الإفرنجى، وأولها بناء قلعة عباس آباد الحصينة :

وفى سنة ألف ومائتين وخمس وعشرين هجرية، وطبقاً لأمر النواب نائب السلطنة شُيِّدت فى يزد آباد قلعة "نخجوان" المنيعة الأركان، التى يتصل أحد جوانبها بنهر أرس وأطرافها بالصحراء، وحوائطها محكمة بالصخرة الصماء، ويتصل خندقها بالباب، وهى تقطع طمع العدو فى الاستيلاء عليها، وأضلاعها الخارجية مثلثة وترتفع برأسها إلى الفلك، وهى مملوءة من داخلها بأنواع الغلال والحبوب والذخيرة والبارود [ص ١٣٦] والمدافع منصوبة فى أعلى الأبراج، ويكفى هذا القدر فى وصفها، حيث إن السير هرفرد جنس بارونت سفير الدولة العلية الإنجليزية قد عض أصابع الحيرة بأسنانه بعد مشاهدة الجسر الذى كان قد شُيِّد من الخشب على نهر أرس متصلاً بالقلعة، وقد اعترف متصفاً العدو التى بين إنجلترا

وفرنسا بأن هذا الأمر منحصر لموسى لامي وليس له شبيه ولا نظير في الهندسة، وقد اعترف كذلك السفير المذكور بأن الحرص على الاهتمام بظهور مثل هذه القلعة في مدة قليلة هو من اختصاص دولة إيران القوية الأساس.

٥٦ - تعمیر قلعة المنتشق :

وهي منذ فترة طويلة الحصن الحصين لأبطال إيران وأذربيجان والتي تخبر عنها قطعة لسعدى [الشيرازى] [بيتين ترجمتهما]

كان لقرزل أرسلان^(١) قلعة محكمة

والتي كانت ترفع رقبتها إلى [جبل] آلود^(٢)

فلا خوف من أحد ولا حاجة لشيء

مثل ذؤابة العرائس طريقها معقد وملتو

وفى هذا العهد، كانت بركها خربة مثل عين الحقودين بلاماء وطريقها شديد الاعوجاج وحرارتها مثل قلب الأعداء، وقد جعلها عامرة بالاهتمامات الملكية مثل بيت الأصدقاء الأوفياء، وجعل بركها الخربة ممتلئة بالارتواء من الماء الزلال، وقد عين لحراسة تلك القلعة الشامخة والقمة البازخة جمع الحراس الذين كانوا معروفين بالتجلد واليقظة، فملأوا ساحتها بالرصاص والبارود والمؤن، وأوكلوا همهم على استحكام ذلك المكان.

(١) قرزل أرسلان ، اسم حاكم أذربيجان والعراق السلجوقى . (انظر : المعجم الفارسى الكبير . إبراهيم الدسوقي شتا ، ج ٢ ، ص ٢٠٩٢) .

(٢) آلود : اسم أحد الجبال العالية فى غرب إيران . (انظر : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٥٨) .

٥٧ - بناء قلعة أردبيل الواسعة الأرجاء :

وقد شُيّدت أيضاً تلك القلعة على طراز القلاع الإفرنجية، وقد كان فى أطراف القلعة منازل الرعايا التى كان من الضرورى أن تصبح متساوية ومسطحة، فيصبح أصل القلعة مشرفاً على الصحراء، ولما كان الضرر يصل إلى الأهالى عند تخريبها، فقد اشترى جميع تلك المنازل من أصحابها على وضع قيمة وقتها، وسلم الذهب من الخزانة العامرة. وبحسن السلوك والرافة والرقّة أصبح جميع الرعايا من شاكرى الدولة الخالدة البنیان.

٥٨ - تشييد القلعة الحصينة لبلدة خوى المحبوبة :

وقد شُيّدت تلك القلعة أيضاً على طراز جذاب وتخطيط جميل وحسن، وخذلقها عميق [ص ١٣٧] أيضاً، وقد نسقوا الشوارع بقدر نصف فرسخ فى مواجهة كل بوابة، واشتروا أرضها بالذهب من أصحاب الأملاك، وعرض الشوارع أربعة عشر ذراعاً، وأجروا جدولين مياه من على الجانبين، ومياهما جارية، وقد سبوا الأراضى التى على الجانبين، وغرسوا فيها أشجار الصفصاف لمساحة نصف فرسخ بطريقة منسقة، بحيث إنه عند مشاهدتها تبدو صفوف أشجارها فى أعين ناظرىها كمثل صفوف الأهداب، والحق أن جمال تلك الأشجار فى أثناء الربيع حيث إن جميع أطراف القلعة مروج خضراء، وأن ظل أشجار الصفصاف مثل ظل الحظوظ الحسنة هو أساس راحة وسكينة الروح، وقد أنشئوا الأسواق المسقوفة من البوابات حتى وسط المدينة، وأقاموا المنازل الجميلة وقد اشترى جميع الأراضى المتعلقة بها والتى كان من الضرورى شراؤها، وقد صدر الأمر بتنسيقها وزراعتها.

٥٩ - تعمير قلعة إيروان المحكمة وهي من جملة القلاع المتينة والرزينة في أذربيجان واليمن والبركة والسعادة الواضح والظاهر فيها :

قدم غراف إيوان كدوتيش القائد الروسى ومعه جمع غفير وازدحام كثير إلى تلك القلعة، وحاصرها لمدة شهر واحد، وفى النهاية وبسبب ضربات أيدى أفيال إيران واهتمام ورعاية حسين خان القائد القاجارى ويقظة وانتباه أخيه حسن خان - بالرغم من مرضه وضعفه الذى كان عنده - صار جمع كثير من شجعان وأبطال الروس الخاملين قتلى وجرحى ومتعبين ومرضى وذلك فى أثناء الهجوم، فأمر نائب السلطنة بالتوجه إلى ناحيته، فوجد نفسه غريق موجة الهلاك والاضطراب ورحل من خارج قلعة إيروان، وذهب إلى الكرجستان، وتعبه جيش ملجأ الظفر فهلك جمع كثير أيضاً بسبب شدة البرد والجليد حتى الكرجستان، وحصل الجيش الإيرانى على ألوية وغنائم كثيرة وعربات المدفعية، ورجع، وذلك على النحو الذى سيوضحه قلم البيان عن كيفية تلك المعركة إن شاء الله تعالى.

٦٠ - تعمير قلعة دار السلطنة تبريز، وبناء واجهة القلعة على الطراز الإفرنجى :

ولأنها مركز العز والإقبال ومحل جلوس الشوكة والإجلال، فقد اختار الأمراء الأذكياء والمهندسين [ص ١٣٨] المهرة من أجل بناء ذلك المكان، وقد كلف العمال والبنائين بالبناء من أجل إتمام هذا العمل، وفى خلال عامين ارتفعت رعوس جميع هذه القلاع المشبهة بالفلك إلى قصر زحل [وذلك بفضل] معمارية الهمة الكسروية، وقد صار عمق خندقها العميق جداً باعثاً على حيرة عقول العقلاء، وبسبب أن الموكب المزين بالنجوم للخاقان صاحب عرش جمشيد كان أحياناً يلقى بظل الافتخار على ساحة أذربيجان.

٦١ - بناء قصر في أوجان وبناء حديقة كأثر إرم وقصر خالد البنيان خارج قلعة دار السلطنة تبريز :

لقد شيدوا وأقاموا، وفي أقل مدة صارت حديقة تبريز المثمرة بأنواع الثمار وقصرها الكامل موضع حسد وغيره قصور الولدان والخور العين (١) ، وفي هذه السنوات وحيث تصير الساحة المنيرة لهذه البلاد براية الشمس صاحب اللواء العادل والأمراء المظفرين، وبسبب يمن وبركة مقدم الهمايون يظل الفلك على القصور المشبهة به.

٦٢ - إزالة بناء حديقة الفردوس وبناء عمارة عظيمة مكانها :

وأيضاً بحكم القضاء المقتدر، أزيل بناء حديقة الفردوس، الذي كان في ساحل القرية الوسطى وهي معبر موكب فاتح العالم السلطاني، وأقاموا مكانها عمارة في عظمة وزينة، وقد جلبوا إليها أنواع الأشجار من كل ناحية وغرسوها في تلك الحديقة، وتقرر بأن يعمروا الجسور وبيوت القوافل الواقعة على الطرق والآثار الخربة بالاهتمام والسعى الكافي وذلك حتى لا يرى العابرون في أثناء مرورهم ضرراً من برودة هواء أذربيجان وشدة الجليد والعواصف الثلجية.

٦٣ - ومن جملة مآثر الدولة المتزايدة يوماً بعد يوم تحديد الأراضي الديوانية والأملاك الموقوفة :

ولما كان دفتر حساب الأملاك المملوكة للدولة وغير المملوكة قد تفسخ عن بعضه بسبب اختلاف الأزمنة والعهود ، وتغيير الدول وغلبة المحتلين وعدم اعتناء الحكام في

(١) قصور الولدان والخور العين : هي أسماء قصور في الجنة والتي ورد ذكرها في القرآن الكريم .
(المترجم)

التمييز والتحديد، فقد سرى الحكم بتعيين الكتبة النابهين والمحريين المدققين لىستخدموا استفساراً كافياً واستبصاراً وافياً، ويوصلوا نفقات الوقف إلى مصارف الموقوف عليهم.

وقد سرى أيضاً الحكم لبقاع الخير المرتفع فى مملكة أذربيجان وذلك بأن تُعمر من جديد حيث كانت قد سويت بالأرض بمرور الأزمنة والدهور وبسبب وقوع الزلازل الكبيرة، وبأن يعمر أصحاب الأملاك القنوات المنظمة وبأن ينهوا المياه إلى أمر حسن وسعيد [ص ١٣٩]، وكل من ليس له معونة إنفاقه أُعين من رئاسة ديوان صاحب الشوكة والعظمة، وتنفذ الحكم مثل الماء إلى أن يوقف عمال الديوان لفترة المطالبة بحقوق الأملاك ذات النظم الجديدة.

٦٤ - صدور الأمر بتحديد يوم للمظالم :

حيث إنه يظهر فى الشهر يوم واحد أمام الإيوان لكل من القوى والضعيف يكون متظلم، ولا يوجد حُجَاب ولا حراس من أجل طالبي العدل وأصحاب الحاجات، وقد أصدر الأمر بتعيين أمناء الشريعة فى كل بلد وهم الحافظون لحدود الشرع ولا يسمحون بأن يُخرج أى أحد قدمه عن جادة الشريعة النبوية.

٦٥ - إنشاء منازل لاستراحة الرسل [البريد]:

لم يكن كل شخص من المتجولين من البلاط السلطاني وسائر الدول - والذين يعبرون من الولايات - نفقة والتزام جبرى منفصلاً على العجزة والضعفاء ورعايا الولاية، وكانت الدواب وأحصنة الرسل ونفقات الطريق والمصروفات تُسلم من أحد الأفراد المتجولين إلى المشاهير من العابرين والقاصرين من سفراء الروم (العثمانيين) والفرنجة. والذين يأتى واحد منهم ويغادر آخر فى كل يوم، ولم يكن الطريق خالياً مطلقاً من الناس، وكانت كل هذه النفقات والمصروفات طوال الطريق من رئاسة ديوان

صاحب الشوكة [ولى العهد] . ولم يكن لأحد تلك الجرأة على أن يطلب جعبة قش في طريق من الرعية أو أن ينتقص من روح ضعيف في مصيدة العذاب والتعدي.

٦٦ - إنشاء دار الضيافة :

حيث إنه قد تحدد وتعين من أجل نفقات الضيوف من القادمين والواردين، ونفقاتهم محسوبة من الديوان. وحيث إن أمر مدبري الدولة على الوجه المرغوب.

٦٧ - ضبط الأمور الشرعية وتعظيم أهل العلم والفقهاء والعلماء على الوضع اللائق :

وحيث يعظم ويكرم ولى العهد والقائم مقام والوزير الفريد بأقصى درجة الأئمة المجتهدين والعلماء وأرباب العمائم، وحيث يحضر نائب السلطنة العلية بنفسه النفيسة فى أكثر أيام الجمعة لصلاة الجمعة فى المسجد الجامع، والأمر الذى ليس على قانون الشريعة فهو ساقط من درجة الاعتبار، ويتقابل القائم مقام صدر الدولة كل لىالى الخميس والجمعة مع الفقهاء والمعلمين، وبأنه لو تكن قضية تخرج [ص ١٤٠] عن عدم الحياء، فتُحل بسهولة فى اجتماع العلماء بالساء، وقد دون وحرر القائم مقام رسالة فى أدب الجهاد ورسالة فى إثبات النبوة والولاية الخاصة والعامة وإثبات المعجزة النبوية الخالدة، وقد أضاف فى كمال الحسن والفطنة والذكاء الدلائل والبراهين على الدلائل القديمة للعلماء المتقدمين من الحكماء والمتكلمين الفلاسفة.

وقد عُين من قبل العلماء والمجتهدين العالمين والمتعلمين فى كل قرية حتى يُعلموا العوام تعاليم الجهاد وقواعد الصلوات والصيام ويعلموهم معنى العدالة والمروءة، وبهذا الأسلوب الحسن يدخرون السيرة الحسنة من أجل الدولة.

٦٨ - بيان بقية الأحوال فى مملكة أذربيجان

باستثناء الجند والمدفعيين النظاميين والمسلمين الروس الجدد الذين يقال لهم فرقة الأبطال والعمال وخدم بلاط الفلك المؤسس من أهل الحرمة فى بلاط أذربيجان والكسبه والتجار والرعايا أخذوا جميعهم الأسلحة والألات من العتاد والبنادق وصاروا ضمن المجاهدين، وهم مشغولون بالكسب والعمل فى أوقات التكبس والبيع، وفى يوم استعراض الجيش يدققون ويستقصون فى العمل كل لحظة، فيمر على النظر الذى كالشمس للنواب نائب السلطنة ما يقرب من مائة ألف شخص مسلح ومجهز من الشباب والشيوخ، وقد عين الأئمة والوعاظ كى يعلموا ويشرحوا قضايا الجهاد فى البلاد والقبائل ويطلعوا الجند والمشاة والفرسان والمجاهدين فى كل الديار على الحدود ومراسم الشرع، ويصلوا الصلوات الخمس جماعة ويراعوا حفظ وحماية حدود الشريعة.

٦٩ - علاقات نائب السلطنة مع ملوك العالم :

وأيضاً بعد تمكن ولى العهد واستقراره فى مملكة أذربيجان وبسبب حسن سلوك حضرته، فتح ملك كل دولة مقتدرة وشهريار كل ديار طريق التردد على بلاط كوكب زحل الملكى، وهم يترددون على خدمة الحضرة العلية الملكية سعداء ومسرورين بمحبة وصداقة ووفاء صديق لعهد نائب السلطنة، ولا يتقطع سفراؤهم ورسائل صداقتهم عن بعضها.

ومع أنه الملك ذو الجاه العالى لمملكة روسيا، فقد جعل حضرته واسطة إنهاء أمر الصلح والسلام فيما بين دولتى العهد المقتدرتين [ص ١٤١]، ومع أنه كان لفترة ممسكاً ومصرأ على الصراع، ولم يكن حضرة نائب السلطنة راض بالصلح والسلام، فقد عمل مرة أخرى على استرضاء خاطر عظماء دولة الروس البهية ومدبرى أمر دولة إيران العلية، ومال إلى عمل الصلح والسلام من أجل استراحة أهالى الدولتين المقتدرتين.

ومع أنه ملك إنجلترا، فله ما يفوق العلاقات الخاصة والتوحد مع حضرة ولي العهد نائب السلطنة، حيث لم يكن ينقطع السفراء ورسلك تلك الدولة عن بعضهم يوماً بعد يوم، فهو يجعل من نائب السلطنة وسيلة محبته ومراودته عن طريق مشاورته في كليات وجزئيات أموره بإرساله له خطابات الصداقة والمحبة، حتى إنه في هذه الأوقات، قدم إلى ساحة الوجود لذلك الملك ذى الجاه ولدين حسنين المولد من كتمان العدم، وكانت قد حدثت سعادة كاملة وفرح لذلك الملك، فأرسل مراسلات المحبة والصداقة في هذا الباب وذلك بأنه: وبما أننا سعداء من هذا الحال فيجب أن يكون نائب السلطنة أيضاً سعيداً من سماع هذه البشرى^(١).

ومع أنهما ملكا النمسا وفرنسا، فقد كانا دائماً يبحثان وسائل الصداقة ويسعيان إلى طريق الاتحاد معه.

٧٠ - وكان من جملة مآثر الدولة المشهورة :

حسن اهتمام النواب نائب السلطنة بازدهار المخرعات والبدائع والصناعات وظهور دقائق أهل الصنعة والفن في إقليم الجنة العامرة إيران وعلى الأخص في مملكة أذربيجان، ومن بينها ذبوع لغات أقاليم العالم المختلفة وانتشارها في عتبة السماء المؤسسة. فقد اطلع مقربو الحضرة ومقربو البلاط على جميع اللغات والألسنة من كل مملكة لها لغة وقلم على الأفواه ويكتبون الرسائل ويبعثون الرسائل ويرسلونها، وهم فصحاء وبلغاء في كتابة وإجابات الرسائل ومقتدرين في عملهم وبصيرين باللغة الفرنسية والإنجليزية والهندية واللغة البولندية والروسية واللاتينية واللغة النمساوية.

(١) هناك رسائل عديدة متبادلة بين عباس ميرزا ولي عهد إيران وملوك أوروبا ولاية عهدهم . (انظر مجلدى كتاب (إسناد رسمى در روابط سياسى إيران با انگليس وروس وعثمانى) باهتمام ، غلام حسين ، ميرزا

٧١ - إحضار الجنود ومعلمي المدافع والبنادق والصناع المهرة والأطباء والجراحين من جميع الممالك الأفرنجية (الدول الأوربية) :

كان يوجد فى رئاسة وولاية حكومة ولى العهد الموظفون وريائب الإحسان والرعاية [ص ١٤٢] مفتخرين مع أقرانهم وأمثالهم، ولم يقتنع حضرته بالحاضرين فى خدمته وبالملتزمين بركابه، فأرسل جمعاً من أولاد أمراء هذه الديار من المهندسين والأطباء والمدفعيين والفنيين والصناع ومدرّبي جيش ملجأ النصره إلى "لندن" وهى عاصمة ملك إنجلترا. وقد بقوا هناك لعدة سنوات، فكانوا يبذلون الجهد البالغ والإهتمام الكامل فى تحصيل واكتساب العلوم والأخذ بعادات وسلوك تلك الديار، وكانت تذهب إليهم فى كل سنة مرتباتهم ومقرراتهم من أذربيجان إلى لندن. والشئ الطريف فى هذا هو أنه: لو كان يرى أحد الإيرانيين فيما سبق واحداً من أهل الفرنجة فى هذه الديار، لكان يتعجب من وضعهم وهيئتهم ولبسهم، ولم يكن يعرف أهل إيران أن الفرنجة (أوربا) عدة ممالك، وممالكهم فى أية ناحية وأين عاصمة كل واحدة.

وفى هذا العهد الهمايونى والدولة المتزايدة يوماً بعد يوم ومنذ عام وستة شهور والطريق يتردد عليه جماعة الإنجليز والفرنسيون والروس إلى بلاط صاحب العالم عن طريق بلاد الهند وإسلامبول وغيرهما بالأشياء النفيسة والبضائع الغريبة، ويمررون تحفهم وهداياهم على النظر الشريف، فيصبحوا موضع العناية ومطرح الرعاية والإحسان اللائقين، وقد استفاد حكماء ومدبرو أمر البلاط من سلوك وأفعال وأعمال جميع طوائفهم. وفى هذا العام أظهر المهندسون والأطباء والحكماء والمتعلمون كفاءة كاملة من التعليم والتعلم على التصويب بالمدافع وصناعة البنادق وزنادها وكما أجابوا فنوناً أخرى مثل الحدادة والبرادة والصقل والتلميع، وعادوا من لندن وتوجهوا إلى البلاط، وقد لاقى حصولهم على العلوم والفنون استحسان وإعجاب النظر المبارك، فصار كل واحد منهم محسوداً من أقرانه بإزادة الإنعام والرواتب والإحسان لهم، وقد أثنى الأطباء والصناع والفنانون الإنجليز أيضاً على جدارتهم، وقد أصدر حضرة

نائب السلطنة الأمر بعد حضورهم إلى هذه الأقاليم بأن يسرع إليهم عدة أفراد من أطفال عظماء البلاط كتلاميذ ليتعلموا على أيديهم ويقوموا بتعلم اللغات واكتساب الصناعات والفنون.

[ص ١٤٣] ٧٢ - وكانت أعظم صناعات الفرنجة عمل الطباعة :

وهي التي تستخرج الكتب المتعددة بخطى النسخ والنستعليق. فقد أحضر أحد أنكباء دار السلطنة تبرز أدواته وأقلامه^(١)، وفعل كما هو متبع ومتصرف في هذا العمل بحيث إنه عندما تخرج الصفحة من عمله يجلب حسن خطها حسد ومنافسة أقلام أحسن الخطاطين، وبالإضافة إلى حسن الخط كان يرى من الطباعة حلاوة الأسلوب، وقد صار هذا باعثاً على حيرة الأساتذة الفرنجة (الأوربيين).

٧٣ - تأسيس قاعدة صناعة قماش الماهوت في بلدة خو بأمر نائب السلطنة :

لقد كانوا يتقدمون في نسج وصناعة قماش الماهوت^(٢)، وقد سعى الأساتذة الماهرون إلى حد ما على صنع قماش الماهوت الإفرنجي ولم يخرج إنتاج من المصنع. وفي هذه الأوقات أحضروا آلاته وأدواته من بلاد روسيا، وهم مشغولون تماماً الآن بصناعة هذا الصنف الذي هو لباس ورداء أكثر أهالي إيران، ولباس الأعيان

(١) يقصد ملا محمد باقر التبريزي وقد ذكره المؤرخ عبد الرزاق الدنبلي في خاتمة هذا الكتاب ، ويقول أيضا يحيى آرين بور بأن كتاب « مآثر سلطانية » طبع بسعى الأستاذ الشيخ محمد باقر التبريزي ، (انظر أو صباتا نيم : يحيى آرين بور ، ج ١ ، ص ٢٣١ .

(٢) الماهوت : نوع من القماش الغليظ تصنع منه الستائر والخيام والألبسة . (انظر : المعجم الفارسي الكبير : إبراهيم الدسوقي شتا ، ج ٢ ، ص ٢٦٧٨) .

والأشراف والجند والغلمان أكثره من هذا القماش. وقد وصل المنتج إلى شكله وصورته، والرأى الذى يراه نائب السلطنة هو أن لا يكون لأهالى إيران احتياج إلى أقاليم أخرى فى أى عمل وأى صنعة وأن كل ما هو ضرورى لشعب إيران يُعمل ويصنع فى هذه الديار، وبالأ تَقع ضرورة لمتاع وبضاعة الديار الأخرى، وبأن أصحاب الذوق الإيرانى والأساتذة الأنكباء لا ينظرون إلى عمل إقليم آخر بسبب ذكائهم الحاد.

٧٤ - خلاصة الحروب مع الروس حتى سنة ألف ومائتين واثنيتين وثلاثين هـ ق :

والى أن وقّع اتفاق السلام والمصالحة فيما بين دولتى روسيا وإيران اصطف النواب نائب السلطنة سبع مرات للقتال مع الروس ^(١) ، وفى جميع المعارك كان النصر لحضرته باستثناء واقعة "أصلان بوز" التى لم يتيسر له فيها النصر، وكان النصر لنائب السلطنة فى جميعها والتى سوف نذكرها بعد ذلك إن شاء الله تعالى بالتفصيل.

٧٥ - المعركة الأولى : وكانت فى سنة ألف ومائتين وتسع عشرة هجرية :

وهذه المعركة ^(٢) كانت مع إيشبخدر قائد روسيا الذى جاء إلى إيروان وعلى النحو الذى أوضحته السطور الثوبّة من قبل هذا، وفى أثناء المعركة وصل ملك الملوك صاحب عرش جمشيد فى وقت راحتهم، وفى هذه المرة حارب سبع نويات [ص ١٤٤] بالنفس النفيسة فهزم تلك الفرقة واستأصلها جميعاً.

(١) يقصد المؤرخ هنا المعارك التى وقعت فى الجولة الأولى من حروب إيران وروسيا والتى بدأت من علم ١٢١٩ هـ . ق وانتهت فى عام ١٢٢٨ هـ . ق .

(٢) يطلق عباس إقبال على هذه المعركة اسم معركة أشميازين . (انظر تاريخ إيران بعد الإسلام : عباس إقبال ، ترجمة : د. محمد علاء منصور ، ص ٧٦٥)

٧٦ - المعركة الثانية: في سنة ألف ومائتين وعشرين هجرية:

حيث أصدر كسرى نو الإقبال العالي الأمر لنائب السلطنة بالتوقف والبقاء في مملكة أذربيجان وبانضباط أمور وشئون ذلك الإقليم، وقد وقعت هذه المعركة والحرب في منزل "عسكران" على بعد ثلاثة فراسخ من قلعة شوشى، وتحاربوا ستة أيام بلياليها ، وهى فى الوقت الذى كان فيه إبراهيم خليل خان والى قراباغ قد حضر إلى تلك الطائفة لإمدادها وكان قائدهم الذئب بولكونيك ومعه كتلراوسكى، ويرد ذكرها بعد هذا.

٧٧ - والمعركة الثالثة : وكانت فى هذا العام نفسه أيضاً عندما وقعت رحلة ، كنجه ، :

وحيث كانت رحلة كنجه بغرض ترحيل رعاياها حين وقعت المعارك مع جماعة شمس الدينلو وغيرها فى الغابات ، ويعد ترحيل أهالى كنجه تحاربوا أربعة أيام بلياليها مع الروس فى منزل "زكم".

٧٨ - والمعركة الرابعة : معركة منزل خانشين :

وكانت فى سنة ألف ومائتين وإحدى وعشرين^(١) هجرية، وقد حدث فى هذا العام نفسه قتل إبراهيم خليل خان على يد الروس.

(١) ينكر عباس إقبال أن هذه المعركة كانت فى سنة ١٢٢٢ هـ . ق (انظر تاريخ إيران بعد الإسلام : الترجمة العربية : محمد علاء الدين منصور ، ص ٧٦٧

٧٩ - والمعركة الخامسة: في سنة ألف ومائتين وثلاث وعشرين هجرية :

حيث مجيء كدويتش قائد روسيا إلى إيروان ومعاركه مع جيش الإسلام وأبطال إيران وتحرك راية نائب السلطنة لمعاونة حسين خان القاجاري قائد إيروان وهزيمة كدويتش ومعاركه حضرته (ولي العهد) بالقرب من نخجوان وقراباغ وغيرهما، ومحاربة حسين خان القائد لتعويض هزيمته في الخنادق القريبة من "حاجي قرا" وحصوله على النصر، ومحاربة جنده ومجاهدي الإسلام في "شيخ أويز" وانتصارهم في سنة ألف ومائتين وخمس وعشرين هجرية.

٨٠ - والمعركة السادسة : وهي في شهور سنة ألف ومائتين وثمان وعشرين :

وتفصيل مشكلة "سلطان بود" هو أن الفتح كان قد وقع لنائب السلطنة في أثناء قيادة "مرقص" قائد روسيا لجيشها، وقد حدث في هذا العام نفسه فتح طالش وهروب مصطفى خان وهزيمة جيش الإسلام أيضاً في "أصلان دوز"، وتفصيل هذه الأحوال والمعارك والمذكورة باختصار سوف يوضحها قلم البيان بالتفصيل إن شاء الله تعالى [ص ١٤٥] في شهور سنة ألف ومائتين وثمان وعشرين أيضاً حضرت فتاوى مجتهدي العصر ووصلت رسالة كل واحد منهم.

٨١ - بيان فتاوى مجتهدى العصر فى هذه السنوات بشأن معارك الروس، ووصول رسالة كل واحد منهم المنفذة لأحكام الجهاد لهذه المعركة، وبيان بيانة الحضرة العلية السلطانية والنواب نائب السلطنة فى سلطة نائب إمام العصر للاستعداد لهذه الحرب، ووضع رسالة الجهاد للقائم مقام، وإضافة ألقاب لفظ الغازى والمجاهد فى سبيل الله على ألقاب الحضرة العلية ونائب السلطنة :

فى هذه السنوات، وحيث كانت المعارك قائمة لجيش الإسلام^(١) مع الروس، ولم يكن دافع الحرب والنزاع مع تلك الطائفة موقوفاً بوقت ومحددأ بزمن لأبطال المسلمين، بل كانوا مصطفىين على سبيل الدوام فى صفوف المعركة، وكان علم النصر [معقوداً] على الحزام، وكانت الراحة حرام على نائب السلطنة وميرزا الكبير القائم مقام صدر الدولة والأمراء وكبار الحضرة والجنود، وكانت كفاية هذه المشقة التى لا نهاية لها - على ذمة همة نائب السلطنة والقائم مقام وحاضرى الركاب صاحب الظفر والجيش صاحب النصر، وكان مستريحو الممالك الأخرى يسترخون فى مهد الراحة ويسمعون الأخبار عن غوغاء يوم القيامة، ولم يكونوا يروا أثراً من نارها ودخانها. ولقد كانوا مستمرين فى الركوض والنهوض وفى برودة شتاء أنزبيجان وفى حرارة قراباغ وموغان. والبضاعة التى لم تكن لها قيمة فى ذلك الجيش كان نقدها وثمانها الأرواح. والمتاع الذى لم يقدر بقيمة حبة شعير كان جوهر الأرواح والتى لم تكن تُراعى بشيء. وكانت رعى المسلمين والروس قد وقعت فى ميدان الحرب، وكانت دائرة معسكر روسيا بحراً من النيران الملتهبة وجهنماً شديدة الصخب، وكانت أفواج أمواج

(١) يقصد المؤرخ جيش إيران على أساس أنهم مسلمون . (المترجم)

الجند والفرسان فى غمرات شعل النيران مثل سمندل سياوش^(١). وفى أثناء هذا القتال والصراع كان مقربو الحضرة يتعرضون لمسائل عديدة، فى أشهر الصيام وغيرها، عن الصلاة والصيام وحكم الأسير والإغارة وفروعها، وحيث كان يصعب تمييز وتوصيف هذه الحروب بالغزو والجهاد. فتعلقت هموم هذا الفكر فى ذبول القلوب وهو: هل تحمل هذه المشقة والمصابرة على هذا التعب اللانهائى - الذى كان [ص ١٤٦] نموذجاً لحفل المحشر وعلامة من يوم غضب الله - وهل صرف الأموال التى لاحدود لها وفقدان الأرواح والمقامرة بالرعوس والنفوس فى البلاط الإلهى مثمر للسعادة ويأخذ على إثثار الرحمة والمغفرة أم أنه مجرد حفظ وصيانة الملك أم هو مجرد الدفاع أم هو رعاية سد الفجوة الخارجية، أم هو خاص بأهل أنزويجان أم هو الغزو والجهاد حيث يشارك جميع المسلمين فى هذا التعب. وهل كل هذه الخزائن والسلاح - الذى يُصرف فى إصلاح هذا الأمر وتجهيز الجيش الجرار - وتدفعها الخزائن وتصنعها الأعمال ، هل كل هذا موافق لقانون شرع الرسول الأكرم، أم هو المتعارف عليه طبقاً للعرف ودستور ملك الأكاسرة العظام وأسلوب كسرى وجمشيد.

وبناءً على تمهيد وإعداد هذه المقدمات، توجه نائب السلطنة والقائم مقام بعد العرض على بلاط الخاقان صاحب عرش جمشيد أولاً إلى حضرة صاحب المقام الرفيع الحاج الشيخ باقر السلماسى وثانياً إلى صدر الأمة والدين مولانا صدر الدين محمد التبريزى من أجل الاستفتاء وحل القضايا وتحقيق ودراسة المراد من الشيخ جعفر النجفى وميرزا أبى القاسم الجابلقى والسيد سيد على المجتهد، نور الله مضاجعهم وشكر الله مساعيهم بعتبات العرش العالية الدرجات. ودونا أيضاً الخطابات والرسائل فى هذا الشأن للبحث فى الآيات والنصوص، إلى علماء إصفهان ويزد وكاشان مثل المرحوم الحاج محمد حسين إمام جمعة إصفهان والشيخ على أكبر الإيجى والفقيه الشيخ أحمد الكاشى، وفى أقل مدة وصلت من الأطراف والأنحاء

(١) سمندل حيوان خرافى يقال إنه لا يعيش إلا فى النار ، وسياوش : وهو ابن كيكائوس ووالد كيخسرو . (انظر المعجم الفارسى الكبير ، ج ٢ ، ص ١٦٠٨ ، ١٦٤٧) .

الرسائل العديدة، ونظم شعراء عتبة أمير المؤمنين عليه السلام القصائد العربية في مدح الحضرة العلية الخاقانية والنواب نائب السلطنة ، وأرسلوها وشرحوا الرسائل في إثبات الجهاد والغزو والفتوى في الملة البيضاء وبأن ملك الملوك اليوم ونائب السلطنة هو الغازي بالحق في سبيل الله ، ومُحيى ملة سيد المرسلين. وفي رسالة الشيخ جعفر والسيد سيد علي - اللذين كانا رأسى ورئيسى المجتهدين دونا بصراحة تنصيب نيابة الإمام ووكالة الفقهاء نوى العزة والاحترام في هذا المقام وصرحوا بالدلائل الواضحة والبراهين الساطعة [ص ١٤٥ م] بأن معارك اليوم مع جماعة الروس هي الجهاد. وكل ما أُخذ من الرعايا بقانون الشرع الشريف من حساب الخراج يصرف لهذا الطريق لهو الحلال، وأن القائمين بأمور الجهاد ملمون بالعسكرية الجديدة من الكاتب حتى الرئيس بشرط الديانة والأمانة، وهم مثوبون ومأجورون أحياء في يوم الحساب، والواجب على الصغير والكبير والوضيع والشريف في الممالك المحروسة أن يستعدوا لواجب الحرب بغرض الجهاد من أجل تقوية الدين وإعلاء كلمة الحق وحفظ بيضة الإسلام.

والخلاصة، أنه بعد ورود المسائل والقضايا، قام القائم مقام صدر الدولة بمطالعتها وقراءتها فقضى عمراً وبعد الدراسة والتدقيق طابق الفتاوى واجتهادات العلماء الفضلاء، وعقد الهمة على جمع وتدوين القضايا والرسائل، وأقام المجالس الروحية لاستقبال حضور الفضلاء، وشرع في جمع أقوال المجتهدين في رسالة مستقلة لقضايا الجهاد والتي كانت مهمة ومتركة لسنوات ولم يُقبل عليها ويهتم بتدريسها ويحثها أي من العلماء والفضلاء في العصور من منطلق أن السلاطين السابقين لم يكونوا في حاجة إليها. وبمجرد أن قام القائم مقام بدراستها وتتبعها لعدة أيام، وبسبب حدة ذهنه السليم واستقامة سليقته أظهر مهارة فائقة في تلك القضايا - والتي لم تكن مقدورة لشخص ولم يكن من المتصور مزيداً عليها، وأتم الرسالة المستقلة. فما كان يحتاج إليه الأمراء وقادة الجيوش والمجاهدون، يجدونه في أقل عناء، وكان يستقر مطلبهم في الأذهان بسرعة. ومن أجل هذا قاموا بترتيب وإعداد الرسالة الأخرى وضبطوا ودونوا تلك الرسالة في أقل من يوم ، وقد جاءت تلك الرسالة في غاية الاختصار ومقبولة للطباع المختلفة والآراء المتفاوتة. ولهذا نُسخت من

هذه الرسالة النسخ الأخرى وعُرضت في مجلس حضور الحضرة العلية السلطانية فصارت موضع الإعجاب والثناء.

وأيضاً كان قد أتى إلى إصفهان يوسف المدعو ببادري - الذي كان من أهالي أرض الفرنجة "أوربا" - وتلمذ على يد علمائها، فوصل إلى مهارة كاملة من الفضلاء الكرام في الخط والعلم والدين الإسلامي، وبسبب منتهى خُبث طينته وفساد طويته ذكر ودون الأحاديث في رفض نبوة خاتم الرسالة [ص ١٤٦ م] وإنكار إعجاز القرآن ببراهينه وأدلتة السخيفة، فدون بعض من فضلاء العراق وفارس رداً مختصراً غير مُقنع. وفي تلك الأثناء أدرك الموت "بادري"، فوصلت أوراقه إلى نظر القائم مقام.

وبسبب غلبة الغيرة الهاشمية والعصية للدين المصطفى والفصاحة المرتضوية، ضرب ذيل الهمة على وسطه (تشمّر) واستدعى شخصين أو ثلاثة من القساوسة والرهبان، وقام بتتبع وتفحص التوراة والإنجيل وباعتبار أن أسس الدين المسيحي واليهودي حسنة مثلما كانت، انتقد ضعف مذاهبهم، كما أورد أيضاً الدلائل الأخرى بذكائه الحاد، ورد على أقوال بادري وإدعائاته.

والحق أنه يُتم عمله، وهو الآن مشغول بتحرير ذلك الكتاب ولأن الدلائل والبراهين السامية - التي لم تصل إلى ذهن كثير من العلماء والفضلاء - تصل إلى ذهنه فهو يأتي بثمانية أدلة لكل موضوع ويفتح أمام السامعين أبواب الجنة الثمانية وستصبح تلك أيضاً الرسالة المقبولة والمرغوبة والرسالة ذات الأسلوب السلس، وسوف تنتهي بالتوفيق إن شاء الله تعالى.

والخلاصة، أنه في هذه السنة المباركة الطالع ذهب علماء أذربيجان وفضلاؤها إلى المساجد والمنابر وأسسوا بناء الوعظ، ومن فوق المنابر وبصوت عالٍ ندبوا بسلوك تلك الطائفة مع المسلمين، وثقّبوا جواهر الوعظ بمثقب طلاقة اللسان وفصاحة البيان فاثّروا في المستمعين وأنزجرت قلوب الغافلين، وأمسكت الغيرة الإسلامية بذيل جمع كبير بالإضافة إلى جماعة الجند والغلمان العاملين في الخدمة [الأجراء] وصاروا راغبين ومتطوعين للجهاد. وأصبحوا منتظرين للحرب والجهاد بالأسلحة والمعدات الحربية بسبب الشحذ السابق لكي يقوموا بالجهاد في الوقت الذي يصدر فيه الأمر

والإشارة وحتى يظهروا ويبهروا جوهر ذاتهم. والآن فى جميع بلاد أذربيجان التقى فى كل مكان ما يقرب من مائة ألف مجاهد بالسلاح والعتاد والمؤن.

٨٢ - بيان مخالفة إبراهيم خليل خان ومحاربة مقرب الحضرة إسماعيل بك بأمر النواب ولى العهد مع الجيش القرباغى وتحرك راية ولى العهد من خلفه إلى قرباغ :

ولما كان قد تشرف بالنفاذ حكم القدر الأمر الصادر من منبع العز والجلال ، [ص ١٤٧] بأن يعبر الأمير الفريد نهر آرس، وأن يقطع غبار الصحراء الثائر بالجمال القوى السريع، وبأن يجعل تراب تلك الديار فى مهب الريح، وبأن يذيق إبراهيم خليل خان جوان شير - الذى كان قد حطم عدة أحجار على رأس جاه الاستكبار بالعداوة وكان غراب الغرور قد باض فى عش دماغه - سم العناء من كأس السطوة والقهر، ويأثنه لو أشاح بوجهه عن مسئولى الدولة القوية الأساس بسبب عناده وعدم نخوته ولجأه وكان ثانية وكما كان، يمتطى دابة الجهل ويطلب الاستعانة من الروس، فيكون مهياً للحرب ومستعداً للطعن والضرب فى تلك الأقاليم، وبأن يصوب شهب رصاص البنادق ويشعل صواعق السهام والسيوف على تلك الشرذمة القليلة المطوية فى أدراج الرياح.

فإن الأمير، بموجب صدور فرمان أمر الدنيا المطاع، قد فتح ألوية النصر من دار السلطنة طهران إلى ناحية أذربيجان، وعزم إلى قرباغ عن طريق "أهر"، وقبل أن يعبر نهر آرس، أظهر إبراهيم خليل خان رأس العداوة والخلاف بسبب استماعه خبر نهضة موكب أثر الظفر، ونظراً لشدة خوفه ورهيبته تسلل إلى قلعة "شوشى" واستحكمت فى نفسه نفس الزجرة وحيرة الضيق فأرسل جعفر قلى بك بن محمد حسن خان - الذى كان حفيده - مع ابن فضل على بك جوانشير إلى "كنجه" عند الروس من أجل العون والمحافظة على جسر "خدا آفرين"، وقد أرسل إيشبخدر أيضاً فوجاً كبيراً من الجنود من أجل حراسة جسر "خدا آفرين" والمحاربة مع الجيش

المقترن بالنصر، وقد صار هو نفسه أيضاً بسبب غاية تهوره على الفور عازماً الجدل ومستعداً للقتال والنزاع. وبعد حضور تلك الزمرة العنيدة، جعل إبراهيم خليل خان جمع من فرسان ومشاة قراباغ في صحبة ابنه محمد حسن خان، وبالاتفاق سار جيش الروس لحراسة الجسر والمقاتلة مع جيش الإسلام، فأمر نائب السلطنة بأن يكون في المقدمة مقرب الحضرة إسماعيل بك مع جمع من قسبة "آهر"، وبعد رحيلهم وصل إلى نائب السلطنة وقت العصر خبر اتجاه الروس إلى ناحية جسر "خدا آفرين"، وعلى الظن بتلاقى الروس مع إسماعيل بك، فلم يتوقف فكره وطبع حضرته الغيور، وتحرك في الساعة نفسها، وبعد ظهر [ص ١٤٨] غد ذلك اليوم حضر إلى ساحل نهر آرس، ورجع أربعة فراسخ من جسر خدا آفرين، فتقابلوا مضطرين، وهناك دارت نغمة الحرب وصوبوا من الجهات الأربع رصاص بنادقهم وسهامهم على تلك الجماعة فضيقوا عليهم الدنيا الرحبة الواسعة، وحميت أكباد جيش الإسلام والتهبت أرواحهم، فالتصق في شجعان روسيا وقراباغ عار الفرار من الخصم وطبع اللجاج والعناد، وضاق الميدان المزدحم على مبارزى الطرفين حيث لم يعد في الأمر مراعاة العيب والعار، فجزعت أعين إسماعيل بك لمشاهدة هذه الأوضاع لشدة غيرته وحفظه للشرف والسمعة، فسالت الدموع على وجهه مثل اللؤلؤ، فكانت نار الغضب والحمية تقفز من موقد صدره، وكان يُظهر في كل لحظة الحملات الرجولية والمحاولات الشجاعة حتى أنه كادت تُصاب أعين أبطال الإسلام، وحيث كان في ذلك الوقت موكب الظفر كوكب نائب السلطنة ظاهراً من بعيد. فصار غبار كحل أثار جيش الإسلام والتراب الصاعد للفلك توتياء عين الأبطال الشرفاء. وقويت قلوب إسماعيل بك وسائر المجاهدين، وتجددت أجسادهم الخالية من الروح بروح جديدة. ولما رأى الروس والقراباغيون راية حظهم مقلوبة وقائد أجلمهم جميعاً مُرشد إلى وادى الزوال والفناء، فأنقذ البقية الأحياء أعناقهم من مقلب الأجل واختاروا الفرار من معركة القتال على البقاء ووصلوا بأنفسهم بين الساقط والناهض من المعابر الصعبة والغابات الكثيفة الأشجار إلى قلعة "شوشى" وبعث نائب السلطنة برعوس الروس والقراباغيين إلى بلاط سماء الجاه، وعلى الدوام صار عازماً على قلع أس فساد تلك الجماعة.

٨٣ - محاربة نائب السلطنة ولى العهد مع بولكونيك قائد جيش روسيا، وتحصن تلك الجماعة، والاستيلاء على خنادقهم :

أصدر النائب ولى العهد الأمر بتعقب تلك الجماعة بالجيش الذى هو فى قوة الجبل والبرق المهاجم فى سرعة وخفة ويتعقب تلك الزمرة حتى موقع "آق آغلان"، وفى وسط الطريق، وجد رؤساء طوائف ورعايا قرا باغ الإذن بالتشرف فى حضور صاحب الشوكة والعظمة، فشاهدوا من إنعام وإحسان الأمير الحظ الموفور [ص ١٤٩] وإكرامه اللامحصور، وانصرفوا.

وقد أمر بتعيين نجف قلى خان كروس - الذى كان من جملة القواد المشهورين - لحراسة "آق آغلان" وهى التى كانت تبدأ من قرا باغ، ومن هناك طارت راية العقاب عن طريق "تشناقتش" - وكان من أصعب المسالك ومليئاً بالصعاب الكثيرة ومن أوعر الجبال والهضاب، وفى منزل "تشناقتش" سمحوا لبعض نواب حملة البنادق بأكل علفها وحيث إنها كانت قد استجابت للضعف والذبول.

وطبقاً لعادة الجيش، فقد اندفع مشاة النيران المشتعلة فى المقدمة وتراجعت الفرسان المحرقة للعالم إلى المؤخرة، وبهذا الترتيب انتظم شكل الجيش وبهذا الاستعداد المحمود وهذا النظام اللائق - وحيث انطلقت أصوات المدح والثناء من إنحاء ظهر الفلك الهرم - توجهوا عازمين قلعة بناه آباد (شوشى).

وفى يوم الحضور إلى خارج القلعة، يأس أهالى القلعة وهم من المسلمين والنصارى وأعوان وأنصار إبراهيم خليل خان ونقضوا أيديهم عنه، ويقوا بلا مأوى وبدون نظام، وفى تلك الأثناء صار خبر قدوم معسكر العالم الجائب لأطرافه إلى منزل "تخت طاوس" - الذى يبعد عن قلعة "بناه آباد" ثمانية فراسخ - الخبر المضى لأن أهالى معسكر نائب السلطنة، ومن ناحية أخرى، صار الخبر المزيد للبهجة قدوم الذئب "البولكونيك" قائد جيش روسيا مفرحاً لخاطر وفكر الأمير والمجاهدين الصائدين للأسود، وكان الذئب البولكونيك قائد روسيا وكتلراوسكى وآخرون من القادة المهمين لجيش الروس وفوج غفير والمدفعية وترسانة الأسلحة ومائتا عربية ممثلة بالأسلحة

والعتاد ومشحونة بالموئن والألبسة الكثيرة والتجهيزات والاستعدادات التي لا تحصى يأتون من كنج قادمين إلى "عسكران" طبقاً لدعوة إبراهيم خليل خان من أجل المقاتلة والالتقاء مع جيش الإسلام وحراسة قلعة "بناه آباد"، وقد عُرض هذا الخبر على نائب السلطنة في أثناء نزول الموكب المزين بالنجوم خارج قلعة "بناه آباد".

وقبل أن يسترح جيش ملجأ النصر لبرهة من التعب أو أن يتوقف ساعة في الخيام من أجل استراحة الدواب وإراحة الأنعام، فقد ركب الجواد [ص ١٥٠] المسرع كالريح بدون تأمل وتأخير بغرض الحرب والبحث عن الشهرة والاعتبار، ورفع راية الغزو والجهاد، وقام بتصفيف الصفوف وتسوية الألوف، وأوقف قيادة الجيش المقترن بالظفر على مقرب الحضرة إسماعيل بك وأوقف قيادة فرسان أثر الشجاعة على بير قلى خان القاجارى وعلى خان القوانلوى القاجارى وصادق خان عز الدينلو القاجارى، وعهد باللواء الكبير إلى رعاية واهتمام مهدي قلى خان القاجارى، وأمر حملة بنادق فراهان وكزاز تحت قيادة الحاج اللهوردى خان القاجارى بالتوقف في مواجهة التل الذى كان موطن جيش روسيا.

ولما كانت الشمس المنيرة مشرقة على الجيش، فقد بقى نائب السلطنة لثلاث ساعات حتى الغروب، وبالقرب من عسكران تقابل الفريقان والتقت الفئتان، وفي شوق كامل رفعوا راية الحرب والقتال على ميدان المعركة، وبسبب غاية الشوق لم يخشوا بالقطع كالسمندل وكالفراشة نيران ولهب مدافعهم الرعدية القاذفة باللهب. وكان كترأوسكى وبولكونيك قد أحكما قدم الثبات والبقاء في مضمار الشجاعة الحسنة، فسحب جيش نائب السلطنة مكان استقرارهم وإقامتهم من على الجبل إلى مكان في مواجهة صفوف الروس، وحتى وقت المساء كانت بوارق المدافع والبنادق تحرق ببادر وجود الشجاعة وكانت ضربات طلقات الدانات الثقيلة تُشعل النيران في الحجر الصوان. وبذل بيرقلى خان القاجارى ومحمد على خان وصادق خان القاجارى المجهودات البطولية وفي أثناء القتال وحرارة المعركة أُصيب صادق خان القاجارى بإصابة بالغة من قذيفة البندقية الممطرة للنيران.

والخلاصة، أن مشاهير جيش ملجأ الظفر هجموا مترجلين بأمر نائب السلطنة من اليمين واليسار كسيل الطوفان الشديد، ولم يتحمل ككتراوسكى وشجعان الروس حرارة المقاومة أمام هجوم الجيش الطاحن للعدو وحملته، وسحبوا أنفسهم هاربين إلى مقبرة واسعة والتي كانت مشتملة على عدة أماكن محكمة البنيان، وفي ذلك المكان وضعوا العربات (المدافع) الشبيهة بالفك والمدمرة للصخور على أطرافه، وحفروا الخنادق أسفل العربات وملئوا ظهرها بالأحجار والتراب، وجلسوا وسط المدافع الرعدية [ص ١٥١] كشعلة النار، وقذفوا طلقات المدفعية في كل لحظة على جيش الأمير، وبسبب مشاهدة هذا الحال أمر النواب نائب السلطنة حملة بنادق فراهان وكراز بالاحتفاء على الطريقة نفسها وأمر سائر الجيش بأن يعدوا الخنادق على أطرافهم ويفتحوا نيران المدافع والبنادق على وجه الروس.

ولما وصل خبر تحصن الروس في ذلك المكان المحكم البنيان إلى مقيمى بلاط صاحب الفلك الخاقاني، كلف حسين قلى خان القاجارى ومعه أربع عربات من المدفعية المقلقة للعالم ولوازمها والفرقة الدامغانية ، بالسير إلى معسكر نائب السلطنة أثر الظفر بغرض إمداده، وفي أثناء القدوم، شرعوا فى القذف بالمدافع لتخريب بناء خنادق وتحصينات تلك الطائفة ولدة ستة أيام كانت طاحونة الحرب دائرة، وحمى مجاهدو مرآة الجلادة بحكم نائب السلطنة الصدور وهجموا من خلف وأطراف أسوارهم، واستولوا على جميع خنادق طائفة الروس بقوة عون الله الذى لاشبيه له وبقوة الإقبال العالى للخديو العظيم، وساقوا عليهم الماء الذى بلون النار وله فعل المرآة أى السيف الممطر للتيران، فأسروا جمعاً منهم، وصارت جميع أموالهم وبضائعهم وبوابهم من نصيب مجاهدى النصر، وأصيب البولكونيك قائدهم بثلاث طعنات منكرة، وفر مع عدة أشخاص من الجنود فى ظلمة الليل، وأوصل نفسه ساقطاً وناهضاً إلى قلعة "ترناوت" وأحاط مجاهدو أثره الجلادة بقيادة بيرقلى خان القاجارى بأطراف القلعة، وضيقوا الأمر عليهم، فخرج البولكونيك مضطراً من باب

العجز والإلحاح وأرسل العريضة إلى حضور صاحب الشوكة وطلب مهلة ثلاثة أيام بحيث إنه بعد انقضاء أيام المهلة يسرع بحب وعشق إلى ظل عطوفة الأمير القابل للعدو، وبسبب كمال مرحمة طبعه قبل ملتسمه، ونظراً لطلبه [ص ١٥٢]، فقد تهاون الجنود وتراخوا في شأن الحصار، واغتتم هو الفرصة، وفي الليلة الثالثة وعلى حين غرة هرب، وعلم مجاهدو أثر النصرة بخبر فراره، فقاموا بتعقبه، فأهلكوا بعضاً من رفاقه بضربهم بالسيف البتار وأرسلوهم إلى دار البوار، أما هو فقد أوصل نفسه إلى جبل "جمرق" وهو الذي فاقت قمته في الارتفاع والعظمة عن السماء وكان حصناً ومأمناً لجمع من متمردي أرامنة قراباغ وجذب تابوت جسده من دوامة طوفان الهلاك إلى ساحل النجاة.

وبالمصاحب لذلك الحال، وصل الخبر بأن إيشبخدر تحرك من "كنجه" بجميع جيشه بغرض إمداد "بولكونيك"، وهو متوقف على ساحل نهر "ترتر"، فكلف النواب نائب السلطنة على ذلك المكان إسماعيل بك ومعه جمع الأبطال الذين شعارهم النصرة من أجل معرفة كمية ووضع جيش الروس، وبالمصادفة التقى إسماعيل بك والأبطال المقترنين بالنصر فجأة في عرض الطريق مع جمع من فرسان ومشاة تلك الطائفة، فاشتبكت الحرب، فقتل إسماعيل بك والجيش المنصور جمعاً من تلك الطائفة وأسر وقبض على بعضهم، ورجعوا إلى معسكر الأمير، ولم يخطو إيشبخدر من مكانه أكثر من قدر قدمه. وكان مكنون خاطر الأمير ذلك أن يجره أكثر ويظهر يد الغلبة والنصر في معركة القتال.

وفي أثناء ظهور هذا الفتح الجلى كان عُقاب راية ملك الملوك فارداً أجنحته على منزل "تخت طاوس"، وعندما وصل هذا الخبر أثر السعادة والمسرة إلى معسكر الهمايون، جعل الحضرة العلية الخاقانية النواب نائب السلطنة وسائر قواد الجيش قرناء الإحسان والإنعام، ورفع قمة رأس افتخارهم إلى الفلك الأعلى بسبب وفرة الإحسان والإكرام.

٨٤ - بيان بعض الأحوال التى وقعت فى أثناء توقف رايات فاتح العالم السلطانية فى منزل تخت طاووس :

كان ملك الملوك الموفق يباشر بانتظام الشئون القريبة والبعيدة فى أوقات إقامته بمنزل "تخت طاووس" ضمن النزهة والصيد، وكان يُنزل بمتمردى طوائف ورعايا قراياغ عقاباً لائقاً بهم [ص ١٥٢] وكان يقضى أوقاته السعيدة فى تنظيم أمور وشئون شيروان وتلك المناطق.

وفى المنزل المذكور، وصلت عريضة مهدى قلى خان من إيروان، وكان قد عرض أن محمد خان استدعى مرة أخرى فوجاً من الروس إلى إيروان وقدم إلى "شوره كل" ومنها قام بالعدوان والهجوم، وفى تلك الأثناء وحيث كان قد أتى إلى قرية "تالين" حضر إسماعيل خان القاجارى إلى إيروان وقام بسد فجوتهم بمعاضدة مهدى قلى خان، ولم يستطع محمد خان أن يسلم القلعة لسيطرة العدو نظراً لخدمات وفدائية الطائفة القاجارية الساكنة بإيروان وسائر أهاليها. وعندئذ سرى الحكم إليهم وذلك بأن يحرس مهدى قلى خان محمد خان ويراقبه ويهتم هو بأمور الولاية بنفسه. وقد كلف الخاقان فاتح البلاد أشرف خان الدماوندى ومعه حملة البنادق الدماونديون والكرمانيون والطهرانيون بحراسة القلعة.

ولما كان قد وصل بالمصاحب لذلك الحال خبر عبور "شفت" إلى ناحية دار الحدود "چيلان" إلى مسامع مقيمى بلاط صاحب العالم، فقد كلف ميرزا يوسف المستوفى ومعه جمع من الفدائيين وذلك بأن يتوجهوا بموافقة ميرزا موسى رئيس المنجمين ويقوموا بحراسة حدود تلك الديار وثغورها.

٨٥ - تكليف نائب السلطنة والخلافة بإخضاع كنجه والكرجستان وترحيل رعايا كنجه، وبيان سائر أحوال ذلك الإقليم :

كلف ملك الملوك فاتح العالم فى منزل "تخت طاووس" نائب السلطنة والخلافة الأمير عباس ميرزا على ناحية "كنجه"، وكما كلف إسماعيل بك ومعه فوج من الجيش

بمحاربة إيشبخدر. فحول النواب نائب السلطنة ومعه عساكر نصرة المآثر العنان من منزل عسكري إلى ناحية "كنجه" وأصبح الموكب المزين بالنجوم كحل العيون المبصرة للفلك.

ومن المصادفات، أن إيشبخدر الذي كان قادمًا من "كنجه" بنية الحرب بتجهيزات واستعدادات كاملة في ساحل نهر ترتر وبسبب مشاهدته لأعلام الجيش وأثار وعلامات المعسكر ملجأ الظفر، أوصل نفسه إلى جبل "آق دره" الذي كان من أصعب الطرق والمسالك، وانزوى في مخابئ دره وغاباتها. [ص ١٥٤]

ولأنه لم يكن للنواب نائب السلطنة الإذن بالتوقف عدة أيام ومحاصرته (إيشبخدر)، فقد ارتفعت راية العزيمة صوب مقصودها، وأخضع أطراف مدينة كنجه وقتل جمعًا من المعاندين كما أسر بعضهم، ونزل نزول الإجلال في عزة وإقبال خارج المدينة، وأصدر الأمر لفوج من جيش أثر الطوفان بمحاصرة القلعة، وضيق الرجال المكلفون الأمر على المحاصرين.

وفي هذه الأثناء، شاع خبر كالصبح الكاذب وليس به شعاع من الصدق، بين مسلمي كنجه، وهو بأن معسكر النصر المعظم يستعد للتحرك بأمر نائب السلطنة وقد شاع هذا الخبر الذي لا أصل له بينهم، وعلى حين غرة، خرج صغيروهم وكبيرهم، شبابهم وشيوخهم، رجالهم ونسائهم من المدينة مضطربين الحال ومتفرقين، ووصلوا بأنفسهم إلى المعسكر، فسقطت بعض الأفكار البعيدة في ظن المكلفين بمحاصرة القلعة أيضاً بسبب استماعهم هذه الفتنة والغوغاء، وبمتابعتهم لعوام المدينة رجعوا إلى المعسكر.

ومع أن صدور هذا النوع من الأمور كان منافياً لطبعه الغيور، ولأن المؤن والغلال كانت متوفرة في القلعة، فكان للروس رأس مال الثبات والدوام وباعثاً على إظهار وإعلان الشر والفتنة في خارج القلعة، فلم تكن المؤنة والزاد غير مقدورة وليس في الإمكان للجنود، فبناءً على ذلك لم يعاتب الأمير الشاب المحظوظ الجيش والرعية ولم يحقق معهم، وحملوا أهالي المدينة على دواب الإصطبل والبغال والجمال التابعة للرئاسة الواسعة وعلى خيول جيش الفرسان بأحمالهم وأثقالهم، وساروا في مقدمة

الموكب العالى حتى "شمكور" الواقعة على بعد أربعة فراسخ من مدينة "كنجه"، وتوقف نائب السلطنة فى الخلف مع عدد من جيش النصر، وأقام تلك الليلة على بُعد نصف فرسخ من المدينة. ولما علم الروس عن إقامة الأمير فى تلك الحدود وبتصور المستحيل على أنهم ربما يحركوا حضرته من مكانه بإشارة الغوغاء والاضطرابات وإضرار نيران الحرب، فقد جعلوا ساحة الدنيا منذ أول الليل حتى طلوع الصبح الصادق واضحة كالتنهار بسبب كتل النيران المشتعلة من المدافع والبنادق [ص ١٥٥] .

وتخيل ولى العهد حركاتهم وأفعالهم غير الصائبة من قبيل طنين الذباب. وفى اليوم التالى تحرك من هناك وتشرف بالرحيل إلى منزل "شمكور"، وأعطى لأهالى مدينة كنجه - الذين كانوا قد رحلوا من مساكنهم المعتادة - القسمة والنصيب من النوال والعطاء والمرحمة غير المنقطعة، ونزل بإجلال من ذلك المنزل إلى منزل "زكم".

وفى أثناء القدوم إلى تلك المنطقة، حضر إليها فوج من الروس الذين كانوا قاصدين كنجه بالمؤن الكثيرة لإمداد إيشبخدر، فاعتبر نائب السلطنة قدومهم فوزاً عظيماً، فكلف المجاهدين بقنصهم وصيدهم، فجمعت تلك المجموعة الجريئة عرباتها ورحلها بسبب مشاهدة تلك الحالة وأقاموا خندقاً متيناً وحصناً حصيناً من أجل حماية أنفسهم وتحصنوا بداخله، وأعد الجنود المسعودون برجاً من التراب والأشجار فى مواجهتهم، وقاموا بالحملات والهجمات الشجاعة عليهم، فقتل وسط المعركة اثنين من قوادهم وعدة أشخاص من الجنود، كما أسر القائد الكبير أيضاً مع عدة أشخاص منهم.

ولما لم تكن المدفعية فى الركاب المنتسب للنصر التى تدمر تحصينات الخندق ولم يكن لذلك الجمع المتفرق تلك القابلية من أجل إتمام عملهم فيهلكون بعضاً من الفدائيين فى أثناء تكرار الهجوم أو يجب أن يحاصروهم موكب كوكب النصر مع كل ذلك الجمع المزحم من رجال ونساء كنجه صغیرها وكبیرها لعدة أيام فى صحراء "زكم" وبناءً على ذلك وزيادة عن ذلك الذى دُونَ ، لم يهتم بالقضاء على الباقين من السيف (الأحياء). وقصد الموكب العالى "آخسقة" القوزاق.

ولما كانت حراسة خمسة أو ستة آلاف أسيرة كنجه ونسائهم وأطفالهم في معسكر أثر الظفر متعذراً للغاية ولهذا وبسبب فرط مروءته ومرحمته الذاتية ، فقد كلفهم جميعاً بصحبة ومرافقة بيرقلى خان القاجارى ومحمد على خان القاجارى وأرسلهم إلى إيروان عن طريق "حسين سبوت" ومنها أصدر لهم الأمر بالتوجه إلى تبريز ونتيجة لبأس وسطوة [ص ١٥٦] وحزم سياسة نائب السلطنة وجراسته لمثل أهالى كنجه على النحو الذى دُون. فقد حملوا، وهم مضطربون الحال ومتفرقون، الأحمال والأثقال التى كانوا قادرين على أخذها ولحقوا بالمعسكر وكان نائب السلطنة يهتم بحراسة أموالهم ونسائهم وأطفالهم إلى درجة أن أحداً من الجند أو أميراً من أمراء جيش ملجأ الظفر لم تكن لهم القدرة والمساعدة على أن يمدوا أيديهم إلى الضروريات وما يحتاجونه بسبب خوفهم من العقاب والحكم الملكى. وكم يقدر الذهب والفضة الذى من بينه الحقيقية المختومة التى كانت مليئة بالفضى أشرفى وكانت من أموال أحد أهالى كنجه - حملها أحد غلمان البلاط فى عز وجاه وأحضرها بون أن تتغير تلك الحقيقية المختومة بالعلامة نفسها والختم وسلمها لصاحبها.

وبالإضافة إلى ذلك، فبعد حضورهم إلى تبريز، أرسل الخاقان ناشر العدل مبلغاً ضخماً من الذهب والفضة بصحبة شيخ الملك محمد قاضى العسكر ؛ كنفقات لإنعامهم والذى أحضرها طبقاً للفرمان الملكى وقسمها فى تبريز على صغيرهم وكبيرهم.

والخلاصة، أنه بعد قدوم الموكب المسعود إلى حدود أخسقة القوزاق توقف لعدة أيام وحضر إلى الركاب المنتسب للنصر جمع من أعيان ولاية "كاخت" ومبعوث قلعة "ينكى تفليس" ومعهم جمع من أعيان القوزاق، ومن هناك عطف عنان العزيمة إلى ناحية إيروان وبسبب انعدام العقل والجهل وقعت جماعة القوزاق الضالة فى فكرة أن يقطعوا الطريق على ذلك السيل بدون حذر، فيؤوبون بهذه الطريقة خدمة للروس ويرءوا ذمتهم بسبب إخلاصهم ومحبتهم لهذه الدولة الخالدة العهد وجعلوا هذا المعنى شاهد إثبات نجاتهم من عقابهم ومساءلتهم، ويعد العزم على هذه النية اتفقوا، وجلسوا فى كمين العداوة من منزل أخسقة حتى جولكا إيروان وهى التى أدركوها على بعد ثمانية عشر فرسخاً وجميع أماكنها غابات مزدهمة وكثيفة بالأشجار الضخمة ولم يكن قد

وجد جيش جرار المجال لعبورها حتى تلك الفترة. ولم يكن فى تلك الغابات مكان خالٍ حتى بقدر فرد القامة وحتى لو وجدوا بالفرض [ص ١٥٧] مكاناً كذلك لصدمتهم الأشجار الضخمة فى وجوههم، وأغلقوا طريق العبور كلية على جيش الأمير.

وتوكل النواب نائب السلطنة على الطاف الخالق واتكأ على بواطن خير مواطن سيد الأبرار والحيدر الشجاع^(١) والأئمة الأطهار، وعبر من تلك الطرق، التى كان يصعب عبور شخص واحد فيها بسبب كثرة الأشجار الكثيفة، بملكه وأحماله ومتاعه، وقام بمحاربة جماعة القوزاق المنافقة ومقاتلتهم فى كل مكان قطعوا طريقه، وهُزموا وفروا منكوبين، ومع أن كافة أمراء وقواد الجيش ألحوا بأن يُبعد التقيد فى مكان هكذا بالملك والأحمال بسبب روية الحزم والاحتياط، ويتوجه النواب نائب السلطنة مع خواصه وغلمانه ويصلوا بأنفسهم إلى الأمان، فغضب الأمير عليهم من إعلانهم هذا المطلب، ولم يغفل عن حال أى مريض من أفراد الجيش أو الذى كان ضعيفاً وغير قادر، والأغرب من ذلك أنه فى أى وقت كان قد نزل فيه إلى مكان من أجل الصلاة، كان يرغب فى تجرع كأس الشهادة فى ذلك المكان.

وبالمصاحب لذلك الحال، اختبأ أحد جماعة القوزاق خلف شجرة فى كمين وصوب البندقية إلى الذات القدسية الصفات للنواب نائب السلطنة، ولأن إلهه كان عوناً وباطن الأئمة الأطهار مساعده ومعينه، فقد انطلقت رصاصة البندقية وحكت بنعل الأمير، ولم تُظهر مطلقاً أثراً فى بشرة طلعتة. وبسبب مشاهدة هذا الحال، تفرقت على الفور حملة البنادق الجرارة والبنادق فى قبضتهم وسط الغابة وأشعلوا نار الحرب والمعركة وأحرقوا حتى الموت كل من وجدوه بنيران وقذائف البنادق، ومن هناك قدم إلى إيروان بكامل التأنى وبراحة واطمئنان تامين. وعطف على أمير الأمراء والأعيان والرعايا فى ذلك المكان وجعلهم متأملين فى المراحم اللامحدودة لملك ملوك الدنيا الواسعة.

وفى إيروان قضى عدة أيام فى الاستعداد وتجهيز أمور قلعة الولاية وفى مقام

(١) الحيدر لقب الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه .

الحاجة أرسل العريضة إلى بلاط الجاه مع الحاج محمد خان قراكوزلو - الذى كان من الخواص- وطلب التوقف فى أذربيجان مادام أن حرب الروس موجودة [ص ١٥٨] والتمس أن يقصد الحضرة العلية الملكية مقر السلطنة (طهران) فى عز وإقبال حيث إن كفاءة أمر الأعداء موكل إلى غلمان أثر العبودية بعون الله تعالى وييمن الإقبال المصون من الزوال ، وأنهم سوف يقدمون مراسم الفدائية طالما أن الروح باقية فى الجسد والرمق فى البدن ، ومن ثم وبناءً على عرض واستدعاء النواب نائب السلطنة. فوض خاقان الدنيا الواسعة إدارة مملكة أذربيجان إلى نائب السلطنة. وأخذ عقاب الراية التى طرازها الظفر فى الطيران إلى ناحية طهران.

٨٦ - مجيء شفت قائد روسيا إلى دار الحدود (چيلان) ومحاربتة مع أهاليها وهزيمته وفراره :

فى العام الماضى وبسبب غلبة الجنود المسعوديين، كان قد استدعى إيشبخدر من ملك روسيا فوجاً من الجيش من الجانب الآخر، وطبقاً لتمنياته كُف شفت، الذى كان أكثر اضطراباً من الفيل الغاضب، مع اثنتى عشرة سفينة مشحونة بالرجال والمدافع الثعبانية الشكل جهنم النيران والمعسكر وآلات الحرب، من ناحية بحر الخزر (قزوین) إلى اتجاه رشت، واستقلوا السفن، ورسوا بالقرب من طالش، وبعد التوقف لمدة يومين، ساروا من هناك إلى ميناء "أنزلى"، وفى أثناء قدومهم أخلى الميناء قليلاً من حملة البنادق، الذين كانوا مشغولين بحماية ذلك المكان بأمر حاكم "ويلمان"، فجعل الروس من "أنزلى" محلاً لنزولهم، وبسبب ذبوع هذا الخبر، قام مقرب الحضرة ميرزا موسى رئيس المنجمين، الذى كان قد كُف بتنظيم أمور وشئون "چيلان" فى أثناء تحرك صاحب الشأن الجمشيدى من دار السلطنة طهران، باستتصار حكام ورؤساء تلك الديار وبصد استكبار الروس، وبسبب كمال الغيرة وإعلاناً للخدمة أمام نظر أثر العطف الملكى، أحكم الخنادق المستحكمة فى المكان المسمى بـ "بيزة بازار" وجهاز فوجاً من حملة البنادق المسرعين كالبرق عن يمين ويسار شوارع وممرات بيژه بازار،

وأعطى قرار الحرب والقتال، وجعل جمعاً أيضاً مستعداً للحرب فى الخندق، وجلس هو نفسه فى كمين العداوة، [ص ١٥٩] وفى وقت الصباح، عقد حزام الاجتهاد مع مشاة جلادة الأثر والمدافع جهنم النيران على إخضاع خندق "بيزة" بازاء وإنهاء أمر رشت، وأوصل حملة البنادق، الذين كانوا وعن اليمين وعن اليسار متجهزين للأمر ومستعدين للمعركة، حرارة المعركة والحرب ودخان البنادق بكرة النيران وصبوا من الجانبين مطر البلاء عليهم. وعندما أفاق جيش روسيا إلى نفسه كان قد سقط ما يقرب من ألف شخص منهم مثل الورق الساقط من رياح الخريف على أرض الغابة. وقد أوصل الباقون الأحياء أنفسهم إلى ميناء «أنزلى» مقترنين بالخذلان والذلة وهم بين الساقط والناهض. وقد تيسر شرف هذا الفتح العظيم بقوة طالع عطية الله وسعى مقرب الحضرة ميرزا موسى رئيس المنجمين. وقد صار ميرزا موسى وسائر الرجال المكلفين موضع الإنعامات الوافرة والإكرامات الكثيرة.

٨٧ - بيان استقرار نائب السلطنة والخلافة الأمير عباس ميرزا على وسادة ملك أذربيجان بفرمان خاقان الدنيا الواسعة، والأخبار المتنوعة لذلك الإقليم :

ولما نزل النواب نائب السلطنة نزول الإجلال إلى دار السلطنة تبريز، استقبل جميع الرعايا والجنود فى ظل عطفه ومرحمته، وفتح أبواب الرأفة ورعاية الرعاية على كافة الأنام شريفهم ووضعهم كبيرهم وصغيرهم فى ذلك الإقليم الخالد المقام.

وعلى الرغم من غاية الحزن والملل والغم الذى أصابه بسبب حرمانه من فيض تقبيل عتبة الخاقان المستولى على البلاد، فإنه كان يسلى خاطره الشريف عن طريق الاشتغال بالخدمة السلطانية وكان يقوم بتنظيم أمر المملكة.

ومصاحبة لقدم نائب السلطنة إلى دار السلطنة تبريز وصلت عرائض الإخلاص المتصل من شيخ على خان الحاكم العسكري لقبه ودريند وسرخاى خان اللكزى، وحسين قلى خان حاكم "باكويه". وكانوا قد رجوا أن الظن الكلى الحاصل هو أن شفت بعد فراره من چيلان سيخطو ثانية بأقدام التعرض على ولاية باكويه ويمد يد التطاول على تلك الحدود فيجب أن تُجهز استعدادات [ص ١٦٠] الجيش وقلعة باكويه. فأصدر النواب نائب السلطنة الأحكام المؤكدة إلى شيخ على خان وسرخاى خان وحسين قلى خان المبنية على الترغيب والتشجيع لحراسة باكويه ومنع تدخل الروس، وأمر بإرسال أحد الرجال الثقة المخلصين مع التجهيزات والاستعدادات الكبيرة من البارود والذخيرة والأموال والبضائع اللامحصورة إلى قلعة باكويه.

أما شفت، فقد استقل السفن بعد فراره من چيلان ورسى بسفنه أمام باكويه وأرسى بناء الحرب والقتال ، وأشعل النيران بآماكن ومنازل أهالى القلعة عن طريق ضربها بقذائف مدفعية الصواعق ، وبسبب اشتعال شرارة الحرب والقذف بالمدافع من قبل حسين قلى خان وأهالى القلعة فقد وقعت المعارك العظيمة فوق سطح البحر فيما بين الروس وحسين قلى خان.

وفى تلك الأوقات دُمِّرَت قلعة الملوك عدة سفن روسية بضربات قذائف المدفعية وجعلوا جمعاً منهم غرقى فى لجة الهلاك والبوار. ودخل الروس من الجانب اليايس ورفعوا رعوسهم بالججاج والعناد وأسقطوا القذائف كالبرق وسط القلعة والحصن وأشعلوا نيران الحرب من أطراف وجوانب القلعة. ومصاحبة لذلك الحال توجه شيخ على خان بمرافقة نوح بك بن سرخاى خان اللكزى مع جمع كثير إلى الروس وقدموا إلى قلعة باكويه مع أفواجهم المتحدة وتعاونوا وتعاضدوا مع حسين قلى خان وتصاعدت نيران الحرب لعدة أيام من الداخل والخارج. وفى النهاية اضطرب وتفرق جمع الروس وانسحبوا من خارج القلعة إلى وسط البحر ومن هناك فربوا شرع العزيمة واستراحوا وسط "بشت سارى" الطالشية.

٨٨ - فى بيان تحرك موكب ولى العهد إلى ناحية موغان وقتل إيشبخر قائد روسيا وتفرق الروس :

وفى أثناء توقف الموكب العالى فى دار السلطنة «تبريز»، وصلت عريضة مصطفى خان الشيروانى المشعرة على تحرك إيشبخر من كنجه إلى ناحية شيروان، وعلى إلحاحه فى طلب الإمداد والإعانة واستدعائه النصر [ص ١٦١] والحماية. فكلف النواب نائب السلطنة لإعانتته بدير قلى خان القاجارى مع فوج من الأبطال الصائدين للأسود، وفى ساحل نهر "كر"، الذى يبعد اثنتى عشر فرسخاً عن شيروان، اتضح لدير قلى خان أن مصطفى خان قد وضع لبنة المكر والخديعة بسبب ضعف نفسه مع الروس، وقام بالالتقاء مع إيشبخر وبافتتاح طريق الموالاة له، وفتح فى وجهه أبواب الصلح والصلاح، واتفق معه اتفاقاً كاذباً عن طريق الخداع والمكر، واغتر هو أيضاً بأقواله، وتوجه إلى رأس "باكويه" (باكو حالياً). ومن ناحية أخرى انضم إليه أيضاً "شفت" من "سارى".

ومصاحبة لهذا الوضع، وصلت عريضة حسين قلى خان أيضاً الذى كان قد طلب الإمداد، ولمجرد الاستماع لهذه الأخبار، وجه نائب السلطنة حسين قلى خان القاجارى مع فوج من أبطال آثار الجلابة فى صورة هجوم سريع، وأرسل عسكر خان الأفشارى أيضاً مع ألف فارس فى المقدمة بسرعة البرق والريح من أجل أن يصبح داخل قلعة باكويه ويقدم على معاونة حسين قلى خان.

وعلى التعاقب، أصدر الأمر لأحمد خان مقدم الحاكم العسكرى لتبريز ومراغة بالتحرك قبل حركة الموكب المزين بالنجوم ؛ ومعه المدفعية الجهنمية النيران والمبارزين الأشداء من المشاة والفرسان، وعلى الرغم من أنه كان وقت صعوبة الشتاء واشتداد قوتها حيث يصير بخار عيدان الرياح والسنبل أكثر جفافاً، فقد جعل النواب نائب السلطنة همته مسلماً لمحاربة فرقة الروس.

وفى الثانى والعشرين من شهر ذى القعدة الحرام [١٢٢٠هـ ق]، صارت راية الأعلام المنتهية بالنصر ناخلة العنبر من دار السلطنة تبريز إلى ناحية موغان عن

طريق أردبيل، وفي وقت القدوم إلى دار الإرشاد "أردبيل"، وصلت عريضة بير قلى خان والمشعرة على هذا المطلب، بحيث إنه طبقاً لأمر النواب الموفق يصل عسكر خان الأفشارى نفسه إلى القلعة فى سرعة السيل، ويقدم حسين قلى خان القاجارى على حماية وحفظ جسر نهر كر، ويتوقف بير قلى خان فى خارج قلعة باكويه ويلحق شيخ على خان أيضاً به.

وفى تلك المناطق أصبح حال إيشبخدر قرين الاضطراب والاضطرار فى اختلال كامل، وصارت نواب عرياته ومركباته [ص ١٦٢] عرضة للتلف جميعها بسبب شدة البرودة وريح صرصر بحر الخزر، وبسبب فقدانه للمؤن من الأربعة جوانب صار هدفاً لسهام المشقة والبلاء ورماح الهلاك والعناء، فوجد أبواب الحيلة والخلص مسدودة فى وجهه، ووجد أنه لاجل إلا أن ينفصل عن جيشه، وكان قد جاء إلى مقربة من القلعة عسى أن يخدع حسين قلى خان بالتطميع وبوعده ووعيده، فيجد طريقاً لفراره أو مكاناً لاستقراره ويدير طريقاً لخلاصه من بلاء قبضة يد محترفى صيد الأسود الماكرين.

وفى تلك الأثناء، كان إبراهيم خان، الذى كان من بنى أعمام حسين قلى خان الباكوى وقد سبق أقرانه وأمثاله برشادة ذاته وجوهر طبعه وكان قد كلف من ركاب الأمير الموفق المستطاب على باكويه، قد وصل إليه. وفى الوقت الذى كان فيه إيشبخدر مع حسين قلى خان الباكوى فى أحد الأماكن وكانوا يعدون ويمهدون لبدایات الحديث، فقتلوه ضرباً بالرصاص بإذن حسين قلى خان، وأحاط بير قلى خان وشيخ على خان وسائر الرجال المكلفين حول جمعه وقتلوا بعضاً منهم وأسروا بعضهم وهرب الباقون الأحياء، وبالمصادفة كان شفت مستقلاً السفن فتوجه إلى سارى. وقطعوا رأس إيشبخدر العنيدة، التى كانت تسحق بالأقدام بسبب نخوته وغروره، عن جسده وأرسلوها إلى مقر العرش فى صحبة رجال البريد. ولكن كان فرمان النواب نائب السلطنة على ذلك النحو وهو: أن يقوموا بصد ذلك العنيد (الأحمق) فى ميدان العدواة لا أن يقتلوه فى أثناء محادثته، ولهذا لم يتفوه عقله الكبير بكلمة بل إن ضميره المنير ظهر مظلماً.

٨٩- تكليف بعض أمراء أذربيجان على إيروان، وتفصيل أحوال ذلك

الإقليم :

بعد قتل إيشبخدر، استقر رأى مزين الممالك نائب السلطنة على تأديب وتدمير مفسدى مناطق شوره كل وينبك وكنجه والكرجستان. ولما كان جعفر قلى خان الدنبلى لفترة مع فوج من الروس وحيث كان مقيماً فى قلعة تالين بإيروان، فقد فتح يد التطاول والاعتداء والتخريب على توابع وأطراف إيروان، وبناءً على ذلك [ص ١٦٣] تقرر لمهدى قلى خان القاجارى الحاكم العسكرى لإيروان وحسين قلى خان الحاكم العسكرى لأرومية وإسماعيل خان القاجارى حاكم خوى وكتب على خان حاكم نخجوان مع جمع من جيش أفشار وإيروان وكنكرلو وخوى وغيرهم باستئصال الروس وجعفر قلى خان، وقد عُين لإنهاء الخدمة المقررة الحاج محمد خان قراكوذلو وهو من عظماء تلك الطائفة ومن الغلمان القدامى لحضرة صاحب السعادة وكان موصوفاً فى إعزازه بصفة كاتم الأسرار فى الخدمة، وأصدر الحكم بأنه بعد الحضور إلى إيروان، أولاً: فى مواجهة قلعة تالين، التى كانت مأوى ومأمن جعفر قلى خان والروس فى تلك المنطقة، يبنى القلعة الحصينة، ويوقف فى ذلك المكان ما يقدر بألف شخص من حملة البنادق فيغلقوا طريق الهروب والفرار والمؤن عليهم، وبعد ذلك يؤدى بفتوى العقل والرأى فى سعى واهتمام كافة الخدمات الأخرى اللازمة. وبمجرد انتشار هذا الخبر، وقبل حضور القواد وجيش ملجأ النصره قرب إيروان فر جعفر قلى خان والروس من تالين، وقد أُسِرَ جمع من جنودهم على يد حراس مهدى قلى خان القاجارى.

ولما كان باشوات أقاليم الروم (الدولة العثمانية) قد أخرجوا أقدامهم عن جادة السلوك القديم فى العدة سنوات هذه، فقد كانوا يتطاولون أحياناً على أطراف إيروان عن طريق البحث عن الفتنة، وكانوا ينتهزون الفرصة ويسرقون الزاد من الدار. وكان من بينهم إبراهيم باشا حاكم "بايزيد" أيضاً حيث كان قد أرسل ثلاثة أو أربعة آلاف

شخص بهدف الإغارة على طوائف إيروان، وفتح يد الإغارة والاعتداء، ولهذا، قام كلب على خان حاكم نخجوان على عجلة ومعه مشاة وفرسان جيشه، بتأديبهم، وهجم في سرعة كاملة على رأس تلك الجماعة، فقتل وأسر جمعاً [منهم]، وبعد ذلك، سحب جميع الباشوات، بسبب خوفهم من استعداد واجتماع قواد أذربيجان، رأس فضولهم في جيب الخمول والقدم الباحثة عن الفتنة في ذيل الأدب، وأرسلوا إلى بلاط نائب السلطنة عرائض الحاجة المنبئة على طلب العذر والإنابة والعودة عن قبائح الأعمال وإظهار الندامة، فوجدوا شرف الافتخار بالخلاع الفاخرة من بلاط صاحب الشوكة والعظمة [ص ١٦٤] .

وبعد اجتماع القواد والرؤساء صدر قرار العمل على هذا المنوال وهو أن يقوم مهدي قلى خان وكتب على خان ويقدم على تأديب ومعاقبة روس شوره كل وبنك ويأن يذهب حسين قلى خان وإسماعيل خان والحاج محمد خان طبقاً للأمر إلى كنجه ويؤدوا الخدمة والمهمة المقررة. وبعد هذا القرار، سار الحكام عازمين كنجه، ونزلوا فيما بين كنجه وتقليس، ووضعوا بناء الهجوم والإغارة، وكانوا يحاصرون أطراف كنجه طوال اليوم ويقومون بالقتل والإغارة.

وقد أصدر النواب نائب السلطنة بعد العودة من حرب روس قراباغ الأحكام إلى القواد وذلك بأن يبذل القواد المكفون في هذه الأوقات السعى البالغ في المحافظة على إقليم إيروان، وقد وصل أيضاً إلى المكلفين خبر بأن مهدي قلى خان وكتب على خان لم ينجزا أمرا، وقد تجرأ جعفر قلى خان وروس بنك وشوركل، وتجمعوا جميعاً بقصد إهانة ولاية إيروان وإذلالها، ولهذا اتجه القواد بعزم صادق ورأى قوى من كنجه إلى إيروان، فتفرق جمع الروس وجعفر قلى خان واضطربوا بسبب الاستماع لتحركهم، وهربوا إلى قلاعهم، وعاد القواد بحكم النواب نائب السلطنة بعد انتظام أمر إيروان.

٩٠ - في بيان اطمئنان مصطفى خان حاكم طالش وتهديته بسعي واستمالة الوزير الفريد ميرزا عيسى الملقب بميرزا الكبير القائم مقام :

كان مصطفى خان حاكم طالش قلقاً ومضطرباً من مسئولى الدولة الخالدة منذ عهد دولة الخاقان المغفور له [أغا محمد خان القاجارى] وحتى هذا العهد، وكان اضطرابه وخوفه يزداد يوماً بعد يوم. وبسبب قدوم الموكب المسعود إلى دار الإرشاد "أردبيل"، وعلى تصور بأنه ربما يكون فى منظور نظر أثر العطف تأديبه ومعاقبته، فقد غلب عليه الخوف والفرع أكثر وأكثر، وأظهر الألفة والمودة مع "شفت"، وكان مكنون ضميره هو بأن يسلك طريق الفرار من طالش إلى جزيرة بشت سارى ومن هناك يذهب إلى قزلىر، فيستريح ويستقر خاطره [ص ١٦٥] .

فاطلع النواب نائب السلطنة على هذا المعنى، فكلف الوزير عاشق الدولة سلالة الأطباء والأشراف ميرزا الكبير باستمالاته، وقرر أن يطرد مصطفى خان، وبعد اطمئنانه، شفت ورفاقه من جزيرة بشت سارى عن طريق قطع الممر عليه وتركه بدون مؤن وما يحتاج إليه من ساحل "لنكران" وقد جعل الوزير الفريد مصطفى خان بعد لقائه به قوى القلب مطمئن الخاطر والبال وذلك بالمراحم اللامحدودة لـخاقان الدنيا الواسعة وبألطاف وعطف الأمير الوفى الإحسان وشفقته، فأغلق مصطفى خان طريق المؤن وسائر ما يحتاج إليه شفت ورفاقه، وسلخوا طريق ديارهم فى عز الشتاء القارص، وحتى الوصول إلى مطلبهم، هلك جمع من تلك الجماعة بسبب الجوع وشدة البرد.

وقد صار مصطفى خان الشيروانى بعد ملاحظة هذه الأحوال قريباً للندامة والخل والتأثر، وقدم حتى ساحل نهر "كر" بغرض ملاقات أحمد خان الحاكم العسكرى لتبريز ومراغه، الذى كان متوقفاً فى ذلك الوقت فى ساحل "كر" بحكم الأمير الموفق ومعه الجيش الطالب للنار والانتقام والتجهيزات والعتاد، فقابله وتعهد بأنه: "بعد ذلك لايجوز أن تقع رأسى على خط الفرمان الواجب الإذعان له للخاقان

الحضرة العلية الملكية ولا يجوز لى التجاوز عن حكم وإرادة الأمير الحر، وأن أحيا مدة عمرى فى طريق الخدمة والعبودية شعاراً ثابت القدم وراسخ النفس.

٩١ - بيان وقائع سنة ألف ومائتين وإحدى وعشرين هجرية، وبيان بتحريك على باشا والى بغداد إلى ناحية كرمان وانهزامه :

عندما تحول جمشيد الشمس من فلك الحوت إلى إيوان الحمل، استقر خاقان ممالك العزة والنصرة على العرش المرصع من أجل الحفل النوروزى وعلى سبيل العادة، امتلأت جيوب وذيول جميع الأمراء والوزراء أصحاب الرأى الرزين والسعادة من النوال والعطايا التى لاتزول. وبعد انقضاء أيام الحفل والفرح، اقتضت المهمة العالية النهمة على أداء وإنجاز المهام والواجبات الملكية. وكان عبد الرحمن باشا حاكم بيان، الذى كان قد انزعج من مملكته بسبب سوء سلوك على باشا [ص ١٦٦] والى بغداد، ويسبب هذه العلة، فقد تمرد على الدولة العلية العثمانية وضرب يد التوسل والاستئمان بذيل عاطفة هذه الدولة الخالدة البنيان [إيران]، وقد عطف عليه ورعاه ملك الملوك مكرم المظلومين، وقرر أن يكون محل سكته فى ناحية كردستان هو وقبيلته وعشيرته التى كانت تقرب من خمسة آلاف أسرة، وقد زين قامته اللائقة بالخلاص الفاخرة والإنعامات المتكاثرة، وقد فُتحت أبواب أنواع المكرمة والعناية اللائقة وجه عهده من مسئولى الدولة الصاعدة يوماً بعد يوم، وقد وُضعت الموائد والمنافع والإحسان فى مضيفة اماله. وقد تشرف بالصدور فرمان العالم المطاع فى صحبة ميرزا صادق المروى الكاتب ومدون الوقائع (المؤرخ) المعتمد الآخر^(١) بخصوص تنصيبه وتعيينه فى دائرة حكمه، وقد تمسك على باشا بالأعذار غير المقبولة وكان يُعرقل فى عقده تنفيذ فرمان ملك الملوك بإرساله الهدايا، وكان يبدو فى الظاهر أنه لا ضيق

(١) يقصد عبد الرزاق الدنبلى أن ميرزا صادق المروى كان المؤرخ المعتمد فى بلاط فتح على شاه بطهران ، أما هو فكان المؤرخ المعتمد فى بلاط ولى العهد بتبريز . (المترجم) .

ولا تبرم في تسليمه الملك (عبد الرحمن باشا)، ولكن في الباطن كان يتصور أن جيش ملجأ النصر مشغول من ناحية بمحاربة الروس ومشغول من ناحية أخرى بمحاربة أفغان قندهار وهرارة وأوزبك مرو والتركستان، وبالتأكيد سيخلو معسكر الهمايون السلطاني من الرجال، ويسبب ضيق الظروف بدأ الطيران لأعلى وسلك طريق العصيان، ولم يمر على فكره وخاطره بداية ومقدمة عهد الصداقة القديمة بين الدولتين الإيرانية والعثمانية فخرج من سواد بغداد بثلاثين ألفاً من المشاة والفرسان والمدفعية وآلات ومعدات الحرب، وعن طريق "ذهاب" وصل حتى منزل "طان كرا" وتوقف في ذلك المكان، وسحب مدفعيته على قمة التلال والجبال، وقد وصل هذا الخبر إلى سلطان الآفاق في مرج "سلطانية"، وعلى الفور عين الخاقان العادل، الذي لم يكن يتخيل منه هذه الحرمة ولم يكن في استعداد للحرب مع الدولة العثمانية بناءً على عهود السنوات الماضية وكان يعتقد في قوة أساس الصلح والسلام وإحكامه بين دولة إيران وتلك الدولة، وعلى الفور، [ص ١٦٧] ونظراً لوفرة الطبع الغيور ومن أجل تأديب ذلك الثمل المغرور، عين الأمير الموفق محمد علي ميرزا مع فوج من الرجال الشجعان من المشاة والفرسان وعدة أشخاص من الأمراء أي إبراهيم خان ومحمد علي خان شام بياتي ونوروز خان رئيس الحرس وأمان الله خان والي الكردستان وفرج الله خان الأفشاري رئيس الجلادين عن طريق همدان وكرمانشاهان، فرحل الأمير محمد علي ميرزا بنفسه من كرمانشاهان ونزل بمنزل "كرند"، وعين جمعاً من جيش ملجأ الظفر بقيادة فرج الله خان وأمان الله خان عن طريق السليمانية. فأرسل على باشا والي بغداد أيضاً اثني عشر ألفاً من مشاة وفرسان بغداد بقيادة سليمان باشا كهيا إلى رأس عبد الرحمن باشا، الذي كان يسكن مع قبيلته وحشمه وعياله وأطفاله في منزل "ديزه" وهي في إقليم الكردستان، وقد انزعج هو نفسه ودخل الخوف والفرع في قلبه بسبب استماعه لحركة الجيش المنصور إلى تلك الحدود وتحرك لواء الأمير الموفق، فرحل هو عدة منازل من منزل "طان كرا"، وانسحب وتقهقر إلى الخلف، وترك سليمان باشا كهيا أثقاله وأحماله، وهجم على رأس عبد الرحمن باشا، متصوراً أنه يقوم بإنهاء أمره قبل حضور واطلاع قادة جيش إيران، وطوى اثني عشرين فرسخاً بالطريق في ليلة واحدة، وفي وقت طلوع الصباح أخبر عبد الرحمن باشا بهجومه،

فترك عياله وأطفاله، وجمع أنصاره وأعوانه واصطف في مواجهتهم، وبعث بشخص على عجل إلى فرج الله خان، وأطلعهم على كيفية كيد وعداوة الخصم السيئ الطوية، فهجموا سريعاً [فرج الله خان وباقي قواد إيران] بسبب استماعهم لهذا الخبر ومعهم جيش ملجأ النصر، وإلى أن وصلت مؤخرة الجيش التي كانت متأخرة، هُزم عبد الرحمن باشا وكان في أمر الهزيمة والفرار.

وعندئذ، وبسبب مشاهدة هذا الحال، استل فرج الله خان وسائر القواد سيوف الجلادة وهجموا على جيش سليمان باشا، وبسبب استعمالهم لآلات القتال [ص ١٦٨] أظهروا ضجة المعركة، واستمرت حرب الهزيمة بينهما قائمة لمدة ساعة أو نصف الساعة وبسبب قوة طالع خديو العالم الواسع، هُزم جيش بغداد، وقُتل ما يقرب من ثلاثة آلاف شخص، ووقع سليمان باشا كهيا مع ألفين أو ثلاثة آلاف شخص من جيش بغداد أسرى ومقبوضاً عليهم.

واستقل عبد الرحمن باشا في السليمانية، وبعثوا بسليمان باشا إلى خدمة الأمير، وعين الأمير الموفق على منطقة "ذهاب" نوروز خان القاجارى رئيس الحراس ومعه طائفة مدانلو وطائفة وجهان بيكلو الكردية وطائفة قراكوزالو، واصطف فتاح باشا حاكمها ومعه الجيش متمنياً احتضان شاهد الفتح والنصر في مواجهة نوروز خان، وبعد كر وفر كثير ومحاولات لاتحصى، لم يجد في أمره فتوحاً.

وعندما تلوى شعر وجه الحسان، وتعقب نوروزخان تلك الجماعة حتى منزل "بعقوبة بغداد" رجع وعاد من ذهاب بعد قتل وأسر بلا حصر، وكنس ذلك المكان أيضاً بجاروف النهب والإغارة واستولى على الغنائم الكثيرة. وبسبب الاستماع لهذه الأخبار والهزائم المتتالية وقعت النيران الملتهبة في على باشا وتبدل جمعه إلى الفرقة وتفرق معسكره في لحظة واحدة، وأصبح هو نفسه أيضاً قرين الاضطراب والقلق، فاختار الفرار والهروب على الحرب، وتظراً لسوء أعماله فلم يكن مطمئناً من أهالى بغداد أيضاً، فذهب إلى قرب قلعة بغداد واستقر في أحد منازلها، واستدعى صاحب المقام الرفيع نو الألقاب المقدسة مجتهد العصر والزمان الشيخ جعفر الخزاعى من النجف الأشرف، وأرسله عند الأمير الموفق معتذراً من أجل أن يعتذر له عن أفعاله الشاذة

غير المقبولة، والتمس الشيخ الفاضل بوساطة الأمير محمد على ميرزا فى خدمة ملك الملوك الفريد [العذر] عن الأعمال المذمومة والأفعال غير المحمودة لعلى باشا حيث إنه كان قد أثار غبار الصراع والخلاف والعداوة بين الدولتين العليتين إيران والروم (العثمانية) وكان قد أسال بينهما وبون أى سبب دماء الأبرياء على تراب المذلة والهوان، فقبل الخديو صاحب العرش [ص ١٦٩] وساطة الأمير ومطلبه وطبقاً لتمينات الشيخ صاحب المقدار العالى استدعى الجيش المنتسب للنصر من أطراف وجوانب بغداد إلى الركاب المستطاب، وكتب الأمير بموجب أمر الهمايون شرحاً تفسيريًا إلى على باشا كما أرسل أيضاً حكماً إلى أهالى بغداد بأنه لايجوز التجاوز عن أمره ونهيه حيث إن جرائمهم تُقترن بالعفو والإغماض فى البلاط السلطانى وينسلكون فى سلك المخلصين ويعدوا من جملة أنصار ومؤيدى هذه الدولة الخالدة الأساس. فأرسلوا سليمان باشا كهيا إلى البلاط السلطانى، وتوقف الباشا المذكور بحكم الخاقان القابل للاعتذار فى منزل معتمد الدولة العلية ميرزا محمد شفيع وأظهر له أنواع العطف والرحمة.

وفى أواسط شهر ذى القعدة المحرم، أرسل الحاج يوسف باشا الصدر الأعظم السابق، الذى كان فى ذلك الوقت حاكم مملكة أرض الروم وقرا حصار الشرقية وتوابع تلك المناطق والأقاليم وكبير القواد المقتدر لسلطان الروم عالى الجاه - فيضى محمود أفندى - الذى كان من ضمن سادة الديوان المشيد الأركان ومن رباب ذلك الباشا عالى الشأن - كحامل رسالة إلى بلاط صاحب الشوكة والعظمة الإنواب نائب السلطنة فى تبريز، وقد وصل السيد المذكور إلى فيض الحضور المعظم ومعالي الحضرة النواب نائب السلطنة، وعرض رسالته الودية والمليئة بطلب العفو عن المعاملة غير اللائقة والأفعال غير المقبولة من على باشا والى بغداد والاستئذان بإطلاق سراح سليمان باشا كهيا. فالتمس النواب نائب السلطنة فى حضرة الخديوى الموافقة على إطلاق سراح سليمان باشا كهيا، فأذن له السلطان السليمانى الشأن وأرسله إلى دار السلام بغداد وأكتافه مزدانة بالخلع الثمينة ومقضى المرام وسعيد الخطى.

٩٢ - بيان قتل إبراهيم خليل خان على يد الروس :

وبسبب مشاهدة نهاية أمر إيشبخدر واستئصال شفت الباحث عن الفتنة وتدمير أنصاره وأتباعه واستمالة مصطفى خان حاكم طالش، حصل إبراهيم خليل خان على الاطمئنان والأمل [ص ١٧٠]، فأرسل العرائض المتعددة عن طريق رجال أسرارته إلى بلاط صاحب الشوكة، وجعل النواب نائب السلطنة في حضرة ملك الملوك فلك الحضرة شفيعاً لذنبه وقابلاً لتقصيراته وذلاته غير المنتهية. فأرسل الأمير الحر عريضة الاستشفاع في صحبة خدمه إلى بلاط ملجأ العالم. فصار فرمان العز السلطاني، القابل للنفاز مقروناً بالعفو والإغماض في صورة تدارك أخطائه السابقة. وسعد إبراهيم خليل خان لوصل هذه البشري سعادةً بالغة، ولخلوص نيته وصفاء طويته فكر في طرد روس قراباغ، وأرسل العريضة المترجمة بالإخلاص في صحبة صهره إلى دار الإرشاد أردبيل وكان له حضور نائب السلطنة والتمس بأن يتوجه موكب النواب الموفق المنتسب للنصر إلى قراباغ. وأن يُعين (ابنه) أبو الفتح خان مع جمع من الأبطال المخضرمين عن طريق "قبان" وفرج الله خان شاهسون مع الفوج الآخر من شجعان أثر النصر عن طريق "تشناقتشي" في مقدمة موكب نجوم الحشر. فجعل النواب نائب السلطنة مأملاً مقروناً بالعمل، وصار أبو الفتح خان وفرج الله خان في مقدمة موكب النصر، وعلى التعاقب طارت عقاب الراية المعجزة الميمونة إلى ناحية قراباغ.

وبعد عبور جسر "خدا أفرين" في ساحل نهر "آرس" رجع أبو الفتح خان بالقرب من قلعة "بناه آباد". وعُرف أنه قبل قدوم أبي الفتح خان وفرج الله خان، أخبر جعفر قلى خان حفيد إبراهيم خليل خان روس القلعة عن الحقيقة، وفي ليلة الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول، أحضر ثلاثمائة نفر منهم في أثناء الليل عن طريق منزلهم إلى خارج القلعة، ولأن إبراهيم خليل خان كان متوقعاً بنسائه وأطفاله خارج القلعة قبل هذا الإقدام، فلم يكن يراعى مطلقاً طرق الحزم والحذر والاحتياط، فانقضوا على رأسه بون خجل في ثلاث أو أربع ساعات من الليلة الماضية، وأحرقوه هو في نار القتل والظلم ومعه أخت سليم خان الشكى التي كانت زوجته [ص ١٧١] وابنته وهي

ابنة أخت همای خان اللکلزی وجمع آخر من الإناث والذكور الذين ظهرُوا
كالفراشات أمام نيران شمع بتادقهم. وأشعلوا نيران انعدام الرحمة والتهور في
العالم، واستأصلوا قامة عمر إبراهيم خلیل المنهكة من جنورها ببلطة الجور والظلم،
ودفنوا ثروة العمر المديد ذی المائة عام في نهاية عهد شیخوخته بيد الجفاء والعناد مع
تراب الذلة والبوار والهلاك.

فتوجه النواب ولی العهد دون تأمل وتأخر بقصد الحرب مع الروس إلى قلعة
"بناه آباد"، وفي عرض الطريق وصلت عریضة سلیم خان الشکی المشعرة على هذا
الإقدام وهو "أن مصطفى خان الشیروانی، الذی كان یطیع جماعة الروس إطاعة
كاملة وكان یحضرهم قبل هذا بعامین إلى ولاية شکی بسبب عناده، فإنه بمجرد
الاستماع لقنوم الموكب العالی إلى تلك المناطق وسماعه لخبر قتل إبراهيم خليل خان،
فقد خرب كنجہ. وكما ينبغي، قمت أنا بمراسم أداء الطاعة والخدمة والإخلاص الذی
هو شعاری." وكان قد استدعى الإمداد والعون من أجل الاحتياط لأمره. فأصدر
النواب نائب السلطنة الأمر طبقاً للاستدعاء إلى فرج الله خان شاهسون مع فوج من
مصارعی الأسود لإمداده ومعاونته.

٩٣ - تحرك الموكب العالی لمحاربة روس قراباغ مرة أخرى :

ولأن الغالبية من طوائف قراباغ بعد قتل إبراهيم خليل خان كانوا قد طلبوا أن
یرحلوا من قراباغ وأن یسكنوا في قراجه داغ، ولهذا، كُف عطاء الله خان شاهسون
بترحيلهم وانضم جمع من جيش ملجأ الظفر أيضاً قبل هذه الترتيبات بقيادة نجف
قُلی خان إلى جيوش أبواب جمع مهدی قُلی خان القاجاری في إيروان، وكُف فوج
من الجيش بالتوقف في خوی وتبریز، وقد رغب في هذا الطلب حسين قُلی خان
الآفشاری وإسماعیل خان القاجاری أيضاً وذلك على النحو الذی مضى وهو أن
یتوجهوا مع فوج من المشاة والفرسان وعن طريق إيروان إلى كنجہ والكرجستان،

وبأن يصبحوا مصدر الخدمات والأعمال اللائقة في هذه المناطق. وكان ألكسندر ميرزا والى تفليس أيضاً يظهر التعهدات الزائدة عن الحساب في هذا الشأن [ص ١٧٢] وكان قد كلف جمعاً أيضاً معهم. وكان ملتزمى الركاب المنتسب للنصر قد شاهدوا ضربات برودة الشتاء وقاسوا متاعب ومشقة صحراء باكويه ومغان، وقد حدث لهم كسل قليل بسبب امتداد السفر واشتداد مشقته وتعبه، ولم يكن قد ورد بعد الجيش الذى كان مكلفاً حديثاً إلى الركاب العالى من قبل الخاقان فاتح البلاد، ولم يكن جمع كثير حاضراً فى الركاب المستطاب.

وفى ذلك الوقت وصل الخبر بأن الجنرال "نبالستين" مكلف على تفليس ومعه الجيش الكبير ومنها قصد قراباغ، ولحق به روس شكى وكنجه وقراباغ مع جيوش قراباغ والأرمن وغيرهم واجتمعوا فى "عسكران". فتحرك النواب ولى العهد من "آق أغلان" ومع قلة هذا الجيش، كلف أحمد خان مقدم أيضاً مع فوج لحراسة الملك والأحمال والمتاع، ووضع قدم الجلادة فى ميدان المعركة. وفى منزل "خانشين"، الذى قدم إليه الروس أيضاً وكانوا قد استقروا هناك على قمة جبل عالٍ، وبعد قدوم الموكب المسعود أدى جنود النصر لمدة يومين لوازم الجهد والسعى لربما ينزل ذلك الجمع (الروسى) من الجبل ويقدموا على الحرب فلا تتيسر لهم.

وفى تلك الأوقات، ونظراً لعرض وطلب أبو الفتح خان، أطلق سراح الأسرى القراباغيين فأخبرت تلك الجماعة إلى الروس أن المجاهدين المنصورين بعيدون عن الملك والأحمال، وأن النار قد اشتعلت فى عشب الصحراء وعلف نواب الجيش غير موجود وبسبب هذا المأزق فإن أهالى المعسكر أصبحوا قرناء للعسرة والاضطراب، فتشجع الروس لسماعهم هذه الأقوال وأقدموا على الحرب. وكان الجيش الطالب للانتقام فى هذين اليومين، منذ أول طلوع الشمس وحتى وقت انسداد ستارة الظلام السوداء، وهم يسعون دائماً فى كل ناحية من أجل إثارة المعركة ولم يكونوا يسترخون لحظة من أجل الراحة بسبب تتابع حراستهم وحزمهم للمعركة كالنجوم فى سهر حتى

وقت السحر. وفي الوقت الذي وقع فيه تلاقى الفريقين والتقاء الفئتين، كانت مياه النهر في ناحية الروس وكالجيش ملجأً النصره بعيداً عن الماء من كل ناحية.

والخلاصة، أن الجيشين بدأ في الكر والفر في مواجهة بعضهما، [ص ١٧٣] وتقدم من إحدى النواحي فوج من عرب بسطام وتقدم من أحد الجوانب فوج حملة البنادق العراقية من فراهان وكزاز بشجاعة إلى درجة أنهم ساروا إلى فوهات المدافع والبنادق ونثروا الدماء من مفارق رعوس الأعداء وأرادفهم في الهواء. وكان الروس يخرجون أيضاً بجلادة كاملة من وسط التحصينات ويشتبكون مع العرب. فكانت أطراف الثلج الذائب تسير كالبحر المواج على ساحة الصحراء من خيام أفواج الجيشين، ولم تكن الأسنة والرماح العالية القامة تقنع بتقصير عمر أحدهما للآخر بتقصير منها. وقد ألقى جنرال الروس صورة ملكه وسيفه على الأرض بسبب الاضطرابات من أجل تشجيع وتحريض الروس على أمر المعركة. ولأن شاهد النصر لم يظهر من أي ناحية، وقد أفسدت حرارة شمس تموز القلوب، فقد سحب الطرفان أيديهما من الحرب والقتال، واندفعوا إلى التوقف والكسل.

وعلى النحو الذي مر ذكره، كان الماء في متناول جنود روسيا وكان العلف في تلك الصحراء غير متوفر وجيش روسيا عنده المؤن الكثيرة، ولم يوجد من جسر "خدا آفرين" وحتى منزل خانشين ورق العلف والقش، حتى يصلوا إلى حبة القمح والشعير. فرجع النواب نائب السلطنة انتظاراً لقدم الجيش المكلف الجديد من بلاط الخديو جمشيد المقتدر بالأحمال والعتاد والمؤن على النظام نفسه الذي كان قد توجه إليه. وعبر من الجسر وتوقف في عين "الحسن والحسين". وفي تلك الأثناء، قدم حسين خان وإسماعيل بك وحسن خان وأمان الله خان، حيث كانوا مكلفين من بلاط صاحب العالم كسرى الموفق مع أفواج بحر الشدة وسيل الشوكة إلى خدمة نائب السلطنة.

٩٤- بيان قدوم موسى جوير [جويرت] سفير دولة فرنسا :

فى عام استشهاده الخاقان الشهيد [أغا محمد خان]، كان قد حضر إلى طهران شخصان من مبعوثى دولة فرنسا بمسودة الاتفاقية التى كانت قد حُررت فى العهد السابقة فيما بين دولتى فرنسا وإيران^(١). واتضح أن دولة فرنسا قد تقدمت بصدد إفساح أبواب الصداقة وتجديد عهد الوفاق والاتحاد [ص ١٧٤] ولكن الحاج إبراهيم خان الشيرازى ، الذى كان وزير إيران فى ذلك الوقت، لم يهتم بهذا الموضوع الخارجى نظراً لكثرة الواجبات والمهام الداخلية للمملكة ، وذلك نون أن يعرض التقرير على واقفى عتبة الإقبال وأعطى لهما جواباً، ثم بعث الشخصين المذكورين. وبعد ذلك، وفى الوقت الذى كان فيه إسماعيل بك بيات مكلفاً إلى بغداد، على النحو الذى ذُكر سابقاً، من أجل إيجاد وسيلة لأمر الطائفة الوهابية، جاء شخص إليه، وأظهر له شرحاً مبسطاً بالخط الفرنسى وادعى أن هذه الرسالة من قبل تلك الدولة [فرنسا]، وبالاتفاق حضر إلى طهران، ولأن مقصوده لم يكن معلوماً، فقد اعتقد مسئولو دولة إيران أن ادعاءه محض الكذب ولم يلتفتوا إلى حاله .

ولكن بعد ذلك ، بدأ نابليون مع الروس النزاع والصراع، وعين المدعو موسى جوير بالسفارة، وأرسله إلى دولة إيران، وأعلن فى رسالته تلك: "إن القاعدة المسلم بها هى أن صديق العدو سيكون عدواً وعدو العدو هو الصديق، والحال الآن هو أنتى فى غاية العداوة مع دولة روسيا التى هى عدوة دولة إيران. فمن الأولى أن يُجدد مع دولة إيران عهد الصداقة القديمة بين إيران وفرنسا، واستحكام (مصادقية) أساس عهد دولة فرنسا واضحة على العالم كله، وفائدة هذه الصداقة تظهر^(٢) بوضوح للعالم كله وهى إخراج الروس من الكرجستان والأقاليم الإيرانية ."

(١) لا نعرف أى اتفاقية يقصد المؤرخ وحيث إن العلاقات الإيرانية الفرنسية كانت قد بدأت منذ العهد الصفوى، فريما يقصد الاتفاقية التى عقدها محمد رضا بك مبعوث الشاه سلطان حسين الصفوى فى باريس عام ١٧١٤م = ١١٢٦هـ.ق ، وكانت فرنسا متحالفة مع إيران وطبقاً لهذه الاتفاقية ضد عرب مسقط الذين كانوا يمارسون القرصنة فى الخليج، وقد حصلت فرنسا على امتيازات من شاه إيران وفق هذه الاتفاقية. (انظر The Legacy of Persai : A.J. Arberry. P. 354)
(٢) صحيحها: ستظهر .

ولكن بعد ذلك، حضر موسى جوبر إلى بايزيد، فقبض محمود باشا حاكمها على السفير [موسى جوبر] ورفاقه رعايةً لصداقة الدولة العثمانية مع الروس، وحبسهم، وصادر أموالهم، وقام بقتل شخصين من رفاقه. فأرسل النواب نائب السلطنة رسالة إلى الحاج يوسف باشا من أجل إطلاق سراحه، وأطلق حضرته السفير عن طريق بُعد نظرة وتبصره للعواقب وتقديرها.

وتوجه [السفير] إلى بلاط صاحب العظمة في رعاية وافرة، وبعد إدراك السفير المذكور الحضور الباهر النور في أردبيل، عرض الرسالة على نائب السلطنة، وصار متوجهاً إلى بلاط الخاقان الجالس على عرش جمشيد، وفي مرج سلطانية [ص ١٧٥] أدرك شرف تلتيم سدره المرتبة (العرش)، وبعد إبلاغ التصورات والتوصيات، صار موضع الرعاية والعناية، ووجد الإذن والسماح بالرجوع، وأصدر [الخابقان] الأمر بتكليف محمد رضا القزويني أيضاً، الذي كان من نجباء ومعارف قزوين ووزير النواب الأمير محمد علي ميرزا، لمرافقته برسالة إلى دولة فرنسا عن طريق إسلامبول، ولكن الخديو صاحب منزلة عرش جمشيد لم ينظر للمساعدة من أي شخص سوى ذات الله المقدسة، وكان مقصوده من إرسال السفير هو رعاية قانون وأداب العهد المتعارف عليه.

٩٥- محاربة الروس والقراباغيين في رأس كوتش إيلات مع أبي الفتح خان :

في أثناء التوقف في عين "الحسن والحسين" حضر عطاء الله خان شاهسون، الذي كان قد ذهب لترحيل طوائف قراباغ، وعرض بأنه بعد عودة الموكب العالي تعالت بعض من الطوائف في الرحيل، فأقدم هذا العبد على معارضتهم مع الاحتياط بآلا تهلك أموالهم وسط الجنود، وبعد إقرار العرض واستدعاء أبي الفتح خان، كُف فوج من حملة البنادق مع عطاء الله خان وبمرافقة أبي الفتح خان بهذه المهمة، فكانوا يرحلون الطائفة ويحضرونها.

ولأن طائفة جبرئيلو، أرسلت خفية شخصاً إلى الجنرال، وأحضروا فوجاً من الروس وجعفر قلى أغا القراباغي لإعاتتهم، وكانت الطائفة المذكورة قد وصلت إلى

مقربة من موقع "قبان" الذى يضم المعابر الوعرة والجبال المرتفعة والغابات الكثيفة. وحيث وصلت جماعة الروس وجعفر قلى آغا، وأخرجت طائفة جبرئيلو أيضاً يدها من أكمام الجراة لمرافقتهم ، ووضعوا بناء النزاع والحرب مع حملة البنادق ، وحميت سوق القتال من بداية النهار بساعتين وحتى الزوال. وفى النهاية نفذ رصاص ويارود حملة البنادق، فقُبض على بعضهم، وحاول الكثير منهم الهروب إلى الغابة وأوصلوا أنفسهم إلى الأمان، ولما وصل هذا الخبر إلى نائب السلطنة ، تكرر عقله القويم، وكلف مقرب الحضرة إسماعيل بك وحسن خان القاجارى ومعهما فوج من العساكر الجراة لمهاجمة الروس وصدهم فى المقدمة ، وتحرك الموكب المنصور أيضاً على أعقابهم عن طريق [ص ١٧٦] "أصلاندوز" الذى كان يبدو أنسب الطرق بسبب وفرة العلف به ، فالقى وصول هذا الخبر الرعب فى قلب الجنرال، فعين عدداً من الروس على قلعة "بناه آباد" وحمل هو سائر الروس الذين كانوا خارج القلعة، وفر فى سرعة وعجلة كاملتين إلى قرب كنجه ، وسلكوا على الفور وادى العودة ، وقد وصل هذا الخبر إلى مقيمى الحضور بعد عبور الموكب المنصور مياه نهر آرس .

٩٦- توجه رايات الجلال إلى ناحية شيروان :

على الرغم من أن إرادة عقله الأشرف كانت تتوى جزم العزم على التوجه إلى ناحية كنجه ، ولو أن الجنرال نبالستين أقدم على المقابلة، لانكشف حجاب النقاب عن وجه عيوبه المستورة ولامتد الأمر إلى محاصرة ذلك المكان ولاقتصر كل الهمة على تحطيم قلعة الملوك وقمعها، ولكنه فى أثناء توجه الموكب المنصور من طريق أصلان دوز وعبوره من نهر آرس وصلت عريضة شيخ على خان وحسين قلى خان المنبئة على اتفاق أهالى دربند مع الروس وإحضار تلك الجماعة إلى تلك الحدود والثغور، ولأنه كان قد كلف بيرقلى خان القاجارى مع فوج بمساعدتهم من قبل هذا وإعانتهم، فقد عرض فى هذا الوقت أن مصطفى خان الشيروانى، الذى لم يكن باطنه موافقاً لظاهره، قد أرسل إسماعيل بك أخاه إلى ساحل نهر "كر" ومعهم فرسان ومشاة كثيرون ومنع عبور الأبطال البنصوريين، فكان تأديب ومعاقبة مصطفى خان الشيروانى وإخراج روس دربند أهم وألزم من محاصرة كنجه التى كانت ممكنة ومقدور عليها فى كل وقت من الأوقات.

ولهذا وجه النواب نائب السلطنة همته لاستئصال وإبادة مصطفى خان، فسير حسين خان القاجارى قائد خراسان مع فوج من مقدمة الجيش فى سرعة وهجوم، وجعلهم مقدمة عساكر مآثر النصر، ومن خلفه فتح رايات معجزة النصر وأمرها بالتعجل فى الركوض والنهوض بحيث إنه فى الوقت الذى كان فيه حسين خان القاجارى والرجال المكلفون يعبرون مياه نهر "كر" كان الأمير نو الخصال الحسنة أيضاً ينزل فى إجلال على شاطئ نهر "كر" [ص ١٧٧] . وبعد حضوره، تفرقت وتشتت مشاة شيروان الذين كانوا فى تلك الناحية من النهر، وعبر حسين خان كما الريح من الماء ، وأشعل نيران النهب والإغارة باليابس والأخضر من تلك الديار وخرب أغلب الطائفة والمناطق ، ولأنه كانت قد فقدت بعض أموال تجار شكى وتبريز وسط ذلك فقد منحهم بدلا منها من الخزانة الواسعة .

ولما رأى مصطفى خان الشيروانى أنه قد حدثت مثل هذه الواقعة فقد صار مقترباً بالوحشة والحيرة ودخل من باب العجز والإلحاح وأرسل شخصاً إلى بلاط صاحب الشوكة ، وطلب الأمان عن طريق مدبرى أمر الديوان، وأراد أنه بعد الحصول على الأمان والاطمئنان يسلك طريق العبودية ويطوى مسلك الخدمة والخضوع. وبعد الإلحاح وطلب غلمان البلاط ، كُف طبقاً لأمر نائب السلطنة نجف قلى خان كروس وعطاء الله خان شاهسون على قمة جبل "قُت" ، الذى كان قد رحل إليها منذ فترة قبل ذلك مقدمة مصطفى خان مع أهالى مدينة شيروان، وكانوا قد شدوا رحالهم إلى هناك، وبعد المواجهة أظهروا له مراحم العقل القويم ذى العطف المختمر للأمير فريدون المثل. ونظراً لتقلب مصطفى خان وتلون مزاجه فقد كان يتشكك ، وكان كل لحظة ينتقل من غصن إلى غصن كالطير، وكان يتعلل ويتسوف فى نية الحضور إلى صاحب الشوكة، ولم يدرك قُبْح المعنى على الرغم من أنه فيما سبق كان قد حضر إلى شاطئ نهر "كر" عند أحمد خان مقدم الحاكم العسكرى لتبريز، ولم يتخيل فى هذا الوقت أن موكب الإقبال قد نزل فى إجلال إلى تلك الديار، فيختار كما الخفاش البعد عن أشعة أنوار حضور شمس الآثار، وعندئذ ودون وعى أرسل محمد على بك بن خالته إلى ركاب شعار النصر كي يدرك حضور باهر النور بدلاً منه. وبعد الاطلاع على هذا القصد ، عبر نائب السلطنة من نهر "كر" وتوجه إلى آق سو. وفى أثناء قدوم الموكب المسعود ، كلف مقرب الحضرة إسماعيل بك [ص ١٧٨] مع فوج من المجاهدين المظفرين بإخضاع الحصن المتين "شريان" والاستيلاء عليه والذى كانت أطرافه أرض على الماء والطين

والطرف الآخر محكم الأساس ، وقرر أن يُخضع حسين قُلى خان القاجارى ذلك المكان من الطرف الآخر وعندئذ هجم إسماعيل بك وحسين قُلى خان من الناحيتين وأخضعوا ذلك الحصن تحت سيطرتهم ووقع قتلى وأسرى لا حد لهم. وطبقاً لأمر نائب السلطنة ربوا الأسرى والكثير من أموالهم ، ورحلوا أهالى ذلك المكان مع أهالى مرادخانى، الذين كانوا فى تلك المناطق فى أثناء قدوم حسين قُلى خان القاجارى وكانوا قد دخلوا تحت السيطرة وكانوا مايقرب من ستة آلاف أسرة، وأرسلوهم إلى "مغان" وبسبب مشاهدة هذه الحالة تغيرت راحة بال مصطفى خان الشىروانى إلى القلق والاضطراب ، فجعل سليم خان حاكم شكى واسطة عفو أخطائه، وقرر فى الظاهر أنه عزم على الحضور، وكان فى باطنه التفكير لحيلة ووسيلة أخرى، ووضع كل يوم بناءً جديداً، وعطل الموكب العالى بتعلل اليوم وغدا فى "آق سو" إلى أن رحل شيخ على خان فوج الفرسان من الركاب المستطاب إلى ولاية "قُبه" وتشرف هو بالحضور بالاتفاق مع حسين قُلى خان حاكم باكويه وجمع كثير ، واستدعى القيام بأمر "دربند" وانتظام تلك الحدود والتغور.

ولكنه فى تلك الأيام، وحيث كانت طرة بيرق الأعلام المنتهية بالنصر زينة وجه شاهد الإقبال والمرام، كانت قدرة تكبر أهالى شىروان ومقدرتهم تفوق طاقتهم فى ميدان الحرب والمعركة ، ولم يكونوا يسكنون فى أوطانهم ولم ينزلوا من على قمة جبل "فت" إلا فى يوم كان قد ذهب فيه أمان الله خان مع عدد للحراسة ، فخدع أهالى ذلك المكان بسبب ملاحظتهم قلة جيشه فأقدموا على محاربته، فقتلهم وأسروهم جميعاً ورجع إلى معسكر النصر المعظم .

٩٧- تكليف بيرقلى خان القاجارى وشيخ على خان على دربند وفزع
سليم خان [حاكم] شكى واطمنانه

وبمصاحبة هذه الأحوال والأوضاع، وصلت من أهالى دربند إلى بلاط صاحب الشوكة والعظمة العرائض الكثيرة المتضمنة على [ص ١٧٩] العهود والمواثيق

اللامحدودة ، ومن ضمن ماكانوا قد طلبوه هو بأن يُكلف نائب السلطنة على دريبد شيخ على خان وحسين قلى خان باكويه مع فوج من المجاهدين لربما يصبحون مصدرًا للخدمة. فقرن النواب نائب السلطنة سؤالهم بالإجابة. وكان مصطفى خان الشيروانى قد أشاع فى عدة تلك الأيام أن نائب السلطنة كلف محمد حسن خان أخا سليم خان، الذى كان قد حُرمت عيناه من النور بسبب حدة كرك القهر بأمر الخاقان المغفور له وذلك على يد مصطفى خان الدولاوى القاجارى فى عام رحلة قرا باغ، بالقبض على سليم خان وحبسه ومعاقبته، فصدق سليم خان لبساطته وسذاجته هذا الكلام ، وأرسل طائفته وأحشامه إلى الجبل المشهور بـ "كلسن كورسن"، وسير شخصًا إلى الركاب المستطاب. وفى هذه المرة، استنتج فى سبيل الحصول على الاطمئنان لنفسه ، بحيث إنه لو كان فى نظر نائب السلطنة هذا النوع من الخلاف بسبب كثرة الغضب فإنه بلا تأمل ، يحفر فجوة فى بنيان وجوده، ويقتلع نخل وجوده من جذوره ببلطة انتقامه .

ولكن بناءً على التماس وطلب الأمراء ومراعاة حقوق الخدمة السابقة، فقد كلف نائب السلطنة ابن الوزير المكرم ميرزا أبو القاسم لاستمالتة، فأدركه فى بلدة شكى، وأزال من على صفحة خاطره غبار وحشته وفرزه بزال الكلمات الممزوجة بالنصائح ، وفى إزاء هذه العاطفة العظيمة تعهد بأن يقبض على مصطفى خان الشيروانى طوعاً أو كرهاً دون تعب المجاهدين المظفرين . ومن المصادفات فى ذلك الوقت أن أصيب المعسكر بأمراض كثيرة بسبب عفونة ماء وهواء "آقسو".

٩٨- بيان بتجمع بعض الأسباب التى أدت إلى عودة الموكب المسعود من شيروان

أدرك النواب نائب السلطنة (ولى العهد) وبإشارة من الهمايون الحضرة العلية ملك الملوك، أن أحمد خان أمير أمراء تبريز ومراغه أنسب وأولى من مهدى قلى خان القاجارى من أجل تنفيذ وتسيير أمور الديوان وإنهاء الخدمات والأعمال المقررة لإيروان، وقبل هذا[ص ١٨٠] كان قد صدر أيضاً الأمر الملكى السارى التنفيذ فى هذا الباب، وبناءً على ذلك عزل مهدى قلى خان من الحكومة ونصب أحمد خان مكانه. ولأن أحمد خان كان قد قصد إيروان بالتجهيزات والاستعدادات اللائقة وبالفرسان والمشاة

من تبريز، فإنه بعد قدومه إلى تلك المناطق قام بتعمير بُرج وحصن القلعة وبتنظيم أمور الرعية والجيش، ولكنه فى تلك الأوقات انتشر بين الناس وباء بسبب عفونة وتلوث هواء إيروان، حيث طوى طريق الآخرة ألف وستمئة شخص من الفرسان والمشاة المكلفين وذلك عدا أهالى ذلك المكان، وقد ظهر مرض شديد على أحمد خان ، ولم يكن قد بقى شىء إلى هلاكه بسبب اشتداد المرض، وكان قد بقى أمر إيروان مختلاً بسبب مرضه ، فأهملت الأعمال، ووصل خبر مرضه إلى المعسكر وهو ماصار باعثاً على حزن وغم خاطر مرحمة المظاهر (خاطر ولى العهد) وذلك لأنه كان من الغلمان القدامى.

وانتهز روس بنبك والكرجستان الفرصة وقعدوا فى كمين العداوة، والخلاصة أنه قد اختل أمر نخجوان أيضاً بسبب خصومة كلب على خان وعباس قلى خان أبناء عمه، ووصل من البلاط السلطانى الخبر بأن الحضرة العلية الملكية مهتم باستقلال عبد الرحمن باشا والى بيان وعلى باشا والى بغداد حيث إن كل واحد منهما تحرك من مكانه، وتجاوز عن حده، وهو ما صار مصدراً لنقض العهد والميثاق وباعثاً على إثارة غبار الخلاف والنفاق بين الدولتين العليتين إيران والروم [الدولة العثمانية] ، وكما وصل الخبر من الجانب الرومى [العثمانى] بأنه حدثت المنازعة فيما بين ولد حسين قلى خان الأفشارى ومصطفى خان حاكم هكارى من قبل مسئولى الدولة العثمانية ، وكان يُظن كذلك أن تحدث خصومة واحتكاك بين الطرفين فى سائر الأقاليم أيضاً التى تتصل جميعها بالأقاليم العثمانية نظراً لمقدمة وبداية تخريب بغداد، وبناءً على عدم الظن بهذا المعنى لم تصبح تجهيزات حراسة الحدود والثغور فى أثناء العزم على السفر على النحو الذى ينبغى. وقد وصلت عريضة بيرقلى خان بأن أمر أهالى دربند بإرشاد الروس ممزوج بالخداع والمكر، وبأن شيخ على خان قد [ص ١٨١] صار أيضاً تائهاً ومخموراً ، وأنه خرج عن فكر وقيد الحرب، ونظراً لمشاهدة هذه الأوضاع فسيعزم بيرقلى خان على الرجوع وسيأتى إلى "جواد" عن طريق باكويه ، وفى أثناء قدوم جنوده ووصول جيش الشتاء ، اقترب كثيراً أيضاً من نائب السلطنة، وبناءً على تلك المراتب، ترك أمر شيروان معوقاً ، وأمر بالتحرك من "آقسو".

وبعد تحرك الموكب العالى بفترة قليلة، سير مصطفى خان فوجاً كبيراً من طريق وعر ، وجعل مكان المعسكر خندقاً له، وبالمصادفة، كان النواب نائب السلطنة قد ترك

حسن خان القاجارى خلفه مع جمع من الغلمان الذين شعارهم الجلادة ، كمؤخرة إمداد قلاقوهم وهجموا على رأسهم مثل البلاء الفجائى، وقاموا بفصل وجود الملك المقيم قائدهم ومعه جمع من تلك الجماعة المشتتة من والى الروح وأمين سرها، وقبضوا على جمع كبير منهم ، وفر بقية السيف الأحياء وساروا إلى ديار العودة .

وكلف [نائب السلطنة] بيرقلى مع جمع من الجيش الطالب للانتقام على "مغان" بحيث إنه لو يعرف الصلاح والفلاح ، يتوقف هناك وإلا يُرحل أهالى شيروان ورودبار ومغان ويسيرهم إلى منطقة طالش. وأصدر الأمر إلى الموكب المزين بالنجوم بالعودة إلى دار السلطنة تبريز بغرض تنظيم الواجبات والمهام المدونة.

٩٩ - بيان بعض الأفعال غير المقبولة لمصطفى خان الشيروانى بعد تحرك الموكب العالى ، ومحاربته مع بيرقلى خان وانهزامه :

وضع مصطفى خان فى أثناء لجوئه إلى سليم خان الشكى، بناء التحالف مع روس كنج، وكان يُصر على إحضار تلك الجماعة إلى شيروان، وكانت تلك الطائفة متوقفة فى كنج و متمسكة بهذا العذر ، بحيث إنه لو يأتى رهن مصطفى خان إلى كنج فسوف يصله الإمداد. فأوقف مصطفى خان مرة أخرى يده عن إبرامه وإلحاحه وتمسك الروس هذه المرة بهذا العذر، وكانوا قد أرسلوا له رسالة : "إننا أعلننا لكويتش الذى فى "قرلار" هذا المطلب ونحن فى انتظار جوابه".

وحتى ذلك وبعد عودة الموكب المظفر، فإن مصطفى خان أصبح نادماً عن فعلته الشاذة [ص ١٨٢] ولم يكن له الميل مرة أخرى إلى إحضار الروس، بل إنه كان متضايقاً فى باطنه. ورأى الروس الساحة خالية، فقدموا إلى شيروان غفلةً، ولأن مصطفى خان كان له أيضاً عداوة مع أهالى ساليان والطوالشين وأعوانهم وأنصارهم، فقد واسى نفسه أيضاً بأن يستولى بمعاونة الروس على ساليان، التى كانت أمنيته لسنوات، ولربما يُحضر ضمن هذا طائفته من مغان إلى شيروان . ولكنه خاف وخشى بسبب توقف بيرقلى خان فى ساحل "كر" وميرباقر بك أخا مصطفى خان

الطالشي في ساليان وحسين قُلى خان في باكويه إلى أن علم أن حسين قُلى خان ، بعد اطلاعه على عودة ألوية الظفر، وبسبب خوفه وفزعته حمل أهله ونسائه وأقاربه وأقوامه وعزم على الذهاب إلى بلاط نائب السلطنة عن طريق ساليان.

وبالمصاحب لذلك الحال، رأى المدعو "بولغاكف" أحد قواد روسيا أن باكويه خالية ودون أذى الشوك ومشقة الغير، فحمل على هذه الروضة الخالية من الأشواك وتحالف شيخ على خان أيضاً في عالم اللاوعى مع بولغاكف بون تعب منذ فترة. واعتبر الحياة القصيرة الفانية الغنيمة. وكذلك وضع بعض من أهالى ساليان بناء الوفاق والاتحاد مع مصطفى خان الشيروانى لعداوتهم مع على خان حاكم ساليان. فقوى قلبه بسبب هذا المعنى وحمل الروس وقدم إلى "جواد"، ومصاحبةً لذلك الحال، حرك بيرقُلى خان أيضاً الطوائف وعزم إلى طالش حيث كان مصطفى خان الشيروانى قد قام بالإغارة ليلاً على جيش بيرقُلى خان، فأظهر بيرقُلى خان أوصاف الرجولة ولوازمها وأنزل به الهزيمة الفاحشة، وطاردهم حتى شاطئ نهر "كر".

وأرسل مصطفى خان، بعد هزيمته من بيرقُلى خان، جمعه مع الروس إلى "ساليان" ولما كان ميرباقر بك أخا مصطفى خان الطالشي، الذى كان حارساً لساليان مع ثلاثمائة من حملة البنادق طبقاً لأمر نائب السلطنة، كان له تأييد ورضا جمع كامل من أهالى ساليان ، ولم يكن عنده خبر عن تحالف بعضهم مع الروس ومصطفى خان، [ص ١٨١ م] وكان متوقفاً هناك ومشغولاً بالحرب والصراع، فجعل جمعاً كثيراً منهم طعمة للسيف. وفى تلك الأثناء ، فتح حلفاء مصطفى خان الباب للروس من خلفه ودخلوا ساليان، وفر على خان بسبب مشاهدة هذه الأحوال ، وقبضوا على مير باقر بك وعلى الطوالشين .

١٠٠- محاربة الروس مع سليم خان حاكم شكى وانهزامه بعد النصر بسبب هزيمة لكزية :

بعد الاطمئنان من باكويه وساليان وموغان، رأى الجنرال "نبالستين" ومعه أفواج الروس سليم خان وأهالى شكى بمفردهم وسط هذه الولايات ، فتحرك من كنجة بغرض مقاتلتهم ومخاربتهم . فأسرع لمقابلتهم سليم خان، الذى كان قد أخذ أموالاً من حكومة النواب

نائب السلطنة وأرسلها إلى رؤساء لكزية، فحضر جمع كبير من أوار وجاروتله لإعانتته، وهو مطمئن اطمئناناً كاملاً لاختيار [جبل] "كُسن كوره سن" واستعداداته بالذخيرة والمدفعية والأسلحة التي كانت عنده، واصطف للقتال والصراع معهم مرتين بالقرب من شكي، وفي كل مرة جاهد برجولة، ولما كان الجبل الراسخ قد سلك مسلك الثبات والوقار، فقد سحب الغبار من وجودهم، ولكن بحكم الأمر المقدر واقتضاء القضاء [بيت شعر ترجمته]

لا يستطيع أحد أن يتحدث عن كيف وماذا لأن الله هو كيف وماذا،

فقد انهار جمع لكزية في أثناء معركة سليم خان بسبب صدمات وضربات المدفعية الروسية، فرجع سليم خان مضطراً من ميدان المعركة، وأخذ أهله وأولاده وأقاربه وأقوامه، وتوجه بوجه الأمل إلى بلاط الأمير نائب السلطنة. وفي عرض الطريق، قاد المعارك اللائقة مع الروس وأعوانهم وأنصارهم، وعبر من نهر "كر"، وعن طريق أردبيل وبمرافقة فرج الله خان شاهسون أدرك في دار السلطنة تبريز شرف حضور صاحب الشوكة النواب فلك الركاب العالي، فصار مشمولاً بالعواطف اللامحدودة، وتوقف في أردبيل بحكم نائب السلطنة مع أهله وعياله. وتوقف بولكونيك في "جواد"، وكتب رسالة مفصلة إلى مصطفى خان حاكم طالش: [ص ١٧٦] بأنه: "لو تطلق العنان لطوائف شيروان وموغان ورودبار مع هذا الجانب وتسلك طريق الانقياد والخضوع مع الروس، فذلك هو المراد، وإلا فسوف يُوضع السيف السافك للدم على رقبة أخيك وثلاثمائة شخص من بنى أعمامك وعشيرتك وأقوامك، وسوف يُفتح سيل الطوفان الثقيل بالقتل والفساد على تلك الديار". وكتب له مصطفى خان (حاكم) طالش الجواب اللفظي، وقام باستحكام أمره، وعرض كيفية جوابه وسؤاله على خدمة نائب السلطنة.

١٠١- في بيان ظهور بعض من الأحوال، ومجيء المدعو إستبانوف مبعوث كدويتش قائد روسيا إلى بلاط نائب السلطنة وإرساله إلى بلاط الخاقان الجالس على عرش جمشيد:

في هذا العام، حدث قحط وغلاء في ولايات أنزيبجان وكثير من بلاد العراق التي تحد أنزيبجان، فقد قل كلية ريع الغلال في الأكثرية عن الربيع، وبسبب قلة الغلة

وفقدان التبّ والعلف وتعذر ازدحام الجيش في البلاط، فلم تلتزم عدة جيوش ركاب نائب السلطنة المنتسب للنصر، وحيث عُرِضَ من أحد الأطراف فجأة أن : "غراف كويتش"، وهو من بين جملة وزراء دولة روسيا وأهمهم مكانة وخبرة ومجرباً في برودة وحرارة العهد، قد كُلف بقيادة جيش روسيا بدلاً من "سيسيانلو" المعروف بإيشبخدر، وقد حضر إلى تفليس من "قرلار" مع فوج من الروس ، وفي فكره اضطراب وتخريب إيروان وأحمد خان الحاكم العسكري الجديد لإيروان بسبب هجوم أقواج الأمراض الأخذة بخناق الموت، ومرض الجيش أيضاً، الذي كان أُعيد تجديده لحراسة القلعة، بسبب تلوث الهواء وعفونته، كما أصبح أهالي ذلك المكان قرناء الاضطراب والفوضى بسبب هذه الحالة .

وعُرِضَ من أحد النواحي بأن روس قراباغ قدموا إلى "ناتف" وأصبحوا مستعدين للمعركة مع أبي الفتح خان وطوائف تلك الناحية، وبأن باشوات قارص وبازيزيد وضعوا بناء الوفاق الكامل مع الروس ، وفكروا في إغواء طائفتي سبيكي وزيلان وهما من جملة طوائف إيروان .

فتوكل ولي العهد على الألفاف الإلهية، وتوسل بباطن حضرة ملجأ الرسالة [النبي] واعتمد [ص ١٧٦] على قوة طالع نصرة المطالع للحضرة العلية السلطانية ، ولم يركن غبار الملل والحزن على ذيل شوكتة وإجلاله بسبب تغيرات عالم الكون والفساد ، فكلف حسين خان القائد القاجاري، مع فوج من المشاة والفرسان المتطوعين بولاية وقيادة إيروان وبتنظيم أمر ذلك الإقليم، وأوكل إليه تدبير أمر باشوات قارص وبازيزيد ، وإحضار أحمد خان الذي كان في تلك الحالة مريضاً، وكلف بيرقلى خان بإعانة ومساعدة مصطفى خان حاكم طالش ، وقرر لجمع تحت قيادة غلام من غلمان الديوان لإمداد ومعاونة أبو الفتح خان . ويقوم حسين خان ، أغلق (غراف) كويتش أساساً كان قد فتحه في فجوة إيروان، ورجع البولكونيك بمجرد قدوم بيرقلى خان إلى بداية صحراء موغان وبمجرد استماعه لهذا الخبر، وتأخر عدة أيام في "شيروان" ومنها عاد دون توقف إلى كنتجه ، وسلك روس ناتف برأسهم إلى طريق قلعة بناه آباد بسبب قدوم الجمع المكلف لدى أبي الفتح خان، وبعد تعيين بيرقلى خان عزم على الرجوع روس شكى أيضاً الذين كانوا قد ذهبوا إلى رأس جاروتله بعد مقدمة هزيمة سليم خان. ولما كان طريق أوار وجان كتاي في تلك الأثناء مسدوداً بسبب كثرة البرد والجليد، فلم يكن للكرزية وأعوان وأنصار سليم خان، الذين كانوا جميعهم متوقفين في "جار"، القدرة على

الرجوع، وتجادلوا وتحاربوا معهم كثيراً، وفي نهاية الأمر، قُتِلَ جمع منهم وفر الباقون من السيف، ورجعوا إلى شكى .

وحضر إلى أنريجان جيش كثيف من المشاة والفرسان من بلاط صاحب الفلك ، فكلف بعضه لأبواب جمع حسين خان على إيروان ، وتوجهت البقية إلى موغان عند بيرقلى خان .

وبعد استعراض نائب السلطنة لجيش ملجأ الظفر ومراقبته له فى دار السلطنة تبريز، جعل اهتمامه مقصوراً على وصول واجبات وإنعامات مشاة وفرسان الجيش المنصور وعلى التهيئة والاستعداد للسفر وتجهيزاته. وبالرغم من أنه كان وقت اشتداد برودة الشتاء وامتلاء الجبال والصحراء بالبرد والثلوج، لكن عزم مُزين العالم [ص ١٨٤] صمم بأن يطير علم العقاب فى كل وقت وفى كل ناحية حيث يقتضى تحرك الموكب المظفر وأن يتجهز للحرب دون تأمل وتأخر. وبسبب مشاهدة هذا الحال وتنبه الروس لهذا المعنى والمقصود، وضعوا بناء الوفاق وفتحوا أبواب الصلح والسلام على وجه مرادهم، وطبقاً لأمر ملك روسيا أرسل غراف كدويتش حاجبه [رئيس حراسه] المدعو "إستبانوف" إلى بلاط ملك الملوك صاحب عرش جمشيد ، وكتب خطاباً إلى معتمد الدولة العلية ميرزا محمد شفيع الوزير الأعظم وأرسل بعض الأشياء النفيسة له كذكرى، وطلب بأن تغمد السيوف المستلة فى جرابها من بعد ذلك، وبأن تُراعى الطريقة المرضية للسلام والوفاق بين دولة روسيا وهذه الدولة الخالدة إلى الأبد، وقد أدرك إستبانوف المذكور شرف حضور صاحب الشوكة فى دار السلطنة تبريز، ورأى قرين حاله أنواع الإنعام والإحسان من الأمير الموفق، وتوجه إلى دار السلطنة طهران بقصد العتبة المقبلة عتبة الإجلال لملك الملوك الذى لانظير له .

١٠٢ - مجيء رسول من قبل الحاج يوسف باشا إلى بلاط صاحب العظمة الأمير الموفق، وطلبه إطلاق سراح سليمان باشا كهيا والى بغداد، وإرسال نائب السلطنة لفتح على خان بمرافقته كرسول إلى يوسف باشا

كان الحاج يوسف باشا الصدر الأعظم السابق، الذى كان القائد المقتدر للممالك العثمانية والوالى ذا الشأن العالى لأرض الروم وقراحصار وتوابع تلك الديار، دائماً

واسطة عقد الصداقة والسلام فيما بين دولتي إيران وآل عثمان، فقد كان يُراعى صلاح ومصلحة الطرفين وينظر إلى قواعد اتحاد الجانبين .

وفى هذا الموضوع أيضاً وبإشارة مدون أقلام الوقائع^(١)، أشار إلى حيثيات معركة على باشا وظهر بمقام طلب العذر عن أفعال على باشا الخاطئة والتماسه إطلاق سراح سليمان باشا كهيا ، وأرسل محمود فيضى أفندى، الذى كان من جملة سادة الديوان، إلى حضور نائب السلطنة ، وتعهد بأنه من بعد ذلك لن يظهر أى من باشوات [ص ١٨٥] أقاليم الحدود والثغور أمراً يخالف رؤية الوثام والاتحاد ، وعلاوة على ذلك تُوقف الصداقة مع الروس برغبة الدولتين العليتين إيران وتركيا العثمانية، وبالاتفاق يقضيا أوقاتيها فى تخريب بنیان فساد تلك الطائفة .

وتوجه ببعض الهدايا اللائقة إلى الحضرة ، ودخل دار السلطنة تبريز وفى مقام الاستشفاع ، وطلب بأن يُصبح النواب نائب السلطنة واسطة رفع غبار شجار على باشا والى بغداد وطلب إطلاق سراح سليمان باشا كهيا فى العتبة السلطانية. وبناءً على ذلك، عرض نائب السلطنة تلك الموضوعات على الدولة القاهرة، فعفى الخاقان القابل للاعتذار عن تجاوزاته، وقرر بأنه من بعد ذلك لا يصدر بأى وجه من الوجوه سوء السلوك مع حكام الأقاليم العثمانية من قبل نائب السلطنة والأمير محمد على ميرزا، كما سمح لسليمان باشا كهيا بالانصراف مرفوع الرأس، وسيره إلى دار السلام بغداد.

وكما بدأ السلطان سليم خان سلطان ممالك الروم أيضاً القتال والحرب مع الروس بحكم المواجهة معهم فى واحد من الأقاليم العثمانية، وسير نائب السلطنة فتح على خان الحاجب بن هدايت الله خان الرشتى كسفير بمرافقة محمود فيضى أفندى عند يوسف باشا. وبعد وصوله إلى ذلك الإقليم صار قريباً للإعزاز والاحترام اللامتناهين وفى سبيل حسن النية ورؤية المسالمة أحكم بنیان الوحدة والاتحاد فيما بين الدولتين ورجع.

وبالمصاحب لهذا الحال، قدم أيضاً المدعو "إستبان"^(٢)، الذى كان من معارف مدينة تفليس، من عند كدويتش إلى حضور صاحب الشوكة نائب السلطنة، وألح من

(١) ربما يقصد هنا عبد الرزاق الدنبلى نفسه .

(٢) إستبان : هو إستبانوف كما ذكر من قبل .

جديد على استقرار ووضع بناء المصالحة والسلام، وكان قد استدعى أن يُسير إستان إلى البلاط السلطاني ، كي يراعى من تلك الناحية أيضاً مسئولو الدولة المتزايدة يوماً بعد يوم الطريقة المرضية للسلام . فجعل نائب السلطنة مبعوثه قريباً للإنعامات والشفقة وسيره إلى بلاط الخاقان الجالس على عرش جمشيد [ص ١٨٦] وسمح له بالانصراف من بلاط ملك الملوك كسرى بعد الإبلاغ عن مطالبه ورسالته.

وفى تلك الأوقات، وحيث كانت طائفة الروس تسير من ولاية بايزيد، كانوا يشترون المؤن وما يحتاجون إليه بالذهب من الولايات الخاضعة تحت سيطرة يوسف باشا ويحملونها. ولأنه على الدوام ، كانت إرادة عقل يوسف باشا وضميره رضا وسعادة الحضرة العلية الظل الإلهي واسترضاء خاطر النواب نائب السلطنة، ولم يكن يريد أن تظهر منه قاعدة الخلاف فى مرآة الملك وقوة اتحاد دولتى إيران والروم (العثمانية) وكانت معاملات طائفة الروس مع أهالى الروم (العثمانيين) على خلاف الرأى الكسرى، ومن قبل نائب السلطنة البهية كانت قد صدرت أيضاً الإشارة بأن تُترك المعاملات فى تلك الحدود حتى لو ادعوا الإخلاص مع هذه الدولة ، ويجب أن يحرقوا بيدر عمر الأعداء فى روضة مريدى الدولة. ولهذا، أرسل إلى باشوات الولايات الحدودية، التى كانت تابعة لأمره ونهيه الشروح المؤكدة المنبئة على ترك التعامل مع جماعة الروس والتردد عليهم، وحذر الباشوات وخوفهم من معاملاتهم وصادقتهم وعلاقتهم مع تلك الجماعة، وقطع أساس معاشهم ومادة انتعاشهم، وبعد أن أدرك كويتش هذه الإرادة ، قام بالعداء ، وأرسل الجنرال "سويدوف" إلى رأس قارص .

وبعد قدوم تلك الجماعة إلى تلك المنطقة، خرج محمد باشا حاكم قارص مع جمعه بنية الحرب ، وفى الخفاء تحالف مع جيش الروس، وولى بعنانه من أمامهم، وتحصن فى قلعة قارص، واستقر فى القلعة متخيلاً النفاق والخداع، واطلع يوسف باشا على هذا القصد والمعنى ، فعين سيد على باشا مع جمع من الجيش الطالب للانتقام، وبعث حكماً إلى أهالى قارص وطلب منهم بأن يخرجوا محمد باشا من وسط القلعة أو يأسروه ويبعثوا به، فانتقل محمد باشا بسبب سماعه هذا الخبر وهو مفزوع بقبح فعله، وتقبل صد الروس وطردهم، وبناءً على ذلك خرج من القلعة، وبالمصادفة صار

سيد على باشا مُزِينًا القتال والصراع مع الروس [ص ١٨٧]، فأنزل بهم الهزيمة الفاحشة، وتقهقرت تلك الجماعة عن قارص ، واستراحت في القرى القريبة منها .

١٠٣- تحرك موكب الأمير ولي العهد المنصور من دار السلطنة تبريز، ووصول أخبار هزيمة الروس من الجيش العثماني :

في الثاني من شهر ربيع الثاني، أعلن نائب السلطنة عن عزمه على تأديب المتمردين قرييهم ويعيدهم وعلى استحكام وانضباط أمور الأقاليم الحدودية والثغور ، فاحتشدت دار السلطنة تبريز بالعساكر المُزينة بالنصر، وفُتحت أجنحة الراية البيضاء المضيئة رغبةً في دفع الخصوم ، وفي أثناء توقف الموكب الفاتح خارج المدينة ومعه المدافع التي لها مهابة الثعابين والطورييدات^(١) التي لها صولة الحياحي، والفرسان الحارقين للعدو والمشاة نوى النيران المشتعلة، وصلت الرسالة من يوسف باشا والعريضة من حسين خان القاجاري قائد إيروان متضمنة أخبار انتصار الجيش العثماني وهزيمة الروس ، وكيفية تلك الأخبار كانت كذلك: ذهب ابن كويتش إلى رأس قلعة "آخر كك" بأخسقه ومعه أربعة آلاف من المشاة المطربين لنيران البرق، وأخذ كويتش في التحرك من خلفه، ولسماع هذا الخبر، أرسل سليم باشا والي أخسقه ثلاثة آلاف من حملة البنادق من جماعة اللان، الذين كانوا من المشاة العظماء في تلك الأقاليم، إلى قلعة "آخر كك" لمعاونة أهلها. وهجم ابن كويتش مع أبيه، وقبل طلوع الصبح بثلاث ساعات، على القلعة، ومن كل ناحية وضعوا السلام على الجدران، ولشاهدة هذا الحال فتح حراس القلعة أيديهم للقتال والمعركة ، وفي النهاية ، وفي وقت الصباح انتصر الجيش العثماني على الروس، وولى الباقون من السيف بالهزيمة من برج وحصن القلعة، وخرج الجيش العثماني من القلعة، وقام بتعقب تلك الطائفة ، فلوّنوا أديم الأرض من دمائهم ، وحتى الوقت ، الذي كان غراب الليل قد فرش فيه جناح الظلام على أطراف العالم، كانت الحرب قائمة بينهما، وانهزم كويتش ومعه جيشه دفعة واحدة وتحطم سد ثباته واستقراره بسبب صولة وصرامة الجيش العثماني، ومن

(١) الطورييدات : مدافع صغيرة .

ذلك الإقليم رجع إلى حدود تقليس، واستولى الجيش العثماني منهم كغنيمية على خمسمائة وخمسين حربة وكثير من الأعلام والبيارق وخمس [ص ١٨٨] عربات مدفع وست عربات أسلحة .

١٠٤- ثورة أهالي إسلامبول وجماعة الجند الجدد [الإنكشارية] على السلطان سليم ملك الروم [ال خليفة العثماني] وعزله من السلطنة ورفع السلطان مصطفى مكانه على العرش، وكيفية هزيمة جيش الروم :

في أوائل شهر ربيع الثاني، ثار مسلمو إسلامبول وأصحاب جماعة الجند الجدد [الإنكشارية] على السلطان سليم خوندكار، الذي كان سلطاناً طيباً، وقد ألقوا القبض عليه بهذه الحجة وهي بأنه كان قد أسس جيشاً جديداً وبأنه كان يهتم اهتماماً كاملاً بنشر هذا الجيش والنظام، وعزلوا حضرته من السلطنة، ونصبوا حضرة السلطان مصطفى مكانه وهو ابن السلطان عبد الحميد خان الذي كان قد مكث لفترة في زاوية الخمول ، وأجلسوه على عرش الحكم ، كما قبضوا على الحاج إبراهيم نظامي، الذي كان قد أسس هذا الجيش، مع جمع من رجال الدولة، وقتلوه، وقاموا بتغيير وتبديل جمعاً آخر من أمناء الدولة. ولم يكن حتى ذلك الوقت، قد انتشر هذا الخبر في أرض الروم، وكان كدويتش بعد هزيمته من الجيش العثماني، قد جهز مشاته مرة أخرى، ورفع راية الحرب تجاه قارص بنية المحاربة مع يوسف باشا، فسلك طريقه ناحية "شوره كل" بإيروان، وكان يوسف باشا قد اغتر في ذلك الوقت بسبب هزيمة الروس التي كانت قد وقعت في "آخر كك أخسقه" فاستتبط النواب نائب السلطنة تعجله وتسرعه وهما الباعثان على اختلال الأمور، بسبب نخوته وغروره، فأعلن له في عالم النصيحة بأن يسلك التائي والاصطبار في أمر محاربة الروس، ولا يتسرع، ولا يجهز أدوات الحرب، وأن يقوم بترتيب الجيش وباستمالة كل أمير ومحارب ، وذلك حتى الوقت الذي تظهر فيه راية مزين العالم الأمير الفلك الوقار بعزم ثابت ورأى صحيح على تلك

الحدود ، وعندئذ يكون يوسف باشا مستعداً للعمل وجاهزاً للحرب، وبالاتفاق والتحالف للجنود اللامعدودة لإيران والدولة العثمانية يقومون بصد ودفع الروس^(١).

وقبضوا على حسين خان القائد [ص ١٨٩] الزائى وكداخان ومحمود خان التايمنى أخى بلنك بوش خان الجمشىدى وستة آلاف شخص آخرين المتبقين من طعمة السيف الظالم للروح وستة أو سبعة آلاف شخص أيضاً، الذين كانوا يساوون مائتى شخص من عظماء وزعماء تلك الجماعة الشيطانية مثل عبد الغياث خان نوقل الزائى ابن أخى مددخان الزائى والأخ الآخر لبلنك بوش خان الجمشىدى وبرخوردارخان إسحق الزائى. ووقعت فى يد المجاهدين المظفرين الغنائم والأموال اللامحصورة من الذهب والفضة والخيام والعتاد والخيل والبغال والجمال التى كالجبال وغير ذلك اللامعدود الذى يخشى المحاسب تعداده وإحصاءه وقد صار الجبل والوادي متلوناً بدماء القتلى من (مكان) معركة الصراع والنزال وحتى بوابة هراة وتفرقت الأعداد الباقية من السيف وتطرقت النكبة والبوار عليهم وتعقب محمد خان القاجارى الفارين حتى بوابة هراة، وأقام حصناً فى مواجهة بوابة هراة ورفع إلى السماء راية محطم العدو. وكان الأمير فيروز قد أوصل نفسه مع شخصين أو ثلاثة فى منتصف الليل إلى هراة. فصار محاصراً ومتوارياً فى القلعة بالنواح والحسرة ، وسال دم القلب من عينيه على وجهه.

١٠٥- بيان مقتل على باشا والى بغداد بالسيف الظالم للغلمان ذوى الأصل السيئ، وجلوس سليمان باشا كهيا مكانه على وسادة حكومة بغداد

عندما وقعت فى السنة الماضية الأفعال والأعمال الشاذة بسبب الخسة والدناءة وعدم التجربة من على باشا والى بغداد بالنسبة لخدام وعمال الخاقان ذى المقام العالى، رجع قرين الهزيمة والانكسار على دار السلام بغداد، وتراجع أهاليها إلى الوراء .

(١) هكذا جاء هذا الموضوع مقطوع وغير مكتمل ويبدو أن هناك نقصاً فى هذه الصفحات رغم اكتمال ترتيب أرقامها كما أن الموضوع الذى يليه لا توجد مقدمته أو بدايته حيث إن السابق لا يتفق مع اللاحق . وهذا النقص موجود فى النسختين : أى نسخة مكتبة جامعة القاهرة ونسخة مكتبة جامعة إصفهان وهما اللتان اعتمدنا عليهما فى ترجمة هذا الكتاب، كما ذكرنا من قبل. (المترجم)

وفى أواسط شهر جمادى الأولى، قام غلامان كرجيان من غلمانه ويتحريض من أحد مقرييه، الذين كانت لهم الصداقة الحميمة معه، بقتله فى أثناء الصباح، واطلع على هذا الوضع أعظم وأعيان بغداد وجماعة الإنكشارية [الجيش الحديث]، فبادروا إلى خدمة سليمان باشا [والى] كهيا، ورفعوه إلى الحكم مكان على باشا ، وغرسوا بنور إرادته وحكمه فى أرض القلوب[ص ١٩٠] وامتطى قتلة على باشا دواب الفرار والهروب بسبب مشاهدتهم هذا الحال، فعين سليمان باشا عدة فرسان عليهم، فأسروهم فى الطريق وضربوهم بالسيف البتار وأرسلوهم إلى دار البوار، ودون الوقائع المسطورة فى العريضة وتوجه بهدية لائقة إلى بلاط الخاقان الموفق، وبعد وصول هذا الخبر إلى البلاط العثمانى، كلف السلطان [العثماني] مصطفى ملك الروم يوسف ضياء باشا على حكومة بغداد ورئاسة العراق العربى وتلك الحدود ، وبعد اطلاع سليمان على هذا الوضع، جعل رجال الدولة راضين عنه، وعن طريقهم افتخر مرة أخرى ومن جديد بحكومة العراق العربى، واستقدم مديرو البلاط العثمانى يوسف ضياء باشا إلى دار الخلافة إسلامبول، ووضعوا عثمان باشا مكانه على أرض الروم وقراحصار وأرسلوه هو إلى البلاط العثمانى، وبقيت تلك المناطق خالية بسبب صواب رأيه ورؤيته حيث كان معجزة فى قوانين أقاليم الحدود والتصرف مع أهالى الولايات، واستخدام أسلوب الإدارة مع المعرفة والغريب .

١٠٦- عودة الموكب المظفر إلى دار السلطنة تبريز، ووصول السفير العالم ميرزا محمد رضا القزوينى مع الجنرال غاردان وسائر السفراء الفصحاء إلى بلاط الخاقان الموفق، وتكليف عسكر خان بالسفارة :

فى هذا العام، وبمقتضى الطبع الغيور وعلو الهمة وشهامة الفطرة، كان للنواب نائب السلطنة والخلافة الإرادة مع الجيش، الذى كان حاضراً فى الركاب المنتسب للنصر، بأن يقوم بتصميم العزيمة القوية الراسخة بمحاربة جيش روسيا.

وطالما قاموا بإرسال عرائض الحاجة والإلحاح والالتماس بخصوص هذا الشأن إلى خدمة زحل الرفعة ملك الملوك جمشيد العظمة، حيث كررت جماعة الروس على لسانها المصحوب لمبعوثيها أحرف الصلح والسلام، وطلبت من مسئولى الدولة الخالدة عقد شرط الصلح وعهد الهدنة وإيقاف الحرب بينهما ، ولم يسمح رأى مزين العالم السلطاني، الذى هو نموذج لعقل الجميع، ولم يأذن للأمير نائب السلطنة بإثارة غبارة الانتقام والقتال وإشعال نار الحرب والصراع.[ص ١٩١]

وبناءً على هذا، ولأن أيام الخريف كانت تقترب وكان يتقضى وقت زحف الجيش ، فقد تحرك الموكب المزين بالنجوم من مرج "أشكنبر"، وفى الثامن عشر من شهر رجب المرجب، زين دار السلطنة تبريز، وقضى بانتظام جميع الأيام وفى همة عالية النهمة بإتمام أمور جند الانتقام وبترتيب وتنسيق الجيش والنظام ، وكان فكر شمس المائر معطوفاً على نظم أمور الرعية وشئونها وعلى إراحة الجيش الجرار من المشاة والفرسان، فقسم خيل جند الجلادة والمشاة والفرسان إلى ثلاثة أقسام، وعين كل فوج على واحد من الأقاليم، بحيث يكون بموجب نظام العمل، مستعداً وجاهزاً للمعركة، وكانوا فى كل يوم يتدربون على قواعد العسكرية الجديدة على الدوام .

وفى الثامن من شهر رمضان المبارك، رجع السفير الأديب نو الخصال الطيبة ميرزا محمد رضا القزوينى، الذى كان مكلفاً بسفارة دولة فرنسا، فقد أكرمه نابليون وجعله قرين الإعزاز ، وكان قد رفع راية الصداقة والتحالف فى مضمار الصداقة العلنية ، ويعدّها بعث بالجنرال غاردان، الذى كان من ضمن مقربى ومحرمى بلاطه وقائدا لاثنى عشر ألف جندى، ومعه أربعة أشخاص آخرين من مشهوريههم وفنانيههم وخبرائهم العقلاء ، ومعهم رسالة الصداقة الحميمة واتفاقية المحبة وكانوا جميعهم فى صحبة ميرزا محمد رضا القزوينى إلى خدمة الخاقان الموفق والأمير ولى العهد نائب السلطنة .

وخلاصة مضمون هذه الاتفاقية^(١) ذلك: "بأن نابليون كان قد تعهد بأن يُخرج الروس سواءً بالحرب أو بالسلام من الكرجستان والولاية التي تحت سيطرتهم، وطالما أن هذا الأمر لم ينجز (لم يجد الفصل فيه)، فلا يحوم حول الوفاق مع دولة روسيا ، ولا تكون دولة إيران أيضاً في هذه الحالة مقيدة بقيد صداقة دولة إنجلترا وأن يقرنوا سؤالهم بشأن التدخل في الهند بالنتيجة".

وقد أسرع ميرزا محمد رضا القزويني والجنرال غاردان السفير بالتشرف إلى دار السلطنة تبريز لخدمة نائب السلطنة وذلك في أثناء الاحتفال العام ، وعرضا رسالة [ص ١٩٢] نابليون عليه، فشاهدا كافة أنواع الرعاية والإحسان، وكلف النواب نائب السلطنة فتح علي خان نوري رئيس الحراس، الذي كان من أعظم البلاط ورجلاً ذا منزلة وخبيراً، لاستضافة السفراء ، وفي الثاني من شهر رمضان توجهوا إلى بلاط الخاقان خاتم سليمان ، وبعد قدومهم إلى دار السلطنة طهران ، بذل كسرى الموفق كافة أنواع الألفاف والرعاية والشفقة بشأنهم فجعل الجنرال غاردان مفتخراً بلقب خان، كما جعل رفاقه مفتخرين ومختصين بالإنعام والرعاية اللامحدودين، وكلف من موضع عرش السلطنة عسكر خان الأفشاري الأرومي، الذي كان من كبار القواد، ومعه التجهيزات ولوازم المعيشة الكاملة للسفارة إلى فرنسا، وسار وهو في صحبته من البضائع الغالية والتحف الجذابة على سبيل التذكار والذكرى ومعه رسالة بداية المحبة والألفة من قبل قرين الشرف الحضرة العلية ذي الرتبة الفلكية والنواب نائب السلطنة والخلافة .

(١) لم يذكر عبد الرزاق الدنبلي كل مضمون هذه الاتفاقية المحقة لحق إيران وذلك لتعمده عدم الإفصاح عن أخطاء فتح علي شاه وحكومته لأنها في رأيه من أسرار الدولة ، أما بشأن بنود هذه الاتفاقية وحقيقة مضمونها فيقول عباس إقبال بشانها : "عقد ميرزا رضا خان [القزويني] عن فتح علي شاه في الخامس والعشرين من صفر (١٢٢٢ هـ .ق) في "فينكنشتاين" معاهدة مع نابليون شملت ست عشرة مادة ، تعهد نابليون بموجب هذه المعاهدة بأن يسعى إلى استرجاع الكرج إلى إيران وإجبار روسيا على تخليتها وإرسال الأسلحة والمدافع والبنادق والمهندسين والمعلمين لإصلاح الجيش الإيراني وتقويته ، وقبلت إيران ذلك إيران أن تحالف فرنسا في حريها ضد الإنجليز وروسيا وأن تعلن فوراً الحرب على إنجلترا وأن تعرض رعاياها الأفغان على مهاجمة الهند وأن يسمح الشاه لنابليون بعبور إيران إذا أراد غزو الهند عن طريقها ويضع موانئ الخليج الفارسي وسواحلها تحت اختيار البحرية الفرنسية إذا اقتضى الأمر." (انظر: تاريخ إيران بعد الإسلام : الترجمة العربية ، محمد علاء الدين منصور ، ص ٧٥٩)

١٠٧ - تكليف العارف بالحقائق والمعارف السيد إبراهيم شيخ الإسلام الخوئي من بلاط ملجأ العالم إلى سفارة الروم^(١) :

عندما كان قد استلزم في تلك الأوقات جلوس واستقرار حضرة منبع السلطنة السلطان مصطفى سلطان الروم العظيم من جديد على عرش السلطنة والحكم، ولقد كانت على الدوام تراعى فيما بين هاتين الدولتين الخالدين قواعد المحبة والمودة عن طريق تردد السفراء والأمناء ، ولهذا السبب كان إرسال رسالة الصداقة في صحبة شخص مترجم ورسول بليغ وفصيح هو من لوازم أخلاق وأحوال السلطنة. ولهذا، كُلف من بلاط صاحب الفلك الخاقان الموفق، ناشر كنوز الحقائق والمعارف والعالم برموز الفضائل والعوارف شيخ الإسلام والمسلمين السيد إبراهيم شيخ الإسلام الخوئي بالسفارة وأرسل في رفقته الرسالة المشتملة على التهنئة بالجلوس المئوس بإنشاء كتبة عطار.

١٠٨ - بيان وقائع سنة ألف ومائتين وثلاث وعشرين هجرية، ونقض عهد وميثاق كدويتش قائد روسيا [ص ١٩٣] ومجيئه مع الجيش اللامحدود إلى إيروان وإنهزامه :

في ربيع هذا العام المبارك، قام النواب نائب السلطنة بتجهيز آلات القتال وتهيئة وإعداد لوازم الحرب والمعركة، وقد قرر الخاقان فاتح البلاد أيضاً أن تتحرك في وقت العمل أفواج بحر الأمواج التي كانت منتظرة الأوامر العلية وكان مكنون ضمير النواب نائب السلطنة ذلك هو بأن يسرعوا إلى رأس الجيش الروسى قبل إقدامه واقتحامه هو لهم .

وفي هذه الحالة توجه أحد المسرعين من كدويتش قائد روسيا الذي كان كعود البيلسان إلى البلاط الملكي، فكانت خلاصة مطلبه من الخاقان فاتح البلاد هو الصلح

(١) سفارة الدولة العثمانية .

والسلام، وكانت متضمنة أيضاً بأنه بعث برسالة تفسيرية إلى الجنرال غاردان سفير
إمبراطور فرنسا [فى إيران] حيث إنه نظراً لاتحاد وتحالف دولتى فرنسا وروسيا،
فلروسيا أيضاً الرغبة الكاملة فى مصادقة ومصالحة دولة إيران، وبأنه قد ترك الخوض
فى هذا الأمر العميق وإتمام هذا الشأن العجيب إلى مسئولية رعاية الجنرال غاردان
خان، وعرض السفير الصافى القلب طلبه أمام كرسى عرش أيوان الخديوى الفريد،
فقال الخاقان فاتح البلاد فى إجابته إن مقصود كويتش من إعلان هذا الموضوع ليس
إلا تلاعباً ومكرأ وخديعة وإثارة لغبار الفتنة والشغب وإن غرضه من هذا الإصرار
سيبرز ويظهر العداوة. وقد سعى الجنرال فى خدمة كسرى الفريد إلى عرض وتفصيل
بعض الأدلة، وحصل على الإذن والتصريح فى إتمام أمر الوفاق والصلح من خدمة فلك
البسطة الخاقانية، وأعلن إلى كويتش قبول التماسه ومطلبه من ديوان الملوك الملاصق
للفلك. وأرسل [كويتش] "وان باردن وريدى" قائد المدفعية الروسية، وكان قد أعلن عدة
رسائل منبئة على إعلان الامتتان وتقديم الشكر اللامحدود إلى نائب السلطنة والجنرال
غاردان خان. وتحرك من تقليس بحجة تعويض هزيمة العام الماضى فى أخسقة
وييلامش فى منطقة بنبك .

وأرسل النواب نائب السلطنة سلالة الأطياب ميرزا عيسى الوزير الملقب بميرزا
الكبير إلى بلاط ملجأ العالم الخاقان حضرة الفلك [ص ١٩٤] ، وعرض كيفية الحال
على عاكفى كعبة الجلال ، فأصدر الخاقان الذى لاشبيه له الأحكام المشبهة بالقضاء
بإعداد وتهيئة لوازم المعركة وبتسيير أفواج الجنود الذين لهم طباع الأسود ، وكان
الجنرال غاردان خان ملتزماً ركاب الهمايون فى مرج سلطانية، وأحضر بسبب هذا
القصد، وعرض غاردان أمام كرسى عرش الحضور وهو فى مقام الحاجة بأن تجهيز
وإعداد آلات وأسلحة معركة الروس، الذين هم الصديق للدولتين إيران وفرنسا،
لا حقيقة له، وأن اليقين الحاصل لى هو بأنه فى هذه الفترة نفسها، سوف يصل بريد
مستعجل من دار الملك باريس، وهى عاصمة ملك فرنسا، وسوف يصل خبر إخراج
الروس من أقاليم إيران الحدودية، ولأن الأمر يقبل بملائمة الحكم، فقد كان الإصرار
على المعادة بعيداً عن رؤية الحزم، ثم إنه من المحق أن يعود الجيش الطالب للانتقام
إلى دياره وبثكناته حيث الآن فصل الخريف، وفى فصل الربيع القادم يصمم على

التوجه إلى رحلة الهند^(١). فقال الخديو الفريد: "بأنه إذا كان في الواقع مقصود كدويتش من التوقف في بنبك هو التوجه إلى إيروان، وعلى غفلة يضع بناء التجسس بغرض احتلال قلعة إيروان، فإنه نظراً لعدم الاستعداد للحرب، فسوف يضيق الأمر على أهالي القلعة." فتعهد الجنرال واتفق على هذا المضمون وهو: "بأنه إذا وقع من قبل الروس الأسبقية في الحرب مع أبطال إيران، فيكون مجرمًا ومذنبًا أمام بلاط حاكم عرش جمشيد، ويستدعى ذلك أيضاً بأن تُحرر من قبل حضرة قرين الشرف الوثيقة على هذا المضمون وهو بأنه إذا وقع من قبل نائب السلطنة (ولى العهد) الأسبقية في المشاكسة مع الروس، فيكون الوزير الشبيه بأرسطو مستعداً لعتاب سلطان فك الركاب، ويقدم على ذمة مواخذه السخط السلطاني".

وفي حضور كسرى المنتصر، كُتبت الاتفاقية وخُتمت، وسلمها كلاهما للآخر، وتقرر بأن تُراعى وتراقب فيما بينهما نظام الهدنة، ولا تصدر من كلا الجانبين الرسالة المؤذية للقلب ولا السهام المفضية للصدر، وبأن يكون سيف المجاهدين الصائد للروح في هذه الفترة مثل سيف الكواكب لا عمل له ومتوارياً خلف غلافه [ص ١٩٥]، وبأن يكون الطرفان مرتاحين من الحرب والاصطفاف للقتال.

ومع ذلك، أكد الخاقان الموفق تأكيداً موثقاً، بناءً على قانون الحزم ورعاية جانب ملك العالم الله (جلا جلاله)، على الوزير الصافي القلب بحمل الخزانة ونقل تجهيزات الجيش المظفر، ولم يستلزم منه هو الحسن الطباع (ولى العهد)، من أجل خاطر عهد الجنرال، نقل التجهيزات والأسلحة وقيادة الجيش الكثيف إلى ناحية أنريجان، وقد سُمح له بالانصراف من البلاط الملكي بدون الجيش وعتاد ومؤنة الاصطفاف للمعركة، وانضم [الجنرال غاردان] في بلدة خوى بركاب الأمير الموفق المنتسب للنصر.

وبالمقارن لذلك الحال، أسرع مبعوث كدويتش إلى الجنرال غاردان، وكان هذا المضمون واضحاً من عنوان رسالته وهو: "بأنه طالما أن الصداقة بين روسيا وفرنسا

(١) من الملحوظ نور فرنسا في إبعاد أنظار إيران واهتمامها بالحرب مع روسيا وجعلها تعمل في ناحية أخرى وهي الهند لخدمة مصالحها وأهدافها ضد إنجلترا في الهند. (المترجم)

فإنه من البديهي سيوضع بناؤها بين تولتي إيران وروسيا أيضاً بالضرورة في الفترة نفسها، لكن في هذا الوقت، وصلني حكم من إمبراطور روسيا بأن أعزم إلى إيروان، وإرادة مافى ضميره هو أن تظهر بوساطتكم صورة أمر السلام في مرآة المراد." فأرسل الجنرال غاردان خان موسى لاجار نائبه في صحبة مبعوث كدويتش وكتب إليه بعض الرسائل، وفي عرض الطريق حدث له طارئ شديد، وتأخر في قدومه .

١٠٩- بيان نقض عهد كدويتش وقدمه إلى رأس إيروان، ومحاربة حسين خان القائد مع جماعة الروس :

تحرك كدويتش مع عدد وافر وكثرة لامحدودة إلى ناحية إيروان، وكلف الجنرال نبالستين أيضاً على نخجوان مع جمع عن طريق قراباغ، وسلك مسلك نقض العهد متخيلاً أنه ربما يظهر فجأة شاهد مراده ويثمر غصن أمله القديم، ويفتح فجوة في رأس أقاليم الممالك المحروسة بالسعى والمحاولة .

فعرض كيفية وضع الأحوال على بلاط الخديو الفريد، الأمير نائب السلطنة الذي كان له في طريق الرجولة والشجاعة عهداً كبنيان السماء المحكم، وكان يرفع راية المروءة والفتوة على الفلك الأعلى، وكان حتى ذلك الوقت على العهد والميثاق ولم يفكر في القتال وهوس المعركة [ص ١٩٦] والمقاومة، وذلك بعد التأكد من نقض العهد والميثاق، وكان يُعد لمجيء تلك الطائفة ولم يبد اعتناءً واهتماماً بهم، وكان يرى نقض عهدهم في نظر همته العالية سهلاً. وعندئذ، أصدر الأمر بتقسيم الجيش، الذي كان مكوناً من المشاة والفرسان في ظل راية فتح المعجزة ، إلى قسمين، فأرسل جماعة حملة البنادق ذات الماسورتين التبريزيتين وفوج جنود مراغه مع الغلمان حملة البنادق والمدفعيين بالمدافع التي في قوة المجرة لمعاونة وإمداد حملة البنادق الإستراتيجيين والدماونديين وغلمان الحكومة الملكية الخراسانيين الذين كانوا عند حسن خان القاجاري أخى حسين خان قائد إيروان. والذين كانوا مشغولين بحراسة القلعة. وأكد عليهم التأكيدات البالغة بمراعاة لوازم وشروط حراسة القلعة وحمايتها، إلى أن يسرع صائتو الأسود الغادرة

من بلاط الخاقان فاتح البلاد إلى ركاب نائب السلطنة، وأن يستعدوا للأمر كما ينبغي ويليق. وكلف جمعاً من جند تبريز وخوى ومعهم عدد من حملة بنادق [طوائف] مقصودلو وتشناشكى ؛ وخان نوزى وعدة أشخاص من غلمان الدائرة الخاصة بفتح على خان نورى رئيس الحرس المسلح إلى نخجوان. ونزل الموكب المزين بالنجوم نزول الإجلال فى بلدة خوى لانتظار قدوم جيش ملجأ الظفر فى ركاب الخاقان صاحب عرش جمشيد.

وبعد الانتهاء من هذه المهام، كُلف، طبقاً للأمر الملكى، فرج الله خان رئيس الجلادين، الذى كان مكلفاً فيما سبق بحكم الخاقان المسيطر على العالم مع جيش عظيم لتمكين وتثبيت عبد الرحمن باشا والى بيان فى سليمانىة بغداد ، بعد الانتهاء من الخدمات المقررة إلى خدمة الأمير، فقدم إلى بلدة خوى مع الجيش المجهز. ومن ناحية أخرى، قدم أمان الله خان الأفشارى حاكم "خمسة" أيضاً مع ألفى فارس من خمسة، وفى خوى أدركوا شرف الحضور الموفور السرور. وتحرك نائب السلطنة من خوى مع الجيش المجهز ، وأكد العزم على محاربة ومقاتلة الروس ، وفى المنزل الأول عُرض على رأى الواقفين فى حضرته أن القائد حسين خان ذهب [ص ١٩٧] إلى رأس طريق كدويتش من أجل طمأنة فرسان أكراد إيروان من نوى الأصل السيئ وسائر أبواب جمعه، وعند قدومه إلى تراب إيروان كان وقت التقاء الفئتين وتقابل الفريقين ، وكان القائد حسين خان منشغلاً بالمعركة والقتال مع روسيا، ولم يكن قد تحكم الروس فى إطلاق المدفعية، فولى أكراد إيروان، دون أن يصل الضرر لأحد من تلك الطائفة، كوحوش الصحراء من مكانهم، وسلكوا وادى الهروب والفرار، وأسرعوا من هناك إلى طوائفهم، وأخذوا أحشامهم وقبائلهم وكل ما قد وصلت إليه أيديهم، وعبروا مياه نهر آرس. وكان القائد قد عاد إلى حصنه ومعسكره بعد محاولة وسعى كبير بالرغم من قلة الجيش وكثرة النوايا السيئة ولم يكن قد رأى فائدة فى الحرب. وبسبب الاستماع لهذه الأخبار، كلف نائب السلطنة على الفور فرج الله خان عن طريق "تشورس" وأمان الله خان عن طريق نخجوان لأمداه ومعاونته، وعين أحمد خان مقدم على تلك الحدود من أجل حراسة حدود نخجوان. ولما كانت حدود قراجة داغ وأردبيل ومشكين فى مثل هذا الوقت خالية من محترفى صائدى أسود المعركة، وكان يستلزم تعيين الجيش على تلك

الحدود ، فقد كلف أمير خان القاجارى مع فوج من الجيش على حدود الدامغان ومنتجعات قراجة داغ الشتوية ، وساروا بالمدفعية والطوربيدات والمشاة والفرسان الجرارة والتجهيزات التى لا تُعد ولا تُحصى. وتوقف موكب ربيب النصر مع عدد من ملتزمى ركاب النصر والجنود الفراهانيين والكزازيين، الذين لم يكونوا قد تعلموا بعد العسكرية الجديدة، فى منزل "تشورس"، وبعد يومين أو ثلاثة عُرض على الرأى الأبيض المضيء أنه قبل قدوم فرج الله خان وأمان الله خان إلى إيروان، رغب ككويتش نفسه فى محاصرة قلعة إيروان، فسير الجنرال سماندرويتش بارت نكين برأس مليئة بالشروع والفساد من أجل احتلال "شور"، ولم يحتمل القائد [حسين خان] بمقتضى جلادة ذاته وغيره فطرته ، فترك أحماله وعتاده، ورفع راية الحرب لمقابلة سماندرويتش ومحاربته. وكان فى رأيه أن يتحول عن الحرب فى بداية الأمر [ص ١٩٨] وبداية احتماء المعركة بهدف تشجيع العدو، وأن يجعل الأرض تنفس لون الياقوت والمرجان من دمائهم ، فيتجراً العدو، ويبتعد فرسانهم عن مشاتهم، وعلى الفور يقوم القائد بعد ذلك ويبدأ المعركة ويلوى عنانه ويدفع جنودهم إلى الكمين المفتوح، فيعدم بنيان ثبات المشاة أيضاً بالتدبير نفسه. ومن المشاكل التى حدثت فى أثناء عودة القائد ظهور الغبار والتراب الغليظ فى تلك الصحراء واختلاط الجيشين ببعضهما، وبسبب كثرة الغبار والتراب لم يميزوا الغالب من المغلوب والصدى من العدو، وكان قد تخیلوا تحطم أحمال وعتاد القائد أيضاً بسبب هذه الحال وكانوا قد بدعوا التحرك. وكانت رغبة القائد فى أن يسحب نفسه من وسط الغبار والتراب إلى جانب ويشاهد بدقة كاملة أوضاع المعركة ويضع بناء المعركة والنزاع من رأس التدبير الكامل ، فانسحب من وسط الغبار والتراب بسرعة. ومن المصادفات أن الجيش أيضاً خرج للبحث عنه فوجدوا أن ساحة المعركة خالية من القائد، ولأنهم لم يكونوا عالمين إلى أى ناحية ذهب فقد امتلأ قلبهم بالخوف والفرع وتفرقت كل فرقة فى ناحية ، حيث وصل أغلبهم إلى الرحل والأحمال، وقام القائد مع عدد من الغلمان، الذين كانوا معه، بمواصلة المعركة بسبب شدة جلادته، فقتل وأصاب عدة أشخاص من الروس. وفى ذلك اليوم نفسه، لحق بالقائد فرج الله خان وأمان الله خان مع مجاهدى أبواب جمعهما ، فاجتمعت الجيوش المتفرقة مرة أخرى، وأمر نائب السلطنة بقتل جمع من الجيش معاقبة لهم على تقصيرهم وتهاونهم

وضعفهم. ثم رتب القائد حسين خان وفرج الله خان وأمان خان فرق وألوية الجيش، وأسرعوا إلى محاربة الروس، فلم يقدم الروس إلى المعركة بسبب ملاحظتهم استعداد الجيش وتجهيزه، وسحبوا أقدام سعيهم في أذيالهم وانتظر القادة المذكورون القتال والحرب بالليل والنهار في كمين المعركة.

١١٠- بيان محاربة النواب نائب السلطنة مع روس نخجوان :

وفي تلك الأوقات، صار معلوماً لرأى [ص ١٩٩] نائب السلطنة المظهر للصواب أنه قد حدث لأحمد خان مقدم تردد كامل في حرب الروس القاصدين لنخجوان، وبأن الروس قدموا أيضاً إلى قرب نخجوان ، فلم تحتل غيرة طبعه الغيور هذا الإقدام، ومع أن الجيش المستطاب لم يكن حاضراً في الركاب ، فقد صمم على محاربة الروس. وبالمصاحب لهذا الحال، عُرِضَ على واقفي حضور العظمة بأنه قد حدث سوء ظن لنظر على خان حاكم أربيل وفرج الله خان نائبها من نجف قلى خان كروس، الذي كان مكلفاً بتنظيم قلعتها، وفرا مع طائفتيهما، وقبضا على حسين قلى خان باكويه الذي كان قد أصبح سبباً لقتل إيشبخدر قائد روسيا ، وتوجهها إلى ناحية "لنكران" التي كانت محل اختيار مصطفى خان طالش الذي صار أيضاً بسبب هذا المعنى خائفاً ومرعوباً نظراً لصلته بهما ومجاورته لهما، والجميع يتخيلون إحداث فجوة في روس تلك المناطق، فتوكل نائب السلطنة على خالق الجزء والكل، وباقتضاء الحظ الموفق لم يلتفت لهذا المحذور، وتحرك من منزل "جورس"، وقدم إلى ساحل نهر آرس، وأمر بالتوقف على بعد نصف فرسخ من مدينة نخجوان وأرسل الأمر المكتوب إلى القائد حسين خان وفرج الله خان : "بأن يسيرا فوجاً من الفرسان في صحبة أمان الله خان إلى الركاب المستطاب " .

ولأنهما كانا مطمئنين بالكامل من أمر قلعة إيروان، بالإضافة إلى أن طوائف إيروان ورعيتهما، لم يكن لهم ميل لاتباع الروس، وقد رحل بعضهم وعبر نهر آرس وذهب البعض الآخر إلى ناحية قارص، وكانوا في مأمن وحماية من فتنة وفساد الروس، فقد جمع حسين خان وفرج الله خان وأمان الله خان طبقاً لصالح أحدهما للآخر مجاهدي ركاب أبواب جمعهم، وأدخلوا صادق خان عز الدينلو القاجارى ومعه فرقة الأفشار

الروميين المعفو عنهم في المفاصد، في سرعة كاملة إلى ركاب الأمير العالي المقام. وفي خلال هذه الأوضاع، كان قد وصل جيش روسيا إلى مقربة من قرية "قرا بابا" بنخجوان، فتوجه الأمير سعيد الحظ بنفسه النفيسة، وشاهد وضع العدو وعدده .

وعلى الرغم من أن محل [ص ٢٠٠] نزولهم كان مكاناً مرتفعاً، ولم يكن له اقتحام من أية ناحية وكان صعباً هجوم الفرسان والمشاة على هذا المكان المرتفع، وبون جنوى أو فائدة، فقد رأى القادة الصلاح في الحرب على تصور أنهم سيحاصرون أطراف ذلك المكان وجوانبه ، فسيحاصرون الروس، وعزم النواب نائب السلطنة أيضاً لصواب رأيهم ، وفي أثناء القدوم إلى تلك المنطقة شاهد ورأى بالمنظار أن جيشاً كبيراً يقدم من ناحية مضبتي سيستان لإمداد ومعاونة روس "قرا بابا". وبالنظر إلى ارتفاع المكان ووصول كل هذه الإمدادات إلى تلك الجماعة فلم يكن يعتقد أن الإقدام على الحرب وإثارة غبار المعركة متضمناً أى فائدة ، ولكن بسبب أن أحمال وعتاد الجيش المنصور كانت بعيدة ومحل نزول موكب النصر كان واقعاً وسط دره وكان ممكن السقوط والتوقف في ذلك المكان ومع احتمال إغارة جيش الروس ليلاً الخارج عن رؤية الحزم والصرامة ، فلم تكن العودة بون حرب أيضاً جديرة بالغيرة ولائقة بمنزلة العظمة والشوكة، وعلى الرغم من وصف إصرار الواقفين في حضوره على الممانعة من الحرب، فقد أصدر النواب نائب السلطنة ثانياً الأمر بمحاربة الروس إلى القائد حسين خان وأمان الله خان الأفشاري ومعهما فرقة محمد خان زنكنه ومحمد بك القاجاري الأفشاري، الذي كان قائد جنود النيران وذلك من ناحية اليمين وإلى فرج الله خان الأفشاري وعلى خان القاجاري ومعهما فرقة حاتم خان بك الدنبلي ونبي خان كزازی وهم الذين كانوا أيضاً قادة الجنود القاذفين بالنيران من ناحية اليسار ووصلت فرقة الجنود التبريزيون ، نظراً لشجاعتهم ومهارتهم، إلى ذلك الجبل المرتفع، وأسقطوا جمعاً من الروس من فوق قمة الجبل كالحجارة ، وأسالوا دماء أجساد الروس القدرة على كل واحدة من هذه الصخور والتراب ، وبسبب جهاد الجنود الباحثين عن النصر كادت تُقام قمة جبل من الروس. حيث وصل فجأة إمدادهم من الخلف ، فأظلمت ساحة المعركة بسبب غبار الجنود، وظهر الفرسان من الخلف ودارت الحرب العظيمة ولم يحتمل الفرسان وهُزِمُوا، وأحاط الجنود بالعدو [ص ٢٠١] من الجانبين ، وأصيب بطعنة منكرة محمد بك الذي كان

قائدهم، فاضطر إلى الرجوع. ومع أنهم كانوا في أول عسكريتهم، فقد أوصلوا محاربيهم في جميع الأماكن إلى القلب في أدب ونظام كامل، واندesh الروس وكابوا يرفعون لواء المعركة إلى القلب، ولم يتحمل الطبع الغيور حرارة اندهاشهم، فهجم عليهم مع فرسان فرقة مبارك ، فجعل مائة وخمسين رأساً منهم مزدانة بالرماح وردهم على أعقابهم. وفي تلك المعركة ، قُتِلَ ما يقرب من ألف شخص من الطرفين، وفي وقت العودة، لم يستطيعوا أن يخرجوا من الميدان ثلاث عربات مدفعية، فصار مدفعيوهم موضع المحاكمة واللوم .

١١١- عبور نائب السلطنة من مياه نهر آرس، ومجيء موسى لاجار الفرنسي من قبل الجنرال غاردان خان من أجل المصالحة، وإصرار كدويتش على أخذ قلعة إيروان :

في أثناء قدوم الروس إلى نخجوان، رحل أحشامها ورعاياها من مساكنهم طوعاً ورجبة، وألقوا برحلتهم على هذا الجانب المائي في المكان المسمى بـ (دره شام) والمتصل بنهر آرس، وعندئذ، وعلى تصور ألا يصل ضرر إلى قلعة إيروان من الجيش، عبر النواب نائب السلطنة مياه نهر آرس وأمر الموكب المنصور بالتوقف في منزل "قبانباسان"، وكلف على خان القاجاري وإبراهيم خان رئيس فرقة الغلمان ومعهما فوج من الفرسان بتأديب الروس في نخجوان، وفي وقت القدوم إلى نخجوان وصل على خان نفسه إلى الروس وقتل عدة أشخاص منهم، الذين كانوا خارج خندقهم ، فرحل الروس من ذلك المكان لفرط دهشتهم، وجعلوا المدينة الخربة نخجوان حصنهم واستولى على خان على الغنائم الكثيرة وانضم إلى الموكب المظفر دائماً.

وفي تلك الأوقات، أراد العقل السليم السامي أن يُعزز ويدعم أمر أمير خان قائد أردبيل وموغان، فسرى الحكم بأن يوفق القائد المذكور في مسئولية رفع وإزالة وحشة حكامي طالش وأردبيل وخوفهما، فإذا وجدا الاستمالة فيها يكون المطلوب ، وإن لم يكن

فسوف يصبحها فى وادى الحيرة والتشتت [ص ٢٠٢] وسوف يُبرز جلياً إلى منصة الظهور كل ما كان قد خُط على لوح التقدير وما كتبه قلم القضاء على صفحة الأجنبية.

وفى سياق هذه الأحوال، قدم "موسى لاجار" إلى المعسكر، وفى منزل "قبان باسان" تشرف بالحضور وهو فى غاية الضعف والنقاهاة من المرض والتعب، وقد أصر كثيراً على أنه مكلف بإبلاغ خطاب الجنرال غاردان خان ووصيته ولم يقبل من مقرب الحضرة أى ممانعة على الإقدام فى الذهاب. وفى أثناء الذهاب، عرض لاجار: "بأنه طبقاً لما هو متبع بين ملوك الفرنجة وهو بأنه فى كل وقت يتردد فيه سفير من أجل إتمام الصلح بين العدوين، يحب أن يُغمد سيف الخلاف والعناد فى جرابه من الجانبين حتى عودته. وبناءً على طلب هذا العبد وهو أن يمنع نائب السلطنة فى هذه الأيام الجيش المحرق للعالم من عمل الحرب والقتال، وذلك إلى أن يظهر عهد الجنرال حسب تعهده، ويحصل فى هذا الأمر على الوجه الأبيض غالباً." فرجع نائب السلطنة بسبب إبرامه وإلحاحه من منزل "قبان باسان" إلى قصبة "جورس" ولحق موسى لاجار بكديوتش، وأبلغه خطاب الجنرال وتوصيته واستمع إلى جوابه على تصور أنه ربما يستولى على قلعة إيروان بالغبلة والقهر، ويخرب قلعة الملوك فى أثناء ذلك. وبمفاد أن المأمور معنور، فكان قد بذل المساعى الكاملة لأن يُسلم القلعة حكامها دون حرب وصراع إلى سيطرة الروس ويخرج أهلها منها ويرجعوا إلى أوطانهم. وبسبب مقولة هذه التروحات والأساطير، التى كان كديوتش يدخرها لحاله، كتب إلى حسن خان القاجارى وأهل القلعة، فتبدل جوابه من التحرك للانسحاب إلى المدفع والبندقية. وقد وصل أيضاً إلى ساحة "ماكو" وعلى حين غرة سماندويوتش بجمعه الغفير، وسلب من الرعايا عدداً من الدواب والأغنام، وعاد إلى إيروان .

فكلف النواب نائب السلطنة القائد حسين خان وفرج الله خان الأفشارى وصادق خان القاجارى وأمان الله خان [ص ٢٠٣] الأفشارى ومعهم فوج بمحاربة الروس ومقاتلتهم وإمداد قلعة الملوك. ولكن فى أثناء وصول جيش ملجأ الظفر إلى تلك المنطقة كان قد هطل جليد ضخم فلا كان الفارس قادراً على الحرب ولا كان الجواد له المقدرة على الثبات والوقوف. وكان لا بد من الرجوع مضطرين من ذلك المكان إلى موكب النصر .

١١٢- بيان هجوم الروس على قلعة إيروان وقتلهم وهزيمتهم بعون الله المنزه، وعودتهم إلى ناحية الكرجستان وهلاك جمع منهم بسبب شدة البرد :

وبعد أن اطمأن كدويتش بسبب عودة القواد، فأخلى الغابة من الأسود الماكرة ورأى أمره مهيناً على حسب ادعائه، وتيقن بأن تجمع الجيش بعد هذا سيكون باعثاً على تفريق جيشه، واغتتم الفرصة، وجعل المعركة حامية الوطيس في بداية برودة الهواء وفي نهاية اشتداد البرد، وقام مع جميع جيشه بالاستعداد للهجوم. وبعد ذلك، خرب من كل ناحية جدران القلعة، التي لم يكن لها ساتر ترابي، بقدر زراعين أو ثلاثة وذلك بضربها بدانات المدافع، واستسهل مرور الجنود وعبرهم من ذلك المكان. وفي ليلة التاسع من شهر شوال القريبة بطلوع الصبح الصادق، هجم على أطراف قلعة إيروان عازماً إخضاعها وبسبب مشاهدة هذه الحالة ، غلب على حراس القلعة، الذين كان قد تمنوا في الليالي والنهار مثل هذه الليلة وتضايقوا لمحاصرة قلعة إيروان فتمنوا الحرب، نوعاً من الشوق للحرب وكفاح من أجل الشهرة والصيت ، كأن يقال سحب العاشق الهجران، فبعد فترة طويلة، عاود محبوبته مرة أخرى، وبالرغم من يأسه من نور البصيرة أبصر الدنيا بعينه بعد فترة طويلة .

وفي حملة واحدة، خرجوا من الأطراف والجوانب وفي أيديهم الخناجر اللامعة والسيوف النائرة للدم والبنادق النائرة للنيران، واصطفوا على برج القلعة وحصنها مستعدين للمعركة ومنتظرين القتال. وقفلوا الشفاة عن الثثرة والهمس، وقعدوا في كمين العداوة بقصد صيدهم مثل الأسود المزمجرة [ص ٢٠٤] إلى أن عبر الروس جميعهم من الخندق ووصلوا إلى موطن جدران القلعة بالآلات ومعدات فتح القلعة والسلام التي في قوة المجرة، وأحكموها من الجوانب على الجدران ، وصعدوا إلى أعلى القلعة مثل الدخان، وبعد ذلك وضعوا أقدامهم على البرج ، فأشعل أبطال الإسلام الشمع والمشاعل من كل جانب، وفتحوا ساعد القوة لصد الروس وطردهم، وعلى الرغم من أنه في ذلك الوقت، قد طرأ على مزاج حسن خان القاجاري أعراض ألم شديد ولم يكن قادراً على الحركة، فإنه اعتمد أيضاً على طالع نصر المطالع السلطانية وكان له الحراس المشغولون بأمر الحرب والقتال كما ينبغي، فقد وضع أساس الحرب أشرف

خان الدماوندى أيضاً مستظهِراً بالتأييدات الإلهية فى ناحية الجدار التى كانت مهدمة من ضرب قذائف المدافع ، وكان معه على تقى خان الإسترابادى وكلب على خان القاجارى وسائر القواد ، وكان الغلمان حملة البنادق الخراسانيين وغلمان حملة بنادق خاصة النواب نائب السلطنة وسائر القواد وأفراد الجيش والجند القناصة (الصائدون للعدو) واقفين ففتحووا ساعد بحر العدو على الروس ، فكان كل واحد من أبطال الروس كان يضع قدم جلادته على درجة السلم ، كان يسقط على الأرض كالحمامة المذبوحة من ضرب رصاص القدر والقضاء المقصود ، وصرخت فوهات البنادق الثعبانية من كل ناحية، وأعلن فى العالم عن اضطراب فوضى القيامة بسبب طلقات المدفعية : شعر [ترجمته]

سقط الروس جميعهم فى الدم والتراب

والصدور مقطعة إرباً إرباً من الحراب

وأجساد الرجال ممزقة بالسيف الحاد

جميعهم قطعاً وفتاتاً

انهارت من البرج كما المطر الشديد

الرعوس والصدور والأقدام والرحل فى الخندق

فصارت بحيرة دماء من حفر الخنجر

وجرى من جدران القلعة جدول دماء

من سيف الأبطال فى ذلك البعث

وقد تبعثر القتلى فى الخندق والتراب

والخلاصة، أنه قُتل ما يزيد عن ثلاثة آلاف شخص منهم، حيث كان منهم بولكونيك ومايور والقبطان "وافى سر" والباقي من الشباب الأبطال المشهورين، وقد أودعوا جميعهم إلى الفناء على يد مجاهدى الإسلام، وقد جُرح وأصيب منهم ما يقدر بألفى شخص ولما رأى الباقون من السيف [ص ٢٠٥] (الأحياء) ضياع أمرهم، انسحبوا إلى خنادقهم بمتعبهم ومرضاهم، وانزوا فى زوايا الأسوار والخندق .

وكان فى هذه القضية عون ومساعدة فيض الفضل الإلهى، بحيث إنه على الرغم من الثورة والجلبة، فقد شرب شخصان من أبطال الإسلام كأس الموت من يد ساقى الأجل، وجرح خمسة أو ستة أشخاص أيضاً، ولم يكن القتلى والجرحى أكثر من عشرة أشخاص. أما كدويتش فقد كان مع حظه فى الحرب ينزف قلبه دماً وهو فى تردد كامل فى أمر الفرار والهروب أو الإبقاء والتوقف فى خندقه وحصنه، حتى إنه قبل وصول هذا الخبر إلى معسكر نائب السلطنة، وصل إسماعيل خان القاجارى بالجيش الجرار من البلاط السلطانى وقد وصل بالذهب المسكوك والأسلحة والعتاد وسائر الاستعدادات والضروريات الزائدة عن حد الكفاية من حكومة السلطان عالى الجاه، ولم تبق حالة التعطيل والتعويق من أجل أمر الحرب والمعركة مع الروس القادمين إلى إيروان ونخجوان .

وقد تحرك النواب نائب السلطنة ومعه جميع الفرسان والمشاة الذين كانوا حاضرين فى الركاب المستطاب، من فرسان أفشار وخمسه وجاربولى ومن المشاة الملايريين والجنود المشهورين، من "جورس" وتوجه إلى نخجوان. وفى ذلك المنزل ، قسم ووزع من معسكر الظفر المتواصل الجماعات من الأسود المنطلقة. فكلف حسين خان القائد وإسماعيل خان القاجارى مع جمع من الجيش المنصور على إيروان، وسير على خان القاجارى وأمان الله خان الأفشارى أيضاً إلى نخجوان فى مقدمة الموكب المزين بالنجوم ، وقد وصلت أصوات تلاطم هذين الجيشين العظيمين إلى أذن كدويتش والجنرال نبالستين، فتزلزلت أركان استقرارهما، ووضعاً الأيدى على قلوبهما وأقدامهما بسبب دموع الدم التى كانوا ينزفونها .

وعلى كل، فقد فروا مضطرين من خنادقهم، فى ليلة الاثنين الثانى والعشرين من شهر شوال، وعبروا طريق المذلة والإدبار، وهجم حسين خان القائد وإسماعيل خان القاجارى لتعقبهم، فوصلوا بأنفسهم إليهم، وأفقدوا الكثير من جنودهم الحياة وأسروا جمعاً ، كما ولى جمع منهم بوجههم من معسكرهم بسبب فرط دهشتهم [ص ٢٠٦] وألقوا بأنفسهم إلى معسكر أثر الظفر لنائب السلطنة، فوجدوا الأمان لأرواحهم. وقد صارت عربات كثيرة وأتوات وآلات لا تحصنى من تلك الطائفة نصيب وغنيمة مجاهدى النصر. ولأن برودة الهواء كانت فى غاية الشدة ، وحتى وصول كدويتش إلى الكرجستان، فقد أعجز هجوم برد وبرودة الأربعين الشتوية أيدى وأقدام جمع كثير من

الروس، وفرغت أرواح جمع غفير من قوالبها أيضاً من جرحى جيشه على قمم الجبال والتلال ووسط الجليد والوديان العميقة، وعاد قادة الجيش المنصور بالنصر وحسن الحظ إلى خدمة من هو في رتبة الفلك ومنزلته، وفي مقابل هذا النوع من المرحمة والمهبة من الوهاب [الله جل جلاله] ذى الجود والقوة لإقبال كسرى القوى كالقدر، قدموا مراسم الشكر.

ونتيجة لهذا، فإنه بمجرد عبور على خان القاجارى وأمان الله خان الأفشارى وفتح على خان نورى رئيس فرقة الحرس التى كانت حراساً للجيش من نهر أرس ، لم يتمالك الجنرال نبالستين نفسه، وفر بجمعه بروح لا نفس فيها، فقابلهم فجأة الرجال المكلفون على بعد أربعة فراسخ من بلدة نخجوان، وشرع السيف اليمانى فى تبختره ، وأوصلت المدافع والبنادق دخان شرارها ونيرانها إلى الفلك الدخانى فقتل جمع من زُمرة الروس وأسر جمع آخر ، وتوارت الشمس خلف ستارة الغروب، وألقى الروس برحلم فى المكان نفسه ، وتحصنوا وسط مركباتهم، وتوقف الرجال المكلفون أيضاً بالقرب منهم ، وكانوا فى انتظار تنفس الصبح الصادق ، فأدرك الروس هذا المعنى والقصد، وفى أثناء الليل ولوا بوجههم من هناك إلى وادى الفرار ووصلوا بأنفسهم بألف مشقة إلى قرية "قرا بابا" التى كانت موقعاً للمعركة السابقة بين الفريقين ، فأدرك النواب نائب السلطنة الروس فى ذلك المكان وأيقن الجنرال نبالستين بسبب مشاهدة هذا الحال بأنه إذا تقيّد بالمركبات والأحمال والأثقال ، فإنه لن يبقى أثر من وجود أبطاله الرجال فى لحظة واحدة ، فأحرق مضطراً المركبات والأحمال وحتى البارود والذخيرة والمؤن والخبز ، وصمم بأن يوصل الجنود كفوارس مجهزين حتى سيستان بقرا باغ، وينقل جميع المدافع [ص ٢٠٧] إلى الأمام ويتوقف الجنود على قمم الجبال، ويحرسون الطريق ، حتى تصل المدافع إلى الأمان وعلى الرغم من ارتفاع هضبة وتل سيستان الواقعة تحت سيطرة الفارين والوديان الصعبة وقمم الجبال والتلال ، حيث كان هجوم المشاة والفرسان صعباً [فإنهم] كانوا على مقربة من طريق الجنود. ومرة ثانية، كلف النواب نائب السلطنة كريم خان كتركولو وجمعاً آخر بمحاربة الروس ومقاتلتهم عن طريق "باريك" الذى كان فى وسط التل ، وعين فرقة ملايرى وفوج الجنود على الجانب الأيمن من الطريق الجانبى لربما يسلكه الروس ، فيترصّدون الطريق

عليهم، ونظراً لصعوبة الجبل ووعورة الصخور ، فلم يكن فى المقدور عبور المشاة والفرسان بسبب ضيق الطريق، وكان الموكب المنصور خلفهم بأقل فاصل فكان يكلف رجاله بمراقبة المعركة ، حتى دخل الليل ، وتأخر الروس قليلاً على تلك الهضبة وفى أثناء الليل فروا على عجل تام، ونزل الموكب المظفر فى منزل قرابابا.

وفى اليوم التالى، كلفَ أحمد خان مقدم من ناحية اليمين، وأخذ الموكب المنصور فى التحرك عن طريق "سلوارتى" بحيث يترصدونهم من الطريق المضلل، وفى تلك الحالة اشتدت إلى أقصى درجة ريح الشتاء وبردها، بحيث لم يستطع الرفاق رؤية وجه بعضهما بسبب هجوم الرياح الشديدة المتقلبة، وعلى النحو الذى كان، وصل المشاة والفرسان فى وقت راحة الروس، فقدموا على المعركة والقتال، وقتلوا بعضاً من الروس وأسروا بعضهم، وفر البعض الآخر عندما رأوا أن الأمر قد ضاق عليهم، وقدموا إلى ركاب آثار النصره ، وانسحب الباقون من السيف أى الأحياء منهم إلى الجبال المرتفعة بأنفسهم فى أثناء الليل، وأوكل النواب نائب السلطنة إكمال أمرهم إلى صولة البرد وسورة الشتاء، وعزم على الرجوع، واستولى جيش ملجأ الظفر على غنيمة العدو، وعادت راية الفتح من هناك إلى قرا بابا. وفى اليوم التالى، قدم [ولى العهد] إلى بلدة نخجوان، ونظم أمور وشئون تلك المنطقة فى يومين أو ثلاثة، وأمر الموكب المنصور بالتحرك من هناك، وقدم إلى دار السلطنة تبريز، وفى الطريق [ص ٢٠٨] وصل إلى مقيمى الحضرة بأن كثيراً من الأحياء الفارين هلكوا فى طريق قراباغ وتقليس، وكل من بقى حيا، فقد أعجزت البرودة يد وقدم حيلته .

وأوصل النواب نائب السلطنة إلى عاكفى الجلالة التقرير المفصل بالأمور، فأمر الحضرة العلية الخاقانية فى مقابل هذه الجندية والفدائية، بافتخار ورفع رأس كل واحد من خادemy الأثر كل على قدر مراتبهم ودرجاتهم بالخلاص الفاخرة والإنعامات المتكاثرة، وقد صار هذا الإنعام والإحسان على الغلمان باعثاً على تشجيع وتشويق الآخرين على بذل أرواحهم، وأمر بمنح مبالغ كبيرة لاستحقاقها فى كل البلاد وخاصة فى بلاد أنزيبجان شكراً على هذه الرحمة.

وفى تلك الأوقات، وطئت أقدام على خان القاجارى، الذى كان قد وقع مصاباً فى أثناء المعركة، إلى روضة الجنان، ويسبب وقوع هذه الكارثة له، اغتم خاطر النواب نائب السلطنة فى إجلال إلى دار السلطنة تبريز، وقام بتنظيم أمور الرعية والجند والمشاة والفرسان وجيش أثر الظفر.

١١٣- قدوم السير هيرفرد جنس بروننت سفير دولة إنجلترا وتوطيد قواعد العلاقات بين الدولتين العليتين إيران وإنجلترا :

عندما شاع خبر مصالحة دولة فرنسا مع دولة إيران، لم يدرك مسئولو دولة إنجلترا صيرورة هذا المعنى الذى كان مورث المفاسد لهذه الدولة ، فعين حاكم الهند مرة أخرى الجنرال ملكم بهادر بالسفارة إلى دولة إيران، وقد أعلن الجنرال المذكور لمسئولى الحضرة السلطانية بمجرد أن وصل إلى البلاط السلطانى: "لو يصرف مسئولو دولة إيران النظر عن الصداقة مع دولة فرنسا، فسوف تتحقق بقوة الصداقة بين الجانبين (الإيرانى والبريطانى)، وسوف يزداد يوماً بعد يوم تحالف واتحاد الدولتين".

وعلى الرغم من أن حكام دولة إيران العلية، كانوا قد أدركوا فى باطنهم بسبب طول مدة إقامة عسكر خان فى باريس، أن عهد دولة فرنسا لا وفاء له، فإنهم لم يعلنوا من قبل ذلك حقيقة أمرهم على الجميع وذلك لأن أخلاق السلطنة وروية الملك والدولة لم تكن تقتضى ذلك. فيظهروا سرهم على العالم ، ولقد كان قبول إملاءات الجنرال ملكم مع أن يكون ذلك سرا، هو الأمر المنافى لروية حسن العهد وصدق الوعد والوفاء والمخالف للشهامة الملكية الشاملة، ولم يجد الميل الكامل لسفارته من قبل دولة إيران [ص ٢١٠] واستقر سفير دولة فرنسا أيضاً وكما كان فى مقر الخلافة. ويسبب وقوع هذا التصرف المقنع، وبالرغم من ذلك، كلف فى ذلك الوقت وبصواب رأى وزير دولة إنجلترا "لاروحق"، الذى اشتهر بمتانة رأى ورزانة الفكر وسلامة التفكير وكان موكولاً إليه كفاءة عهد ونظم واجبات ومهام الدولة، السير هرفرد جنس بروننت بسفارة الدولة

العلية [إيران]، وقد عُين لإتمام أمر صداقة الدولتين، وقد كان هو نفسه ذكياً وحكيماً، وسافر أكثر من فترة إلى مملكة فارس أيام الحكام الزنديين، واطلع على عادات وطبع أهالي إيران .

وبعد قدومه، أحدثت أقواله وقعاً كاملاً في الحضرة العلية، ومالت قلوب القائمين بأمر الحضرة الخاقانية إلى أمر صداقة الدولتين العظيمتين الخالدتين .

وطبقاً لحكم الهمايون، عين لاستضافته محراب خان الأفشاري نائب رئيس حرس الديوان الأعلى، الذي كان من الأشخاص الاعتباريين لبلاط موطن زحل، وقدم إلى دار الخلافة في إعزاز لائق، وفي يوم التشرف بحضور حفل القُدوم، أبلغ رسالة بولته، التي كانت بعنوان صحيفة المحبة، وذلك بطريقة حسنة وبأسلوب جذاب. وكان قد وضعوا في الرسالة المشهورة الماس القيم الذي يثير غيرة نجمي السهيل والشعرا حيث تأثر نظر شمس الأثر في أثناء الافتتاح المشهود ثم تشرف بأنواع الهدايا اللائقة والتحف النادرة .

وبعد ذلك شاهد أنواع ومختلف الشفقة والرحمة في دار الخلافة طهران من أمراء ووزراء البلاط، وأعطى له الإذن بالانصراف من هناك، وفي دار السلطنة تبريز انضم إلى خدمة النواب ولي العهد، وتشرف من النواب المستطاب بالرحمة والإشفاق الزائد عن الحد والغاية، وأصبح مختصاً بشرف الدخول في خدمة الساطع النور ومحرم الحفل الخاص ونديمه، وكان يشاهد أنواع المكرمة والإنعام من مقربي حضور خازن العطاء، وبيرونت هو منصب الشريف باصطلاحهم، وكل شخص يفوض إليه ملك إنجلترا بمنصب بروننت، سيبقى هذا الشرف في أسرته. والخلاصة، أنه بمجرد قدوم السير هرفرد جنس بروننت إلى إصفهان تحقق المقصود [ص ٢١١] الأصلية لدولة إنجلترا، فقد تحرك الجنرال غاردان خان من مقر الخلافة، وتوجه إلى أنزيبجان، وصارت أحوال وأوضاع السير هرفرد جنس بروننت وأقواله وأفعاله مقبولة يوماً بعد يوم لدى الطبع الخاقاني، وعقد مع مسئولي الدولة في محادثات وتباحث بحسن القول والعلم بالنظام عهدو الصداقة بين دولتي إيران وإنجلترا كما ينبغي وفقاً لمصلحة الدولة، فانقطع حبل الانفصال .

وبالمصادفة فى تلك الأيام، كُلف مرة أخرى الجنرال ملكم بهادر، الذى كان مصدقاً من أقرانه بفنون الأدب والفتوة، بالسفارة من قبل الحاكم [الإنجليزى بالهند]، وفى [يوم] حضوره إلى الميناء، أعلن لمسئولى دولة إيران عن تنصيبه وتعيينه .

وعلى الرغم من أن تعقل وخبرة السيد هرفرد جنس بروننت وكفافته فى السفارة كانت قد أظهرت مرة أخرى اتحاد وتحالف الدولتين، وكان قد أرسل حقيقة ذلك مع البيان المرفق لميرزا أبو الحسن خان، ابن أخت الحاج إبراهيم خان الوزير السابق، إلى دولة إنجلترا، لكنه كان يستلزم إعزاز جانب الجنرال ملكم أيضاً فى سنة اتحاد الدولتين توعم الخلود، وبناءً على هذا، صدر الحكم المُحكم بإحضاره .

وفى الفترات التى كان فيها المرج الخلاب "سلطانية" موضع غيرة الجنة الخالدة بسبب نزول الموكب السلطانى، حصل الجنرال ملكم بهادر فى إعزاز وشرف على تقبيل بساط الحضرة، فأصبح موضع الإنعام الكامل .

وبالمصاحب لهذا الحال، وصلت إلى تبريز الموافقة على سفارة السيد هرفرد جنس بروننت أيضاً من دولة إنجلترا، فوجب تحركه إلى معسكر الهمايون، وفى الساحات المروحة للنفس "سلطانية" كان السفير ذو الأفعال والتدابير المحموده والجنرال ذو الخصال الطيبة بالاتفاق مستفيدين من العوارف التى لاحدود لها فى معسكر كسرى ربيب الحنان .

فأما الجنرال المشار إليه [غاردان خان] ولأنه كان فى تلك الفترة مستقراً، فقد اطلع إطلاعاً كاملاً على أمر وفعل السير هرفرد جنس بروننت وكفاعة رأيه ورويته، ويسبب إنصاف طبعه، فلم ير لزماً لوجوده مع وجوده [السير هرفرد]، فبقى عدة أيام فى تبريز ، ومنها عاد عن طريق الكردستان وكرمانشاهان بضيافة لائقة وجديرة وعزة واحترام كاملين [ص ٢١٢] .

ولما كان أغلب واجبات توطيد أكثر الأمور مع الدولة العثمانية وأوربا - طبقاً للأمر السلطانى - موكولاً إلى النواب نائب السلطنة، فإنه لم يكن يستريح لمحة ولحظة سواء

فى هذه الأمور وسواء فى معركة الروس الذين كانوا فى ذلك الوقت على خصام وعداوة مع دولتى إيران وإنجلترا وعلى وفاق وسلام مع فرنسا، لذا كان يلزم حضور السفير المشار إليه نظراً لرأيه القوى وفكره البعيد، إلى خدمة ولى العهد الجليل المتمكن، ومن أجل ذلك، وطبقاً للأمر السلطانى، توقف السفير المشار إليه فى تبريز وذلك بعد انتهائه من عقد العهد وإتمام الاتفاقية^(١) وبعض الأمور، وأصبح مكلفاً بالدخول فى خدمة النواب نائب السلطنة ويحسن خدمته ووفرة غيرته وجد فى تلك الإمارة المحرمة الكاملة والاختصاص المتفرد، وقد صار محسوداً من أغلب مسئولى الخدمة القدامى .

١١٤- وقائع سنة ألف ومائتين وأربع وعشرين هجرية، وعودة الجنرال غاردان خان من إيران دون إذن نابليون :

بعد انقضاء مهرجان النوروز، اقتصر رأى مُزِين المَلِك الخاقان فاتح البلاد على أداء وإنجاز مهام المملكة وواجباتها، حيث وصلت فى ذلك الحال رسالة تفسيرية من "موسى شامبانى" وزير دولة فرنسا، وكان مضمون الرسالة بشأن عهد دولة فرنسا مع دولة إيران، وإرسال عسكر خان الذى كان تأخير حدوثه منوطاً ببعض الأمور، وكان موسى جوانين ملتزم الركاب السلطانى، وبقي عسكر خان فترة طويلة مُعطلاً فى "باريس"، وقد أخذ نابليون منه قائمة بأسماء ولايات إيران الخاضعة تحت سيطرة روسيا بحيث يبحث ملك فرنسا هذا الموضوع فى أثناء الاجتماع الثانى مع ملك روسيا، وقد فشلت هذه المباحثات من القرار الذى اتضح فى هذه الاجتماعات. أما ما كان لازماً من الضيافة وإكرام الضيف، فقد أداه نابليون بشأن عسكر خان واحترمه احتراماً زائداً عن الوصف .

(١) يقول عباس إقبال : إن هذه الاتفاقية وقعت فى عام ١٢٢٤ هـ.ق وفيها تعهدت إنجلترا بموجب هذه المعاهدة أن تمنح إيران سنوياً ما دامت الحرب بينهما وبين روسيا مشتتة مائة وعشرين ألف ليرة إنجليزية وأن تتحد البلدان ضد روسيا . (انظر تاريخ إيران بعد الإسلام ، الترجمة العربية ، ص ٧٦١)

أما الجنرال غاردان خان وعلى النحو الذى سبق ذكره، فإنه بعد عودته من خدمة زحل الرفعة الملكية [فتح على شاه] كان ملتزماً ركاب النواب نائب السلطنة [ص ٢١٣] وكان يعيش فى عزّة واعتبار كاملين، وكان يُخص كل يوم بعناية جديدة ومكرمة بلا حدود.

ولما كان للنواب نائب السلطنة ميلاً ورغبة لتعلم نظام الحرب فى أوربا (العسكرية الأوربية)، فقد كان للمدعو "موسى ويردى"، الذى كان من المرافقين للجنرال غاردان خان، مهارة كاملة فى هذا الفن فقد جعله سائراً فى حضور نائب السلطنة، والحق أن موسى ويردى أيضاً قد أدى جهداً كبيراً فى هذا الشأن، وقد أعطى النواب نائب السلطنة أيضاً نظراً لحسن نيته وصفاء طويته، إلى يده الكفاء زمام اختيار الجنود العسكريين بحيث لا يتحرك أحد من كل ذلك الجيش دون إذنه أو رأيه، فطالما لم يصدر أمر أو إشارة من قبل موسى ويردى فإن جميعهم كانوا كما يقال جسد بلا روح . [بيت شعر ترجمته]

صار الجميع نقوشاً على سقف الدار

فلا طاقة للحركة ولا قوة للكلام

وقد حضر المهندس "موسى لامى" أيضاً الذى كان مكلفاً على تقليد من قبل الجنرال غاردان خان، وبعد حضوره إلى تبريز أوقف رحيله، وطبقاً لأمر نائب السلطنة انشغل بتعليم علم الهندسة وتعلم الرسوم الهندسية على الطريقة الفرنسية لعدد من الشباب الأنكباء أصحاب الفراسة والكياسة، والحقيقة أنه بذل جهداً فائقاً فى هذا الشأن .

وفى تلك الأثناء، قدم كدويتش عود اليلسان إلى إيروان، وبدأت الحرب بين جيش إيران وروسيا، واستعد النواب نائب السلطنة وتجهز للحرب، وأشار إلى موسى ويردى وموسى لامى بأن يلتزما مع المتعلمين بالركاب المقترن بالنصر وبأن ينشغلا بإعداد لوازم الانتقام، فأوضحا: "بأنه قد وصلت إلينا رسالة مفصلة من قبل الجنرال غاردان خان الموجود فى دار الخلافة طهران، وذلك مضمونها: ولأنه قد تحقق السلام الشامل فيما بين ملكى فرنسا وروسيا فيجب عليكم ألا تحوموا حول الأمر الذى يساعد على

إعانة جيش إيران ، وبأن تتوقفوا في أذربيجان كضيوف، ونحن معافون ومعذورون من خدمتكم" .

ولكن "موسى لامى" ذهب في الوقت نفسه إلى قلعة إيروان كمتفرج لها، وبعد عودته [ص ٢١٤] عرض ذلك: "ذهبت لمشاهدة جيش الروس الذين كانوا بالقرب من إيروان، ورأيت برأى العين مثلما أعلم أن ذلك الجيش سيخضع هذه القلعة في ثمانية أيام أو ستة عشر يوماً" .

ومع أن النواب نائب السلطنة اعتمد اعتماداً كاملاً على صداقته، ولم يأخذ هذا الكلام بسوء نية^(١)، ولم يقلق مطلقاً نظراً لتوكله واعتماده على خالق الجزء والكل، ولم يخش من العدو.

والذى حدث أن الجنرال غاردان كان معزراً ومكرماً في العتبة السلطانية كما كان موسى ويردى وموسى لامى معززين ومكرمين في خدمة نائب السلطنة وذلك إلى أن وصل إلى الجنرال غاردان خان في دار الخلافة طهران الخبر بأن: السير هيرفرد جنس بروننت قد كُلف من الدولة العلية إنجلترا بسفارة إيران وبأنه قد حضر إلى إصفهان، وعما قريب سيصل إلى دار الخلافة طهران، فاضطرب الجنرال غاردان خان من سماع ذلك الخبر، وأعلن لمسئولى الدولة أنه في هذه اللحظة نفسها التى تعين فيها هذا الشخص [يقصد نفسه] يجب أن تخرجوا سفير إنجلترا من مملكة إيران أو أحصل [أنا] على الإذن، كي أعود أنا إلى مملكة فرنسا. وعلى الرغم من أن الحضرة العلية السلطانية ومسئولو الدولة البهية قد تحادثوا معه بالمشافهة لعدة أيام، وقالوا له: مثلما فى الدولة العثمانية يتوقف عدة سفراء من قبل ملوك الفرنجة مع بعضهم البعض فى أيام الحرب والسلام، ولم يكن بينهم أحاديث مطلقاً، فلماذا أنت تكلف نفسك هكذا، وتُجبر هذه الدولة أيضاً على هذا الحكم نفسه. ولم تجد [منه] فائدة بسبب عناده، وترك

(١) تقول أمينة باكروان : إن تأثيرات سلطات الأجانب ونفوذهم فى الجيش الإيرانى قد لعبت بالإيرانيين فقد كانوا يصرحون لهم بالتكيدات المزعومة والمزيفة بأن هذا مستحيل وهذا لا يحدث ولكن كانت تأكيداتهم دون دليل وبرهان . (انظر . Abbas Mirza, Emineh Pakravan, tome II, P.2)

موسى جوانين فى العتبة السلطانية حتى يخبره بحقيقة الأخبار يوماً بعد يوم، وعزم هو فى عجلة كاملة ، واتفق مع مسئولى الدولة على ذلك: "سأتوقف فى تبريز وسأرفع التقرير إلى نابليون وسأكون منتظراً جوابه " .

وقد أدى الحاضرة العلية الملكية له ما كان لازماً لرعايته ولم يقصر أو ينقص فى إعزازه واحترامه. وبعد قدوم الجنرال غاردان خان إلى تبريز [ص ٢١٥] عدل عن قرار العتبة السلطانية وانصرف عن نية التوقف فى حضور نائب السلطنة، وصمم على التحرك من هناك وعاد إلى دولة فرنسا. وبالع نائب السلطنة أيضاً سواءً بالمشافهة أو عن طريق موظفى الديوان، لربما يستقر على قرار البلاط السلطاني أو يتوقف حتى يعرض تقريره على بلاط الخلافة ويحصل على الرد. ولم يمكث، وعزم [على الرحيل] . وقد أدى النواب نائب السلطنة له لوازم الإعزاز، وعين فتحى على خان نوري رئيس الحرس المسلح لاستضافته .

ولما كان قد وصل إليه فى ذلك الوقت خبر بأنه قد وقعت خصومة بين الدولتين العثمانية والفرنسية، ومع الاحتياط بأن يصبح كموسى جوير، الذى سبق ذكره قبل هذا، موضع الإهانة فى عرض الطريق من باشوات الدولة العثمانية، فقد توجه عن طريق تفليس. وبالمصادفة، كان عود البيلسان كدويتش قد أُستقدم إلى دولة روسيا فى تلك الأثناء، فلم يحدث للجنرال غاردان خان العناية الواجبة من قبله أو من قبل "طورمصفوف" الذى كان قد وُضع مكانه. وعلى الرغم من هذا، ترك موسى لاجار هناك، وتوجه هو [غاردان خان] إلى باريس. وتوقف موسى لاجار بعد فترة فى تفليس وكان يكتب الخطابات المتتابعة إلى موسى جوانين بأن جيش روسيا مثلما وكيفما قدم إلى تفليس، فينبغى عليك فى عالم حسن النية أن توضح الوضع مع مسئولى دولة إيران العلية، وبعد ذلك كان يسير إلى "بطرس بورج" ومن هناك كان يتقل الأخبار بأن موسى لاجار سيُعين بسفارة إيران وسيحضر إلى إيران عما قريب من أجل إنهاء أمر إيران وروسيا وإتمام أمر تعهد نابليون .

وبعد قدوم الجنرال غاردان خان إلى باريس، وُضع موضع الغضب بسبب تقصيره لأنه عاد دون إذن نابليون ودون تصريح من الحاضرة العلية السلطانية

والنواب نائب السلطنة، واستدعى نابليون عسكر خان، وأدى له لوازم قبول العذر وقال له: إنه إذا كان قد حدث تساهل في الوفاء [ص ٢١٦] بالعهد والإيفاء بالوعد فإنه كان بسبب انشغالي بأمر إسبانيا وبعض المشاغل الأخرى التي حدثت وعما قريب سأسمح لك وأبعث بك مقضى المرام^(١).

والخلاصة أنه بعد عدة أيام، سمح نابليون لعسكر خان بالانصراف، وبعد حضوره إلى البلاط السلطاني، أوصل رسالة نابليون، وخلاصة مضمونها هو: أننا أديننا مراسم السفارة لعسكر خان على النحو الذي كان مرضياً لطبعنا، وأتينا أننا له بالعودة، وأن غاية الإمال هو صداقتي الكاملة وإتمام مرام تلك الدولة ". وقد جاء معه أيضاً المدعو "موسى اوثره" وكان خطابه مطابقاً للمضمون نفسه .

ولما كان موسى جوانين الفرنسي قد أقام - على النحو الذي سبق تحريره - في دار الخلافة طهران لفترة بعد رحيل الجنرال غاردان خان عنها، فمع وجود السير هرفرد جنس بروننت، فلم يكن وجوده هو نفسه مناسباً في ذلك المكان، فتوجه طبقاً للأمر السلطاني إلى أذربيجان، وبعد نزول الراية السلطانية إلى أوجان -حيث تشرف موسى جوانين بالحضور السلطاني- كُفِّ من هناك بأن يتوجه إلى باريس ويسأل عن أحوال نابليون بالأوضاع التي تجب وتليق .

١١٥- بيان توجه الراية الخاقانية إلى مرج أوجان، ووصول النواب ولي العهد والخلافة إلى عتبة الخاقان الموفق المقبلة :

في أوائل شهر جمادى الثاني، تواتر خبر نهضة راية العقاب الخاقانية على ساحة مرج أوجان الخلافة بأذربيجان، وبسبب وفرة الشوق والنشاط الذي كان عند النواب نائب السلطنة، فقد كان مختزناً لسنوات في مخزن عقله جوهر أمل تقبيل ركاب الشهرير الموفق، فإنه لم يلتفت لتكليف آخر، وقد أعطى قرار العمل على هذا النسق

(١) لاحظ مراوغة نابليون ملك فرنسا لفتح على شاه ملك إيران في تنفيذ وعده الذي تعهد به من قبل . (المترجم)

وهو طالما أن قمير الراية الملكية لم يُلْقَ شعاع وصوله على ساحات أذربيجان ولم يحصل على الإذن والإجازة من قبل الخاقان الموفق، فإنه لا يقدم على أمر المعركة ولا يفتح عنان عزيمته إلى أية جهة ويستعرض على نحو لائق تجهيزات المشاة والفرسان والمدفعية والطوربيدات وسائر أسلحة الحرب والمعركة ولوازمها التي كان قد قضى سنتين أو ثلاث [ص ٢١٧] من عمره الغالى فى استجماعها واستحضارها ، وذلك بقصد أن تُصبح على شكل مجلس جماعى مرعى بالنظر الكسروى ذى الأثر الكيميائى وأن ينتظم ببركة الرد والقبول الخاقانى وكان قد اتضح أن ساحة مرج "أوجان" الخلابة سوف تكون مقر ألوية الخاقان فاتح البلاد المظفره .

وقبل نزول موكب الهمايون، ألقى [ولى العهد] برحل الإقامة فى مرج أوجان مع جميع الجيش المظفر والتجهيزات واللوازم التى لانهاية لها والقواد وأمرأء وحكام وفضلاء وأعيان أذربيجان، حتى موعد قدوم الموكب المسعود إلى تلك المنطقة وحيثما يجد الإذن ويعلم مقربو حضور زحل التاج الكسروى ماهو مناسب فيقدمون لوازم الاستقبال .

ومع أن النواب ولى العهد كان متمنياً أن يأذن له بالاستقبال حتى جبل "قابلان"، وهو الحد الفاصل بين العراق وأذربيجان، فقد توقف هناك لأنه لم يجد الإذن بزيادة عن فرسخ واحد، وكانت له عيون الانتظار على الطريق، وحضر فى مقدمة موكب الهمايون النواب الأميرو محمد على ميرزا مع فوج من الجيش الجرار من المشاة والفرسان والمدفعية وأبوات وآلات المعركة ، فالتقى كلاهما بالآخر لمدة يومين أو ثلاثة فى فرح وانتصار.

وفى الثانى والعشرين من شهر جمادى الثانى، الذى كان يوم قنوم كوكبة الهبة الخاقانية، أوقفت صفوف نجوم العظمة من اليمين واليسار، فصارت ساحة أوجان شبيهة ببحرى القلزم وعمان^(١) بسبب تلاقى هذين الجيشين العظيمين، وصارت أشعة الأسلحة ساطعة ، وأقتلعت سنابك الخيول الصخرة الصماء، وأخذت الأحصنة السائرة كالبرق فى الصهيل، واشتعلت المدافع وحركة الخيول بسبب الإثارة، وتبدل دخان النهار باللامع بالليل المظلم .

(١) بحر القلزم هو البحر الأحمر حالياً ، أما بحر عمان فهو ما يعرف ببحر العرب أيضاً . (المترجم)

وعندما ظهرت شمس الطلعة السلطانية من بعيد، هبط النواب نائب السلطنة من على الجواد، وأوصل نفسه إلى ركاب الهمايون وهو لا يعرف رأسه من قدمه، وصارت نار شوقه كالشعلة وانسالت دموع السعادة والفرح من عينيه بون إرادة، وقد صار هذا المعنى باعثاً على رقة الجميع. وقد أمر الحضرة العلية الظل الإلهي بالاستعراض الدقيق [ص ٢١٨] لصفوف الفرسان والمشاة والجند وحاملي بنادق الجزائر ذات الماسورتين والمدافع ومدافع الهاون وآلات وأبوات الهجوم، وأثنى عليها ثناءً بالغاً، وبعد النزول إلى معسكر سماء العظمة سارع القواد والزعماء ومشاهير الجيش والرعية والسادات والأعيان وأصحاب العمائم وأهل الفضل والكمال أفواجاً أفواجاً بالتشرف بحضرة مثال الخلد، فوجدوا شرف الاعتبار والافتخار من قرب الحضور الباهر النور.

١١٦- ذكر توجه نائب السلطنة العلية إلى ناحية كنجه بفرمان الحضرة العلية الخاقانية، ووقائع ذلك الأوان ، وظهور خلاف مصطفى خان [حاكم] طالش :

عندما عُرض على لاعبي المحفل المشابهة للجنة بأن طور مصوف قائد روسيا، الذي كان القائد للجيش الروسى بعد غراف إيوان كوييتش، متوقف في منزل "سوغانلق" على بُعد فرسخ واحد من تفليس، وقد عيّن الجنرال نبالستين مع الأفواج الكثيرة على ناحية قراباغ وكلف أيضاً فوجاً من جيشه لحراسة حدود حماملو وبيك كندى، وأعد جناح جيش من مناطق بنبك وشوره كل ، وأرسل دلى بولكونيك مع فوج آخر لحراسة كنجه وطوائف القوزاق وشمس الدينلو. فقرر رأى مُزين العالم بأن يقوم جيش ملجأ الظفر من كل ناحية بمقابلتهم ومقاتلتهم .

وبالمصاحب لذلك الحال، وصلت عرائض ولاية أخسقة وباشاتشق ، فاتضح أنهم وأهالي الكرجستان، الذين رأوا في العدة سنوات هذه أنواع العطف والرعاية والراحة والاطمئنان من النواب نائب السلطنة، وسمعوا من القريب والبعيد وصف ملاطفة

الخادم ورعايته وأداء حقوق الخدم والعمال والفدائيين ، وقد وقع لهم الاعتقاد الكامل والاعتضاد الشامل فى إخلاص وخدمه حضرته ، انتهزوا الفرصة وذلك بأن يهجموا كل وقت على جيش الخاقان صاحب عرش جمشيد فى تلك الناحية، وأن يجعلوا إخلاصهم الباطنى فى تنفيذ الخدمة الظاهرة .

وبناءً على تمهيد هذه المقدمات ، عين الحضرة العلية السلطانية الأمير محمد على ميرزا، الذى كان حديث السفر إلى أذربيجان ، على هذه الخدمة التى كانت أعظم الخدمات والأعمال ، مع الجيش الموفور والعدة اللامحصورة [ص ٢١٩] . ولما كان أمير العالم محروماً لعدة سنوات من تقبيل العتبة العلية، فقد تقرر أن يوفق لعدة أيام من سعادة إدراك الحضور اللازم العز والسرور السلطانى الذى هو غاية تمنيات حضرته .

وبعد عدة أيام، كلف [الخابان] النواب نائب السلطنة وعن طريق مرج كوكجه الصيفى وذلك بأن يتوقف فى تلك المناطق ويقف على مجارى أمور النواب محمد على ميرزا ويهتم بأمر طوائف كتبه ، ويتحرك إلى كل ناحية تكون ضرورية بالجيش الذى شعاره الظفر. وعين أيضاً فرج الله خان رئيس الجلادين على قيادة مناطق موغان ورئاسة حدود ولايات الطوالش ، وبأن يقيم فى نواحى أربيل ويقوم بتنظيم أمورها المختلة، حيث إنه كانت قد حدثت اختلالات فى أمور طوائف الشاهسون فى العام الماضى فى أثناء محاصرة إيروان بواسطة القرابة التى كانت لنظر على خان شاهسون مع مصطفى خان الطالشى، وهو منافٍ لعدم الاهتمام بها مع عادات الحزم وإدارة الملك .

١١٧- ذكر تقرير رحلة عمل الأمير محمد على ميرزا إلى الروس والهجوم على بعض من طائفة بزتشلو ، والعودة إلى إيروان :

توجه النواب محمد على ميرزا مع الأفواج القاهرة من المشاة والفرسان إلى إيروان، وجعل القائد حسين خان الحاكم العسكرى لإيروان ملتزماً الركاب، وتوقف فى مرج "آباران" وفى البداية، كلف مقرب الحضرة إسماعيل بك الدامغانى مع فوج من الجيش بتأديب روس حماملو وبيك كندى، وقصد القائد المذكور طبقاً للمقرر، فأدى

معركة شجاعة، حيث اختار جيش الروس التحصن، وكانوا يرون الهزيمة في كل مرة يخرجون فيها أقدامهم من القلعة ، ورأوا وجه الأمل إلى أن عجزت عن حراستهم جماعة "بزتشلو" والرعايا والطوائف التي كانت قد ذهبت في الأزمان السالفة من إيروان إلى بنبك وشوره كل، وبسبب اعتداء الجيش المنصور حضروا متأملين إلى بلاط الدولة القاهرة، وجعلوا القائد المعزى إليه شفيعا لزلاتهم [ص ٢٢٠]، وتعهدوا بعدة خدمات والتي ظهرت أيضاً في ذلك الأوان بعض منها، وكان تقى بك بزتشلو وهو أحد رؤسائها، قد أظهر جوهر جلادته في إيقاف معارك الروس وتخريب ولاياتهم وأبهر حجة إرادته في سد طريق المؤن والأعلاف عليهم ، فصار موضع العناية والاهتمام المتنوعة، ووجد درجة الاعتبار والترقى .

والخلاصة أن النواب محمد علي ميرزا قد قام بالإغارة على طائفة "بزتشلو" ونهبها، فصارت الغنائم الكثيرة من نصيب وكسب المجاهدين الذين شعارهم النصر، وعاد إلى إيروان عن طريق قارص وجلا، وكان متوقفاً في ساحل قراسو بإيروان حتى عاد النواب نائب السلطنة أيضاً، فسعد وسر الأخوان بالرؤية الميمونة لكليهما. وتحرك [محمد علي ميرزا] من هناك، وبعد زيارة الحضرة العلية في سراب توجه إلى كرمانشاهان .

١١٨- بيان كيفية سفر فرج الله خان :

قدم فرج الله خان طبقاً للمقرر إلى أردبيل، وألقى برحله فيها لعدة أيام، واعتنى بشأن نظره على خان شاهسون، الذي كان مفتخراً بحكومة ذلك المكان في ذلك الوقت، وأدى له لوازم الإعزاز والإكرام. وطالما أن فرسان الشاهسون، الذين يجب طبقاً لأمر الهمايون أن يحضروا إلى مكان المعسكر وينسلخوا في سلك المجاهدين المنصورين، لم يحضروا في الموعد المقرر، فقد علم أن بناء الأمر يقوم على التعلل، وأن حركات مصطفى خان الطالشي وأفعاله المتعلقة والمرتبطة به والمنسوية إليه، ليست مرتبطة ومنسوية مع عادات الطاعة والخضوع. حيث إنه في تلك الأثناء قد رحل جمعاً من معارفه وجيش طالش وسحب أحماله وأثقاله إلى قلعة "جاميش وان" التي تقع على

ساحل بحر الخزر وتتصل بسارى بشت ميناء الروس، واستراح. وأرسل ابنه مير حسن خان مع فوج جيش طالش إلى حسين قلى خان الباكويى وهاشم خان الشيروانى وعلى خان الروديبارى ومحمد خان بيكدلى وقت راحتهم ، حيث كانوا متوقفين فى حدود "أوجارود" ، وعلى حين غرة هجم عليهم، وأثار غبار أنواع الفساد. [ص ٢١٣] وقبض على على خان الروديبارى ومحمد خان بيكدلى وأخى هاشم خان الشيروانى، ومن هناك رفع راية العودة إلى ناحية طالش .

وعندما وجد فرج الله خان، الذى كان حتى ذلك الوقت يسلك طريق المواساة وحسن السلوك مع نظر على خان، الإذن بالانصراف من بلاط صاحب زحل السلطاني، بحيث يُنجز ما هو صالح للوقت فى الأمور الموكولة إليه، وبسبب مشاهدة هذا الحال والوضع غير سلوكه وتصرفاته معهم . وقبض [فرج الله خان القائد] على نظر على خان وفرج الله خان شاهسون وأرسلهما محبوسين إلى البلاط السلطاني، وأرسل أطراف وجوانب الجيش إلى مصطفى خان وعلى التعاقب أرسله هو أيضاً، وسوف يوضح قلم البيان نهاية أحواله عما قريب .

١١٩- نكر تحرك النواب ولى العهد إلى ناحية كوكجه وكنجه وأحداث ذلك الإقليم :

وعلى النحو الذى سبق تنوينه، توجه النواب نائب السلطنة إلى مرج "كلنبر" وتوقف هناك لعدة أيام ، وكلف أبا الفتح خان جوانشير ومعه جمع على رأس طوائف ورعايا قراباغ المتصلة بمناطق قبان ومقرى ، التى كانت تحت سيطرته ، وذلك لكى يستميلهم ويشغلهم بخدمة الدولة الأبدية الاتصال ، وانشغل أبو الفتح خان بالخدمة المذكورة ، فعين عدداً من فرسان شاهسون بيكدلى وذلك من أجل أن يذهبوا إلى مناطق باكويه ويعرفوا خبراً عن روس تلك الحدود وأوضاعهم، ويعرضوها، وحدث فى عرض الطريق وقبل طلوع طليعة النور أن تقابلوا فجأة بفوج من الروس، فقاموا إليهم وقد وجدوا أنفسهم معهم فى ظلمة الليل غرقى، وتحاربوا معهم فى معركة رجولية بالسيف والحرية، وقتلوا جميع الروس، وأحضروا رؤسهم مع نواب العربات إلى بلاط صاحب الفلك، فوجدوا الإنعام والإحسان اللامحدود من الخاقان المستولى على الممالك .

وتحرك ولى العهد من مرج "كلنبر"، وسار من طريق أربوباد الذى كان عبوره صعباً بسبب وعورته، ونقل فى مشقة كاملة المدفعية والمالك والأحمال والأثقال والخيول والجند والمشاة والفرسان المنتصرين [ص ٢٢٢] :

وفى منزل نخجوان كان قد سُمح للبولاكونيك بارون ويردى وأصيصور ميخائيل ابن أخى طورمصوف ورسالته بالتشرف فى حضور صاحب السعادة، وخلاصة مضمونها ذلك: "بأن تفوض بعض من ولايات مملكة إيران من قبل الدولة القاهرة إلى دولة روسيا حتى تنتقل فى المقابل إلى دولة إيران وعن طريق موافقة دولة روسيا مملكة أرض الروم وبغداد وأقاليم حدود المملكة العثمانية المتصلة بإيران " .

وبسبب ترتيب مقدمات هذه الترهات المظلمة، أضاع شمع عقل ادعائهم فى عش دماغهم، وكان يقول "مصراع" [ترجمته] "لا تُطلق الغزال الحر على الوادى"

وكان ضمن هذه الرسالة: "بأنه إذا كُلف سفير من الدولة العلية إلى دولة الروس فسوف يتم الأمر بالسلام الأصيل والحقيقى، وإذا لم يُفصل فرضاً فى أمر المصالحة حسب ادعاء مسئولى تلك الدولة ، فلن يحدث نقص أو ضرر على تلك الدولة العلية " .

فسير نائب السلطنة مبعوثيه إلى دار السلطنة تبريز وبعث بالرسالة إلى بلاط الخاقان صاحب عرش جمشيد من أجل أن يعطيه الجواب على النحو الذى يستقر عليه رأى حلال العقد السلطانية. وحرك راية النصر المهابة عن طريق نخجوان الذى كان اثنى عشر منزلاً حتى كنج. ولما كان يضطر للوقوف أحياناً فى المنازل الضرورية، وكانت الأعلاف والمؤن غير متوفرة فى المعسكر، فقد رأى تجهيز وإعداد الأعلاف والمؤن لعدة أيام فى بلدة نخجوان، وتوجه إلى مرج كوكجه عن طريق شرور، وتحمل شدة البرودة وصعوبة الثلوج بالرغم من وجود متاعب برودة وثلوج ذلك الطريق الكثيرة إلى أن حدث نزول الألوية المنصورة فى مرج كوكجه. وفى أثناء القدوم إلى مرج كوكجه، كلف بيرقلى خان القاجارى والحاج محمد خان قراكوزلو مع فوج من الجيش لتنظيم طوائف كنج ، وأمرهم ضمن تلك التأكيدات البليغة بأن يُسيروا إلى الركاب المستطاب من هذه الطوائف المذكورة كل شخص يسلك طريق الطاعة وعظماء ورؤساء تلك الطائفة، وبأن يقوموا بتأديب ومعاقبة كل شخص [ص ٢٢٣] يتخلف وينصرف عنهم .

وتحرك الموكب المنصور من هناك، وعبر مع جيش الفرسان والمشاة من طريق الغابات الوعرة والمعابر الكثيفة الأشجار، وقد طوت طوائف تلك الحدود والأقاليم رحلة وادى الانقياد وفي شوق كامل بمجرد حضور بيرقلى خان والرجال المكلفين والاستماع لبشرى قدوم نائب السلطنة وأسرع رؤساؤهم وجيشهم من الفرسان والمشاة إلى الخدمة وهم في منتهى الارتباك بسبب غاية الشوق، فصاروا موضع العناية والإحسان اللذين لاحد لهما.

وبمجرد معرفة دلى بولكونيك واستتباطه وُضِعَ خدمتهم إلى البولة الخالدة القرار، حمل جمعه واختار الفرار من وسط الطائفة على البقاء بينها، وكلف النواب نائب السلطنة أمير خان القاجارى مع قوج - جيش على مدينة "كنجه"، وفي أثناء قدوم أمير خان إلى مقربة من مدينة كنجه صار عدة من الروس طعمة لسيف المجاهدين، فأسرع وضيع وشريف تلك المنطقة إلى أمير خان وهم في كامل الأمل، ومن هناك قصدوا الحضور باهر النور ومشمول العواطف اللامحدودة، ومهد جمع من أرامنة كنجه بأن لو يجدون أماناً واطمئناناً من مدبرى أمر البلاط العالى، يضعون قلعة كنجه تحت تصرف الجيش المنصور، وفي تلك الأثناء وصل إلى حجاب ولاية العهد بأنه من ناحية، اطمأن "طورمصوف" بسبب سماعه لعودة محمد على ميرزا إلى قرب إيروان فقدم إلى "زكن" وهى من أعمال "كنجه" بجميع جنوده وجيشه الملىء بالشر والفتنة، ومن ناحية أخرى، بأن الجنرال نبالستين رأى أن فرج الله خان مشغولاً بالتعرض لطالش بسبب اعتداء قراباغ، فلقق بجيشه إلى "طورمصوف" وانضم دلى بولكونيك أيضاً مع جمعه إليه واستعدوا للحرب والقتال، وصمم جميع الروس عدا حراس القلاع على الحرب مجتمعين. واطلع "طورمصوف" على تواطؤ الأرمن، فأرسل شخصاً إلى روس القلعة، فحبسوا هم أيضاً بموجب إشارته رؤساء الأرمن.

وعلى الرغم من أن جيش ملجأ النصر كان ربع جيش الأعداء فى العدد، وكانت المؤن فى المعسكر نادرة مثل وجود [ص ٢٢٤] العنقاء والإكسير وكان البرد والبرد إلى أقصى درجة ولم يكن عبور ومرور الجيش المنصور إلى إيروان ونخجوان فى الإمكان،

فإن النواب نائب السلطنة توكل على خالق الأنس والجان ولم يفكر فى الطريق بأى وجه، وترك الملك والمتاع والأحمال فى المكان نفسه وكلف مهدي قلى خان قوائلو القاجارى بالحراسة، وهجم هو نفسه على رأس الأعداء كالسيف المسلول، وطوى كلا الجيشين الطريق فى ذلك اليوم حتى المساء للانتقام من بعضهما، وقطعا مسافة جميع الأماكن إلى أن جاء وقت المساء وحيث أغار جيش الظلمة على [جيش] النور، فجاء وقت إراحة كلا الجيشين .

وعلى تصور أن عين حارس المعسكر المنصور قد ذهبت للنوم مثل ضوء النهار، سير "طورمصوف" جمعاً من أفواج الجنود والفرسان والمدفعية للإغارة ليلاً على المعسكر العالى، فقدموا أيضاً بأمره إلى مقربة من الغابة القريبة من المعسكر المنصور فكان إبراهيم خان بيات مع فوج من غلمان الخاصة الشريفة مكلفين بحراسة ذلك المكان، وبسبب صوت حوافر الأحصنة ، وصهيل الخيول العربية الأصيلة وهممة الرجال وسط الغابة، وقع خوف لا حد له فى قلوبهم على ظن بأن النواب نائب السلطنة أيضاً عزم على الإغارة عليهم ليلاً، فرجعوا فى سرعة كاملة دون نيل مرامهم ، ولم يستعدوا من هذا المجيء والذهاب سوى الخجل والمشقة الكاملة وقد أيقنوا من هذه المسألة نفسها على يقظة طالع المجاهدين .

وفى الصباح دخل "طورمصوف" من باب السلم والصلاح، فأرسل الرُسل والرسائل إلى بلاط صاحب الشوكة والعظمة وتحدث بلسان الخجل وتعهد بأن يسعى بقدر الإمكان فى تعهدات حسن نية الدولة القاهرة وبألا يخريش صورة العهد بأظافر النقض والخلاف ويأن لا يتعرض فرسان الجيش المنصور لمعسكره، وبألا يتعرض هو أيضاً للطوائف وللرعايا الذين قعدوا تحت ظل راية جيش الإسلام وعقدوا من جديد حزام الخدمة والطاعة .

وفى اليوم التالى أنس جيش روسيا إلى الراحة، وارتحل برحله إلى طريق الكرجستان وتوجهت الطوائف ، التى كانت سالكة طريق خدمة الدولة القاهرة [ص ٢٢٥]، إلى إيروان قبل تحرك الموكب العالى، ورجع الأمير الموفق أيضاً فى سعادة ونصر من ذلك المكان وتوجه إلى ناحية إيروان .

ومن الناحية الأخرى، حضر إلى إيروان النواب محمد علي ميرزا، الذي رجع من رحلة الهجوم على النحو الذي وضع. ونظراً لأخبار الأراجف، التي سمعها عن معسكر نائب السلطنة، ثارت في جنبااته عروق الفتوة وحنان الإخوة، وعزم على الركوب بون إرادة منه وأصدر الأمر إلى جمع أفواج الجند، فأرسل أولاً حسين خان القائد والحاكم العسكري لإيروان مع الجيش في سرعة وعجلة كاملتين كالسيل الجارى، وتحرك هو على التعاقب، وعندما وصل إلى المعسكر العالى، فإنه كان قد نقل وحول ملتزمي الركاب من مضيق شعاب الفراق إلى صحراء كوكجه الصافية، وكان قد نصب سرادقات الشوكة والنصرة ورفع حجاب الكلفة عن العقول. ولا جرم أنهما سعدا لعدة أيام في تلك الساحة الخلابة بزيارة بعضهما البعض وانشغلا بمعاشرة شاهد عشرتهما.

ووجد النواب محمد علي ميرزا الإذن بالانصراف من خدمة الأخ ورجع إلى إيروان، وقصد على الفور الموكب العالى، واسترد كثيراً من الأسرى، الذين كانوا في يد الجيش المنصور، وبذل زيادة كبيرة في مقابل ذلك الإنعام الذي سوف يكون طوق تلك المنة وحق تلك النعمة حتى نهاية القيامة على روح العبد الحر، ومن هناك أحضر مبعوثي "طورمصوف" الذين كانوا مكلفين في هذه الفترة إلى تبريز، وأمر بأن يسيروا إليه مقترنين بالخلعة والإنعام والرعاية.

وبعد فترة، وجّه [ولى العهد عباس ميرزا] النواب محمد علي ميرزا مع جيش أبواب جمعه طبقاً للأمر السلطاني إلى البلاط الملكى، وتوقف هو بنفسه في إيروان من أجل تنظيم أمور القائد حسين خان وانتهاء تجهيزات دار السلاح وتخزين القلعة بالقدر الذى كان لازماً.

ولما انقشعت سحابة جيش الصيف، واقترب وقت برودة الهواء ووصول الشتاء، طلب من حضرة الهمايون بالآ يسافر الموكب المنصور [ص ٢٢٦] في المشقة والتعب أكثر من هذا وبأن لا يحمل وجوده المبارك أساس الرحمة، مشقة التعب، وبأن يوكل ويرجع خدمة هذا الإقليم، الذى هو أمر غير جدير أمام همة أولياء الدولة، إلى حراس ومحافظى الإقليم نفسه، وهم جميعاً الذين أوقفوا أرواحهم على الطاعة وروعسهم في طريق الخدمة.

وفجأة، تصاحب وصول العريضة مع سقوط الثلوج، فالذى كان قد حدث في ذلك اليوم، لم يكن قد حدث في العهد كله، وفي تلك الشدة نفسها من نزول الثلوج وثورة

الهواء والجو، فتح اللواء طاحن الفلك رايته إلى ناحية دار الخلافة طهران. ونثر نائب السلطنة العنبر على ساحة تبريز من غبار الموكب المزين بالنجوم .

١٢٠- بيان كيفية إطاعة مصطفى خان [حاكم] طالش، وتدوين بعض الأمور :

عندما رأى مصطفى خان الطالشي نفسه في لنكران من كل زاوية على شكل المغناطيس الجاذب لقيود الجواد الأشهب الحديدية وأطراف السيوف والحرايب المديبة، بسبب أفكار رأسه العنيدة المخرفة ووساوس نفسه الأمانة بالسوء، فقد طلب الأمان وقصد مع أعوان طالش حصن "جاميش وان"، وولى بوجهه من لنكران التي كانت مقر استقراره الأصلي، وفي ذلك المكان وجد الصبر والتحمل لمرسی ذلك البحر المتسع عبارة عن ذلك الهم والغم، لأن اختيار ذلك المحل من أجله قد رأته آفة الدهر مأمناً له، وقد اشتعلت والتهبت سقوف وجدران أبنية لنكران، التي كانت من القش والشوك وألواح الأخشاب، على يد العساكر السلطانية كيوم فراق صدور العشاق الخربة ووقت وداع قلوب المهجورين الوهنة. و"جاميش وان" هو المكان المتصل بلنكران طالش الواقعة على ساحل بحر الخضر [بحر الخزر] وأطرافه تجذبها مياه بحر الخضر والبحيرة، ولكن أحد جوانبه يابسة والذي يصير منه طريق الوصول إلى لنكران. وبعد الاستقرار في ذلك المكان، ظهر كمستجدي للعون والمدد من المعرفة والغريب، فأحضر لإمداده ومعاونته فوج من الجنود الروس مع عدة مدافع .

وعلى الرغم من أن عمر سلطان، الذي كان أعظم أعيان شيروان، قد حضر إلى هناك في ذلك الوقت من أجل [ص ٢٢٧] تأسيس أساس اتحاد مصطفى خان الطالشي ومصطفى خان الشيرواني وترحيل طائفتي موغان وشيرواني اللتين كانتا قد رحلتا طبقاً لأمر نائب السلطنة من شيروان وسلمتا لمصطفى خان الطالشي، فقد حدث أن وقعت مشاجرة ونزاع بينه وبين مير حسن خان الطالشي ولد مصطفى خان، فانهدم بنيان عمر سلطان وحدثت خصومة كاملة بين المصطفيين^(١).

(١) أي بين مصطفى خان الطالشي ومصطفى خان الشيرواني . (المترجم)

وفى هذا الوقت وبواسطة اقتضاء المقام، أغمض مصطفى خان الطالشي عينه عن العداوة والخصومة، وأرسل ابنه ميرهدايت إلى منزل مصطفى خان الشيروانى وطلب منه المدد والعون، فأرسل مصطفى خان أيضاً، بسبب خصومة قتل عمر السابقة، فوجاً من حملة البنادق من ساليان إلى "جاميش وان" فضيق الرجال المكفون بالحصار، بسبب مشاهدة هذا الحال، الحصار على المحصورين أكثر من الحصار السابق، فكان يفر كل يوم جمع كثير من أعوانه وأنصاره وأنسابه، وكانوا ينضمون إلى فرج الله خان الأفشارى، وكانوا يصبحون من راغبي إخضاع ذلك المكان. وهلك كثير من إناث وذكر المحاصرين وصعبت معيشة مصطفى خان من هذا المنطلق وازدادت وحشته وخوفه، فأرسل مضطراً شخصاً عند فرج الله خان وطلب الأمان، وعرض مراتب ندمه على العتبة العلية السلطانية وطبقاً لأمر الحضرة العلية الخاقانية، عين ميرزا الكبير وزير ولى العهد وكلف بأنه إذا شاهد آثار الصداقة والصدق مثل باقى الغلمان فيمنع الجيش الملىء بالشدة والطيش من التعرض لمصطفى خان ويذيقه زلال العدل، وألا يجعل السيل نون حذر أى الجيش الجرار مطلق العنان لتخريب بناء وجوده، ويوصل وجوده إلى نروة السماء بسبب إثارة غبار سنايك الخيول .

وبعد وصول الوزير الذى لامثيل له إلى لنكران، كان الجيش قوة السيل يصر على مهاجمة "جاميش وان" على هذا النحو وهو أن يتعهد فدوية جيلان بإخضاعها من ناحية البحر بالسفن والزوارق وأن يتقبل دائيو إستراباد [ص ٢٢٨] ومازندران إخضاعها من الطريق البرى، وأن يصمم مخلصو طالش على إتمام أمرها من جانب البحيرة كطائر مائى فى الماء .

ولأن أمير كونه بك بن عم مصطفى خان، الذى كان رجلاً إنساناً ومتميزاً بالصدق ومعروفاً بالصداقة، قد أدرك من قبل تدارك الأمر وأدرك الوزير الفكر الطيب من قبل مصطفى خان، وبسبب صداقته وإرادته وصفاء ضميره جعل حضرته مطمئن الخاطر كما يليق وينبغى وشرح حقيقة هلاك جمع من سادات وأهالى ذلك المكان، فقد كان مهاجمة ذلك المكان متضمناً أن يهلك جمع من السادات الأبرياء بسبب هجوم الجيش وأن يصبح شرف سائر المسلمين، الذين كانوا مجبرين على التوطن فى جاميش وان، هدفاً للفضيحة والشناعة. ومن أجل هذا وامتنألاً للأمر الأعلى واطلاع الوزير

واستحضاره عن رحم ومرؤة حاكم العالم ورعايته لجانب صالح وطالح السادات، فقد منع الرجال المكلفين في مقام اتحاد القلوب من معارضة ومعاداة السادات والآخرين، وجعل مصطفى خان ولقاءه قريباً للحياة الرغدة يبشرى جميع آماله الكسروية السابقة، فأصبح مصطفى خان واضعاً رقبته في ربة الطاعة والخضوع، وصار متصدياً لخدمة الدولة الخالدة . وانصرف القائد فرج الله خان أيضاً مع جيشه بإشارة الوزير الصالح الفكر والتي كانت بموجب الأمر السلطاني وسلك طريق دار الإرشاد أردبيل .

١٢١- تنصيب وتعيين الحضرة العلية الخاقانية لميرزا محمد حسن بوزارة نائب السلطنة والخلافة، ومجىء بارون ويردى من أجل الهدنة :

عندما صار نور هلال الراية البيضاء الملكية مشعاً ومشرقاً، بعد الاطمئنان على أمور أذربيجان، من مرج أوجان إلى دار الخلافة طهران، توجه الوزير الفريد إلى بلاط صاحب العالم، ولما وجدت المرحمة الملكية حد الكمال بشأته نظراً لسيادة وقدم خدمته فقد استدعى أن يفوض منصب وزارته إلى خلفه الأرشد [ص ٢٢٩] سلالة الكرام والأطياب ميرزا محمد حسن الذي امتاز واستثنى بحسن السلوك والخلق الحسن والصفات المستحسنة والحلم الفائق والتواضع اللائق والأدب الزائق والذهن الوثيق واللسان الذليق والوجه الأنيق وأن يكلف حضرته بنفسه في العتبة الملكية وهي مقام الصادقين (العدل)، والحقيقة هي، أن لخلفه النبيل وقارالشيخوخ على الرغم من شبابه. ففي أوائل كسبه للتجربة كان يغرس نقش صلاح أمور المجتمع على صفحة خاطر الشيخ والشاب، ومنذ أول شبابه كان مكرماً ومعظماً بأخلاق الحلم والتواضع ومسلماً له بالأسلوب العظيم والكاتب الكبير والابن الكبير. شعر [ترجمته]

كله قلب بلا حـرـص وبخل

كله روح بلا كـبر وحـقد

لم يغضب قط على أعدائه

ولم تر العين العيوس على حاجبيه

ولأن ابن الوزير المُعظم كان منظورا بالعناية السلطانية نظراً لاستعداد وقابلية فطرته، وكانت رعاية خاطر ميرزا الكبير أيضاً للحاكم المستولى على البلاد بسبب ظهور الخدمات اللائقة تفترض فرض العين وعين الفرض اقتران ملتسمه بالقبول فوكل خدمة وزارة النواب نائب السلطنة والخلافة إلى ميرزا محمد حسن وتزين صدره وكتفيه بخلاص الشمس السلطانية المشعة الفاخرة وافتخر ميرزا الكبير أيضاً بالمنزلة الجليلة القدر القائم مقام ونيابة وزارة الديوان الأعلى، وامتاز عن أقرانه وأمثاله بارتداء الخلاص الفاخرة وشرب كاسات الرعاية والعنايات المتكاثرة .

وفى نفس تلك الأوقات صار مكلفاً على أنزيبجان، بحيث يجعل خلفه السعيد مستقلاً فى أمره، وأن يقيم (هو) من أجل راحته الكاملة فى عتبة زحل .

ومن الحوادث المصاحبة لوقت حضور حضرته إلى أنزيبجان، حضر إلى النواب نائب السلطنة البولكونيك بارون ويردى الروسى من قبل "طورمصفوف" قائد جيش الروس، وأرسل له العريضة والمتضمنة على ذلك: "وصلنى من قبل ملك روسيا رسالة، وقد صار واضحاً وظاهراً أن ملك روسيا راغب فى الصداقة [ص ٢٣٠] مع دولة إيران وكلفتى من أجل اعداد قواعد المصالحة وتمهيدها والبعد عن أسلوب المعادة والمخاصمة، ولو يكن رأى مسئولى دولة إيران مستقراً على الهدنة؛ ففي فترة الهدنة تُشرق شمس السلام الحقيقى على الأقطار والأمصار بسبب تردد السفراء والمجتمعين، وتجد كلتا المملكتين الراحة بواسطة هذا السلام والصلاح ، ويُسرّع التجار من الجانبين بفراغ البال وعدم الاضطراب إلى كل فائدة ونفع وبنفس هذه الشروح المؤكدة، كتبت إلى كل واحد من رؤساء الأقاليم الحدودية، وطويت بساط المعركة من كل زاوية وجانب، وأرغب منكم أيضاً، أنه بما أن إنهاء أمر الهدنة موقوف على أن أتشرف بحضور نائب السلطنة فى موقع إقليمه الخاضع للسيطرة أو ألتقى مع أيا من ميرزا شفيع معتمد الدولة أو ميرزا الكبير نائب الوزارة، وبناءً على ذلك أرسلت بارون ويردى، وسوف أنتظر حصول المأمول " .

وقد أوصل بارون ويردى أيضاً شفاهةً إلى نائب السلطنة بأنه إذا اقترن سؤاله هذا بالقبول، فسيترك مسئولو دولة الروس المناطق المحتلة إلى مسئولى الدولة القاهرة بحيث إنه بمجرد تردد السفراء الروس سيسحبون أيديهم عن الولاية المحتلة دون

محدثات والتكليفات الشاقة وبمراعاة مراسم الوفاق والاتفاق سيخرجون قدم الاستيلاء والاحتلال، ومن بعد ذلك لن يحدث من تلك الطائفة الأمر المخالف لرؤية الصداقة .

ولأن عقلاء الروس قد علموا بالتجربة أنهم في هذه الفترة لم يستفيدوا مطلقاً من الولايات المحتلة ولم يشربوا لفترة جرعة ماء واحدة براحة في تلك الأمكنة والبلاد ، وقد أتلقت المعركة جمعاً كثيراً وأموالا ضخمة من دولة روسيا في العدة سنوات هذه، ولم يربحوا، وخسروا من أيديهم نقد الأرواح في هذه التجارة .

وقد ظن ولي العهد ظن الصدق بتقاريرات بارون ويردى، وكان له بدلها لأن ترتيب هذه المقدمات وأخذ نتائجها موافق لقاعدة الحكماء والعقلاء، وبدون في إجابته على كتابات "طورمصوف" بعد الاستئذان من البلاط المشبه بالفلك "بأنه [ص ٢٣١] لن يحدث نزول الموكب، الذي كان قبل الاستعداد لوقت السفر المظفر والذي كان معهوداً في كل عام إلى الأقاليم الحدودية، وميرزا شفيع الذي هو أيضاً مثل العرض اللازم للجوهر ودائماً ملتزماً لركاب العادل المنتسب للنصر، ليس من المقدور والميسور في هذا الأوان مجيؤه إلى هذا الإقليم، ولكن بعد النوروز، وسوف يتوجه إلى تلك الحدود الوزير نو التدبير الصائب ميرزا الكبير القائم مقام طبقاً لأمرنا من أجل بناء وتأسيس أمر قراجة داغ، وسوف يقابلك من أجل أمر الهدنة، وقد قررنا لأمراء الإقليم وكلفناهم بأن يغمدوا سيف المعركة والعداوة في غلافه ولا ينحرفوا عن أمرنا " .

وتوقف بارون ويردى بنفسه في تبريز من أجل إتمام الأمر الذي كان في منظوره، وبعث بآخر مع جواب نائب السلطنة وقام بإبلاغ "طورمصوف" ولكنه في تلك الأوقات، هجم وعلى حين غرة، فوج من ناحية شروان على حدود موغان، ونهبوا ما يقرب من عشرين ألف رأس غنم من طائفة قراجة داغ، ولم تقم الطائفة المذكورة بالانتقام والقصاص خوفاً من عقاب نائب السلطنة، وعرضوا الوضع على الواقفين في حضور صاحب السعادة، وبعد إعلان مسئولى البلاط لبارون ويردى وإبلاغه عن هذه الحركة الشاذة، وأرسل في الحال شخصاً إلى "طورمصوف"، وأعلن غضبه الشديد، فكتب "طورمصوف" في إجابته بأن هذا الإقدام حدث على خلاف أمرى وأن جمعاً من الأتراك

المتهورين قد فتحوا الكمين من أجل سرقة الأغنام وسوف يُظهر لنائب الوزارة في أثناء لقائه كيف سأخرج من عهدي إزالة ورفع هذا الانفصال والغضب الذي يجعل الوجه يتصبب عرقاً بسبب حرارته .

وأيضاً في تلك الفترة، قدم على حين غرة، فوج من الروس إلى " مقرى " بقربا باغ التي كانت حتى تلك الفترة تحت سيطرة أبو الفتح خان من قبل الأمير الموفق. وبمجرد وصول هذا الخبر وإطلاع بارون ويردى وإيفاد شخص عند الروس المذكورين وإظهار التأسفات الكثيرة بون أن [ص ٢٣٢] يصلوا إهانة إلى أحد. ورجع الروس من مقرى، ولم يُعرف ماذا كان المقصود من هذا المجيء والعودة .

ولأن النواب نائب السلطنة، يميل دائماً إلى رضا مبعوثي الأصدقاء والأعداء، فقد كان يسلك مع بارون ويردى نوعاً من السلوك، بحيث أن خجل تلك الألفاف أنهى لكل شخص، كان مستفيداً من هذا الشعور كلية، كل نوع من الانفصال كان يظهر عليه، ومن جملة ذلك كان مسموحاً له أن يذهب إلى كل مكان يريده ومع كل شخص يرغبه، وأوطنه طريق الاختلاط والمعاشرة ، وحتى في يوم السماح له بالانصراف وفي أثناء الذهاب بالإتعام الوافرة والخلة الفاخرة، صدر فرمان من ملك روسيا وأعلن إلى البولكونيك غماندات، الذي كان حاكماً على كتجه من قبل الروس وكان قد قدم في السنة السابقة إلى بلاط نائب السلطنة مبنى على إغراء وتحريض الروس وإغرائهم بالفرار من كتجه والكرجستان الذين كانوا في عهده وكان قد جاهد كثيراً أيضاً لإغرائهم على عودتهم، ولم يستر (يكتم) غماندات المذكور هذه المسألة، وأفصح عنها في خدمة النواب الأشرف وعرضها بصدق وكما هي .

١٢٢- وقائع سنة ألف ومائتين وخمس وعشرين هجرية، وتعيين ميرزا الكبير

القائم مقام بهدف إقامة الهدنة بناءً على رغبة طور مصوف وعدم اكتمال تحقيقها :

مرة أخرى جعل فصل منتصف الربيع ساحة المرج أبنع وأنصر من الجنة، ومنحت عظمة الحفل المبارك الكسروي الخلة الجديدة للعالم القديم، وبذل خازن الهمة العالية

بنور الذهب وكنوز الجواهر على الوضيع والشريف، فصار محسوداً من فيضان السحاب وإشراق شمس العالم. وبعد طى بساط السرور والفرح، تقدم لنظم واجبات الملك ومهامه، وعلى الرغم من أن نهب أغنام طائفة قراجيه داغ وذهاب الروس إلى مقرى قرا باغ وعودتهم ووسوسة بارون ويردى إلى غماندات، كان يُظهر علامات الخدعة والحيلة وفساد طورمصوف. وقد وصل فى تلك الأثناء أيضاً الخبر بأن الروس لعبوا نرد الحيلة مع والى "باش أتشوق"، فألقوه طرح الفتى ورغبوا معه اللقاء، ووقتها قبضوا عليه [ص ٢٢٢] وحملوه إلى تقليس. ولم يوقف النواب العالى تعيين القائم مقام على هذه الأخبار والترهات ولم ير تأخير وعده الكريم، وكلفه مع عدة أشخاص من غلمان بهرام الانتقام، وأمره بأن يُسرع إلى كل مكان يحدده "طورمصوف" نون تمهيل وتسويف، وأن يرفع خيمته عند القدوم مع خيمته بأقل فاصلة وأن يقيم معسكره المبارك (خيمته الكبيرة) بالاسم السامى لدولة الهمايون، من أجل أن يشاهد أيضاً على الستارة شاهد مقصود الدولتين نون حجاب وتظهر أسرار الملك من جلباب خاطر مقربيه، فإذا رأى أن بناء أمر "طورمصوف" قائم على الخدعة والحيلة، فينبى على الرجوع فى الحال وبنون تفكير ويختار العودة، وإذا استتبط من أحواله عذراً فى الاحتفاظ بقصده، فلا يُظهر القائم مقام أيضاً التضاييق فى الجدل. وطبقاً لما هو مقرر، توجه القائم مقام، وكان "طورمصوف" قد عين فى بادئ الأمر ثلاثة أماكن متتالية من أجل اللقاء وكان قد أخبره بها وعلى الفور كان قد أعلن أسفه، وفى النهاية، حدد مكان اللقاء فى ناحية عسكران وتوجه القائم مقام نون تفكير إلى هناك وقد عمل ما كان مكلفاً به ومع أن "طورمصوف" قرن، وطبقاً لما هو ظاهر، لوازم الاستقبال والإعزاز والاحترام، زيادة عن ما كان مظنوناً، مع أدب التواضع والخضوع، فلم يغفل دقيقة عن العادات الإنسانية. وقد صدر فرمان ملكى الدولتين أيضاً على الوضع اللائق، وطبقاً لصالح الجانبين. وتقرر كتابة اتفاقية الهدنة، ولم يحدث فرق واختصار فى تدوين آداب وألقاب ملكى الدولتين القويتين الأساس، ولم يحدث من الطرفين الأمر المخالف فى الظاهر للنظام والقانون، ولكن فى النهاية، انصرفوا عن تقارير بارون ويردى وتفسيراته بشأن أغنام قراجيه داغى .

وبالإضافة إلى هذا، ففي أيام توقف نائب الوزارة في عسكريان، عُين فوج روسي مرة ثانية على مقرى، وبعد اطلاع نائب الوزارة على ادعائه بإخضاع وإفساد مقرى، وكان ظاهر هذا الادعاء وهذا الزعم جواباً غير صحيح وعذراً غير مقبول؛ لأن سماعه كان هكذا: قبل هذا كان فوج من روسيا قد تردد لمدة يومين بالمجنى والذهاب إلى هناك [ص ٢٢٤] ، ومقرى هي من جملة قرى قراباغ، وبالفعل استقر الجنود فيها. وهذا الزعم والمزعوم لا محل له .

ولكن الصخرة التي صدمت أساس هذا السلام كانت هي تكليف طورمصوف وأمره: "بأنه بعد المصالحة مع هذه الدولة سوف أنقل الجيش من ناحية أخسقه وقارص إلى ناحية الروم [العثمانيين]، وينبغي ألا تُمد [الدولة العثمانية] من طرف هذه الدولة (إيران) بأى وجه من الوجوه " ، ونظراً لما كان من الشروط المؤكدة بين الدولة العلية والدولة العثمانية بأن يكونا متفقين فى السلم والحرب ولا يطالب أحد قط بالسلم دون الآخر، ونظراً لحفظ عهد واتفاق النواب نائب السلطنة على تلك الشروط والمبادئ فلم يقبل هذا السلام، وكلف القائم مقام بالرجوع، ورضى بالقضاء وتقديره واعتبر أن مخالفة الشرط والاتفاق عار على الدولة، وبناءً على رفض نائب السلطنة، فقد ترك نائب الوزارة الهدنة لهذا السبب نفسه، وبدأ الاستعداد للعودة.

فسعى "طورمصوف" مرة ثانية إلى قاعدة التظاهر والمراعاة، فازاد عن الوصف فى الأدب والاحترام والإكرام والتوديع. ولو أنه كان يرغب أن يسلك معهم سلوك سليمان خان والى باش أتشوق، فلم يكن يُفيد بسبب شجاعة غلمانه ومرافقيه توعمى الجلادة، بل إن المسألة أثمرت النتيجة على العكس.

والخلاصة، أنه على الرغم من أن مقرى قد دخلت تحت سيطرة الروس مع وصف المعارك الكثيرة وهلاك الرجال من الطرفين فى المعركة بحكم القضاء واقتدار القدر، لكن أبا الفتح خان رحل جميع أهالى ذلك المكان والقرى المجاورة والقريبة منها، وأحضرهم إلى الجانب الثانى من نهر آرس، ويأمر نائب السلطنة فوضت حكومة "دزمار" إلى أبى الفتح خان ورجعت إليه. وبسبب اعتداء بيرقلى خان القاجارى، الذى

كان قد فتح طريق الإغارة لمرات بأمر النواب نائب السلطنة، رحلت طائفة قراباغ وتفرقت أفواجاً في ناحية نخجوان وسائر الولاية المحروسة. وكلف إبراهيم خان القاجارى من بلاط زحل الخاقانى على ساحل نهر كر وبرتاسة إقليم ذلك المكان. وهجم أغورلوخان الكنجوى عدة مرات على كنجه وذهب إلى حدودها، فجعل عدداً [ص ٢٢٥] من الجنود طعمة للسيف، ورحل جميع طائفة إيرملوى الكنجية، التى كانت من أهم طوائف ذلك المكان وأغناها، وقدموا إلى ناحية شرور ونخجوان .

١٢٣- تدوين بعض الأحوال وتوجه النواب الأمير على خان لنهب جمع من طوائف القوزاق وعودة حضرته :

فى أواخر فصل الربيع، وحيث كان قد صار مرج أوجان موضع حسد وغيره روضة العالم بسبب قدوم الميمنة الواجبة للحضرة العلية السلطانية، استقرت راية العقاب فى إجلال على أرضها وموطنها، وعلى الرغم من أن نائب السلطنة كان فى ذلك الوقت مُشْرِفاً فى مرج "توكيجان" فإنه بسبب غلبة شوقه فقد أوصل نفسه إلى هناك وفى استعجال كامل وفى خلال اثنتى عشرة ساعة لاستقبال الحاكم ذى الخصال الجمشيدية. وأدى لوازم تقييل الركاب .

ولأن طاحن الفلك السلطانى عند قدومه إلى مرج سلطانية، كان قد كلف النواب الأمير على خان مع جمع غير محدود من الفرسان والمشاة على إيروان، فقد ذهب حضرته إلى مرج قراباغلو بنخجوان وكان فى انتظار قدوم موكب النواب نائب السلطنة المسعود، وقد سمح الحضرة العلية الظل الإلهى لنائب السلطنة بالانصراف عن الركاب المستطاب، وقد أعطى حضرته فى أثناء توقف الأمير نائب السلطنة فى نخجوان، الأمر العملى إلى الأمير الموفق على خان، فأرسل حضرته إلى مرج أباران بإيروان. وكلف الأمير على خان لمرتين المجاهدين المظفرين بالهجوم على "حماملو" بقيادة إسماعيل بك الدامغانى رئيس خدم الديوان السلطانى ، وياقى قواد أثر الجلادة، وتحاربوا مع "بارت نكين"، فقتلوا جمعاً من الروس. ومن هناك أرسل الأمير [على خان] من أجل تأنيب

متمردى شمس الدينلو وسائر طوائف كنجه والقوزاق والاشتباك مع الجنرال نبالستين الذى كان مقيماً فى ذلك المكان، وعاد هو نفسه فى عزة وإقبال. وبعد قدوم الأمير الحر إلى كنجه وعلى مقربة من تلك الحدود تصادف مضطراً مع طائفة القوزاق، فنهب من الدواب والأغنام زيادة عن العد والحساب، ولأن الجنرال نبالستين ومعه جيش روسيا وفرسان القوزاق وشمس الدينلو كانوا جميعهم [ص ٢٢٥] فى أطراف وجوانب الأموال المنهوية مهينين ومجتمعين على هيئة أفواج، فقد بدعوا الحرب والقتال من كل ناحية، فجعل الأمير الحر فوجاً من الجيش مشغولاً بأمر المعركة على كل جانب. وعطف الأمير الشاب نو الحظ الموفق وملتزمو ركاب النصره عنانهم من تلك المناطق ومعهم الرايات والأسلاب الكثيرة والأسرى التى لا تحصى والغنائم الوافرة وقدموا إلى إيروان .

ولما كان قد تحقق فى تلك الأثناء من قرار الأخبار المتوالية، بأن "طورمصوف" عاد من جانب صدقلو إلى تفليس، أرسل نائب السلطنة بالأمير على خان إلى البلاط السلطاني مع أغلب الجيش وطلب ألا يتوقف النفس السلطانية النفيسة أكثر من هذا التحمل فى مرج أوجان ، وهو مصيف شديد البرودة وأن تتصرف الراية السلطانية إلى دار الخلافة .

١٢٤- تعهدات شيخ على خان [حاكم] قبه ومصطفى خان الشيروانى، وتكليف إبراهيم القاجارى على ساحل [نهر] "كر" . :

على النحو الذى نذكر سابقاً فإن إبراهيم خان القاجارى صار مكلفاً على ساحل نهر كر، فكان هذا باعثاً على أن سليم خان [حاكم] شكى وحسين قلى خان [حاكم] باكويه، وهما المستظلان فى ظل مرحمة الدولة القاهرة، قد تشرفا بالحضور السلطاني فى مرج أوجان، وقدم غلمان شيخ على خان أيضاً بعرائضه ، فكان مطلب الجميع هو أن: " يُعين قائد مع فوج من الجيش على موغان، وأن يُرسل أموالاً إلى شيخ على خان

من الخزانة العامرة ، وأن يُصبح مصدر استقلال سليم خان في شكى مع مصطفى خان الشيرازى، الذى أظهر الندامة عن سوابق أعماله، ومع شيخ على خان، الذى اتحد فى خدمة الدولة العلية وتخالف مع الروس، ويأن يذهب حسين قلى خان أيضا عند شيخ على خان ، وبالاتفاق يجمعون أنصار ومؤيدى لكزية ويقومون مجتمعين بمحاربة الروس .

ومع أن الحضرة العلية الظل الإلهى لم يعتمد على هذه الأقوال، فإنه لمجرد رعاية خاطرهم قبل سؤلهم هذا، فعين إبراهيم خان القاجارى مع فوج من الجيش الجرار، ووهب الأموال لهم التى تنبغى، وقرر بأنه إذا ظهر أثر [ص ٢٣٧] من خدمة مصطفى خان أو استقام أمر شيخ على خان وأى واحد يريد عبوره والجيش المنصور من نهر كر، يذهب إلى ذلك الجانب، ولا يرضى على إمدادهم ومعاونتهم بتقصير منه، وألا ينهب قراباغ، وأن يكون لحسين قلى خان أيضاً الإصرار على الذهاب عند شيخ على خان، ويصل إليه بكل عدد الفرسان التى يريدونها والنقود المطلوبة، وقد عمل إبراهيم خان أيضاً طبقاً لما هو مقرر وتوقف فترة فى "آصلان بوز" بموغان، ولم يشم منه مطلقاً رائحة الصداقة فقام مضطراً بنهب قراباغ على النحو الذى كان مكلفاً به، وحصل على الأموال والبضائع والأحمال والأثقال والدواب والأغنام الكثيرة ورجع من هناك .

ومرة أخرى، توقف فى "آصلان بوز"، وطبقاً للأمر الملكى، حضر مع بيرقلى خان القاجارى، الذى كان ملتزماً ركاب نائب السلطنة المظفر، من إيروان، وكلف برئاسة إقليم موغان. وكلف ميرزا الكبير نائب الوزارة أيضاً بأن ينقل فوجاً من مشاة وفرسان الجيش من المعسكر السلطانى ويسلمه إلى بيرقلى خان ويأن يصفى أمور قراجة داغ وديزمار، ويعود. وقد عمل القائم مقام حسب الأمر المقدر، وأحضر إبراهيم خان إلى بلاط الفلك وقدم إلى المعسكر الهمايونى. وجمع بيرقلى خان أيضاً بمجرد حضوره إلى قراجة داغ جيوش النصر، وتوجه إلى قراباغ مع الحاج محمد خان قراكوذلو حاكم قراجة داغ، وعندما عبروا نهر آرس طلبوا أولاً: أن يؤبوا مهدى قلى خان القراباغى،

الذى كان مشغولاً فى قلعة عسكريان بحراستها، تأديباً كاملاً، ولا يضعوا له قدماً على الأرض. وتوجهوا من نهر ترتر بغرض مهاجمة طائفة جبرئيلو، وكانت الطائفة المذكورة قد انسحبت إلى حصن محكم، فهجم الجيش المنصور واستولى على حصنهم وأغار عليهم ومن هناك رفعوا راية العودة إلى قراجة داغ. ولأنه فى أثناء عزيمة القائد المذكور، كان قد صدر الأمر بأن تعبر جماعة جلييانلو نهر أرس، فقد كانوا يتذبذبون وسط الطريق الضال [ص ٢٣٨] ، فرحلهم وأحضرهم إلى هذا الجانب المائى، وعمل القائد المذكور بموجب الأمر ورحلهم مع طائفة يوسفانلو وأحضرهم إلى تلك الناحية من الماء .

ولما عُرِضت هذه المسألة على نائب السلطنة، أصدر الأوامر المحكمة لحراسة شرف الإسلام، وذلك بأن يأخذ مرة أخرى الحاج محمد خان أسرى الشيعة والسنة من الجيش المظفر ويسلمهم إلى أصحابهم .

١٢٥- أسر طورمصوف لسليمان خان والى باش آتشوق، وهزيمة القائد حسين خان فى أخسقة من الروس، وتعويض [هزيمة] القائد مع الروس والاستيلاء على حصن حاجى قرا وقتل وتفريق جمع الروس الذى كان فى ذلك الحصن :

ذهب طورمصوف القائد الروسى مع جمع إلى بداية حدود تفليس وباش آتشوق، وبعث برسالة إلى سليمان والى باش آتشوق وذلك بأن "تتقابل مقابلة الأصدقاء مع بعضنا البعض وأن نفتح أبواب الصلاح والفلاح على وجه عهدنا" وقد أعد فى الخفاء لوازم القبض عليه عن طريق الحيلة والمؤامرة، وبعد اللقاءات والمحادثات، ألقى القبض على سليمان خان وحمله إلى تفليس بمساعدة عدة أفراد من طائفة "باش آتشوق"، الذين كانوا قد عقدوا حزام وسطهم فى الظاهر من أجل خدمته وهم فى الباطن تحالفوا مع طورمصوف ، وقعدوا لسليمان خان على مرصد الغدر والمكيدة. وبعد فترة أوكل إلى مسئولى الروس بأن ينقلوا سليمان خان فى أثناء الليل محبوساً من تفليس

إلى بطرسبورج، فأخبر سليمان خان ليلاً في مجلس الشراب عن هذه العملية، فخلص نفسه من المجلس بتدابير كثيرة، وفر مع عدة أشخاص، وخرج من بوابة المدينة بلطائف الحيل وتغيير ملابسه، وفي الخارج حصل على الجواد والمرشد وتحرك بسرعة كاملة. وقد روى عن قول الحكماء: إن العاقل ليس ذلك الذي يصون نفسه عن فخ البلاء وورطة العناء بل إن العاقل ذلك الذي إذا وقع في الهلاك يخلص رقبتة من مقلب البلاء بمعاونة فكره القويم، ويشد سفينة جسده من دوامة الهلاك إلى ساحل النجاة بعون رُبان التدبير (العقل) [ص ٢٣٩] .

والخلاصة، أن سليمان خان وصل بنفسه إلى ولاية أخسقة، وبعث بسليمان بك أمير الديوان، الذي كان من مقريه وأخبرهم، إلى بلاط ملجأ العالم السلطاني، وطلب صدور فرمان بافتخار حسين خان القائد وشريف باشا والى أخسقة، وطلب أن يصدر الحكم من بلاط سماء الجاه بإخراج نفقات قيادة الجيش لمعاونته، "فاقترن" مطلبه بالنجاح وتوجه حسين خان القائد بفرمان السلطان إلى أخسقة ومعه الخزانة العامرة والجيش الجرار، وفي بداية قدوم القائد حضر عدة أفراد من ملاحى كارتيل وقراقلخان، الذين كانوا قد ضاقوا من سوء سلوك الروس، ورجبوا في تعيين لوان ميرزا ابن والى الكرجستان على ذلك الإقليم فقبل حسين خان القائد ملتسمهم، وأرسله إلى كارتيل بالتجهيزات والاستعدادات اللائقة.

وقد تحارب سليمان خان بعد حضوره إلى باش آتشوق عدة مرات مع روس ذلك المكان فقتل بعضاً من تلك الجماعة ونكب وخذل بعضهم ورجع، ولم يبق في محل باش آتشوق في يد الروس سوى قلعة واحدة، وبعد قدوم لوان ميرزا إلى كارتيل جمع جمعاً من أهالى كارتيل وقراقلخان، وأعد لوازم السعى في الحرب والصراع مع الروس.

ولكن شريف باشا والى أخسقة، الذي لم يسترح حتى ذلك الوقت من تعرض الروس وأذاهم، وكان سليم باشا والى السابق لذلك المكان قد تحالف مع الروس ولم يتركه ساعة واحدة مستريحاً، وبسبب مساعدة النولة القاهرة له وعزيمة حسين خان القائد، فقد صار مرفه الحال من جميع النواحي، فبعد قدوم القائد المذكور إلى أخسقة ونظراً لاطمئنان القائد على الانتظام والهدوء لأمر شريف باشا وظنه في حاكم الحدود، فلم يراع طريق الحزم والاحتياط، ولم يترك حراس في جميع الطرق والشوارع وبسبب

عدم انتظام أمور شريف باشا، ذهب فوج من الروس فى أثناء الليل وعلى حين غرة وفى وقت راحة القائد وعن طريق لم يكن به حراس، وأطلقوا نيران المدافع والبنادق بالقرب من المعسكر، [ص ٢٤٠] وكان القائد والجيش جميعاً غافلين عن هذا الأمر الخاطئ، فحدث اضطراب وكان بعضهم يقظاً وبعضهم نائماً، وبسبب مشاهدتهم هذا الحال، خرجوا من المعسكر، ودخل الروس إلى جانب من المعسكر، وشرعوا فى الاعتداء والتطاؤل، وفى تلك الأثناء انصب على رأسهم على تقى خان الفندرسكى الإسترابادى ومعه فرقته، واشتبك معهم كالشعلة الحارقة بالقش، وأنزل بهم الهزيمة الصادقة، واستولى منهم على الرايات والبيارق الكثيرة والغنائم والأسلحة التى لا حصر لها. ورجع الروس، ولم ير حسين خان القائد صلاح حاله فى الإقامة والتأخر فى تلك الولاية، وعاد من أجل الاستعداد والتجهيز لأمر الروس .

وبعد عودة الأمير على خان وجيوش ركابه إلى أوجان، حضر إلى معسكر نائب السلطنة، وطلب تعيين فوج الجند والغلمان حملة البنادق معه من أجل إخضاع أى من خنادق "بنك"، فعين نائب السلطنة طبقاً لمطلبه محمد بك القاجارى الأفشارى القائد وقاسم بك قائد الغلمان حملة البنادق ومعهما فرقتهما، وتوجهوا بموافقة القائد، وفى الثالث والعشرين من شهر الصيام خط الرجال المكفون رمح الهجوم والإغارة بجوار قراكليسىيا بنك (كنيسة بنك السوداء)، وعلى الرغم من أن البرد والتلوج كانت قد سدت الطرق وأصبحت الدماء بسبب برودة الهواء متجمدة فى الأبدان، فإنهم طهروا على أرجلهم الطريق بطول ثمانية وعشرين فرسخاً فى يوم واحد، وعلى بعد ثمانية فراسخ من بنك رتبوا الصفوف بطريق ونظام تامين، وقطعوا الطريق وبقوا لمدة ساعتين حتى الصباح، حتى وصلوا إلى مقربة من خندق "حاجى قرا"، وفى ذلك المكان تأخروا لمدة ساعة، إلى أن يحصل خمسة أفراد من طلائع الجنود، الذين كان قد أرسلهم من أجل معرفة الأخبار واستعلام الآثار على مقربة من الخندق، على الاطلاع عن الأمر والعمل والرأى وطريق الهجوم ولوازمه فتقابلوا فجأة بالقرب من الخندق بشخصين من حراس روسيا الذين كانا خارج الخندق، فألقوا القبض عليهما وأسروهما وأحضروهما إلى القائد، فاحتاط القائد أيضاً ألا يحدث اختلالاً أسر حراس الروس [ص ٢٤١] وفى اللحظة نفسها التى كانت على وشك الصباح، توجه مع الجند إلى الخندق، وبمجرد وصول الجيش فى تلك الليلة المظلمة قام الروس أيضاً بإشعال نار

الحرب لأنهم كانوا واقفين في الحراسة، واشتغلوا بالحرب والقتال وهجم الجنود الصائدون للعدو مرة واحدة من الأطراف والجوانب إلى داخل الخندق ودون أن يفتح الروس الطريق وأحاطوا بهم داخل الدائرة، وأخضعوا خندقاً صعب الإحكام الذي كان متصلاً بعدة خنادق لأفواج جُند الروس وفتحوا عدة قرى لتجمع حملة البنادق الأرمن وكثيرين كانوا في [قرية] إيكون، وقاموا بقتل جميع روس الخندق وبأسر ونهب جميع نساء وأطفال ومتاع وأحمال أرمن القرية المتصلة به.

وبعد طلوع الشمس، اشتغلوا بالذبح والأسر والإحراق، ولأن جمعاً من جنودهم كانوا قد اختفوا في منازل الأرمن، فأحرقوها جميعاً وأشعلوا نار الغضب في بنيان وجودهم، وحطموا مدافعهم، وأخذوا الدواب والأغنام من الأرمن مع الأسرى، ورجعوا مظفرين ومنصورين .

وتعقب روس الخندق المتصل بحاجي قرا المجاهدين المنصورين على تصور أنه ربما يغيرون، فيستطيعون إيقافهم، وطووا مسافة، ولكن بمجرد رجوع عدة أشخاص من الغلمان حملة البنادق وإطلاقهم عدة طلقات بالبنادق، التي فوهتها أوسع من فوهات مدافع الزنبورك [مدافع الهاون]، قُتل وأصيب عدة أفراد من الروس، فرجعوا إلى مكانهم دون الحصول على مرامهم.

واستولى القائد، الذي رفع الغضب عن نفسه بسبب استعداده للروس، على القادة والأسرى والأموال ، وحضر إلى نائب السلطنة بمراسم لائقة، فجعل النواب نائب السلطنة كل واحد من العمال والخدام موضع الإحسان والإنعام كل على قدر مراتبهم .

١٢٦- بيان قدوم ملكهم بهادر، وإحضار المدفعية الإنجليزية إلى بلاط ملجأ العالم، وتفويض المدفعية المذكورة إلى نائب السلطنة :

تعتبر المدفعية الإنجليزية من جملة التجهيزات الحربية والآلات الكبيرة المختصة بالنيران والناثرة للصواعق والتي لم تكن متداولة في إيران في أي وقت.[ص ٢٤٢] قد

أحضرت إلى بلاط سماء الجاه فى صحبة ملكم بهادر ومعها المدفعيين المهرة وداناتها وأنواتها ولوازمها الكثيرة ، وذلك عن طريق الهند وفارس ويسبب رأى الصائب لمستر كرشط ومستتر لزي المدفعيين، وكانا موصوفين بالخبرة ومعروفين بجوهر الجلادة الذاتية، ومعهم عدة أشخاص آخرين والسفير المذكور. وطبقاً للأمر السلطاني، فقد قُوضت المدفعية المذكورة إلى النواب نائب السلطنة، وقد كُف بالتوقف فى تبريز مستر كرشط ومستتر لزي المذكورين وعدة أشخاص آخرين الذين كانوا مهرة فى عملهم وصنعتهم، وقد أوكل نائب السلطنة نظام رئاسة المدفعية وإدارتها إلى مستر لزي الذى كان مزيناً باللياقة الكاملة وقرر أيضاً لجمع من الإيرانيين بأن يتجنّدوا عند المدفعيين المذكورين، ويتعلموا قواعد وقوانين ضرب المدفعية على طريقة المدفعيين الإنجليز، وهم الآن يتدربون على إطلاق المدفعية بسعى كامل وجهد لاجدال فيه، وقد حصلوا فى هذا الشأن على مهارة كاملة ففى خلال دقيقة واحدة يعمرّون المدفع ويفرغونه سبع مرات، فيصير الدخان متصلاً ببعضه البعض .

١٢٧- التفويض بالفصل فى أمور الإقليم المجاور لحدود بغداد إلى نائب السلطنة بموافقة الأمير محمد على ميرزا :

فى هذا العام ، كُف حالتى أفندى رئيس الكتاب السابق بالدولة العثمانية باستمالة واسترضاء عبد الرحمن باشا الذى كان قد توسل بمسئولى هذه الدولة الخالدة إلى الأبد [إيران] ولم يكن له أى مسلك مع أى واحدة من الدولتين، وكان الحضرة العلية السلطانية قد اعتبر إعانتته ومساعدته، ونظراً لأسباب عديدة، منافياً لقانون ورؤية الصداقة مع الدولة العثمانية، وقرر بأن تُراعى فى هذا الخصوص صداقة الدولة العثمانية وبألا يحدث الأسلوب الباعث على نقض [عهد] الدولة العثمانية والانزعاج بين الدولتين، وبأن يفصل فى شئون هذه المنطقة نائب السلطنة بموافقة الأمير محمد على ميرزا .

وعزل حالتي أفندي سليمان باشا بمساعدة عبد الرحمن باشا، وتحارب عبد الرحمن باشا مع سليمان باشا، وألقي القبض عليه وقتله، وأوكل عمل الوزارة [ص ٢٤٣]، وقبل وصول الفرمان من الدولة العثمانية، إلى عبد الله أقا المدعو بالكرجي والذي كان عنده. ولم يحصل حالتي أفندي على تغيير بسبب ملاحظته لتعند عبد الرحمن باشا وتسببه ولم يحتل مسؤولية تغيير سلوكه الظاهر أيضاً ووبخه على الملأ العام. وبعد ظهور هذا الأمر، سير أحمد أغا، الذي كان من مشاهير العراق العربي وملقباً فيما سبق بأحمد شلبي، إلى البلاط السلطاني، وقام بإعلان درجات الإخلاص والمحبة مع هذه الدولة الخالدة إلى الأبد.

ولما كانت قد أوكلت الأمور الحدودية لجميع أقاليم الدولة العثمانية وطبقاً للأمر السلطاني إلى النواب نائب السلطنة، فقد كُف يس زاده عبد الوهاب أفندي سفير الدولة العثمانية، الذي سيدون قدومه إلى بلاط صاحب زحل عما قريب بقلم البيان، بالتوقف في خدمة نائب السلطنة .

ولما كان ولي العهد راغباً على الدوام في زيادة اتحاد دولتي إيران والعثمانية وسد طريق باحثي فتنة المفسدين، فقد قرر أن يُظهر الدقة الكاملة في أمور إقليم حدود بغداد، وبأن ينظم النواب محمد علي ميرزا شئون حدود بغداد وأمورها بحسن رأي كليهما.

١٢٨ - ذهاب طور مصوف للسيطرة على أخسقه، وهزيمته من شريف باشا :

بعد عودة الموكب المزين بالنجوم من إيروان إلى مستقر جلالته، رأى طور مصوف قائد روسيا الساحة خالية، فانتهاز الفرصة، واستدعى الجيش، الذي كان قد نهض لإخضاع "باش آتشوق" وجعل أطراف مدينة وقلعة أخسقة مضرِباً لخيام عساكره. وبسبب الاستماع لهذا الخبر، فإن سليم باشا الوالي السابق لباش آتشوق الذي كان سالكاً طريق العناد على الدوام مع شريف باشا في ولاية حكومة أخسقه، قد ترك العناد والصراع والنزاع، وأرسل ابنه مع جمع كامل لإعانة وإمداد شريف باشا، وقد صار هو نفسه مستعداً للقتال والصراع .

وبقى "طورمصوف" وجيش الروس ثلاث ساعات حتى الصباح، وهجموا من الأطراف والجوانب، ودخلوا مدينة أخسقه بالغلبة والقوة، فبدأ أجاقلويان وصولاً بك [ص ٢٤٤] وسائر الأبطال وشريف باشا وإلى ذلك المكان بالقتال والاشتباك، وقد مرت ساعتان من النهار وتنور الحرب مشتعلة ويد المجاهدين مشتعلة باللعب بالبنادق، وقد وصل الأمر إلى استعمال السيف والرمح فأصبح جيش المسلمين غريقاً مع جيش روسيا.

وفي النهاية، انهزم "طورمصوف" ومعهم جيش الروس، وسلك وادي العودة والإديار، وأخرجهم شريف باشا وجيش أخسقه من المدينة، وربوهم على أعقابهم لمسافة فرسخ من المدينة، وعلى التعاقب كان المدد يصل بسعي أمين باشا قائد العسكر من ولاية أرض الروم وقرى وضواحي تلك المناطق، وتيقن الروس بعد يومين أو ثلاثة من هزيمتهم، فعقدوا مجتمعين حزام الهجوم على أطراف وجوانب مدينة أخسقه، وجلسوا بين الجانبين كحيوان السمندل وسط شعلة النار. والخلاصة، أن جيش الروم فرق وبعثر جيش الروس عن بعضه بسبب ضرباته المتتالية بالسيف الحسام ومصابق قذائف المدفعية والبنادق؛ إلى درجة أن سلسلة نظام الجيش الصائد للعدو قد تفسخت من بعضها، وفقدوا معسكرهم وقت الهزيمة، وقابلوا بعضهم على بعد أربعة فراسخ من أخسقه، ولووا زمام العودة إلى الكرجستان محطمي الأسلحة ومفلوتي العنان.

وعرض شريف باشا كيفية الأحداث على بلاط نائب السلطنة، فوهب إلى شريف باشا الخلاع الفاخرة من المخزن الخاص وإلى سائر أبطال ومجاهدي تلك الولاية وعلاوة على ذلك، عطف على شريف باشا بالخنجر المرصع وأعطاه النصيب من الإسطبل الخاص الجواد السريع السير مع السرج المزين بالذهب.

١٢٩- وفاة الوزير المعظم ميرزا محمد حسن في الثاني من شهر محرم الحرام :

فقد مرض لعدة أشهر الوزير المعظم وصاحب المقصد الطيب المفخم ميرزا محمد حسن ، الذي كان قد وجد شرف الامتياز والافتخار في هذا العام بين أقرانه وأمثاله

بوزارة الأمير الفريد نائب السلطنة العلية، فوقع على بطانة العجز والمرض وسعى الأطباء إلى علاجه ومداواته ولم ينفع، وفي النهاية عقد إحرام كعبة الوصال في الثاني من الشهر المحرم [١١٢٥ هـ] مضراع [ترجمته] ص ٢٤٥] أترك تلبية صراخ لقاء الأرواح

فتكرت غرة السلطنة والخلافة الغراء لنائب السلطنة بسبب هذا الحزن، وسالت الدموع من جزع مبصرة العالم اللؤلؤ المتلألئ، ونثر القائم مقام دموع الحسرة من عينيه بسبب مشاهدته لحالة ولده المؤسفة، وقد أجلس الفلك الظلوم الجميع في نار الغصة والحزن بسبب هذا الهم والغم، وبعد إسعاد روحه بختمات كلام الملك العلام [الله جلا جلاله] وإطعام الطعام للفقراء والأيتام، وطبقاً لأمر النواب نائب السلطنة نقلوا نعشه المطهر إلى المشهد المقدس بالنجف عليه من الله التحية والتحف في رفقة نجف قلى خان كروس الذى كان دائماً مؤلفاً ومؤنساً له في حياته وبالأثاث اللائق الذى أعده نجف قلى خان ومعه جمع من القراء والحفاظ وقد أوكل ضمناً بعض المهام والواجبات الخطيرة أيضاً إلى نجف قلى خان والتي يؤديها في الرحلة المذكورة، وذكرها يخرج عن هذا الأمر المراد.

١٣٠- تكليف جمع من الجند على محاربة الروس في شيخ أويز واستئصال جماعة الروس على أيديهم

في أواسط الشتاء، عُرض على واقفى الحضور اللامع النور أن جماعة الروس قد أحضروا المؤن والعتاد من قراباغ وسائر الأماكن التي تحت سيطرتهم، وجمعوها في قرية "شيخ أويز" التي كانت مكاناً صعباً، وينقلونها من هناك ويحولونها إلى مقرى . فقرر النواب نائب السلطنة بتكليف فرقة القائد محمد بك القاجارى الأفشارى مع فرقة إحسان خان الدنبلى وقليل من الغلمان حملة البنادق بالاستيلاء المحكم على شيخ أويز، فعبروا بسرعة كاملة من نهر آرس، وفي الوقت، الذى كان فيه الجليد قد غطى الجبال وعلى غفلة، أحاطوا بشيخ أويز وحاصروها، وعندما أُخبر ساكنوها من الروس والأرمن فقد وجدوا أنفسهم أسرى لمصيدة البلاء، وقد وجد الفرصة من تلك الجماعة خمسة

عشر نفر، حيث استولوا على الأسلحة والعتاد، ووصلوا إلى سطح كنيسة كانت على شاطئ شيخ أويز، وحملوا أنفسهم، وفتحوا أيديهم بإطلاق البنادق، وأسر الباقي منهم جميعاً على يد الجنود الذين شعارهم الجلادة، وقُتل البعض [ص ٢٤٦] من إصاباتهم بالقذائف، وقبضوا على بعضهم وجروهم خارج خنادقهم، وذبحوهم في وسط القرية مثل الخراف، وفر جمع منهم من أمام الجنود، واختفوا في أحد المنازل، فقذف الجند عدة قنابل وسطهم، فانفجرت، ولم يجد الجميع مجالاً للتأخر، فجروا خارجة، وذبحهم الجند وقتلوا كل هذه الجماعة تماماً عدا شخصين هربا على الأحصنة، وأغاروا على كل شخص نجا وكل ما وجدوه في شيخ أويز.

وفي هذه المرة لم يُقتل ولم يُصب أزيد من ثلاثة أو أربعة أشخاص من الجيش المنصور، وقد رفع الجنود رعوسهم على سونكى البنادق ولحقوا بركاب الظفر، وإزاء هذه الخدمات الجليلة صاروا موضع الإحسان والإنعام من نائب السلطنة.

١٣١- وقائع العام ذى الطالع الميمون [سنة الكبش] ^(١) وهى سنة ألف ومائتين وست وعشرين [هجريّة]، ومجىء يس زاده عبد الوهاب أفندى سفير الدولة العلية العثمانية

بسبب يُمَن وبركة مقدم النوروز المنتصر، عاد الشباب إلى الدنيا العجوز بتوافق إلى الاعتدال، وارتفعت العصافير والبلابل على أغصان الورود فى أغنية السلطان. وبعد انقضاء المهرجان النوروزى، قام (السلطان) بإكمال المهام والواجبات القريب منها والبعيد، وارتفعت الراية الموفقة إلى الفلك الأعلى. وبالمصاحب لذلك الحال، قدم يس زاده عبد الوهاب أفندى، الذى كان مكلفاً من بلاط الدولة العثمانية برسالة إلى إيران فى أواخر شهر ذى الحجة الحرام إلى دار السلطنة تبريز، فاستقبله عدد من الأعيان بأمر النواب نائب السلطنة، وبعد تقبيل بساط العز، قصد دار الخلافة طهران وأبلغ الرسالة

(١) قوى نيل : سنة الكبش ، إحدى سنين التقويم التركى الشرقى . (انظر : المعجم الفارسى الكبير ، ج ٢ ص ٢١٢٢)

الملكية وهدية المحبة وصار موضع التفقدات والعنايات الخديوية، وسمع من ألفاظ واهب الجواهر المقولات الحسنة والأحاديث الجذابة والتي كانت مورثة لمزيد من الترابط بين الدولتين العليتين، واعتكف لفترة في العتبة السلطانية، وكُفَّ بالتوقف في حضور النواب نائب السلطنة .

١٣٢- تعيين ميرزا أبو الحسن خان بسفارة إنجلترا وعودته ومجيء السير [ص ٢٤٧] جوراوزلى سفيراً فوق العادة بسفارة صاحب بلاط زحل :

بعد قدوم ملكم بهادر، عين النواب الحاضرة العلية الخاقانية ميرزا أبو الحسن ابن أخت الحاج إبراهيم خان معتمد الدولة السابق، الذي كان على علاقة قرابة أيضاً مع أمين الدولة الحاج محمد حسين حاكم إصفهان ، من الدولة القاهرة إلى دولة إنجلترا، وبعد قدوم ميرزا أبو الحسن خان إلى تلك الدولة، وجد الإعزاز والإكرام الفائق عن الغاية وسُمِحَ له بالعودة مقترناً بالعزة والاحترام. وقد كُفَّ السير جوراوزلى بروننت، الذي كانت منزلته في دولة إنجلترا أعلى بعدة درجات من السير هرفريدجنس بروننت، بالتوقف في إيران وكلفه بتوقيع الاتفاقية وسط مسئولى دولة إيران وإظهار فيما بينهما آثار الوفاء بالعهد الموافق للعهد والميثاق ووصل خبر قدومه بمرافقة سفير إيران إلى البلاط السلطاني، فعُين ميرزا زكى مستوفى الديوان الأعلى لضيافته، وتصادف مع السفير في ميناء "بوشهر" فأحضره إلى شیراز بجميع أنواع إعزازه واحترامه في كل مكان، وأرسل النواب الأمير حسين على ميرزا حاكم مملكة فارس جمعاً من كباره وأعيانه ومقربيه لاستقباله ، وبعد عدة أيام من استضافته وإعزازه وإكرامه الذي لا شك فيه، وصل من شیراز إلى إصفهان، واعتبر الحاج محمد حسين خان أمين الدولة وأمير أمراء إصفهان أيضاً مقدمه إكرام له، وأحضر إلى دار الخلافة طهران في احترام وإعزاز لا حد لهما في كل مكان. وكما وجد السير هرفريدجنس بروننت السفير السابق الإذن بالانصراف من البلاط السلطاني حسب المرام بعد إكرامه وإعزازه كثيراً، ومعه الرسالة السلطانية، وتوجه إلى مقصده عن طريق إسلامبول ، وتشرف السير

هرفرد جنس بروننت السفير السابق الإذن بالانصراف من البلاط السلطاني حسب المرام بعد إكرامه وإعزازه كثيراً ومعه الرسالة السلطانية، وتوجه إلى مقصده عن طريق إسلامبول وتشرف السير جورأوزلى بروننت بالحضور فى عتبة فلك الأركان السلطانية، وأبلغ لعظمته على وضع لائق رسالة الدولة الشهيرة وتذكار الصداقة، وتم عمل كل أنواع لوازم الإعزاز والإكرام الذى لم يكن مقدوراً لغيره حتى تلك الفترة له من قبل صاحب الشرف السلطاني [ص ٢٤٨] . ومن جملة العنايةات الخديوية بعد توصيل تذكار الدولة العلية إنجلترا والذى كان فى غاية النفاسة، قال الحضرة العلية السلطانية بلفظه المبارك الذى كالجوهر بأن أفضل تحف وهدايا تلك الدولة التى أحضرتها هى [الماسة] التى عكست عند النظرة الأولى إليها صورة أوصافها الحميدة على مرآة ضميرنا المنير، وقد أثرت حكمتها وأدابها ولطافتها فى عقل الهمايون بسبب مشاهدته لأطوارها وسكناتها.

وبعد التشرف بالحضور السلطاني، قام السفير المشار إليه بأداء مراسم حسن نية الدولتين، وأظهر الأفكار الصائبة، من أجل بقاء اتحاد الدولة الخالدة البنيان والمقوية لجيش وعسكرية الدولة العلية إيران، والتي ذكرها فى هذا الكتاب مورثاً للإطناب وبل يزيد من حيز البيان. وحتى نهاية هذا العام والعام السابق كان يتوقف أحياناً فى دار الخلافة طهران وأحياناً فى تبريز فى خدمة نائب السلطنة. وأوصل الاتفاقية المفصلة بالتوقيع المبارك ، وكان فى أكثر الأوقات فى غيبته وحضوره مبتهجاً ومسروراً من إكرام وعناية الحضرة العلية الخاقانية والأمراء والعظام وخاصة النواب نائب السلطنة الذى كان له شفقة خاصة به. وقد حدثت بينه وبين جميع مسئولى الدولة وأركان الحضرة التوافقات والروابط والعلاقات الكثيرة. وقد رويت أوصافه الحسنة فى روايات مجالس الأمراء وصار ذكر أخلاقه الممدوحة زينة محافل مسئولى وعظماء السلطنة ، وكانت له مهارة كاملة فى إدراك الأسرار والرموز والتحدث والكتابة باللغة الفارسية ، وكان يكتب الموضوع مترابطاً جداً ، وقد لاقى التأثير الكامل فى أهل العلم وأرباب الكمال ، وكانت سليقته جيدة وحسنة وطبعه مأنوساً . وقد شيد منزلاً وحديقةً على نحو لائق وذات منظر جذاب ، وحيث كانت عيون مشاهدى ذلك المكان تنبهر من رؤيته وتعتبره الروضة المثالية وكانت روحه فى غاية الإكرام والاحترام .

١٣٣- بيان الاحتفال بعُرس الأمراء في مرج سلطانية

بعد الانتهاء من الحفل [ص ٢٤٩] والمهرجان النوروزى وأنشطته، عازمت رايات القابض على البلاد السلطانية على السفر فى وقت الربيع إلى سلطانية، وقبل التحرك من دار الخلافة طهران، عين للقيادة مقرب الحضرة إسماعيل بك غلام رئيس الخدم، وسيره إلى أنزيبجان مع أفواج الجيش من الفرسان والمشاة الفدائيين وحملة البنادق، وبعد نزول الرايات الملكية إلى مرج سلطانية، كلف فوجاً آخر من الجيش ملجأ النصره خلفه، وأرسل جمعاً أيضاً إلى خراسان، وجعله ضمن أبواب جمع الأمير محمد ولى ميرزا، ومنح الأموال التى كانت لازمة من الخزانة العامرة من أجل نفقات قيادة جيش أنزيبجان وخراسان كل على قدر مراتبهم بالإضافة إلى أجور ومستلزمات جيش الركاب .

وبعد الانتهاء من هذه الأمور، قرر فى أيام الإقامة بالمرج المذكور أن يؤسس أمر صلاح الأمراء العظام عبد الله ميرزا حاكم خمسة وشيخعلى ميرزا حاكم ملاير ونهاوند، وأن يُفرح خاطرهم فى ذلك المرج الجذاب الذى لا يوجد مكان أفضل منه من أجل الفرح والانبساط، وأن يستفيد قادة إيران من هذه النعمة العظيمة، وأن يسعد الخواص والعوام من هذا الفيض الشامل، وبأن تنتظم لوازم الفرح والسرور على النحو المقرر الذى لم تكن قد رأت عين الزمان مثله ، وأن تطول بلا حدود ذكر الألعاب النارية وسائر مستلزماتها وأدواتها .

ولكن كانت مصابيح ذلك الحفل كاملة الصنعة وفى غاية الحداثة، أما خيام المعسكر السلطانى فكانت قد ضُربت جميعها وفقاً للنظام بحيث إنها كانت قد عُمِلت باتِّباع صفوف الخيام المتوازية والمتساوية والتى تُثير الدهشة فى العقل، وكانت المصابيح تضىء الليل فى المعسكر السلطانى وكل ليل أى من الخيام بطريقة خاصة بحيث كانت تبدو كل خيمة كالسما والمصابيح كواكبها، وكان المنظر من أمام قصر سلطانية، الذى كان فى غاية الارتفاع، يمتع العمر خالد.

والخلاصة، أن الراية السلطانية أُلقت برحل الإقامة فى المرج المذكور من أجل تنظيم جميع المملكة [ص ٢٥٠]، وكلف النواب نائب السلطنة بأن يُقدم كل ما يعلمه

صالحاً بشأن معركة الروس وصراعهم وفقاً للنظام والشرع، فوضع نائب السلطنة أيضاً بناء الأمر تدريجياً، وعين أشرف خان الدماوندى وإبراهيم بك قائد جند الفوج التبريزى وعلى بك رئيس فرقة من الغلمان ، ونظر على خان كنكرلو حاكم نخجوان وذلك بأن يذهبوا ناحية قرى مسيحي قراباغ، ويكلفوا كل طائفة بالهجرة والرحيل من ذلك المكان، ويطمئنتوهم من ناحية المعيشة حتى يخضع كل شخص للطاعة ويحضر إلى نخجوان وهو موضع الإحسان والرعاية وكل من يتمرد يجعلوه موضع النهب والسلب. وقد أنجز الرجال المكلفون ما هو مقرر على الرغم من أنه فى عهد نادر شاه الأفشارى وفى عهد الخاقان المغفور له، وحيث كانوا قد عقدوا العزم على إبادة وتخريب قراباغ، لم يكن لأحد من قواد وأفواج جيش الملكين جليلى الشأن القدرة على إيجاد طريق أو فجوة للمسيحيين [القراباغيين]، فقد هجم الرجال المكلفون بحكم الأمير ولى العهد المقتدر الجرىء على ذلك المكان، وقد سيروا إلى نخجوان كثيراً من الطوائف والتي قبلت الرحيل، وجعلوا عدداً من الأرامنة، الذين أعلنوا التمرد والعداء، موضع النهب والأسر، وبعد ذلك صار المنهويون نادمين بسبب فعلتهم، وقدموا إلى نخجوان مجتمعين وسكنوا بها .

واشتري ولى العهد أسراهم من الجالبين لهم بالقيمة المعتادة وسلمهم للأرامنة أصحابهم بمحض ترحمه ومروءته . ولأنه كان قد قرر فى بداية الربيع بأن تُبنى القلعة فى صحراء دزمار التى أحد أطرافها نهر آرس، وبالنظر إلى اتصال طرفها الآخر بالجبل وهو ماكان موهماً على اقتحامها، فقد كان المهندسون الأوربيون والإيرانيون يتربدون ويتراجعون فى بناء القلعة المذكورة، فهجم النواب نائب السلطنة بنفسه إلى هناك وعاین القلعة وخطط بناءها بطريقة خالية من أى نوع من العيب والنقص، وأعطى للمهندسين الأمر بالعمل،[ص ٢٥١] ورجع إلى دار السلطنة تبريز.

وفى تلك الأثناء حضر مقرب الحضرة إسماعيل بك الدامغانى والذى كان قد عُين من البلاط السلطانى بقيادة جيش فرسان ومشاة الركاب - فسيره نائب السلطنة مع جمع إلى مرج "كلنبر" وأخذت راية الظفر فى التحرك من خلفه، وكلف من المرج المذكور أمير خان القاجارى الدولوى مع محمد بك القاجارى الأفشارى قائد فوج المشاة وفوج الفرسان بالهجوم على "برجشاط" وبالإستيلاء على قلعة وحصن ذلك المكان، وبعد عبور

الرجال المكلفين لنهر أرس وعلى الرغم من أن أغلبهم كان من المشاة وبناءً على وفرة الاشتياق الذي كان عندهم لتأدية الواجب وبذل الروح، فإنهم طووا مسافة ثمانية فراسخ وقت الذهاب وثمانية فراسخ وقت العودة، وفي ظرف أربع وعشرين ساعة أخضعوها بالقوة والغلبة وسيطروا على قلعة برجشاط وهي المسماة بـ "إله قيا" وهي محتوية على الغريان الكثيرة والغابات والجبال ، وكان أهالي برجشاط قد ألقوا أخشاب الأشجار على بعضها البعض في مضائق الطرق وذلك حتى لا يكون في الإمكان المرور والعبور من أطرافها وضواحيها، وقد قتلوا الكثير من رجالها في أثناء المعركة ونهبوا جميع أموالها، وصار أولادهم ونسائهم أسرى الجيش الصائد للأسود ، ومرة أخرى وبمحض مرحمة جبلته ومروءة فطرته اشترى أسراهم من الجيش المنصور وردهم إليهم، وأدى الإحسان والإنعام الكثير بشأن كل واحد من الرجال المكلفين الذين كانوا قد أصبحوا مصدراً لهذا النوع من الخدمة الصعبة، ولظهور هذا النوع من المرحمة حضر أهالي [قلعة برجشاط] إلى قراجة داغ، فصاروا موضع إحسانه وإنعامه اللامحدود .

وفي الوقت نفسه، كلف بيرقلى خان القاجارى أيضاً مع فوج فرسان ومشاة الركاب وفرسان طوائف قراجة داغ وذلك بأن يذهبوا إلى قراباغ ويكلفوا طائفة جبرئيلو على الرحيل، وإذا ظهروا في صور التعلل يجعلوهم موضع النهب والإغارة. وحدث تهور لعقل بيرقلى خان ؛ لأن طريق "تشناقتش" هو من أصعب جميع الطرق، فقد هب بجرأة على خلاف [ص ٢٥٢] دستور النواب نائب السلطنة، وتوجه من الطريق المذكور .

ولما كان الأرامنة وسكان تلك المنطقة قد حملوا أموالهم إلى موضع آخر وقعدوا بأنفسهم على قارعة الطريق، وسدوا الطرق بنوع من الأخشاب المتشابكة والأخشاب التي كانوا قد ألقوها فوق بعضها البعض، وأعدوا خندقاً بحيث يصعب العبور من ذلك الطريق على أية وجه. وكان بيرقلى خان قد كلف حملة البنادق الإسترباديين أن يهجموا على خنادقهم وأن يتركوا هناك عدداً من البنادق في كل خندق يخضعونه، وأن يقوموا بالهجوم على خندق آخر، ومن المصادفة أن قُتل في أحد الخنادق شخصان من المشاهير الإسترباديين، ومع أن حرارة الأرمن لم تتوقف ولم تستقر في تلك الضواحي

والأطراف فإنهم بعد أقل من يوم توجهوا بوجه الأمل إلى هذا الجانب، فتوطن بعضهم في نخجوان وبعضهم في قراجة داغ .

ومرة أخرى صار ذلك التهور وعدم الحزم لبيرقلى خان على مخالفته للأمر والحكم غير ملائم لطبع نائب السلطنة، فخاطب بيرقلى خان وأمراء الجيش بغضب .

ولما وصلت في تلك الأثناء عريضة أقا بك شيخ طائفة كولانى إلى نظر النواب نائب السلطنة وهى متضمنة ذلك وهو أن: جميع الطوائف التى فى ناحية مسيحي قراباغ وتلك الضواحي والأطراف المتصلة بنخجوان تأمل فى عناية الدولة القاهرة خوفاً من هجوم وإغارة الجيش المنصور وإنهم صمموا على الرحيل إلى ناحية نخجوان، ولكنه نظراً لتوقف الجنرال "خطاكوف" وجمع جنوده وفرسان مهاد يقلى أقا حاكم قراباغ على مقربة، فإنه عند رحيل الطائفة سوف تصل الإهانة الكاملة منهم، فالمطلوب هو أن يعين القائد المقتدر مع فوج الفرسان وحملة البنادق الجرارة كمهاجمين، وذلك حتى نصل بون ضرر وخوف جميعاً إلى ظل الدولة الخالدة" فكلف نائب السلطنة أيضاً بالخدمة المذكورة إلى مقرب الحضرة إسماعيل بك الدامغانى ومعه فرسان ومشاة ركاب أبواب جمعه. ومن المصادفات أنه فى أثناء قدوم إسماعيل بك والجيش إلى وسط الطائفة، رحل أقا بك إلى شوشى من أجل استغفال الجنرال [ص ٢٥٣] ومهدى قلى أقا وكشف ظنهما، وكان يريد ضمناً أن يخلص جمعه من هناك. وكان سائر رؤساء طائفة كولانى قد تصوروا أن جميع الفرسان والمشاة قد قدموا من أجل الإغارة عليهم وسلب أموالهم ، فظهروا من طريق الجبل فى مقام التمرد والعصيان. ولأن ذلك الطريق مشتمل على غابة بطول ما يقرب من أربعة فراسخ، وحيث لم يكن ميسراً عبور أكثر من شخص واحد لعرض تلك الغابة، فإن حملة بنادقهم كانوا قد أغلقوا طريق الجيش ووضعوا بناء الحرب والمعركة من خلفه. وعلى الرغم من اتصاف إسماعيل بك بقدرته على قتلهم وأسره ونهبهم ، ومع ملاحظة أن أقا بك بون شك ولا شبهة سيكون بصدد الخدمة والطاعة ، فقد اعتبر الحركة الشاذة للآخرين قائمة على الجبل ولم يظهر مطلقاً فى مقام المعتدى على النحو الذى لم يصل ضرر مطلقاً إلى أحد من فرسان ومشاة أبواب جمعه ، وعاد جميع المحاربين بشجاعة . وبعد مشاهدة هذا الحال الزائد عن الحد

أصبح أقا بك وجميع طائفة كولاني مطمئنين ، فرحلوا إلى إيروان مجتمعين وأتوا إليها، واطمأنت باقي الطوائف المسيحية بمراعاة هذا الذي مضى وحضرت إلى نخجوان وصارت موضع العناية التي لاحدود لها .

١٣٤- ذكر مجيء أمين باشا إلى قارص وتلك الحدود وعودته بتقدير الحي الودود^(١) :

عندما عُرضَ في تلك الأيام على النواب نائب السلطنة أن أمين باشا قائد جند الدولة العثمانية، الذي كان مكلفاً في قارص طبقاً لأمر سلطان تلك الدولة صاحب الجاه ومحكوماً بإطاعة أمر وحكم النواب نائب السلطنة، قد تحرك من أرض الروم وتوجه إلى قارص، أوقف نائب السلطنة أيضاً القتال والاشتباك مع روسيا من ناحية قراجة داغ، وتحرك من مرج "كلنبر" بالمدفعية المحمولة على النظام الإنجليزي، والتي كانت تحير العقل بسبب مشاهدة تصويبها وبقة أهدافها، والجند وسائر الجيش والأسلحة وآلات الحرب والقتال، وتوجه إلى إيروان وذلك حتى يسعى جيشا الدولتين من تلك الناحية إلى معاضدة أحدهما للآخر لمحاربة روس تقليس وباش آتشوق، ويقوما بصددهم ودفعهم في تلك المناطق. [ص ٢٥٤]

وبعد القدوم إلى نخجوان، عُرف أن قائد العسكر لم يقدم إلى قارص حتى الآن، وفي هذه الأثناء وبناءً على عدم وصول قائد قارص، أغار نائب السلطنة لعدة أيام على قراباغ عن طريق نخجوان، وتوقف في ظرف عدة أيام حتى يصبح كل واحد من الطائفة والرعية، المستظلة بظلال مرحمة الدولة الخالدة إلى الأبد، مصوناً من آفة صدمات وضربات الجيش المرافق للنصرة وحتى يقدم جمعه إلى نخجوان وقراجة داغ، وكل واحد يظهر التمرد يجازى.

وبمجرد القدوم إلى تلك الحدود، عين نائب السلطنة صابق خان القاجاري عز الدينو لتأديب أهالي قرى "كوروس" الذين كانوا في موضع التمرد والعصيان، وجعل

(١) الله جل جلاله .

أشرف خان الدماوندى وعلى خان نورى مع المجاهدين المشاة الراكبين ضمن أبواب جمع صادق خان، وقد أنزل الرجال المكلفون بالتمرددين التأديب اللائق، فأنزل صوت موكب النواب نائب السلطنة الرعب فى قلوب الروس والقراباغيين، فمن ناحية، رحلت طوائف قراباغ فوجاً فوجاً والذين كان من بينهم رعايا طائفتى كولانى ومغاوين، ومن ناحية أخرى تحرك الجنرال "خطاكوف" مع تجمع الروس والقراباغ حركة قاتلة وقدم إلى كوروس، وبعد حضورهم إليها، وبسبب أن الخوف والدهشة كانا غالبين ومستولين عليه، فقد رأى أن وسيلة أمره منحصرة فى أن يعتمد على أكواخ كوروس وعلى القلعة والخندق الشديد الأحكام ويتحصن فيهم، وفر عدة من جنوده وقدموا إلى الحضور الفياض، وأقام نائب السلطنة أيضاً عشرين يوماً فى تلك الأطراف، وقد جعل الطائفة والرعية المطيعة المتوجهة بوجه الأمل إلى الدولة القاهرة موضع عطائه وإنعامه وإحسانه، أما المتمردون فقد أنزل بهم العقاب البالغ، فقد قدم على قتلهم وأسره وحرق محصلهم وبيوتهم، وفى ذلك الوقت كلف لثلاث مرات أيضاً فوجاً من الفرسان على ناحية كنجه، فكان الرجال المكلفون فى كل مرة يظهرون المساعى الشجاعة، وقد جلبوا من متمردي كنجه جميع الروس والغنيمة ورجعوا إلى نخجوان [ص ٢٥٥] وإلى أن عزموا من هناك إلى إيروان، وجيش الدولتين مشغول بأمر الكرجستان.

وبالمصادفة، حضر فى يوم القدوم إلى نخجوان رسول من إيروان، فصار من المؤكد أن قائد عسكر الدولة العثمانية وقائد إيروان قد وضعا لقاءهما فى بداية حدود قارص وإيروان وكان قائد الجند [العثمانى] قد صار من تلك الناحية والقائد [الإيروانى] من هذه الناحية بطريقة لائقة إلى مكان تلاقيهما، وبالطريقة المعمول بها فى إيران والروم [الدولة العثمانية]، فإنهم فى أثناء الطريق، اصطف الخواص من الفرسان والمهرة أمام الجانبين وبدعوا فى التدريب على الهجوم وإطلاق البنادق وعلى أعمال الحرب، وفجأة وعلى حين غرة، اخترقت رصاصة بندقية منبت أذن قائد الجند والتي كان قد أطلقها أحد خواصه، فأخرجت معها أسنانه، وفقد وعيه، وحمله رفاقه إلى قارص، ورجع القائد [الإيروانى] أيضاً إلى إيروان وهو فى غاية الأسف. وانطلق سهم القضاء كى ييسر لقاءهم بعد وضع أساس الأمور على النحو الذى كان مقرراً ويتوجه الموكب العالى إلى إيروان ويتشرف قائد الجند (العثمانى) بشرف حضوره .

و بمجرد استماع نائب السلطنة لهذا الخبر، عين شخصاً لتفقد أحوال قائد الجند العثماني، وأصدر الأحكام السامية إلى كل من [باشوات] كهيا ورؤساء أجاقلو والإنكشارية وحكام قابص وغيرهم من جنوده وذلك بالألا يحدث اضطراب لأحد مطلقاً بسبب هذه الحادثة ويأن يعرضوا كل ما هو ضروري وذلك حتى يراعى بناءً على اتحاد الدولتين، وعين المستر كمل الجراح الإنجليزي أيضاً، الذي كان ملتزماً بالركاب، من أجل علاجه، وبذل كل أنواع الرأفة الملكية بشأن قائد الجند ، ومع أن جرح قائد الجند عطل العمل، فإنه لم يكن مؤثراً، فبعد فترة تحسن ورجع إلى أرض الروم .

وفي كل مكان كان جيش روسيا قد اختاره للراحة، كان خاطر نائب السلطنة يكتئب في ذلك الوقت، الذي كان متوقفاً فيه في نخجوان، بسبب عدم وقوع الحرب اللائقة واقترب موسم الشتاء وهي وقت راحة المجاهدين .

وكلف [نائب السلطنة] ميرزا أحمد المستوفي قائد فوج الجنود [ص ٢٥٦] الخاص، الذي كان جميعه من جنود روسيا سواء الذين أسروا في أوقات الحرب أو الذين فروا من جيش روسيا، وضربوا يد التوسل بذيل مرحمة نائب السلطنة العلية فشرفهم جميعاً بشرف الإسلام، وجعل الجميع صاحب منزل ورحل وأهل وأولاد، وسوف يرجع ثواب هذا العمل على جميع أعماله بالتقرب إلى الواحد [الله جل جلاله] الذي صفته السلبية لم يلد ولم يولد^(١) واللائقة بذاته، ولقبهم هو الأبطال [بهادران] وقائدهم ميرزا أحمد المستوفي الكاشاني، وإبراهيم بك باكويه قائد الفوج التبيري، وذلك بأن يذهبوا إلى مقرى .

وعلى الرغم من أن إخضاع ذلك المكان في هذه الأثناء لم يكن في المنظور لبعض النواحي، لكن كان الاكتئاب يرتفع كلية عن عقله وفكره النشاط عن طريق الاشتباك والاقتتال مع روس ذلك المكان. وطبقاً للمقرر، توجه الرجال المكلفون إلى [قلعة] كوردشت ومن هناك اصطحبهم مهدي خان هزار جريبي ومعه عدد من حملة بنابق

(١) هذا المعنى مأخوذ من القرآن الكريم في سورة الإخلاص (١١٢) بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ

(١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) ﴾ (المترجم)

معسكر قلعة كوردشت، وعبروا مياه نهر أرس، وأخفوا بخناق روس ذلك المكان مثل الموت المفاجئ، وتجاوز الأمر عن استخدام المدافع والبنادق في أقل معركة ، وانحصر القتال والمعركة بين الجانبين بسونكى البندقية، بل ووصل الأمر إلى المصارعة، وقد تعلق جميع الجنود المسلمين والجنود الروس ببعضهم. وفي النهاية، انتصر جيش الإسلام وانهزمت جنود روسيا، ولم يُقدر للجنود، الذين كانوا متحصنين في البرجين المسميين بسيد ومختر أن ينجو أحد منهم من مخلب الجيش الصائد للأسود، وقد جعلوا قرية مقرى سافلها عاليها. وحمل ميرزا أحمد وإبراهيم بك والجنود بيارق وأعلام الروس، وفي نخجوان تشرقوا بحضور الباهر النور وينظام لائق منتصرين ومظفرين، وصار كل واحد من القواد والقادة موضع الإنعام والإحسان الوافر والرعاية اللامحصورة كل على قدر مراتبهم وخدمتهم. وكلف موج الجنود الخوئين بقيادة إحسان خان القائد مع عدد من الغلمان حملة البنادق بتأديب أرامنة قراباغ [ص ٢٥٧] وعلى الرغم من أن الأرامنة المذكورين لم يأمنوا قلعة "قير" وهي من الحصون المشهورة في قراباغ ، وكانوا قد تحركوا من المكان نفسه في اليوم نفسه، وكانوا قد سكنوا بمكان شديد الصعوبة وهو الذى كان محاطاً من كل جانب باثني عشر فرسخاً من الغابة، فإن الجنود والغلمان حملة البنادق وصلوا إليهم بجرأة عن طريق "آذانتشيران" وأظهروا الحرب والقتال، وفي النهاية، أسروا نساءهم وأطفالهم وأغاروا على أموالهم ومتاعهم، وقتلوا الكثير من رجالهم، وعادوا إلى قراجة داغ عن طريق جسر "خدا آفرين" وفي عرض الطريق أيضاً نجا بقية رجال الأرمن، الذين كانوا قد سحبوا أنفسهم إلى الغابات، من مخلب الجيش المنصور، وكانوا قد ظلوا يومين بليلتيهما يسحبون خفية أنفسهم أفواجاً في حماية أشجار الغابة، وعلى غفلة، كانوا يقفزون ويتحاربون بالقوة التى كانت لديهم إلى أن قُتل المدعو أقاسى كبيرهم، فنفض الآخرون أيديهم مضطرين من مالهم وأولادهم ، وعادوا إلى المكان نفسه. ولما أيقنوا أن الحصن والغابة والجبل والقتل لم يستطيعوا منع هذا المصير، فقد أتوا بعد فترة مضطرين إلى قراجة داغ، واختاروا الراحة فى ظل الدولة القاهرة، ولشدة محبة نائب السلطنة أعطى لهم رحل متاعهم وأسراهم التى كان قد استولى عليها، وأنفق الأموال والبضائع الكثيرة من أجلهم .

وفى تلك الأثناء وصل إلى مسامع النواب نائب السلطنة العلية أن الروس يريدون أن يحضروا مؤن وإمدادات لمعسكر مقرى، ولكن الفكرة التى كانت لدى جيش ملجأ النصر أن الجنرال نفسه عازم إلى مقرى مع أحد الأفواج من الجنود من أجل حراسة القافلة، وبناءً عليه، عين النواب نائب السلطنة ميرزا أحمد المستوفى مع فوج الأبطال وجعفر قلى خان المقدم وجنوده ومعه مائة فارس من الغلمان آثار الجلادة، وقرر أن يذهبوا عن طريق "أربوباد" ويقطعوا عليهم الطريق فيما بين مقرى وقبان، ويعملوا كل ما يجب من قتال [ص ٢٥٨] مع الجنرال واعتراض القافلة، فتوجه الرجال المكلفون أيضاً بسرعة كاملة، وبمجرد القنوم إلى أربوباد، وصل جواسيس الغيرة إلى الجنرال، فلم يجرؤ الجنرال المذكور على إرسال القافلة خوفاً من الجيش المنصور، وتوقف فى كروس، وبعد اليأس من مجيء الجنرال والقافلة، تشرف الحكم المحكم بالنفاذ وذلك بأن يقدم الرجال المكلفون على ترحيل طوائف قبان، فساروا أيضاً طبقاً لأمران القضاء المنفذ إلى قبان، وفى أثناء الطريق وصل خبر عزيمتهم إلى الطوائف المذكورة فرحلت على الفور خوفاً على أرواحها والتجنوا إلى ظل عناية النواب نائب السلطنة ورعايته.

وبعد الفراغ من هذه الأمور، توجه موكب أصل النصر إلى خوى، وبعد قدومه إلى هناك، وصل الخبر بأن الجنرال مرقص قد أبدى لدولة روسيا أن الجنرال بطرويتش طورمصوف يتساهل فى أمر قيادة الجيش والمحاربة مع جيش إيران، وينفق كل هذا المال بلا فائدة ويهلك جنود روسيا، وأنه لو أعين وأنصب مكانه، فلسوف يصبح مصدر الفتوحات اللائقة، فعينت دولة روسيا أيضاً بالقيادة، وأرسلته. وبمجرد قدوم الجنرال المذكور إلى تفليس وتأكدته من عودة موكب النواب نائب السلطنة والسماح للجيش بالراحة فى ثكناته، وجّه جنرال ولاية بنبك إلى إيروان ومعه ثمانية آلاف من الفرسان والجنود وكلفه بأنه لو استطع أن يرذل الطائفة والرعية من هناك، وإذا لم يحصل على هذه الأمنية، يقوم بالإغارة على أموال وبواب أهالى إيروان ونهبهم أو يحصل على الغلة والأرز والشعير من الصحراء والملح من المنجم .

وفى تلك الأثناء ، وحيث إن ساحة إيروان كانت خالية من الجيش المنصور، فيصبح على أية حال مصدراً لأمر ما، فإن نائب السلطنة بمجرد سماعه لهذا الخبر،

عين مدفعية الركاب، التي صارت منتظمة على الطراز الإنجليزي وهي عاملة بالفرسان منذ عام ولم ير الزمان مثلاً، وذلك مع مستر لزي الذي كان معلمها ومنظمها، وأحضر أفواج الفرسان والجنود، الذين كانوا في المقدور، وعينهم. وتحرك الموكب العالي أيضاً من خوى [ص ٢٥٩] بعد ثلاثة أيام، وتوجهوا إلى إيروان كمهاجمين، وفي يوم قدوم الموكب العالي إلى منزل قبان باسان ماكو، وهي الواقعة بين خوى وإيروان، أوضحت الأخبار الصريحة أنه بعد قدوم الجنرال المذكور، صعد ثمانية آلاف شخص إلى أعلى الكنيسة، وقام بمقابلتهم من هذا الجانب أيضاً حسن خان أخو حسين خان القائد مع ألفين ومائتين شخص، الذين كانوا قد تجمعوا عنده من الفرسان والجنود، ومعه المدفعية الإنجليزية، وكان صوت موكب النواب نائب السلطنة المسعود قد ألقى الرعب أيضاً في قلوب الروس، فرحلوا من هناك في أثناء الليل مضطرين وطووا طريق العودة، وبمجرد قدوم القائد الجديد، الذي كان طالباً للفتوحات الجديدة، أظهر غاية الحذق في تعيين الجيش، وفتح أبواب الندامة والحسرة على وجه نفسه، وفر جنرال بنك وجيشه أيضاً بسبب هذه الحركة القاتلة من مواجهة ألفي شخص، وصار متوجهاً إلى مكانه، ولم يتعقبهم الجيش المنصور فهلك الكثير منهم في عرض الطريق بسبب برودة الجو والثلج الشديد الذي كان قد نزل. وعاد النواب نائب السلطنة أيضاً من منزل قبان باسان إلى دار السلطنة تبريز.

١٣٥- ذكر هجوم فتحعلي خان حاكم خوى وسلماس على « وان » ووضع تلك المنطقة :

ولما كان درويش باشا قد استولى منذ عدة سنوات سابقة على ولاية « وان » وأموال حاكمها السابق ، وكان قد صدر منشور الحكومة باسمه من قبل قرينة الشرف الدولة العلية العثمانية، فمنذ ذلك العام وحتى الآن لم يؤد خدمة مطلقاً للدولة العثمانية، وكان في كل وقت يكلف قائد عسكر من تلك الدولة على قارص، وقد صار أهل « وان » أبواب جمع جيشه، ولم يرسل شخصاً واحداً وتمسك بعذر حدودية إيران. وبعد ذلك، أصبح عناده وتمرده معلوماً لرأي مسئولى الدولة العثمانية، فعزلوه وحولوا حكومة « وان »

إلى عابد باشا وأوكلوها إليه، فأفحم [درويش باشا] عابد باشا وأعلن عصيانه وتمرده على هذه الدولة زيادة عن الحد والحساب .

وعلاوة على ذلك [ص ٢٦٠] كان طائر العنقاء يخطف أموال التجار الإيرانيين والمتردددين على "وان" أحياناً بحُجة المساعدة والابتياح وأحياناً دون حُجة، وعلى الرغم من وصف النصائح العديدة والتأكيدات البليغة فإنه [درويش باشا] لم يرد شيئاً من المال إلى أصحابه، ولم يكتف بهذه الأمور، بل مد يد الاعتداء والإغارة على بعض القرى الرومية وخوى ورعايا مساكنها. وكلما ظهرت أحواله الشاذة على الدولة العثمانية، لم تظهر الفائدة وساعت أعماله أكثر. وحتى الوقت الذي نزل فيه موكب النواب نائب السلطنة نزول الإجلال في سوق "تشالي قراباغ"، وبسبب جنونه وعدم تفكيره تصور اختلالاً في أمور الجيش المظفر، وكان خبر إصابة أمين باشا قائد الجند أيضاً قد أصبح الباعث على تيقنه باضطراب الجيش العثماني، فهاجم على حين غرة يحيى بك ورفاقه بمجرد قدومهم إلى هناك على طائفة تيمور آغا أخى إسماعيل آغا كبير طائفة شكاك الرومية وقتلوا تيمور آغا وأحد إخوته الصغار وعدة أشخاص آخرين .

وبعد عرض هذا الحال على بلاط صاحب الشوكة النواب نائب السلطنة أذن لفتحعلي خان القاجارى حاكم خوى وسلماس وعسكر خان الأفشارى أمير طائفة الأكراد الروميين بالرد على هذه الحركة الشاذة وتأديب درویش باشا؛ جزاءً لتمرده على الدولتين، فتوجهها المشار إليهما أيضاً مع جمع الأكراد الروميين والخوئين بغرض القصاص ، وقدا إلى المواقع التى تحت سيطرة يحيى بك والذي بمجرد إخباره، أرسل أمواله ورعيته ونساءه وأطفال مسلمى ذلك المكان إلى الأمكنة البعيدة والصعبة، ولم تكن له الفرصة لأن يُنقذ أطفال أرامنة ذلك المكان أيضاً من تلك الورطة، وحمل جمعه ودرويش باشا، الذى كان قد استعد من جديد بغرض الإغارة والنهب، وتوقف فى المكان، الذى كان يعلم أنه صعب، على رأس طريق السيل المفاجئ الجيش الجرار، ولكن بمجرد قدوم الجنود المظفرة، لم يحتمل حرارة المقاومة وهرب فتفسخ كيان جمعه عن بعضه البعض، وكان الفرسان المذكورون أيضاً قد وصلوا إلى نساء وأطفال الأرمن الذين كانوا زائدين عن العد والإحصاء [ص ٢٦١] وأسروهم جميعاً، ومن هذا المنطلق ، قُتِل أخوه إسماعيل آغا، وكان عرق حمية سائر الأكراد قد أخذ فى التحرك وفار دم

العصبية القبلية، ووقع مواساة الخاطر. وبعد ذلك، منح النواب نائب السلطنة مرة ثانية وطبقاً للمطلوب يس زاده عبد الوهاب أفندي سفير الدولة العثمانية الأموال الضخمة من أجل نفقات جالبي الأسرى من خزانة الرئاسة، واشترى الأسرى جميعاً، وردهم إلى أصحابهم لفرط مرحمة جبلته وطبعه. ولكنه أصدر القرار: "بأنه إذا ظهرت بعد هذا الحركة نفسه والفعل نفسه من درويش باشا وأتباعه، فيُجرى عليه وعلى عياله ما جرى نفسه ويُرذل وشم عار تمرده وعصيانته من على وجه الدولة العلية العثمانية، ويجعل عابد الباشا الآخر، وهو المكلف من قبل تلك الدولة، على حكومة "وان"، ويجعله مستقلاً في الولاية بمعاونة حماية النواب نائب السلطنة له .

ولأنه كان قد وصل من البلاط السلطاني، في أثناء توقف الموكب العالي في مرج "كُنبر" الفرمان المبارك، ومضمونه هو: "أن عبد الرحمن باشا [والى] بيان، الذى كان دائماً مستظلاً بظلال النولة الخالدة، ذهب إلى بغداد دون إذن وتصريح له وقتل سليمان باشا وزيرها، وكان قد أرسل الأموال الكثيرة وكثيراً من المدفعية من بغداد إلى كوى وحرير، وفي هذه الأثناء من ذلك الجانب أذل وأهان غالب أفندي رئيس الكتاب السابق في الدولة العثمانية وهتك حرمة بطريقه غير مناسبة لذكرها، وقتل أغلب رؤساء بغداد، ومن هذه الناحية أيضاً، فتح يد الاعتداء كثيراً على طوائف الكردستان وكرمان شاهان وغيرهما، وقد أصبح متصوراً تمرده على الدولتين بسبب جهله. فَيُعَيِّن النواب محمد على ميرزا من كرمان شاهان مع جيش الركاب وولاية كرمانشاهان والكردستان وغيرها لتأديبه ويجب أن يُعَيِّن من ناحية أنزريجان أيضاً أحمد خان مقدم أمير أمراء تبريز ومراغة وإبراهيم خان بيات رئيس حرس النواب نائب السلطنة [ص ٢٦٢] ومعهما الفوج عن طريق سردشت وتلبوش ويقصدا معاقبته هو وأتباعه".

فَعَيَّنَ النواب نائب السلطنة أيضاً بالفرمان السلطاني أحمد خان مقدم مع عشرة آلاف من الفرسان والمشاة وعدة قطع من المدافع. وبعد قدوم الموكب العالي إلى دار السلطنة تبريز، وصلت الأخبار المتوالية واتضح أنه بمجرد تحرك النواب محمد على ميرزا وعزيمته إلى السليمانية الموطن الأصلي لعبد الرحمن باشا، تشرف بحضور النواب الأمير خالد باشا الذى كان مسئولاً عن أمرها فوضع موضع الإنعام، وأرسل عبد الرحمن باشا محمد مصرف أفندي وزير بغداد أيضاً إلى حضور النواب محمد

على ميرزا، وأظهر قرار إرادة الفريضة على أساس الرضا وتقديم الشكر بسبب العفو عن تأنيب عبد الرحمن باشا، ولهذا عين النواب الأمير الفدائيين العراقيين وفوجاً آخر من الجيش المنصور على رأس عبد الرحمن باشا، ومنع أن يحوم أحد من الجيش المرافق للنصر حول رأس شعرة الإهانة والإضرار بمال وحال طوائف ورعايا الأماكن التي في عرض الطريق، وأن يعتبروا التمرد موضع أنواع العقاب والمحاكمة.

ومن ناحية أنرييجان، ذهب أحمد خان مقدم وإبراهيم خان بيات رئيس الحرس وسائر الرجال المكلفين إلى رأس طائفة عبد الرحمن باشا وأتباعه ووضعوهم بطريقة ما موضع القتل والنهب، بحيث فسخوا كيان جمع عبد الرحمن باشا عن بعضه، ولم يجدوا وسيلة لأمرهم سوى الطاعة والخضوع ودخلوا مضطرين من باب العجز، وأرسلوا ولدانهم مع رحلهم والهدايا اللائقة إلى حضور النواب الأمير، وأرسل النواب محمد على ميرزا رسوله إلى البلاط السلطاني وطلب العفو عن تقصيراتهم.

ومن ناحية أنرييجان أيضاً، أرسل النواب نائب السلطنة آصف الحضرة ميرزا أبا القاسم وزير الديوان إلى البلاط السلطاني واستدعى هذا المطلب نفسه فعفى الحضرة العلية الظل الإلهي عن قصوره السابق وجعل زلاته السالفة مقرونة بالعفو والإغماض .

وفي أثناء هذه الأحوال، توجه الأمير محمولى ميرزا وإلى خراسان أيضاً وبسبب التمرد والفساد [ص ٢٦٢] الذي كان قد شاهده من فيروز ميرزا وإلى هراة، بإذن وتصريح الحضرة العلية السلطانية مع فوج من الجيش إلى ناحية هراة ، وبمجرد أن استيقظ فيروز ميرزا من نوم غفلته أرسل ابنه مع الهدية اللائقة وطبقاً لطلب النواب محمد ولي ميرزا عفا الحضرة العلية عن جرائمه فافتخر بحكومة ولاية هراة كما كان .

١٣٦- ذكر معارك شيخ على خان وطائفة لكزية مع الروس وكيفية ذلك :

كان شيخ على خان [حاكم] "قبة" على الدوام مع أعوانه وأنصاره مشغولاً بالحرب والصراع مع الروس. وفي هذا العام جمع تجمعاً كاملاً من الداغستان. وكان قد شرد

محمد بك القاضي السابق لـ "تبرسران"، الذي كان على وفاق مع روسيا، بالضربات المتتالية من ذلك المكان، وجعل عبد الله بك من نفسه حاكماً وقاضياً على ذلك المكان. وبعد ذلك قام بمحاربة الروس مجتمعين في قبة، وأسرع الروس أيضاً لملاقاته، فأصبح كل ما يمتد من جانب كنجه وباكويه وشيروان الروسية تابعاً لقبه الروسية، ولم تُجد حيلته القذرة، وحتى الآن تنور الحرب والمعركة في الداغستان^(١).

١٣٧- في بيان إطلاق سراح عبد الله خان القاجاري من كنجه ورغبة الروس في الصلح بين إيران وروسيا :

يئس القائد الجديد لجيش روسيا من الاطلاع على الأمور في مملكة إيران، فأعلن التقرير وعلى نحو مفصل إلى دولة روسيا، بشأن تعيينه ثمانية آلاف شخص على إيروان في الوقت الذي كانت فيه خالية من المجاهدين، وفرارهم أمام الألفين، والقنلى الذين وقعوا من الروس في المنازل والبيوت على طوال الطريق، وفرار الجنود أفواجاً ومجيئهم إلى حضور باهر النور العالي والضربات اللانهائية التي وصلت إلى الولايات الخاضعة للروس من الجيش المنصور والتي ذكر تفاصيلها لم يحرر ولم يدون في هذا الكتاب، والخراب والقحط والغلاء الذي حدث لهذه الأسباب نفسها في الولايات المذكورة، والمعارك والفتوحات المجيدة المتوالية لشيخ على خان وطائفة لكزية، وكان قد أظهر [الجنرال مرقص] الندامة الكثيرة بسبب رغبته في الإقدام على هذا العمل الصعب. [ص ٢٦٤] وقد كتب إمبراطور روسيا أيضاً في خطابه: "بأن الوسيلة لهذا الأمر هو بالوفاق وليس بالمناوأة ويمكن رفع هذا الاضطراب وإزالته بالصدّاقة وليس بالعداوة، ويجب أن تبذل المساعي الحميدة بشأن السلام مع الدولة العلية إيران ولا تكن متحكماً" وسمح القائد المذكور أيضاً لعبد الله خان القاجاري، الذي كان بيرقلى خان القاجاري قد أرسله إلى شوشى قبل إطاعة إبراهيم خليل خان جوانشير للروس من أجل استمالاته، فقبض إبراهيم خليل خان عليه وسلمه للروس، وكان حتى هذا الأوان مسجوناً في كنجه،

(١) واضح أن معلومات المؤرخ عبد الرزاق الدنبلى عن المعارك التي حدثت في منطقة الداغستان بين المسلمين والروس غير كافية، أو أنه لم يرد الإفصاح أكثر من هذا الذي ذكره؛ حيث أشار إلى هزيمة المسلمين وخضوع أغلب مناطق الداغستان للسيطرة الروسية. (المترجم)

بالخروج من السجن وأحضره عنده، وأدى له لوازم المحبة والعطف والرحمة، وأرسله إلى حضور النواب نائب السلطنة مع رسالة الصداقة وكان قد ظهر بهذه الوسيلة في طريق أبواب الصلح والوفاق بين الدولتين، كما عين أيضاً مصطفى آغا القوزاقى من أجل أن يؤسس بناء أمر السلام مع حسين خان أمير أمراء إيروان وقائدها .

١٣٨- ذكر بعض التخريبات التي وقعت بقراباغ وبعض التدميريات التي حدثت للروس هناك :

إن مقرب الحضرة الحاج محمد خان المستوفى رئيس وحاكم قراجة داغ، الذى لم يكن له مثيل في الغيرة على الدين ولا شبيه له في خدمة الدولة وقد حرم على نفسه الراحة والسكينة مثل سائر الملذات الدنيوية ، وكان يعتبر أن لذة الدنيا والآخرة منحصرة في تقدم أمر الجهاد ، فقد كان يثير الغيرة في القاصي والداني ويشوقهم ويحرضهم على تعلم قضايا الجهاد. ولاعتماد نائب السلطنة الكامل أيضاً على المحصلة لأمانته وتدينه، فقد اختاره لرئاسة حكومة قراجة داغ ، وهى حدود الملك المحروس ، ومجاورة لقراباغ الخاضعة لسيطرة الروس. وهو يقضى أوقاته ليلاً ونهاراً في القضاء على الروس واستئصال أتباعهم .

والخلاصة، أنه جمع ولاية قراجة داغ، التي كانت متفسخة من بعضها منذ قديم الأيام، وقد دفع طائفاتها ورعياتها عموماً وطائفة "تشليبيانلو" خصوصاً للاستعداد دائماً لأمر المعركة والصراع مع الروس وأتباعهم. وفي هذا العام ذى الطالع الحسن، أخلف الأفكار والظنون، واستولى من ناحية على رأس طريق مواصلات الروس إلى كنجه وقرى [ص ٢٦٥] قراباغ، وأسّر المترددين عليه، وكان يستولى على خطابات الروس، التي كانوا يكتبونها لبعضهم البعض، حتى يطلع على خيالاتهم الباطلة وجزئيات أمورهم وكلياتها، ومن ناحية أخرى، كلف أهالي قراباغ بالهجرة والرحيل من هناك وكان يجعل كل واحد ممن قبلوا التكليف وأتوا إلى قراجة داغ، مرفه الحال وفارغ البال عن طريق نفقات الحياة وسائر النواحي من مال عزة رئاسة الديوان. وكان يضع

كل من كان يتمرد موضع النهب والقتل والأسر بقدر الإمكان، ويحرق بيوتهم ومحصولاتهم، وكانت الزراعة ممنوعة على الفلاحين. وبعد التأديب والمعاقبة، كان يأتي مرة ثانية إلى كل واحد من المعاقبين، وكان يشتري أسراهم من جالبيهم من مال الرئاسة ويردهم إلى أصحابهم، وكان يعطيهم نفقاتهم السنوية من مال رئاسة ديوان النواب نائب السلطنة. وكان يُرغب ويُشجع الجنود الروس بقدر القوة والاستطاعة، فكان يجعل كل واحد، كان يفر إلى جانبه، موضع الرعاية والمحبة الكاملتين.

ومن جملة أفكاره الجلية، تلك الواحدة وهي أنه كان قد كلف عدة أشخاص من طائفة أميرلو القراباغية، الذين كانوا قد أتوا مرحلين حديثاً. بحرق دار سلاح قلعة شوشى، وكان قد دخل الرجال المكلفون إلى داخل القلعة في أثناء الليل على طريقة اللصوص، وعلى الغفلة أوصلوا أنفسهم إلى بوابة "خليفة لو" الشوشية. وأضرموا النيران بالتدابير الصائبة في دار سلاح ذلك المكان، ولم يكتفوا بهذا العمل، بل أضرموا النيران في مخزن العلف الذي كان موجوداً داخل وخارج القلعة من أجل علق نواب العربات الروسية، وكانوا قد أحرقوا أيضاً بعض منازل القلعة .

وكان الروس قد اعتبروا أن هذه الجرأة والجسارة من قبل مهديقلی خان بن إبراهيم خليل خان حاكم قراباغ، وكانوا قد ظنوا بأن أهل المدينة مجتمعين قد هاجمهم، ولهذا السبب، كانوا يدفعون إلى القلعة المدافع الكثيرة من البوابة والبرج، وكان عدة أشخاص من الجنود، الذين كانوا وسط المدينة من أجل مهمة، يفرون إلى البروج، وفي عرض الطريق وصل إليهم لصوص أميرلو، فقتلوا منهم أيضاً عدة أشخاص [ص ٢٦٦] . والخلاصة أن المعركة قامت في تلك الليلة في قلعة شوشى وخارجها كما لو سيكون يوم بعث الروس.

ومن ضمن أفكار الحاج محمد خان تلك الواحدة أيضاً وهي أنه فكر لفترة في استمالة جعفر قلی أغا جوانشیر بن محمد حسن خان وهو حفيد إبراهيم خليل خان وطمأنة طائفة جبرئيلو وهم الذين كانوا أقاربه ومرتبطين به. وعلى الرغم من أن اطمئنان كل من جعفر قلی أغا وطائفة جبرئيلو كان يبدو للناظرين أمراً مستحيلاً ، وذلك لأن محمد حسن خان والد جعفر قلی أغا كان متخوفاً ومضطرباً لربما يوكل

الحضرة العلية الظل الإلهى ولاية قراباغ بعد وفاة إبراهيم خليل خان إلى "أبى الفتح" خان أخيه الأصغر والذي كان دائماً معتكفاً فى العتبة السلطانية ومشمولاً بالعواطف اللامتناهية، ويسبب اتهامه بالاستيلاء على جواهر الخاقان الشهيد السعيد بعد مسألة استشهاده حضرته فى شوشى ، ومع هذا الظن الذى ما كان بأن يقوم الحضرة العلية الظل الإلهى باسترداد الجواهر المزعومة ويسبب هذا الفكر نفسه، جعله خائفاً ومرتبجاً من الحضرة العلية الملكية ومتمرداً على الدولة الخالدة إلى الأبد كلية، كما جعل إبراهيم خليل خان بالإجبار والإكرام مائوساً باتباع روسيا ومبتلياً بمخالفة الدولة الخالدة، فوضع روحه ونفسه على رأس هذا الأمر. وعندما عزم إبراهيم خليل على قتل روس شوشى، أطلع جعفر قلى آغا بنفسه، بسبب جهله وعدم خبرته، [القائد] "مايور" وروس ذلك المكان عن ذلك القصد والنية، وأوصلهم إلى طريق منزله وعلى حين غرة إلى مخدع إبراهيم خليل خان والذي كان خارج المدينة ، وكان قد حرضهم على قتله هو وابنته وابنته وزوجته وجمع كان مقيماً عنده.

وكانت طائفة جبرئيلو أيضاً، فى أثناء عودة موكب النواب نائب السلطنة من معركة "خانشين قراباغ"، وكان [ولى العهد] قد رحل إلى وسط الطائفة ألفين من حملة بنادق فراهان وكزار وسواد كوهى حتى يرحلوا بمعاونتهم ويتوجهوا إلى قراجه داغ . فأرسلوا رسولهم وأحضروا الروس على غفلة وأخلى الروس من ناحية وطائفة جبرئيلو من ناحية أخرى الرجال الألفين من الخيول والأسلحة [ص ٢٦٧] ولهذه الأسباب كان خوفهم الكامل من الدولة العلية وميلهم إلى الروس.

ومرة ثانية، أيقظهم الحاج محمد خان من نوم الغفلة بتكراره لهم الرسائل والمواظم المقبولة، وجعلهم منزجرين ومتأذنين من الروس ومطمئنين ومستمالين من هذه الدولة [إيران] ، وفكروا فى الرحيل من قراباغ وخدمة الدولة العلية وصار هذا السر الخفى معلناً ، وعلم روس شوشى بهذه النية فحبسوا جعفر قلى آغا ولطف على جبرئيلو مين باشى^(١) بلطائف الحيل، وبمجرد اطلاع محمود آغا شيخ جبرئيلو على أسرهم، هرب وأوقف الطائفة فى مكان شديد وصعب والذي كان مشتملاً على غابات كثيرة،

(١) مين باشى : كلمة تركية وتعنى رئيس الألف ، قائد الألف .

وأوضح الوضع والحال على الحاج محمد خان الذي عرض الأوضاع على النواب نائب السلطنة. ولأن روس قراباغ كانوا كثرة وكان جمع كثير منهم متوقفاً بالقرب من طائفة جبرئيلو ، وكان لهم الاهتمام الكامل على أن يخضعوا الطائفة وتستولي كل عشر أسرات على أسرة واحدة كرهينة ويحملوها إلى قلعة شوشى، ويرسلوا جعفر قلى آغا أيضاً مع فوج من الجنود والفرسان إلى تفليس ومن هناك يرسلونه إلى بطرسبورج. ومن أجل هذا أُلح الحاج محمد خان كثيراً وطلب من بلاط النواب نائب السلطنة أن يتحرك إلى ناحية قراباغ ويخلص جعفر قلى آغا وطائفة جبرئيلو من ورطة الهلاك .

١٣٩- ذكر تحرك النواب ولى العهد من تبريز وتوجهه إلى قراباغ :

فى ذلك الأوان، وحيث كانت تصل عرائض الحاج محمد خان المتوالية، اشتد هواء الشتاء إلى درجة كبيرة، وكان قد أُصيب المزاج المبارك للنواب نائب السلطنة بالمرض المزمّن وحيث كان المستر "كمل" الحكيم الإفرنجى يعالجه ، وكان يعتبر أن تقليل عدم الحيلة من البرد يزيد المرض بون العلاج، وكان يُبالغ كثيراً فى منعه من سفر الشتاء.

وبالمصادفة، مرض ميرزا الكبير القائم مقام وأصف الحضرة ميرزا أبى القاسم خلفه العزيز الذى كان مُدبر أمر الرئاسة والديوان ، وينبغى أن يقوم بتهيئة وإعداد لوازم الرحلة والسفر ، وكان قد توفى ابن آخر للقائم مقام، وهو المسمى بميرزا حسين [ص ٢٦٨] ولم تكن كمالاته الصورية والمعنوية وجدارته ولياقته أقل من ميرزا حسن ابنه الذى كان قد هلك فى العام السابق، مع طفل آخر من المشار إليهم. فتجدد أثر وجرح ميرزا الكبير وميرزا أبى القاسم، وجعل مصيبتهم بلا حد ، وبسبب نزول هذه المصائب المتوالية، عجزت الأيدى عن العمل والألسنة عن الكلام ، وكان جمهور القائمين بالأمر جميعهم مُعينين لقلوبهم المحترقة ومؤنسين لليااليهم ونهارهم، وكانوا قرناء التؤهات والنواح بسبب هذه المسائل المحزنة. وكان قد تم السماح لأغلب جيش الركاب أيضاً بالانصراف على النظام الدائم للسنوات السابقة بسبب حلول الشتاء ، وتوجهوا إلى العراق وسائر أوطانهم، وكُف العدد الذى كان باقياً على إيروان بحراسة ذلك الإقليم .

ولأن قلعة "أخلسكلك" بأخسقه كانت مجاورة لإيروان، فقد دخلت على حين غرة في نفس تلك الأيام تحت سيطرة الروس، وكان القائد حسين خان أمير أمراء إيروان قد فكر في الاعتداء على الروس ومعه طائفته ورعيته التابعة له ، وطلب فوج الجند وعدة قطع من مدفعية الفرسان الإنجليزية، وكان قد جعل أيضاً جنود الفوج الخوئي والآرومي والكنكرلوي جيش تجمعه. ولم تكن عدة جيوش ملتزمة الركاب العالي، وعلاوة على ذلك ومع هذا، كانت قد مُنحت لنفقات نائب السلطنة ما يزيد عن المائة ألف تومان من العملة الذهبية من الخزانة السلطانية العامرة ، وذلك غير مرتبات مجاهدي الركاب وضرائب أنريجان، ومرة ثانية وبالنظر إلى نفقات قيادة الجيش وإدارة الحدود لم تكن موجودة أموال من أجل نفقات هذه الرحلة في خزانة الرئاسة والولاية^(١).

وكان النواب الأمير عبد الله ميرزا أيضاً، الذي كانت محبته الأخوية بالنسبة للنواب نائب السلطنة يمكن أن تكون قاعدة عمل إخوة العهد وأبناء الزمان، قد قدم من خمسة إلى تبريز كمستفسر عن حال ذي العاقبة الميمونة، وبعد الإلمام بنية الأخ الأصغر، أصر وأبرم كثيراً على رحلة الشتاء على الرغم من وصف مرضه المزمن إلى درجة أنه ربما كلف نفسه بالسفر. ومرة ثانية فسخ نائب السلطنة عزيمة السفر بناءً على وفرة غير طبعه [ص ٢٦٦] الغيور بمجرد اطلاعه على أسر جعفر قُلى آغا واضطراب حال طائفة جبرئيلو وتشتتها، وتيقنه من أنه إذا لم يتوجه نائب السلطنة بنفسه النفيسة، فإن الروس بلا شك سوف ينقلون إلى تفليس ومنها سوف يرسلونه إلى ولاية "سيبيريا" وحيث لا يمكن عودته من هناك، وسوف يقضون على طائفة جبرئيلو ويستأصلونها. ولم يعتبر النواب عبد الله ميرزا وسائر الموانع عائقاً ومانعاً من أجل سفره المبارك ، وفي الثاني عشر من شهر محرم الحرام تحرك متوكلاً على الله من تبريز عازماً مقصده من منزل إلى منزل .

وفي ذلك الوقت، وصل إلى مقيمي بلاط صاحب الشوكة خير فرار جعفر قُلى آغا وكيفية ذلك التقرير كانت هكذا: "إن الروس قبضوا على جعفر قُلى آغا وأركبوه على

(١) يشير هنا المؤرخ عبد الرازق الدنبلي إلى المصاعب المالية التي كانت تواجه عباس ميرزا ولي العهد في حربه مع الروس ، وحيث كانت نفقات تلك الحرب محل خلاف بين السلطان فتحعليشاه - بسبب بخله - وبين ولي عهده. (المترجم)

جواد دون أن يضعوا قيداً في يده ورجله وأوقفوا لحراسته رسولاً حارساً ومعه خمسة أشخاص من جنود روسيا، لكي يوصلوه إلى قلعة كنج، وفي أثناء العبور من نهر "ترتر"، يتفرق الجنود على شاطئ النهر كي يستكشفوا طريق العبور، وكانوا يراقبونه من قريب ومن بعيد، فوجد جعفر قلى آغا الفرصة، وقطع لجام جواده الذي كان في يد أحد الجنود واستولى بيده على جناح الحصان، وساق الجواد الفار بالمهماز أيضاً وعبر من وسط المياه كالريح وعض الحراس الروس أصابع تأسفهم بأسنان الحسرة بسبب تأخرهم، وفي سرعة كاملة، عقد حبل نجاة قلبه من ساحة الخوف والخطر بقوة طالع عطاء الله ووصل بنفسه إلى طائفة جبرئيلو، وفي ساعة وصوله، أرسل رسوله إلى خدمة نائب السلطنة وعرض كيفية فراره على الواقفين في حضوره، وأصدر الأمر لطائفته بالرحيل في سرعة، وسعد نائب السلطنة وسر بسبب نجاته والتي كانت المقصد الأصلي لمشقة سفر ذلك الشتاء المتعب، ووضع رُسله موضع الإنعامات والخلاص الفاخرة، وأمر بمنحه أربعة آلاف تومان للرواتب والمقررات علاوة على حكومة قراجه داغ.

وفي الساعة نفسها أصدر الأمر وقرر بأن يتوجه الرجل بعد عبوره [ص ٢٧٠] نهر أرس إلى "أصلان بوز"، وأن يقوده من هناك إلى رأس حصن الروس في "سلطان بود" الذي كان واقعاً بين شكى وشيروان وشوشى وكنج، وأمر بالنزول في الرحلة الثالثة على بعد ثلاثة فراسخ من سلطان بود. وأصدر الحكم لأميرخان القاجارى والحاج محمد خان وفرسان تشاربولى والأفشار ومقدم وقراداغى وذلك بأن يلحقوا بطائفة جبرئيلو وعشيرتها، ويرحلوها هي وسائر طوائف قراباغ من الغابات والأدغال ويعبروا بهم من نهر أرس، ويجعلوا كل متمرّد ومتخلف عُرضةً للقتل والأسر.

١٤٠- بيان تحرك ولى العهد إلى حصن سلطان بود ووقوع معركة عظيمة مع الروس وتحقق النصر للجيش المنصور :

كان "سلطان بود" مكاناً واقعاً وسط قراباغ وشكى وشيروان، وكان الجنرال "مرقص" قائد الروس قد أحكم حصنه، وقد ترك به مايقرب من ألفين أو ثلاثة آلاف من

شجعان روسيا ومحاربيها، وتوجه هو نفسه لاستمالة مصطفى خان الشيروانى ومصطفى خان الطالشى.

وفى صباح ذلك اليوم، الذى كان أوله طلوع شمس الظفر وموعد أفول كوكب إقبال العدو المشئوم، عزم نائب السلطنة على الحرب ومعه المدفعية والأفواج القاهرة من الجند وبقية الفرسان على المعركة. وبمجرد وصوله انشغل أولاً: المدفعيون بإطلاق القذائف المحملة بالنيران الصاعقة، فتفرقت صفوف الروس، التى كانت قد انسحبت إلى خارج الحصن، بسبب ضربات المدفعية المدمرة لجبال البرز، وتفرقت أفواج المشاة التى كانت مستعدة ومجهزة للمعركة. وهجموا عليها فوجاً بعد فوج، وارتفعت من كلا الجانبين نار البلاء، ووقعت المعركة بين مشاة الجانبين لمدة أربع أو خمس ساعات، وقُطعت أحبال أرواح الطرفين بمقراض الفناء، وتمزقت الصدور من ضربات دانات المدافع والبنادق المدمرة لجبال البرز وبسبب غوغاء المعركة صار كهول يوم المحشر باهراً على الجميع.

وفى ذلك الحال كلف نائب السلطنة المستر "لزى" قائد المدفعية الإنجليزية ومعه طاقم ومدفعية تبريز وذلك بأن يحركوا من كل جانب قطع مدفعية الأقعى ذات الهياكل الفلكية السريعة على رأس الروس، وقد عمل المدفعيون بموجب [ص ٢٧١] الأمر الصادر، ورفعوا قطع مدافع الأقعى المهابة إلى رأس حصن الروس وأمطروهم بالشرر الملهب والصخور الأبرزية المتساقطة. وفى الوهلة الأولى، أخذت مدافع الروس وعرباتهم فى التصويب، فتحطمت آلات وأخشاب العربات الروسية وتناثرت إرباً إرباً بسبب ضربات قذائف المدافع المدمرة للصنجر، فيئس من نعمة الحياة خمسة أشخاص من مدفعى الروس المشعلين للنيران بسبب قطع أخشاب العربات، وحطمت قذيفة المدفع فوهة أحد المدافع الروسية ذات الشكل الشيطانى ورفعت فوهته بحيث لم تزار [المدفعية الروسية] مرة أخرى فى وجه الجيش المنصور، ولم تجرؤ على العريدة والغليان والصراخ.

والخلاصة، أنه بسبب هذا التصويب الدقيق والرماية الماهرة، بقيت أسطورة القدر المنزل ذكرى فى أفواه العالم، وضيقوا الأمر على الروس، بحيث إن كل شخص كان يخرج برأسه من وسط الحصن، كانت قذيفة المدفع تجتثه من قدميه.

ومن الناحية الأخرى، هجم أولاً فوج الأبطال على الحصن ومن بعدهم إبراهيم بك مع فوجي جند تبريز وجعفر قلى خان ومعه جند مراغه وميرزا أحمد ، ونظر على خان ومايوركرشت ومعهم عدد من أفواجهم التي كانت حاضرة هناك، وتقدموا بالحرب إلى الداخل على النظام الإفرنجي وبون تفكير وتأخير دخل فوج كبير من الجنود الروس في سلك الأسرى مع أحد أفراد مايور المصوب العظيم وعدة قبطانات والأفيال الهائجة العارضين للحرب التي لها شكل الأقاعي، وأحضروا عدة قادة آخرين مصابين وأحياء كثيرين .

ولما رأى الروس أبواب البلاء مفتوحة على وجوههم وقادتهم العظام مقتولين ومصابين، انسحبوا بأنفسهم خوفاً إلى أحد أطراف الحصن، وتروح مهديقى خان جوانشير حاكم قراباغ مع فرسانه إلى الغابة، فكان هول معركة النكران، وبسبب مشاهدة أبطال الروس هلاكهم وجدوا الفرصة وفروا من سلطان بود، وأصبح بعض من رفاقهم أسرى الجيش الصائد للأسود.

ولما علم ولى العهد بأن تحرك الروس كان حركة مذبوحة ، وأنه قد غلب عليهم العجز والفتور.[ص ٢٧٢] فأطلقت الراية البيضاء ، التي كانت علامة الأمان بين الفرنجة، طبقاً للأمر الأشرف، وأصدر الأمر للمدفعيين والجنود بالتوقف عن القذف، وأرسل أحد الأسرى إليهم، وأعلن على تلك الجماعة: "بأنه إذا سلموا مدافعهم وأسلحتهم وتقبلوا الطاعة، فليسوف تكون أرواحهم الحلوة مُصونة ومأمونة من ضرر الجيش ونيران مدافع جهنم، وإذا استمروا فلن يتأهبوا للموت إلا وجميعهم طعمة للمدافع النائرة للنيران وفجوة لحراب البنادق، ولن يسلموا من نيران المدافع المحرقة للعالم ومن هجوم الجند المشعلين للنيران" ولما رأت جماعة الروس الموت عياناً والنجاة من تلك الورطة المهلكة مستحيلة، فقد أيقنوا بأنهم إذا أظهروا التمرد والتنمر أكثر من هذا، فسوف يتعرضون جميعهم للهلاك وسوف يصبحون هدفاً لقذائف المدافع والبنادق، واعتبروا أن الحصول على الأمان نعمة لا حد لها، وحضر القبطان الكبير إلى صاحب الرحمة وتوسل بذيل الأمان، فأصدر النواب نائب السلطنة الأمر إلى القائم مقام بأن يذهب إلى وسط حصنهم ، ويأمن ينقلهم بجميع الأسلحة والأنوات والأعلام والبنادق والسيوف وترسانة السلاح ويحضرهم إلى حضرته ، وذهب القائم مقام إلى وسطهم مع

شخصين أو ثلاثة، واستسلموا جميعاً للطاعة بسبب رؤيتهم لأسلوب حضرته الكريم، وقد جعل حضرته الشريفة أفراد تلك الجماعة مطمئنين ومشمولين بعفو وأمان كافة أنواع إحسان خديو العهد اللامحدود وحضرة نائب السلطنة العلية. وأوصلوا إلى خدمة زحل الرفعة قطعتين من المدافع المحطمة لجبال البرز وعلمين من رايات العقاب وهما الشارة الخاصة بدولة روسيا مع شارة مايور الكبير وجميع أسلحة الجنود من البنادق والسيوف وترسانة الأسلحة والقبطانات والمهندسين والمحاربين ومعهم ثمانمائة وعشرون جندياً، وكان مايزيد عن المائة وثمانين مصابون منهم ومرروهم من على نظر الأمير العافى عن الجرم، فألبس تلك الجماعة خلعة الأمن والأمان وكرمهم بالعفو والاطمئنان، وأصدر الأمر إلى الجراحين بأن [ص ٢٧٣] يعتنوا بجرحاهم، ولا يفرقوهم من العساكر المنصورة، ورفض أن يدفنوا قتلهم على طريقتهم، وأرسلهم فى ساعتها إلى بلاط فلك اقتدار الحضرة العلية السلطانية. ولكن من ذلك الجانب، استدعى أمير خان مع العساكر المنصورة ودليل جعفر قلى آغا حماية وصيانة الحضرة العلية السلطانية على أنفسهم؛ لأنه فى تلك الأثناء كان قد استولى لواء قيادة المدافع والبنادق على أماكن الطوائف، وكانت كل أسرة قد انزوت فى هذا المرتفع واختفى كل جيش فى خيمة فى فجوة جبلية بسبب الخوف وغلبة الرعية جميعها عليهم، ورحلوا منهم ستة آلاف أسرة دون حرب وجدال وأرسلوهم إلى مقربة من قراجه داغ، وحضر أمير خان وجعفر قلى آغا إلى ركاب النصر نائلى مرامهما، وحصلا على كافة أنواع إنعام وإحسان نائب السلطنة .

ولما كان روس قلعة "بناه آباد" أيضاً قد أرسلوا أربعمائة فرد من الجنود ومدفعاً واحداً لإمداد المحصورين والمقتولين والرجال المكلفين من الروس فى "سلطان بود"، فأوصل حراس جيش الظفر، الذين كانوا فى طريق "عسكران" أخبارهم، فأمر نائب السلطنة أمير خان بصيدهم، وبمجرد قدوم المشار إليه، رأى الروس صورة استئصالهم وإبادتهم فى مراة خوفهم وفزعهم، فسحبوا أنفسهم إلى قلعة "ترناؤوت"، وانشغل أمير خان بمحاصرتهم، وفى اليوم التالى، هجم نائب السلطنة بجمعه على رأسهم، وفى تلك الليلة نفسها، هرب الروس من هناك وسط البرد والأمطار والبرودة الشديدة، وسحبوا أنفسهم إلى جبل "جمرق"، وقام جيش ملجأ النصر بتعقبهم وتتبعهم حتى سفح الجبل، واستولى منهم على عدة حراب، ورجع.

وكان "جنورمايور"، وهو أحد أبطال الروس المشهورين، قد قُتل في اليوم السابق بإصابته بقذيفة المدفع، وكان له زوجة في سلطان بود، وعلى الرغم من أنها كانت حمراء، وعندها من الأموال اللامحصورة، فإنه عين شخصاً بمقتضى حفظ الشرف ورعايته له من أجل أن يُوصل زوجة "جنور" ومعها المال والذهب المسكوك إلى قلعة [ص ٢٧٤] شوشى، ويعود.

وتحرك نائب السلطنة من هناك، وقدم إلى مقربة من "ترناؤوت" في وقت الغروب، وعين فوجاً من أجل مهاجمة ترناؤوت. ولم يهتم الرجال المكلفون بالهجوم بعد، دُ عُرِضَ على الرأى الساطع الضياء بأن الروس فروا في ظلام الليل من "ترناؤوت"، وأرجسوا أنفسهم إلى الغابة، وعادوا عن طريق جمرق، الذى كانت صعوبته وشدته بلا حدود، إلى ديار العودة مشردين. وفى اليوم التالى، تحرك [ولى العهد] من هناك، وقام بقصد صد الروس وطردهم ولم يحتمل روس ذلك المكان حرارة المقاومة، وساروا إلى شوشى من جبل إلى جبل، ورحل الأرمن سكان ذلك المكان وتوجهوا إلى ساحل نهر أرس، وبعد هروبهم وصل الخبر بأن الجنرال مرقص القائد الروسى، الذى كان قد رحل من أجل إخماد ثورة شيخ على خان حاكم قبة ولكزية الداغستان ولاستمالة مصطفى خان الشيروانى، واطلع على قتل الروس وأسرههم ووقائع سلطان بود، فعوقته الأعمال المدونة، ورجع دون نيل مرامه يائس الفكر مثل الطالع المقلوب من الطريق الذى كان قد ذهب منه، وحمل الجمع الذى كان قد تركه على شاطئ نهر "كر"، وعبر بسرعة فائقة من النهر وقدم إلى قراباغ.

فاشتاق ولى العهد اشتياقاً كاملاً إلى محاربته وصمم على مقابله، وفجأة وصل الخبر بأن مرقص قائد روسيا، لم يتحمل حرارة التوقف فى قراباغ بسبب خوفه من حرب ومعركة الجيش المنصور، وكلف الجنرال "كتلارسكى" بالتوقف فى قلعة شوشى، وتحرك هو نفسه من هناك وتوجه إلى تفليس. ولأن ضربات جيش معجزات النصر فى تلك المناطق لم تكن تبقى ساحة رايات قراباغ الفسيحة عامرة، ولم تكن توجد مؤن الجيش فى تلك المناطق، فقد عبر الموكب العالى نهر أرس، وألقى برحل الإقامة فى "أصلان دوز"، وقام بتنظيم مهام وشئون جعفر قلى خان جوانشير وطائفته، وزين

صدور وأكتاف جميع الأعيان كل على قدر مراتبهم بالخلاص الفاخرة، وفوض حكومة "قراجه دا" إلى جعفر قلى خان على النحو الذى كان قد وعد به الحاج محمد خان [ص ٢٧٥] وقرر له أربعة آلاف تومان على هيئة رواتب سنوية لنفقاته .

ومع أن هذا القصد والمعنى كان ظاهراً وواضحاً على الرأى الصائب؛ لأنه بعد هذا الفتح العظيم إذا عزم على قلع مادة فساد روس شكى وإيروان وغير ذلك، قلن يكن لأحد قط قدرة على النهوض وسيخضع الولاية المذكورة فى سهولة كاملة، ولكن بما أن تلك المنطقة وما حولها صحراء كلها وكان ادخار المؤن فى ذلك الإقليم خارج عن حيز الإمكان وحجم المدخر، والذى كان قد أدخر من أجل استهلاك جيش عاقبة الظفر فى "أصلان بوز" يجب أن يصل إلى استهلاك قوت من لا يموت أى جميع الطائفة والدواب، وتحبى جميع هذه النفوس، ولهذا منح الذخيرة المذكورة إلى الطائفة المشار إليها، وأظهر هذه الرعاية من أجل استهلاك كل هذه الولاية.

وتحرك من هناك، وقصد تبريز، وقدم إليها الموكب العالى بالنصر والميمنة قرينة الفتح والنصر، وجعل النواب نائب السلطنة الوضيع والشريف من الجيش والرعية موضع الإحسان والرعاية، كما جعل كل واحد من المجاهدين والفدائيين، الذين قد كانوا مصدر الخدمات والأعمال فى معركة سلطان بود - مشمولاً بكمال الإحسان والإنعام الواسع. ووظف نساء وأطفال وورثة القتلى طبقاً للنظام الدائم على رواتب ومقررات آياتهم وأسلافهم المقتولين. وفى إزاء هذا المرسوم لم يفوض بخدمة وعمل إلى أحد قط .

١٤١- نكر تكليف أحمد خان مقم وعسكر خان الأفشارى بتأديب مفسدى بلباس :

عندما وصل إلى المقام العالى بأن طوائف بلباس قد فتحو أبواب عدم الاعتدال على وجه أهالى "سلدوز" وملا يد الاعتداء والتطاؤل على مساكن قلعة "صاين" فقد كلف أحمد خان شيخ أنريجان وعسكرخان الأفشارى بتأديبهم، وفى ذلك الأوان تمت معاقبتهم وتأديبهم، والذى صار باعثاً على عبرة الآخرين، فمن بعد ذلك لن يصل إلى أحد ضرر وإهانة من طوائف بلباس وسوف تصبح كل الطائفة المذكورة سالكة لروب الطاعة. [ص ٢٧٦]

١٤٢ - وصول أخبار معركة الوالى ألكسندر ميرزا مع الروس ومخالفة أهالى

قسق معهم، ومطالبة قائد الروس مرقص بالسلام :

وفى ذلك الأوان نفسه قدم عدة أشخاص من أحفاد الكرجستان إلى الوالى ألكسندر ميرزا الذى كان متوقفاً فى إيروان، واتضح من قرار أخبارهم بأنه بمجرد وصول الخبر المزيد للبهجة وهو فتح سلطان بود وقتل الروس وأسرههم فى ذلك المكان، تجرأ أهالى "قسق"، الذين كانوا قد ضاقت أرواحهم من تعديات الروس عليهم، وقدموا إلى الكرجستان وتعاونوا مع بعضهم البعض فى التمرد على الدولة وقتل الروس فى ذلك المكان، وبالاتفاق انصبوا على رأس الروس حراس ذلك المكان وقتلهم جميعاً على حين غرة، وأصبحوا متمسكين بالدولة القاهرة. وقد قام حسين خان قائد إيروان أيضاً فى ذلك اليوم نفسه بنهب وسلب بنك وشوره كل والاعتداء عليها وقتل وأسر القليل والكثير من جنود وفرسان القوزاق الذين قابلهم فجأة فى عرض الطرق، وقد ضاقت أرواح جنود روسيا وفروا تدريجياً ، وكانوا يقدمون إلى بلاط صاحب الرحمة. وبسبب مشاهدة هذا الحال، اضطربت أحوال "مرقص" قائد جيش روسيا، وقد رأى أن وسيلة الأمر منحصرة إما فى وساطة الجنرال "ليسانويتش" حارس شوره كل وبينك الذى كان متوقفاً فى ذلك الإقليم منذ بدء قدوم الروس إلى حدود إيروان أو كان مرتبطاً ببعض الناس الدون الأذلاء والتجار الذين لا أساس لهم ولا وضع من المترددين على قراباغ وتقليس، وقد وضع فى الظاهر بناء الصداقة مع مسئولى الدولة العلية. وفتح الجنرال المذكور طريق التردد والرسل والرسائل بوساطة الحاج أبو الحسن خان الإيروانى الذى كان فى تلك الأثناء متوقفاً فى شور كل ومشغولاً بمعاملاته التجارية، كما أرسل القائد المذكور أيضاً عبد الله خان القاجارى إلى أرغورلوخان على النحو الذى نُون من قبل مع والده أرغورلوخان بن جواسخان القاجارى حاكم كنج الذى كان يمر بأزمة بعد قتل جواسخان فى كنج، وأرسل فى صحبته أيضاً العريضة المختلطة بالمحبة والصداقة .

وفى تلك الأثناء توجه القائد المذكور إلى بطرسبورج بناءً على طلب إحضاره من قبل دولة روسيا وتعيين مكانه الجنرال [ص ٢٧٧] "رديشتشوف"، الذى كان له درجة التفوق والأفضلية الكاملة على الجنرال "مرقص" ، وقدم إلى تقليس. وكان نائب السلطنة

فى ذلك الأوان والذى كان نهاية فصل الشتاء، قد قام بتهيئة وإعداد لوازم فصل الربيع، وقد نظم من بين ذلك عدة قطع من المدافع المصممة على نظام العسكرية الحديثة التى كانت قد انتظمت فى هذه السنوات متضمنة على بعض طرق ونظم دولة إنجلترا.

ولأن مصطفى خان الطالشي، كان قد أحضر فوجاً من الروس إلى لنكران بسبب سوء حظه، وأعلن عياناً التمرد والعصيان على الدولة توعم الخلود، فوجه إليه سيد كاظم، الذى كان مشهوراً بالفضيلة والتقوى وملتزماً بحضور صاحب المروعة ومن جملة بنى أعمامه، من أجل استمالاته وإتمام الحجة عليه. وبالمصادفة وقبل قدوم سيد كاظم، كُف الشيخ على الكيلانى أيضاً، الذى كان علمه وصلاحه فى كامل الشهرة، من قبل صاحب الشرف الملكى إلى تلك الحدود، ويأس من استمالاته ورجع، ورجع سيد كاظم أيضاً على المنوال نفسه، ولم تؤثر كل هذه الحُجج مطلقاً على حاله.

١٤٤- وصول النوروز المنتصر للعام المبارك سنة ألف ومأتين وثمان^(١) وعشرين هجرية، ومطالبة القائد الجديد رديشتشوف بالسلام بواسطة السير جورأوزلى سفير دولة إنجلترا :

لقد وصل النوروز المنتصر، ووصلت الخلاع الفاخرة والإنعامات الوافرة فى مقابل فتح "سلطان بود" من البلاط السلطانى من أجل النواب نائب السلطنة والفدائيين. وحضر أسرى الجنود [الروس] أيضاً الذين كانوا قد وُضِعوا محل إنعام نائب السلطنة، وانسلخوا فى سلك فوج الأبطال الروس. وقد تقرر مأتى ألف تومان نفقات أيضاً كإنعام فى كل عام لنائب السلطنة، وأصدر الأمر بأن تُعتبر أربعة آلاف جندى بالإضافة إلى الجند الأذريين السابقين أبواب جمعه (جيشه المقرر)، وقد عمل نائب السلطنة طبقاً لما هو مقرر .

(١) الواقع أن صحيحها سبع وعشرين لا ثمان وعشرين ، وذلك لأنه يوجد خطأ فى ذكر السنوات فى الكتاب نفسه فبعد ذكر سنة ١٢٢٦ هـ قى ذكر بعدها سنة ١٢٢٨ المقصود سنة ١٢٢٧ ، ثم ذكر كما سنرى فيما بعد سنة ١٢٢٩ هـ مكررة فتكون الأولى صحيحها ١٢٢٨ هـ ، والثانية ١٢٢٩ هـ كما هى . أما عن ترتيب الأحداث فهو صحيح كما ورد فى النص . (المترجم)

وقد أرسل دريشتشوف القائد الجديد للروس القائد المدعو "فريقان" إلى السير جوراوزلى بروننت السفير الكبير لدولة [ص ٢٧٨] إنجلترا، وكتب له رسالة موضحة ذلك: "على الرغم من أن عهد الصداقة والاتحاد لم يصبح محكماً حتى الآن فيما بين الدولتين روسيا وإنجلترا ، وبما أن حال دولة فرنسا في خصومة كاملة مع كل دولة، فبالضرورة سيصبح أساس الوفاق والعدل بين هاتين الدولتين محكماً في هذا الأوان نفسه، ولهذا السبب نفسه كُلفت من قبل دولة روسيا بأن أضع بناء الصداقة بتوسطكم مع مدبرى أمور دولة إيران، وفي هذا الشأن وطبقاً لأمر إمبراطورنا، كتب إليكم السفير "سجليسا"، وهو صديق لكلا الدولتين، رسالة من بطرسبورج بأن توقعه في العام الماضي^(١) أن تظهروا في هذا الأمر لوازم الرجولة والثبات." وقد عرض العريضة أيضاً التي كانت في صحبته أمام الحضور الباهر النور العالى.

وعلى التعاقب، أرسل [رديشتشوف] "بابوف" رئيس حراسه ومعتمه بالاتفاق مع الحاج أبى الحسن خان الإيروانى، الذى كان متوقفاً فى تقليس على عادة التجارة، إلى بلاط صاحب الفلك، وكان قد أبلغ جواب عريضة القائد السابق فى صحبة عبد الله خان القاجارى ورفاق والده أرغورلوخان المشار إليه. وعرض العريضة المشتملة على الاشتياق إلى الصلح والوفاق بين الدولتين ، وكان قد أوكل كيفية ما فى الضمير إلى تقريرهم .

ولأن السفير الكبير لدولة إنجلترا، الذى كان قد توجه من دار الخلافة طهران عازماً دار السلطنة تبريز إلى حضور نائب السلطنة، لم يكن قد قدم بعد، فقد توقف مبعوثو قائد روسيا عدة أيام انتظاراً لقدمه، وبعد ذلك حضر السفير المشار إليه إلى تبريز وصار موضع العناية والرعاية على الطريقة التى كانت لائقة وجديرة به، ووجد القربة الكاملة فى خدمة سماء الرفعة، وتحقق له من القرار السلطانى الصادر إلى درجة أن الاهتمام به قد وصل إلى حد الكمال فى رئاسة ديوان زحل المقتدر. وصدر الإذن والتصريح أيضاً من قبل صاحب شرف الدولة العلية بمحادثات السلام بين دولتى

(١) صحيحها : فى العام القادم . (المترجم)

إيران وروسيا. وقد أوصلوا شرح رسالة الجنرال رديشتشوف قائد روسيا والسفير
سجليسا إلى النظر العالي، وأخذوا الإجابة ورجعوا. [ص ٢٧٩]

١٤٤- ذكر قدوم الرايات الملكية إلى مرج سلطانية وبيان سائر الأحوال :

وفى أثناء الربيع، تحرك اللواء السلطاني الطاحن للفلك من دار الخلافة طهران،
ونزل نزول الإجلال مع جيش معجزة النصر إلى مرج "سلطانية" وأرسل تجهيزات حملات
الجيش وقانون عمل فتح البلاد إلى كل واحد من الأمراء الذين كانوا يحكمون ويتأمررون
كل فى حدود مملكته. ومن بينهم كلف النواب محمد ولى ميرزا والى خراسان بأن يهتم
اهتماماً كاملاً بأمر التركستان، فكلف النواب المشار إليه محمد خان القاجارى مع فوج
من المجاهدين على ذلك الإقليم. وأصدر الأمر إلى إبراهيم خان هزاره ويلنك بوش خان
الجمشىدى مع جمع غفير من جيش أبواب جمعهم كى يسيروا حتى حدود "ميمند" إلى
أحمد خان والى بخارى، ويكلفوه بالإطاعة والخضوع وترك التمرد. وعمل محمد خان
أيضاً على النهج المقرر. وتمرد أحمد خان، واصطف لمعركة القتال مع اثنى عشر ألفاً
من جيشه المنتخب، وضغط محمد خان ويلنك بوش خان بقدم الجلادة، فقتل فى أثناء
المعركة أحمد خان وابنه وألفان من شجعان جيشه، وبحكم الأمير، عُن أخو أحمد خان
رستم خان - الذى كان متمرداً عليه وملتزماً ركاب الأمير- مكانه .

وكان قد كلف [السلطان] أيضاً النواب محمد على ميرزا صاحب حكم
كرمانشاهان والى لرستان وعربستان ، وذلك بأن يسلك السلوك الحسن مع عبد الله باشا
وزير بغداد بالطريقة التى كانوا قد تعهدوا بها فى العام الماضى مع عبد الرحمن باشا
حاكم السليمانية، وأن ينظر إلى رعاية جانبه على النهج نفسه الذى كان يتعامل به.
ولكن عبد الله باشا، بناءً على أمر الخوندكار^(١) [السلطان العثمانى] قام بأعمال سيئة

(١) خوندكار : بمعنى سيد ، مولى ، وهو لقب لسلطين بنى عثمان . (انظر المعجم الفارسى الكبير : إبراهيم
الدسوقى شتا ، ج ١ ، ص ١١٠١)

فى بداية فصل الربيع، واعتمد عبد الرحمن باشا على الدولة العلية [إيران]، وقصد السليمانية بجيش كثيف العدد وانشغل بتأديب عبد الله باشا. وأعلن النواب محمد على ميرزا إلى عبد الله باشا: "بما أن الدولة العثمانية لم تتدبر فى أمر عبد الرحمن باشا فى العام الماضى بالرغم من الاحتجاجات المتوالية للمسئولين فى الدولة العلية [إيران] [ص ٢٨٠]، لذا كان الإصرار من هذا الجانب أيضاً على قيادة الجيش وتدميره موهماً على الاختلاف بين الدولتين، ومن أجل هذا يعتبر وسيلة الأمر منحصرة فى استمالة، وأن يقترن سؤاله، الذى كان الاطمئنان من مناوئة الدولتين له بالحصول، وأن يتعهد له بأن يكون مصوناً ومحروساً من العزل والسخط والمحاكمة وانتقاص مقداره وعزته ودون أخطاء جديدة. وأن هذا النوع من المشاغبة والتعطيل ينافى العهد المستقيم وغير مقبول لطبع مسئولى الدولة الغيور." ولكن لم تؤثر هذه المحادثات مطلقاً على الوزير، فقام بمحاربة عبد الرحمن باشا، وقُتل جمع من الطرفين وخاصة أخا عبد الرحمن باشا وعدة أشخاص من أعيان طائفته، واستظل عبد الرحمن باشا وهو منهزم مع طائفته وأتباعه بظلال عاطفة الدولة الخالدة القاهرة، وتشرف بحضور محمد على ميرزا فى كرمانشاهان وأصبح موضع العناية ومصاحباً للاطمئنان والراحة بسبب شدة استحكام العهد والميثاق. وعرض التقرير على واقفى العتبة العلية السلطانية.

وكما أعلن أيضاً من قبل مسئولى الدولة السلطانية إلى أولياء الدولة العثمانية أنه طبقاً لاتفاقية وعهد العام الماضى يجب أن تحول ولاية السليمانية إلى عبد الرحمن باشا وتوكل إليه، وكما أخبر أيضاً هذا الطلب إلى عبد الله باشا وزير البصرة وبغداد. وفى تلك الأثناء وصل الخبر بأن محادثات الصلح والسلام قد حدثت فيما بين الدولتين الرومية [العثمانية] وروسيا، والى الآن لم ينته أمر الوفاق، وفى هذا الشأن أُعلن إلى مسئولى الدولة العثمانية عن طريق وساطة السفير الكبير لإنجلترا بأنه قبل هذا قد حدث تكليفى بالوفاق والصلح مع هذه الدولة (إيران) من قبل دولة روسيا، وأجاب مسئولو هذه الدولة الإجابة الصريحة: "بأنه طالما لم يتحقق صلح روسيا مع الدولة العثمانية، فسوف تكون أبواب الصداقة مسدودة من هذا الجانب أيضاً، ولهذا فإنه لو يصطلح فى هذه الأثناء مسئولو الدولة العثمانية مع الروس دون حضور وموافقة هذه

الدولة، وحدث مثل هذا الخلاف مع الدولة، فسوف ينجر أمر الصداقة القديمة بين هاتين الدولتين إلى الخصومة، وسوف يحدث من ناحية بغداد ما هو مُقدر [ص ٢٨١] . وكان مسئولو الدولة العثمانية قد استسلموا مع هذه الدولة، بالرغم من هذه الرسائل المعتبرة إلى شمس العلماء والوزراء، وقبلوا العار والفضيحة، وبالمرة تخلوا عن العهد، وتصالحو مع الروس، وأحضروا مجموعة أعذار غير مقبولة ، وفي البداية كان هذا التوتر نفسه، ومع تلك المراحل، لم تصل إجابة قط عن هذين الموضوعين، وانتهت طاقة النواب محمد علي ميرزا وتحمله عن طريق تأخير أمر عبد الرحمن باشا وتعويقه، وحصل على الإذن والعون بالإلحاح والإصرار الكثير من البلاط السلطاني، بالتوجه إلى تلك الحدود، وأيقظ عبد الله باشا من نوم الغفلة، ففوض الوزير المشار إليه حكومة السليمانية وكما كانت إلى عبد الرحمن باشا، وجعله الحاكم في تلك الولاية. ورجع النواب محمد علي ميرزا أيضاً مقضى المرام إلى كرمانشاهان .

وعندما طلب سفير دولة إنجلترا الكبير من البلاط السلطاني: "بأن مسئولى الدولة العثمانية معذرون بعذر ضعف الحال بسبب الإقدام على الصلح مع روسيا، وهو موقف التعويض وعدم الاستعداد للتجهيزات عند القائمين بأمر هذه الدولة، وكان العقل القويم السلطاني مائلاً إلى رعاية واتحاد الدين ووحدته، فقرر العفو عن هذه الحركة الشاذة وقرر بأن يعمل النواب نائب السلطنة من ناحية أنريجان والنواب محمد علي ميرزا من حدود كرمانشاهان والحويزة ما يلزم من حسن السلوك والرعاية بشأن رؤساء حدود تلك الدولة [العثمانية] . وتشرف بإصدار فرمان الملكى البليغ بافتخار النواب نائب السلطنة بذلك ، وهو أنه بسبب إصرار مصطفى خان الطالشي وعناده قد فاق عن الحد والنهاية فى عصيانه للدولة العلية وتشبثه بدولة الروس وسوء سلوكه بالرعايا والبرلایا، فلهذا يجب وبون تعطيل وتأخير أن يقوم بقلع وطرده مادة فسادة ويقدم هذا الأمر على سائر الأمور. وأرسل إسماعيل خان القاجارى وميرزا محمد خان ابن أخيه مع فوج كبير وجمع غفير من المشاة والتجهيزات اللائقة إلى أنريجان، وكما جعل جمع جيلان مع كرجى تلك الإقليم جيش تجمع النواب نائب السلطنة من أجل تقدم أمر طالش [ص ٢٨٢] .

وقد تحرك النواب نائب السلطنة أيضاً وطبقاً لحكم الهمايون من تبريز بغرض إتمام أمر طالش، وفى يوم التحرك إلى خارج مدينة تبريز، اتضح من قرار عريضة

أشرف خان الدماوندى بأن أسد سلطان قراجورلو ومعه بقية طوائف مسيحي قراباغ قدموا إلى كنجه، وبمجرد الوصول، أرسل طائفته مع فرسان قراجورلو إلى "كروس" قراباغ، وأديوا روس ذلك المكان تأديباً كاملاً، وحصلوا على غنائم كثيرة منهم. وبأن إمام قلى خان الأفشاري وغللمان فرقته وسهراب بك رئيس مائة من الغلمان ومعه فرقته ونظر على خان كنكرلو وفرسانه وبالاتفاق مع أشرف خان والفرقة الدماوندية والكرمانية قد بذلوا لوازم الكفاح والسعى نحو إتلاف المحاصيل وقتل وأسر الروس وأتباعهم .

وفى اليوم التالى، وصل أيضاً الخبر من إيروان بأن القائد حسين خان قد جعل أمر بنبك وشوره كل كما ينبغي، وفى اليوم الآخر، عاد كل من أمير خان القاجاري، الذى كان مكلفاً على كنجه مع فوجه الكبير، والحاج محمد خان قراكوذلو وعلى خان نورى، اللذين كانا مكلفين مع جمع من الفرسان والمشاة بإتلاف محاصيل خريزك والمناطق المحيطة بقراباغ، وقد صار من المعلوم أن كل واحد منهما لم يقصر فى التخريب والإتلاف بالقدر المحدد.

وفى منزل "آهر" بقراجه داغ، قدم المستر غاردان، الذى كان قد قصد تفليس من قبل سفير دولة إنجلترا الكبير، إلى الحضور الباهر النور ومعه عريضة قائد روسيا، واتضح من مضمونها أنه بمجرد الهدنة لعدة أيام والحصول على الاطمئنان والأمان من تعرض واعتداء المجاهدين فى كل مكان عدا تبريز التى تشرفت بحضور النواب العالى المساعد، فسوف يستقيم بناء الصلح والسلام. وكتب النواب نائب السلطنة أيضاً إجابة متضمنة الرعاية والعناية، وقَبِلَ الهدنة لمدة أربعين يوماً، وأكد على رؤساء الحدود بالأ تحوم يد أحد حول الاعتداء وعين نجفقللى خان حاكم كروس ومعه فرقته ، وطبقاً لطلب سفير إنجلترا الكبير لاستضافة قائد روسيا. وفى النهاية [ص ٢٨٣] أوكل إليه لوازم الضيافة ولكنه كتب صراحة إلى قائد روسيا بأن قيادة الجيش وزحفه إلى طالش موضوع مستثنى من الهدنة، وأيضاً حدد بأنه إذا وصل خبر تحرك من تفليس حتى الثانى عشر من شهر رجب وهو اليوم الثانى عشر من الهدنة، فسوف تُوقف الهدنة وسوف تقضى الأوقات فى الخصومة والعداوة .

١٤٥- نكر احتلال لنكران وأرجوان طالش، وفرار مصطفى خان إلى جاميشوان :

بعد إرسال حامل البريد [الروسي] إلى تقليس، تحرك الموكب العالي من أهر ومن منزل إلى منزل حتى وصل على حدود "نده بيكلو" وهي من قُرى مشكين، وأرسل أمير خان القاجارى ومعه الجند والمدفعية والفرسان والمشاة إلى طالش، كما عين لمرافقته ميرزا محمد على مستوفى رئاسة الديوان أيضاً الذى كان موضع ثقته ؛ لأنه يجعل الأمور قرينة الاكتمال بالرأى الصائب والفكر الثاقب.

وجه أمير خان مع فوج الجند وبعض المدفعية من طريق أرجوان وعين إسماعيل خان القاجارى الشامببىاتى وصادق خان القاجارى عز الدينلو مع حملة البنادق الإستراباديين والعجم البسطاميين والمازندرانين من الطريق المخادع والمُضلل، والجمع الجيلانى من طريق أستارا، وكلف الجميع بإطاعة أمير خان .

وتنفذ الأمر النافذ، وقطع جميع الجيش المراحل مشياً على الأقدام، وفى يوم السابع من شعبان، وصل أمير خان ومعه المدفعية والجند، وبدون فاصله وصل سائر الرجال المكلفين إلى "لنكران"، ولو أن الروس المتوقفين أقبلوا على القتال، لكانت المدفعية المباركة حاضرة ومستعدة، وكذلك أصدر الأحكام السامية إلى جميع ساكنى طالش، وسار الجند فى المقدمة كالمبشرين بالرحمة والعذاب، بحيث إنه بسبب نزول البلاء وظهور غضب الخديو فاتح البلاد على مصطفى خان يعلم كل واحد أن حصوله على أمنه وفلاحه فى مساندة تولى الدولة القاهرة. ولم يتحرك أحد من مكانه إلى مكان آخر، فلقد دمروا الجسور والمعابر من كل أطراف طرق الغابات والأدغال ومن أرجوان إلى لنكران، الذى كان طريق عبور المدفعية، وكل أماكن مصطفى خان، وأغلقوا الطرق بالأشجار الضخمة. وكان قد أرسل مير حسن ابنه [ص ٢٨٤] ومعه أهل جاميشوان إلى المعابر، لربما يمنع الجيش من العبور ولم يؤثر تأثيراً ما كالقش على ممر السيل، ومن [خلف] جذع كل شجرة، والتى كانت تظهر طليعة العلم وولولة طبل الجنود وحركة عربات المدافع المحطمة لجمال ألبرز كان جنود المشاة وحملة بنادق طالش يرفعون رأسهم بثبات مثل زهرة القرنفل فى الغابة، وكانت المدفعية والجند تأخذ مكانها. وفى

اليوم الموعود، دخل أولاً: أمير خان القاجارى إلى لنكران والرجال المكلفون الآخرون بعده بأقل فترة، وحيث كانت المدفعية والجنود تعبر الغابة والأدغال فى اليوم السابق، فقد اعتبر الروس استحالة التوقف فى لنكران مع نزول البلاء الفجائى، وفروا إلى جاميشوان. ورسوا بالسفن الحربية الكبيرة، التى كانت مستعدة منذ فترة متأخرة فى بحيرة سارى، مع الزوارق الكثيرة حيث كان يوجد فى كل سفينة ستة عشر مدفعاً وفى كل زورق مدفع ومدفعان على أطراف جاميشوان من البحر والبحيرة وساحل البحر غير المقابل لعمران لنكران ، وخرجوا هم أيضاً من جاميشوان وأعطوا ظهرهم وأحد الجوانب للبحر، والسفن والجانب الآخر لأجمة البوص المتصلة بساحل البحر وهى صعبة العبور، من أجل أن يسحبوا الجنود والمدفعية إلى ذلك المكان لتلا يصلهم ضرر فى ذلك المضيق من ناحية البحر واليابسة، وبمجرد قدوم أمير خان وبمشاهدته هذه الجسارة، لم ينتظر وصول جميع الرجال المكلفين، وقاد بجرأة فوجاً من الجند مع عدة قطع من المدفعية إلى ذلك المضيق، وأقدم على معركة يوم قيامة الروس، وأقدم أيضاً من الأمام ومن ناحية البحر يضربهم بالصواعق الساقطة والنيران المنتشرة من المدافع والبنادق، وقدم معركة عظيمة لمدة ساعتين. ولما كان قد صار جمع كبير من جنودهم طعمة لفوهات المدافع والبنادق، وقد غرق أحد الزوارق التابعة لهم، التى كانت تأتى من السفن الأخرى وكانت الزوارق أقرب إلى التحطيم بضربها بدانات المدافع وطلقات البنادق، وقد احترق من فيها فى نار جهنم. ووقعت الهزيمة على الروس ولاقوا تأديباً شديداً وعقاباً بالغا.

وبالمصاحب لذلك الحال وصل أيضاً بقية الرجال المسئولين. وكان القائد المجهول قد حدد نفس ذلك المضيق لساحل البحر، الذى كان [على بعد] ألف ذراع من جاميشوان وسبعمائة ذراع من مرسى السفن ويعرض سبعين ذراعاً من الطريق وأحد جوانبه الطين والطينى [ص ٢٨٥] وكل أرضه اليابسة، وكان هدف قذائف كل هذه المدافع والهاونات البحر واليابسة، من أجل تحصين الجنود، وأوقف حملة البنادق أيضاً فى منزل "مارشلو"، الذى كان بحيرة ويابسة قليلة أجمة البوص بين ذلك المكان وجاميشوان بأقل مسافة. ونزل هو بنفسه على شاطئ النهر المتصل بلنكران ، وسد طريق الدخول والخروج وهو المواجه للحصنين والمتفرع من معابر قزل آغاج إلى "شلومار" بطريق طوله ستة فراسخ، وقد ترك فى كل مكان عدداً من حملة البنادق،

الذين كانوا فى العمل ، من أجل الحراسة والحماية. وأحدث على سواحل البحر أيضاً وحتى البحيرة طابوراً من الجيش على الجهات الثلاث (المثلثة)، وعين فى كل حصن وبرج فوجاً من الحراس بحيث لا يصبح هناك مجال لخروج الروس من الطريق اليابس والبحر. وفى أيام الحصار هجم لعدة مرات المحاصرون فى جاميشوان سواء من ناحية مارشلو أو من ناحية المعابر ، ولم يحصلوا إلا على الندامة، وفى كل مرة قُتل وجُرح جمع منهم ولمدة شهرين متواليين، سقطت قذائف المدافع والهاونات مثل الأمطار من البحر واليابسة على حصن الجنود، وعلى الرغم من ذلك كانت أقل قذائفهم ترد من الحصن، وبمحض الفضل والرحمة الإلهية لم يُقتل أكثر من أربعة عشر شخصاً من الجند بعشرة آلاف قذيفة مدفعية وهاون، وفى كل هذه الفترة كانت أصوات المدافع والهاونات فى أذن الجند المجاهدين كأنها طنين الذباب، وقد أصبح مثل هذا النوع من الجلادة والثبات والشهرة موضع حيرة الصديق والعدو وأساس عجب القواد الإنجليز، الذين كانوا حاضرين لفترة فى تلك المعركة ونظراً لصلح إنجلترا وروسيا، فقد تأخروا أيضاً فى أوائل الأمر بسبب المعركة وعابوا.

ولما رأى كبير الروس جسارة وعناد الجيش على تلك الدرجة، وقد ألقى الجيش القبض على زورقه ورسوله أيضاً الذى كان يذهب إلى شاطئ الغابات الكثيفة من أجل إحضار المياه العذبة والحطب، فقد يئس بألوف الحيرة والتأسف من مدافعه وهاوناته، وسلك طريق الهدوء والسكون، وقد وصل خوف [ص ٢٨٦] روس جاميشوان وفزعهم أيضاً إلى درجة أنه فى أثناء الليل غفل عدد من جنود الحراسة عن حراستهم بسبب ظلمة الليل، وبالمصادفة وصلوا إلى حصن الروس الذين كانوا قد انسحبوا أمام بوابة جاميشوان. فتفرق الجنود الروس الحراس بمجرد اللقاء بالنظر إلى قلة وزيادة تلك الجماعة، وقد أسرت تلك العدة نفسها من الحراس عدة أفراد منهم، وعابوا. وقد ضاقت شدة المحاصرة على المحاصرين، وبسبب قلة الحطب والعلف والمياه العذبة فقد باع مصطفى خان خيله إلى أهالى ساليان بأثمان قليلة، وأرسل البعض الآخر منها لنفقات أعلاف ومؤون الروس، وأرسل جميع أهل بيته ونسائه الموافقين له إلى سارى، وبسبب ضيق المكان فقد شاركهم الروس فى المنزل وحدثت لهم عدة فضائح يخجل القلم عن أن يهترئ بتدوينها بلسان البيان .

ولما كانت بقية عشائر جاميشوان تقرب من أربعمئة أسرة من سادات وعجزة طالش وملهوفيهها، الذين نقلوهم جميعاً بالقهر والعنف، ومع وجودهم، فلو كان يكلف الجيش المظفر بالهجوم من ناحية البحيرة أو اليايسة، لكان يدخل إلى جاميشوان في أثناء الليل، وكان يستحيل منعهم من التعرض لعرض ونفوس سادات المسلمين وملهوفيههم الأبرياء، وقد أدرك مصطفى خان أيضاً هذه المسألة، وكان قد أودعهم في حفظه وأمانه، وكان قد أخضع جميع ولاية طالش أيضاً ودمرها. وقد رجع حفظ شرف ونفوس السادات والعجزة في نظر الأمير المبارك المظفر على مهاجمة جاميشوان والذي كان متضمناً ظهور الفضائح والشنائع المذكورة، ومن أجل سد فجوة الروس وحماية حدود إقليم طالش أصدر الحكم بإنشاء وإحداث ثلاث قلاع محكمة ومتينة، واحدة في قصبة لنكران محل استقرار مصطفى خان المتصلة بمدخل البحر، وواحدة في أرجوان، وواحدة في أستارا، وكلف جميع الجيش بالبناء، وكلف عمال البناء بالكثير أيضاً من الولايات التابعة لها. وبسبب حسن كفاءة وكفالة الوزير ذى الرأى السيد ميرزا أبى القاسم، الذى كان مكلفاً فى تلك الأوقات بتنظيم أمور طالش، التى كانت فى اختلال كامل منذ زمن قديم [ص ٢٨٧]، شيدت بإحكام كل القلاع الثلاث المذكورة على نظام وشكل القلاع الإفرنجية، ابتداءً من أوائل فصل الشتاء وحتى بداية فصل العقب، وهو موعد اشتداد الأمطار فى الولاية المذكورة، وحيث كان يصعب للغاية البناء على الأرض الطينية. وبسبب نفاذ الأمر الصادر وثبات الرأى الجازم والاهتمام الكامل، كان الوزير المشار إليه يجهز على الوجه اللائق الحراسة وترسانة الأسلحة والذخيرة والمدفعية مع المدافع الكبيرة المدمرة للسفن والمؤن للحراس لمدة عام وجزئيات وكليات أى نوع من التجهيزات والاستعدادات، وما كان احتياجه ضروريا مع العمال والصناع وأصحاب الحرف، وقد استعدوا وانتظموا فى تلك الفترة القليلة والأيام الوجيزة على النحو الذى حير الذاهبين والقادمين، وقد عين الحاج محمد خان قراقوزلو، الذى كان مختصاً ومعيناً فى رئاسة ديوان صاحب الشوكة بأعمال استكمال وحراسة حدود قراجه داغ، على حكومة ولاية المكان وحراسة القلاع المذكورة، وطبقاً لحكم الحضرة العلية السلطانية، كُف جمع من حملة بنادق رشت على حراسة ناحية من قلعة أرجوان، فتحركوا من رشت، وانشغلوا بمسؤولية الحراسة تحت قيادة ميرزا رفيع خان الرشتى.

١٤٦- تعيين ميرزا رضا سفيراً لدولة إيران لدى الدولة العثمانية :

بعد إرسال عبد الوهاب أفندي وجلال الدين أفندي، عينت الدولة العلية العثمانية جلال الدين أفندي بالسفارة، وأرسلته إلى البلاط السلطاني عن طريق بغداد. وبعد قدومه إلى البلاط الكسروي المشبه بالفلك صار موضع عطف وإنعام الوسعة اللائقة والجديرة. وتشرف يس زاده عبد الوهاب أفندي، الذي كان متوقفاً في دار السلطنة تبريز، بالحضور السلطاني الباهر النور. وبالاتفاق، ذكر جلال الدين أفندي مطالب الدولة العثمانية بموجب الذكرى، وعرض رفيق جلال الدين أفندي إلى مسئولى الدولة العلية التقرير على واقفى بلاط زحل الاقتدار، فصار مطلبه مقترناً بالانتهااء والحدوث .

ولما كان قد حضر سيد عبد الوهاب أفندي من قبل الدولة العثمانية [ص ٢٨٨] إلى الدولة [الإيرانية] فقد سُمح له بالانصراف من البلاط السلطاني، وقد صار مشمولاً بعنايات سعة حسن الذات والصفات ، كما عزم إلى مقصده وهو قرين الافتخار والمباهاة وقد توقف جلال الدين أفندي، الذي كان مكلفاً بالإقامة في إيران، فترة في أوجان وفي دار السلطنة تبريز وفي وان. ونظراً لجلافته وضيق عقله توجه إلى أرض الروم، بدون أن يُطلب من قبل الدولة العثمانية أو يُصرح له من قبل الدولة الإيرانية، بحجة ملاقاته أحمد باشا الصدر الأعظم السابق للدولة العثمانية الذي كان قد أصبح في تلك الأوقات مكلفاً بقيادة جند أرض الروم، ومن هناك ودون وعى توجه إلى إسلامبول، ودون سبب انشغل بإفساد ذات البين. ولكن مسئولى الدولة العثمانية وبناءً على المعرفة الكاملة، التي كانت لهم عن عدم أصله، لم ينصتوا لأحاديثه الباعثة على الفتنة والفساد ، وكانوا قد وضعوا ظنونه موضع اللوم والتوبيخ كثيراً .

وقد تعين من قبل الدولة العلية الإيرانية أيضاً ميرزا محمد رضا الكاتب وهو من جملة المختصين بالوجود في البلاط السلطاني ، وكان قد قام قبل هذا أيضاً بسفارة تولتى فرنسا والدولة العثمانية، وهو رجل هادئ وخبير ومتحدث ومُزين بأكثر وجوه الكمال، بسفارة الدولة العثمانية، وتوجه إلى هناك، وعند قدومه إلى - أرض الروم، أُجريت له لوازم الإعزاز والإكرام من قبل أحمد باشا قائد العسكر، وعند وصوله إلى إسلامبول صار مشمولاً أيضاً برعاية وإنعام الدولة العلية العثمانية، وتوقف هناك. وقد جعل أساس الصداقة بين الدولتين العليتين كما هو حقه من الاستحكام والضبط، وكان السفير المذكور يرعى مراسم السفارة كما ينبغي ويجب .

١٤٧- بيان المحادثات العديدة التي وقعت لمسئولى الدولة مع قائد الروس بشأن السلام وإنهاء عدم تحقيقه :

ولأنه قبل معركة "سلطان بود" وهزيمة الروس وقتلهم فى تلك المنطقة، قد أرسل الجنرال رديشتشوف، الذى عُين من قبل دولة روسيا على قيادة جيش الروس ، وقدم إلى الكرجستان، الجنرال مرقص القائد السابق لمملكة روسيا [ص ٢٨٩] وتقدم بصدد افتتاح أبواب الصداقة مع الدولة الإيرانية، وأرسل عبد الله خان القاجارى، الذى كان إبراهيم خليل خان قد ألقى القبض عليه فى منزله بعد محالفة الروس وسلمه إليهم، إلى حضور النواب نائب السلطنة، وكان قد كتب له الرسالة الحميمة، ولهذا نون نائب السلطنة رسالة الرد مشتملة على سروره منه بشأن إرسال عبد الله خان، وأرسلها فى صحبة الحاج أبو الحسن التاجر الإيروانى الذى كان متوجهاً إلى تفليس فى عادة التجارة . .

ومصادفة فى تلك الأثناء، وصلت رسالة من دولة روسيا إلى القائد المذكور قائمة على وضع أساس الصداقة مع دولة إيران، وكان السفير سجليسا أيضاً، الذى كان مقيماً فى عاصمة دولة روسيا، قد بعث برسالة إلى السير جوراوزلى بروننت سفير دولة إنجلترا المقيم فى عاصمة دولة إيران، وهى: "أنه نظراً لبداية عداوة روسيا وفرنسا وخصومتها مع بعضهما وبناء صداقة إنجلترا وروسيا مع بعضهما واتفاقية الصداقة فيما بين دولتى إيران وإنجلترا، فإن مسئولى دولة روسيا يرون أنه من المناسب أن تصبح أنت واسطة السلام والوفاق بين الدولتين وتزيل الخصومة بينهما." وأرسل قائد روسيا المدعو فريقان إلى سفير إنجلترا، وتوجه المدعو بابوف بالاتفاق مع الحاج أبى الحسن إلى حضور النواب نائب السلطنة، وأعلن طلب الصداقة وإحساس إرادتهم الكلى فى هذا الأمر، وتقبل بأن يحكم كل واحد من رؤساء الحدود، الذين يعينهم نائب السلطنة، عهد صداقة الدولتين. ونظراً للمراحل المذكورة وبناءً على ذلك الذى كان قد أشرط مع الدولة العثمانية وهو بأن يكونا متفقين معاً فى الصداقة والعداوة أيضاً، ومن أجل هذا سمح نائب السلطنة لسفير إنجلترا بالإجابة المقرونة بالصواب، كما كتب سفير إنجلترا أيضاً خطاب الرد فى صحبة المستر غاردان الإنجليزى وهو بأنه إذا كان

الاختيار فى المصالحة الحقيقية والاتجاه إلى تبادل الممالك التى تقع فى اتجاه مشاتى قراجة داغ فتعلن الوضع والحالة قبل التحرك من تقليس حتى تكون مدة الأيام الأربعين [الهدنة] من أجل التردد واللقاءات ومحادثات الصداقة [ص ٢٩٠] ولاتكن الخصومة والصراع [بينكما]، ولكن أمر طالش، وهى الواقعة فى الناحية الأخرى، ان يكون لها دخل بهذه الهدنة. وقد أرسل نائب السلطنة أيضاً بابوف بالاتفاق مع الحاج أبى الحسن وأوكله بتحرير الجواب إلى السفير.

ولقد انتظر قائد روسيا لفترة بعد وصول الجواب وقدم المبعوثين، وبعد انقضاء مدة الأيام الأربعين قصد القدوم إلى قراباغ، ولكن النواب نائب السلطنة لم يناوئه، وقضى الأوقات على نفس أمر طالش تلك وفقد موسم العمل وكان يراقب قدوم قائد روسيا. وقد أرسل قائد روسيا رسوله، وأعلن عن إرادته الكلية فى المبادلة والإنباء بمجيئه إلى قراباغ وتوجه إلى الحضور العالى، وعلى الفور قدم إلى قراباغ، وقد عين نائب السلطنة أيضاً نجفلى خان كروس لاستضافته وأرسله إلى قراباغ.

وفى تلك الأثناء كان ألكسندر ميرزا والى الكرجستان، الذى كان فى إيروان، قد ذهب من هناك إلى "تشلدر" بغرض زيارة سليم باشا والى أخسقة، فصار مصدر الثورة هناك. وخاف قائد روسيا أيضاً من هذا العمل وأجل توجهه إلى حضور نائب السلطنة وتمسك بهذا العذر وهو: يجب أن تقع الملاقاة بالقرب من نهر آرس ولا يمكننى الحضور حتى سلطان حصارى، وكذلك يجب أن يعمل على ملاقاته مساواة الطرفين وبسبب هذه المقولة ظهرت التكاليف الشاقة والصعبة التى لم يكن فى الإمكان تحملها وأرسل الجنرال المدعو "حقويريوف"، ونكص إرادته الكلية وأعلن: أنه ليس لى الحرية فيما يتعلق ببناء المصالحة وعلى هذا القدر عندى الإذن والتصريح أن أعرض الهدنة حتى يحدث الذهاب والمجىء بين الدولتين. وعلى الرغم من أن السيرجوراوولى برونس سفير دولة إنجلترا، الذى كان معروفاً بفطنته وذكائه وحسن نيته تجاه الدولتين وحسن طبعه ونظراً لرعاية نائب السلطنة له حيث كان قد مدح رأيه الصائب وفكره الثاقب، وكان يضع أقواله فى مناط الاعتبار والأهمية [ص ٢٩١]، قد أرسل المستر "مورى"

نائبه وأمينه إلى قائد روسيا، وأظهر له ذلك الذي كان لائقاً بعلمهم ووساطتهم، وطبقاً لاختصاص التقدير لم يقع تدبيره في هذا الشأن بالإفادة .

ونظراً لنكوص قائد روسيا عهده، لم يستقر نائب السلطنة أيضاً على إرادته الكلية وهذا النوع من شروط عهده، وأرسل إليه صادق خان بن نجفقلی خان كروس مع المستر "لزي" المدفعي والمستر كمل الحكيم الإنجليزى بالاتفاق مع الجنرال حقويردوف، وكلفه مرة أخرى بالآ يظهر النكوص الذي كان على القرار السابق، وكلف من أجل إراحته وإعرازه ميرزا أبا القاسم وزير رئاسة الديوان على "أصلان دوز" المتصلة بنهر آرس حتى يوصل يد الوصل إلى القائد المذكور ويبعده عن التشكيك وسوء الظن والوحشة والخوف، وقد أرسل القائد المذكور بالجنرال حقويردوف إلى ميرزا أبي القاسم، فجعل الجنرال حقويردوف موضع إنعامه ومحبته وأرسله بالوداع وعرض بنفسه التقرير في الموكب العالي، وتحرك من سلطان حصارى (قلعة سلطان)، وقدم إلى أصلان دوز؛ ولأن مطلب الوفاق لم يتحقق، فقد رحل قائد روسيا إلى تفليس وعين كترأوسكى جنرال قرا باغ لحراستها وحمايتها وسلمه كل أفراد مشاة جنود الروس الذين كان قد شاهد جلادتهم وانتقامهم بنفسه، وقد أرسل هو أيضاً قليلاً من الجند الروس إلى قلعة شوشى، وتوقف هو بنفسه في قلعة "آق أغلان" .

١٤٨- شرح مشكلة أصلان دوز ، والأحداث التى وقعت :

كيف استطاع حضرة الحق جل وعلا، الذى تشهد جميع الموجودات على وحدته، أن يرفع الفلك مثل هذا الارتفاع، وأن يُزين فضاءه الفسيح الأرجاء بالنجوم الثوابت والكواكب السيارة وشعاع القمر والشمس والأبراج والمنازل، وأن يرفع خيمة الفلك (القبة السماوية) دون حبال وأعمدة، وأن تكون كل تلك [ص ٢٩٢] الأجرام العلوية في حركاتها وسكناتها ومقارنتها ومقايستها وغروبها وشرورها واستقامتها ورجوعها خالية من النفع والضرر وعارية من الصعود والنحوس، وأن يعتبرها مندهشو عالم القراب، المراقبون لحركات وأشكال الأفلاك، مهجورة من التأثير والخضوع دفعة واحدة على مر السنين والشهور، في حال أنه في هذا العام قد صار من المشاهد ومن المعلوم، أنه

بواسطة النظرات والعلامات ويسبب ظهور الخسوف والكسوف قد لاحت حملات الجيوش وسفك الدماء والاضطرابات والفتن والمصائب والمحن في الدول المتعددة والتي صارت باعثة على حيرة عقول أولى الأبصار وأدهشت نفوسهم .

ومن جملة ذلك أن ملك روسيا صمم على العداوة مع ملك فرنسا بسبب صداقته ومحبة مع ملك إنجلترا، ومنع التجار وأصحاب المعاملات من التردد على مملكة فرنسا والتجارة معها والاختلاط بهم، وفي النهاية وقعت بينهما عدة معارك وقُتل جمع كبير من الطرفين، حيث إن شرح تلك الوقائع يطول ، ولا يليق بسياق هذا الكتاب، وأيضاً من تأثيرات النجوم الثوابت والكواكب السيارة في هذا العام ، انتشار المرض الوبائي والطاعون في أهالي إسلامبول فمن وضع أخبار جمع من التجار، وحيث كان الاعتماد على حديثهم والعهد على روايتهم، أن ما يقرب من ستمائة وخمسين ألف شخص قد ودعوا الحياة وغسلوا أيديهم من الحياة الفانية، وقد وقعت الاضطرابات والفتن والاعتداءات والتدخلات في الأقاليم الحدودية بأذربيجان أيضاً التي كانت خاضعة للاحتلال الروسي، وقد بسط الروس بساط الحيلة والخداع والتزوير ورفعوا غفلة راية التظاهر والتكبر.

أجل، فلو يكن له مع معاوني الدولة الدائمين دولة النصر فلا تظهر لهم درجات الخبرة والعلم بالقدر وتعلم العدل، ولو يصبح القرين صاحب الاقتراناة الدائمة شاهد النصر، فلا يستلزم في أي وقت قط حلاوة الغلبة على العدو بعد انحطاط الأمر في مذاق جهدهم وسعيهم، بل يعتبرون الأمر دائماً موفقاً كالعادة ويعتقدونه مألوفاً وموفقاً بصورة رسمية، فالمعهد في طبيعة إدارة ملكهم هي التوفيق مثل [ص ٢٩٣] الطبيعة الثانية، وقد رووا أن العادة كالطبيعة الثانية حتى لا يغلب العطش، فلا يعرفون قدر الماء الزلال، وحتى لا يفرش مساء الهجر ستارة الظلام، فلا يقرعون أية شعاع شمس الوصال المضيئة من أوراق الليل والنهار، فالثبات على حال واحد هو مكن صفات ذات الله ذي الجلال الذي لا مثيل له. شعر [بيت ترجمته]

إن الله هو الذي تكون ذاته بلا مثال

ولا تتغير مطلقاً من حال إلى حال

فإن تغير الأحوال الناتجة عن أبواب الفلك الدوار وزيادتها وإدراكها وهى من البديهيات الأولى، مخصوصة بجنس بنى الإنسان بتخصيص الظاهر والواضع فى أمر القادة وفى عالم الإمكان الذى هو عالم الصورة، وهو قائم على الحدود والجهات كيفما تكون ممكنة بحيث يبقى وجه حسناء المكونات خالياً من وشم التغيرات وعارياً من خدشة التبدلات. فكل ما هو أعلى درجة ومنزلة فى عالم المعنى والصورة، هو أكثر انخفاضاً وارتفاعاً فى مدارجه ومسالكه، وكيف يكون الغم للأراذل والسفلة من أفة الحوادث، وكيف يكون الألم للدون والأخساء من الدوران المعوج للفلك الملىء بالأذى، والملوك فى حسرة وغم من احتلال الأقاليم ؟

ولأصحاب الدول الغلبة فى الهزائم والزيادة فى النقصان. وقد رأى الملوك المقتدرون كثيراً من الاختبارات، وذاق الأنبياء نوى المنزلة العالية سُم البلية بكثرة، لتعرف الجواهر الصافية أن جزر ومد بحر الطوفان مولد للاستقامة، ويعلم أصحاب الرأى أن الارتفاع والانحطاط فى حركات الشمس والقمر ظاهر وواضح .

والخلاصة، أن هذا التوضيح والتبيين لهذا الادعاء هو أن الهمة العالية النهمة للنواب نائب السلطنة كانت متصورة أن ينتهى أمر الروس فى هذا العام بعون الله الذى لامثيل له [ص ٢٩٤]، وفى تلك الأيام قدم جمع من أكابر شكى إلى الركاب العالى وعرضوا تعديات جعفر قلى خان الدنبلى ومطالبتهم بتعيين القائد والجيش والتعهدات التى تحت تصرف شكى، وقد جاء الإلحاح، الذى بذله سليم خان لنجاح سؤالهم، معاوناً ومساعداً لهذا المقصود .

وعلى الرغم من أن أغلب الجيش كان مشغولاً بمهام طالش التى كانت أهم الأمور، فقد كان تعسر وتعذر المؤن فى موغان حائلاً ومانعاً من ازدحام كل جيوش أنزريجان فى معسكر أثر الظفر، وقد صار قلع مراد الروس وتحرير عجرة شكى وملهوف فيها مهيجاً لأساس الشوق ومشعلاً للنيران فى نيل غيرة نائب السلطنة، ومن موضع "سلطان حصارى"، كلف بيرقلى خان القاجارى ومعه ميرزا محمد خان القاجارى وعلى مراد خان حاكم خمسه وجمع كبير من المجاهدين صائدى الأسود على شكى من طريق قراباغ، وتوجهت الرايات المنصورة من سلطان حصارى مع ثلاثة أو أربعة أفواج من

الجند والمدفعية وعدة فرق من الغلمان وجمع من الفرسان إلى أصلان بوز، وقد كان منظور نظر الشمس المنتشرة ذلك بأنه بعد عبور الرجال المكلفين من نهري أرس وكر وإتمام أمر ولاية شكي، يتوجهون من أصلان بوز ويقصدون قراباغ، وفي بداية قدومهم إلى أصلان بوز، كُلف محرقو العدو بحرق أطراف معسكر الروس، وأحاط الجيش المنصور من حولهم ولم يكن لتلك الجماعة العزم على المواجهة، فانزروا في قلعتهم وحصنهم بسبب غلبة الرعب والخوف والهلع عليهم. ولم يسحبوا راية العداوة في ميدان المنازلة، وبالتدريج انتهى الأمر إلى الأحسن، حيث صعب الحصول على المؤن والعلف للجنود الروس، وفكر الجنرال الروسي في معالجة الأمر، فنصب فخ الحيلة وفتح صندوق الغش والخداع، وأرسل عدة أشخاص من القرباغيين العاصيين في زى الموافقين، وبأسلوب الفارين انضموا إلى معسكر المسلمين، والتقوا بجعفر قلى خان القرباغى، وأعلنوا: "إننا جئنا من قبل طوائف قراباغ لنأخذ جيشاً من الركاب المنصور، ولنرحل طائفة قراباغ جميعاً من ساحل نهر ترتر ولنحضرهم إلى ركاب سعادة الأثر فانخدع جعفر قلى خان بحديثهم بسبب سذاجته وبلاهته، [ص ٢٩٥] وأخذ جيشاً من النواب نائب السلطنة بقيادة صادق خان القاجارى وعبر نهر أرس، وبقي شخص أو شخصان من الجواسيس المذكورين كاللصوص في خيمة جعفر قلى خان واطلعا على عدة الجيش وعدده وتعداد مشاة وفرسان المعسكر، وبهذا العذر عبروا نهر أرس من وراء الرجال المسئولين، ولحقوا بمعسكر الجنرال وأطلعوه على حقيقة كل أمر، وقد أدرك هو أيضاً كذلك أن جمع المعسكر منحصر في عدة أفواج من الجند المبتدئين وعدة فرق من الغلمان ورجال شكي وقرباغ المكلفين بالأعمال والعتاد. وقد استراح من أمر المعركة المعلمون والمدرّبون الإنجليز، الذين كانوا مهتمين بتعليم المدفعيين والجند حديثي التدريب، بمناسبة مصالحة إنجلترا وروسيا، وأنه إذا عزم على الحرب، فسوف يكون صيد مراده في الشباك، وأمره على وفق مرامه وأدرك أن فرسان المسلمين قد اطمأنوا أيضاً بسبب ظهور عجز الروس، ولم يبدوا اهتماماً بالإحاطة على معسكره كما كان في الفترات السابقة .

وفي أثناء الليل، وبإشارة مراد خان دلاعرده، الذى كان أغلب طائفته وسط الطوائف القرباغية في أصلان بوز، قادم من أق اغلان، وفي منتصف الليل عبروا من

معبر غير معروف كما لحق فرسان عدة من القراباغيين بالحراس المسلمين، حيث قالوا لهم بأنهم رُسل جعفر قُلى خان، وعطلوا الحراس حتى وصوله، وعملوا بموجب التمهيد والخداع .

وبالمصاحب لذلك الحال، وصل الجنرال، وأحاط فرسان القوزاق حول الحراس وأسروهم جميعاً، وساقوهم على عجل، وفي وقت الصباح، أرسلوا جيشاً بالقرب من المعسكر، وقد اعتقد جيش المسلمين كذلك وهو أن صادق خان قد رجع، وعندما نظروا جيداً، ظهرت راية جماعة روسيا ، ولم يجدوا مجالاً لتسوية صفوفهم، وقد لاح في الفكر استحالة تجمع الجيش، وصعب الثبات والتحمل في مثل هذا الوقت، فضغط النواب نائب السلطنة، الذي كان الله مدده الذي لا مثيل له وحظه العالي المنتصر في المصائب، بقدّم الثبات والنوام، وأصدر الأمر على الفور بقذف قذائف الهاونات والمدافع الصغيرة، حتى يرجع الجمع، الذي كان قد رحل إلى الصحراء بدوابه [ص ٢٩٦]، إلى المعسكر بسبب تلك القذائف دون أن يدرك وقوع الحادثة وأتى حضرته بنفسه من خيمة الجلالة وسط الجُند والمدفعية، وقرع طبول الحرب، وسوى صفوف الجُند التي كانت متصلة بخيام المعسكر ، ولأنه لم يبق فاصل بين الجيشين، فقد صدر الحكم بأن يُرحل على استعجال كامل عليخان رئيس الجلادين الحرفيين والصناع وعمال المعسكر والسوقة والمسؤولين عن أحمال الجيش وعتاده إلى شكى، ويحملهم بعيداً عن معركة الحرب والغوغاء. وقد تجرأ فرسان القوزاق بسبب قلة الفرسان المسلمين وفتحوا عنانهم، فهجم النواب نائب السلطنة مع غلمان الخواص، وهزمهم من الهجمة الأولى، ودخل وسط الجنود الروس ومدفيعتهم، ولكن مافائدة ذلك للروس؟! فقد اشتعلت نيران المدافع والبنادق بسبب مشاهدة هذا الحال، وقد طالت ألسنة نيران لهب المعركة كالرُوس . ولما كان المعلمون الإنجليز قد أبعثوا أنفسهم عن الأمر^(١)، فلم يجد المدفعيون المبتدئون الأذربيجانيون أيضاً استقلالية في هذا الأمر، ولم تكن معركة المدفعية طبقاً لرغبة نائب السلطنة وأمنيته. وتحرك من تحت جواد السماء، وأحكم نيّله،

(١) نلاحظ هنا موقف المعلمين الإنجليز الخاذل لجيش إيران فعند الضرورة أبعثوا أنفسهم عن المعركة ، وكما يقول المؤرخ ، وكأنهم كانوا يريدون الهزيمة لجيش إيران ، وهذا ماحدث بالفعل . (المترجم)

الذى كان قطعة حربية تلف حوله، على حزام وسطه، وكان ينثر بيده كالبحر قطعات
الذهب من فوهات المدافع جهنمية النيران على ذيل الفلك الدوار ، وكانت صواعق المدافع
والبنادق من الجانبين مثل سحب الربيع الساقط للصواعق ، وكانت ساحة المعركة مثل
هواء الهاوية المثيرة للنيران. وقد بذل نائب السلطنة البطولات فى مثل ذلك اليوم ذى
العاقبة المحرقة والتي صارت باعثة على حيرة القاصى والدانى، وهجم بالمدفعية على
صفوف الجند، وشجع الرجال الأسود على المعركة والقتال ، ورفع ساعد الجلادة
والبسالة. وكان فوج الجند الموجود، الذى كان أقل فى العدد بمراحل من الجنود
الروس، قد بذل المساعى البطولية، وأصبحوا سدا فى وجه النيران لمدة ثلاث أو أربع
ساعات حتى وصلت أكثر دواب أهل المعسكر، كما وصل جمع خالٍ من آداب المعركة
بأنفسهم من وسط النيران المحرقة إلى طابور الأمن والسلامة .

ولم ير ولى العهد [ص ٢٩٧] التوقف أكثر فى ذلك المكان مقروناً بالمنفعة والفائدة
وانسحب من ذلك المكان إلى بداية (قدم) هضبة أصلان نوز التى لم تكن مفصولة عن
الروس بأكثر من مسافة سهم مصوب إلى هدفه. وفى ذلك اليوم ظهرت القوة المحرقة
ذات القدم الثابت من جعفر قلى خان مقدم الذى كان قائد فوج مراغة، وقد صارت
مصايرته أساس قوة الجند الشقاقيين والنخجوانيين الجدد. وقد سمع فى معركة
القتال الإثنيات المتنوعة من لسان نائب السلطنة فى معركة القتال ، وقد سوى الروس
صفوفهم وعبئوا ألوفهم فى مكان المعسكر ، ولم يتنفس جيش المسلمين المتصل بهضبة
أصلان نوز الراحة فى ذلك اليوم وحتى المساء، وحدثت المعارك المتوالية ، ولم تحتل
غيره نائب السلطنة تلك الخسارة من روسيا، ولم يكن للروس حيلة سوى الدفاع
والمقاومة .

وفى أثناء العصر، كانت حرارة ضجة المعركة تشتد أكثر ، وكان المجاهدون
المسلمون يقومون بالحملات القابضة للروح، وعندما انسدل الستار الأسود على وجه
الفلك، انسحب الروس بأنفسهم إلى سفح التل الذى كان متصلاً بمكان المعسكر، على
هذه النية وهى أن يطروا طريق العودة عندما يصير الجو أكثر ظلمة، ولذلك وطبقاً
للحكم، سيطر جنود مراغة على قمة التل، وتمركزت الأفواج الأخرى والمدفعية على
سفحه، وعين الحراس من أجل أن يرصدوا تحركات الروس، ومصادفة فى تلك الليلة

السوداء، وجد جمع من الجنود الروس من أسرى [معركة] سلطان بود، الذين كانوا وسط فوج الأبطال، الفرصة بأن يلحقوا بالروس، وعندما كان الروس قد عقدوا حمل متاع العودة، منعوهم من الرجوع ، وقالوا: "إذا ظهر منكم عزمًا، نُصبح نحن في المقدمة، ونصطحب بعضًا من الجنود الشقاقيين والنخجوانيين، ونوصلكم إلى وسط الفوجين، وأعجب الجنرال بذلك الرأي وعمل من قرار تمهيدهم ، وعندما أفاق الجنود الشقاقيون والنخجوانيون لأنفسهم، وجدوا أن الروس وسطهم، فاشتبكت المعركة، وتصاعد دخان البنادق في ذيل الفلك. وبالطاقة الأولى قُتل المستر كرشت قائد فوج الشقاقيين والنخجوانيين، الذي كان مستريحاً من الاشتغال بالمعركة واشتعال نيران القتال، كما قُتل وأصيب عدة أشخاص من القادة [ص ٢٩٨] ولم يجدُ الجُند المذكورون المجال للمعركة، وتوجهوا إلى جانب من تل أصلان نوز وأعقبته المدفعية أيضاً. وبسبب مشاهدته هذا الحال وبسبب عدم صد هذه الواقعة، ألقى نائب السلطنة بنفسه في هذه المعركة ومصادفة، وقع جواده المسرع للسماء في حفرة عميقة فانفصل عن السرج، واعتقد الغلمان هكذا ، وهو أن ضرراً قد وصل إلى جسده المبارك، وارتفعت الأصوات من كل ناحية، وانزوى كل من سمع بنفسه إلى جانب ورأى جند مراغة أيضاً مثل الجنود الروس والمجاهدين المسلمين قد توجهوا معاً مختلطين إلى التل، ولم يكن ذلك التل هو المكان الواجب حراسته وبعد جذب ومحاولة دون فائدة تتبع الآخرون، ولما كان لطف الخالق حافظاً لوجود النواب نائب السلطنة المسعود، فقد أوصل نفسه إلى أوج السلامة من ذلك الحضيض الملىء بالخطر، وقد رأى فارس كان يدفع جواداً ويجر آخرًا، وعلى تصور النواب الأشرف أنه من فرسان العدو ويحمل جواداً غنيمة، فقصدته مترجلاً ومستلاً سيفه، وصرخ في وجهه صرخة مهابة، وكان ذلك الفارس نفسه من حراس (خادمي) الديوان، فعرف صوته المبارك ورمى بنفسه على الأرض من على الجواد ، وقاد الجواد وأركب نائب السلطنة، واستبشر الناس من سلامة وجوده، واعتبر حضرته أن المحاولة أكثر من ذلك غير مناسبة، وجمع الجيش الذي كان مجتمعاً في المكان المسمى "بحاجي حمزه لو"، واختصه بالمعركة .

وبالمصاحب لذلك، وصل الخبر بأن الروس قد استولوا على عدد من بنادق القتلى، ولم يعتبروا التوقف والإقامة لهم في ذلك المكان جائزاً ورجعوا، وعبروا على عجل من

نهر أرس. وفي اليوم التالي توقف نائب السلطنة في ذلك المكان نفسه، وعين الرسول الذي يحضر العتاد والأسلحة ، والتي كانت باقية في المعسكر ويدفن شهداء الجهاد، ورجع بيرقلى خان أيضاً إلى ذلك المنزل نفسه. وقد حدد بأن يكون قد وصل إليه بعد عبوره نهر كر خبر الإغارة على الروس ليلاً وخبر عودة الموكب العالى، وأيضاً اعتبر التوقف في حدود [ص ٢٩٩] شكى نون نتيجة، ورجع، وعبر نهر كر وأرس نون حرب وقتال وانضم إلى الركاب، وقد وصل في عقبه صادق خان وجعفر قلى خان من ناحية قراباغ وإبراهيم خان من ناحية ساليان بمجرد سماع هذه الأخبار إلى ركاب أثر السعادة .

ولما كانت الأجواء باردة والعشب غير متوفر في الجبال والصحراء ، وكان العمار بعيداً بمسافة عن ذلك المكان، فقد رجحت عزيمة التوقف في مشكين وتوجهوا إليها، وتوقفوا هناك لفترة من أجل أن يجمعوا أنوات وأسلحة المعركة ويعقدوا الهمة للتعويض والانتقام .

وبالمصاحب لذلك الحال، وصل خبر هجوم الروس على الطوائف المسيحية التي كانت تسكن في "دره ايلدجز" بنخجوان، وقد جذب هذا عنان موكب أثر السعادة إلى ناحية تبريز، وقد أعطى الجيش الذى يليق لأمر طوائف ذلك المكان .

١٤٩- ذكر الوقائع بعد الحضور إلى تبريز ومسببات تحرك رايات

السعادة المعجزة وحوادث طالش :

بعد قدوم الموكب المسعود إلى تبريز، لم يكن يقدم العقل السليم في تلك الأيام على مهام سوى الاستعداد لأمر العدو، ولم يكن يميل إلى عمل سوى التهيؤ لأمر الانتقام، وكانت جميع همته مصروفة على هذا وهو أن يعمل على تعويض [الهزيمة] في ذلك الشتاء نفسه .

وفي تلك الأثناء وصل خبر بأن الروس يتحالفون مع شيخعلى بك كنكرلو أخى نظر على خان حاكم نخجوان الذى كان قد أسره الروس في معركة أصلان دوز ويحضرونه كي يحفروا فجوة في حدود نخجوان بمساعدته ، ومع أن الظن لم يكن يذهب إلى أن

يصبح شيخعلي بك مصدراً للخطيئة والخيانة، ولكن نظراً لمراعاة حزم إدارة المملكة، فقد تقرر إحضار نظر علي خان إلى الركاب وجعل كريمخان كنكرلو مكانه على الحكومة، وقد نجا شيخ علي بك أيضاً بمفرده من يد الروس وانضم إلى ركاب الهمايون، وقد صار وكما كان منسلماً في سلك غلمان الخدم. وقد فسخ الروس عزمهم إلى نخجوان بسبب فكرهم ونيتهم السيئة في التوجه إلى نخجوان ومخادعة شيخعلي بك الذي كان مطلبه النجاة منهم. وبناءً على [ص ٣٠٠] وسوسة مصطفى خان الطالشي، تحرك الروس إلى ناحية موغان بقصد طائفة "والوسي" التي كانت قد ذهبت إلى المشتى، وقد تصاحب وقوع هذا الخبر مع خبر وصول إسماعيل بك والجيش المكلف من الحضرة العلية السلطانية إلى منزل "ميانج" فأحضر نائب السلطنة فوج الجند، الذي كان قد كلفه علي نخجوان ومرند، إلى تبريز. وكلف إسماعيل بك علي موغان من طريق أردبيل. وبعد الوصول، حمل الجند ومدفعية الجيش وتحرك إلى موغان من طريق قراجه داغ، وبسبب تأثير برودة جو الشتاء كانت ريح النفس ترتعد من الزمهرير، وكان الجليد قد شمل الصحراء والبادية إلى درجة أنه لم يكن من الممكن للفرسان والمشاة التحرك على أي وجه .

وبعد التحرك من تبريز، وصل الخبر بأن طائفة قراباغى قد سمحت للروس بالدخول وسطهم، وأن عطا خان وجعفر قلى خان أيضاً قد وقعا في فكرة حراسة سائر الطوائف، وشدوهم جانباً من مقام الأذى والضرر، وسمح الروس لطائفة قراباغى بالتحرك من المكان الذي كانوا فيه، وعلى الغفلة قصدوا أرجوان، فاضطرب علي خان نوري، الذي كان حارساً لأرجوان مع عدة أشخاص من الرجال المكلفين بسبب الاستماع لخبر الطائفة، وأخطى أرجوان دون حرب وصراع. وبعد رحيل الرفقاء وقف ميرزا أحمد مستوفى رئاسة الديوان، الذي كان في عهدة رعايته تنظيم أمور الروس المسلمين، وسط المعمة والفتن، وذاق شربة الشهادة عند لقاء الروس ومحاربتهم، وتوجه إلى روضة الجنة. وتوجه الروس من هناك إلى لنكران .

وقصد موكب نائب السلطنة مهاجمة طالش، وفي مشكين تحدد أن يصل إسماعيل بك بنفسه من تلك الناحية إلى "آرشق"، واتضح أن جماعة الروس قد هجموا في ليلة

عاشوراء على قلعة لنكران، ووقعت من الجانبين معركة عظيمة وجهد مليء بالخوف والفرع، وكان حملة البنادق اللاهيجانيون، الذين كان قائدهم قد قُتل في بداية الأمر، قد أخذوا البرج الذي كان في عهدة حراستهم، وصعد الروس على ذلك البرج، وبسبب القذف بالمدافع والبنادق، الذي كان تحت إشراف جند محمد بك القاجارى الأفشارى، وصل الدخان إلى السماء [ص ٢٠١] واستمرت المعركة لمدة خمس أو ست ساعات بين الروس ومجاهدى الإسلام، وقد رست على شاطئ بحر الخزر سفينة أجسام الروس والمسلمين بسبب طوفان الدماء فى الطين.

ولقد قاوم بثبات صادق خان القاجارى، الذى كان قائد جيش لنكران فى ذلك اليوم، مع محمد بك الأفشارى، الذى كان قائداً فاضلاً وغيوراً كالنمر، وشجاعاً فى الحرب، فى معركة ومصارعة الروس ومقاومتهم لفترة حتى قُتل. ومع أن الروس قد سلكوا طريقهم إلى قلعة لنكران، فإنه لم يبق من كل الجنود الروس ثلثهم، وقد زاد عدد القتلى من الروس عن الفين وخمسمائة شخص، وقد أصيب ذلك الذى كان باقياً أيضاً. وأصيب الجنرال كترأوسكى بثلاث طعنات منكرة والتي كانت عسيرة العلاج، وقد سعى الجراحون الماهرون فى معالجته، وقد شُكَّ بعض أعضائه وجوارحه عن العمل وصار معوقاً .

وقد أرجع ولى العهد القتلى والجند وحملة البنادق المصابين وطيب خاطرهم ورعاهم كثيراً وألبسهم لباس المرحمة ومعطفها، وقرر المقررات والواجبات على مدار العام لورثة القتلى، وبسبب حسن مرحمته والعلم بالقدر وقع الأحياء فى هوس حياة الخلود، وفقدوا لذة الحياة حيث كانت السعادة فى دار الشهداء، وكان نصيب الأشخاص، الذين حرموا من هذه السعادة، الحزن والخيبة والفشل.

ولما كان توقف كل ذلك الجيش فى شدة الشتاء باعثاً على المتاعب الصعبة، وكان يصعب وجود الرعايا والعبيد فى ذلك المكان بسبب ضيقه وبرودة الأيام الأربعين الشتوية، فقد أمر إسماعيل بك وجيش تجمعه بالقنوم إلى أربيل والتوقف بها.

وبالمصاحب لذلك الحال، وصل فرمان من مصدر الجاه والجلال الخاقان ندى الخصال الفريدونية مشتملاً على مطايبه خاطر النواب نائب السلطنة، ووقف الانتقام

والتأثر بعون الله تعالى إلى وصول أيام الربيع واعتدال المناخ، فامتثل نائب السلطنة للأمر السلطاني ورجع إلى تبريز. وهناك وصله خطاب قائد روسيا ، وكان قد أرسل خطاباً إلى سفير إنجلترا أيضاً بأن نابليون ملك فرنسا [ص ٣٠٢] لم يحتمل حرارة المقاومة بعد فتح مسكو بسبب فكرة احتشاد الروس، ورجع، ولكن كان قد رجع بسبب شدة البرد كما أصبح معلوماً.

١٥٠- تكليف الأمراء على مقدمة الموكب المزين بالنجوم إلى أذربيجان وتحرك الراية الملكية إلى مرج أوجان، وبيان وقائع سنة ألف ومائتين وتسع^(١) وعشرين هجرية :

صممت إرادة مُزين العالم الكسروي على السفر إلى أذربيجان في أول ربيع الطراوة ، وفي الوقت الذي أعطت فيه الرياح النوروزية للتراب الميت فائدة الإعجاز المسيحي، وفتحت فيه ترشحات السحاب مفاتيح أبواب الخضرة والنضارة على وجه العالمين. وقد تشرف بالصدور فرمان العالم المطاع ، وذلك بأن يتوجه الأمراء فرديوسي المحيا واللقا النواب على خان والأمير محمد تقى ميرزا كل واحد منهما مع فوج كأمواج البحر ومعهم الأمراء والقواد كالقائد يوسف خان قائد الأفواج القاهرة الفدائية وفرج الله خان رئيس الجلادين في مقدمة الجيش والمعسكر المزين بالعظمة، وبأن تتحرك من خلفهم الراية البيضاء السلطانية المضيئة .

وبالمصاحب لانتشار هذا الخبر، ويسبب تأثيرات يمن القدوم السلطاني وظهور الفيض اللامتناهي، وفي فترات ما كان النواب نائب السلطنة قد طلب حسين خان قائد إيروان للحضور ، وكان قد تشرف في تبريز لعدة أيام في خدمة الساطع النور الأشرف، وصل من إيروان هذا الخبر: بأن القائد الروسي أرسل ما يقدر بحوالي ألفي

(١) صحيحها ثمان وعشرون ، وذلك كما أوضحنا في تعليقنا على هذا الخطأ من قبل . (المترجم)

شخص بقيادة الجنرال "بلنك جوهر" من طريق بنك وشوره كل من أجل أن يسلبوا أموالاً من القرى والمناطق المحيطة بإيروان ويستولوا على الغلال، ويحملوا من معادن تلك المناطق عدة أحمال من الملح. ومن هناك سمح النواب نائب السلطنة لحسين خان القائد بالانصراف لمحاربتهم ومقاتلتهم، وتوجه القائد المذكور على عجل كامل، ولأنه لم يكن له جيش تجمعه (المقرر له) من الركاب المظفر، ففي تلك الحالة كان قد طلب ما يقدر بنحو ألفي شخص من أهل إيروان كانوا قد أراوا الجهاد وزينوا أنفسهم بسلاح المعركة، وقد ألقى عدة أشخاص من الفضلاء وأصحاب العمائم وأهل الزهد والتقوى الكفن على أعناقهم [ص ٣٠٣] وأشهبوا سيف النصر واكتفى حسين خان بنفس تلك الجماعة، وهجموا في مضمار الجهاد. ويسبب مشاهدة هذا الحال رتب الجنرال الروسي وجنوده صفوف المعركة واستعدوا للحرب، والتقت جماعة المجاهدين والجند والقائد حسين خان لمجرد ملاقات العدو دون ذلك الترتيب لفرقة الجيش، وهجم الجميع على الشرح السابق وماتت الأيدي على البنادق والسيوف والخناجر واشتعل من كلا الجانبين برق البلاء الهاطل، فنفرت الأرواح من أبدان الروس ، ويعد ثلاث أو أربع ساعات من الجد والكفاح في ميدان المعركة، وقعت الهزيمة على الجنرال وجنوده واختاروا الفرار بدلاً من البقاء، وصارت الأشواك والحسك في الوادي في لون شقائق النعمان من دماء تلك الجماعة الحقيمة. وفي هذه المرة، ذاق ثلاثون أو أربعون شخصاً من المجاهدين المسلمين شربة الشهادة، وأتى من جماعة الروس مابين مقتول ومجروح ومأسور ما يقرب من أربعمئة شخص طبقاً لرواية الثقات الذين كانوا حاضرين في تلك المعركة^(١). ورفع القائد والمجاهدون راية المظفر إلى إيروان، وأرسل الأمير رعوس الروس برفقة عريضة العبودية المفروضة إلى بلاط صاحب العالم السلطاني، وقد وصلت الرعوس في الوقت الذي حلق فيه طائر العنقاء برايات فاتح العالم بأجنحته من دار الخلافة طهران، وقدم معسكر قبلة العالم بنصر وإقبال إلى مرج سلطانية، ومنها أخذ في التحرك باتجاه أذربيجان .

(١) هذا دليل على أن المؤرخ عبد الرزاق الدبلي كان يعتمد في أخباره على الرواة الثقات الذين حضروا المعارك . (المترجم)

وفى الخامس عشر من شهر رجب المرجب، وصل موكب محمد تقى ميرزا ويوسف خان القائد واثنى عشر ألف شخص من الفدائيين وفرج الله خان الأفشارى ومن خلفهم النواب الأمير على خان مع جيش أثر الظفر. وتحرك حضرة نائب السلطنة فى الثانى عشر من شهر رجب من تبريز، وقد سعد الإخوة العظام فى "مرج أوجان" بقاء المحبة الزائدة لنائب السلطنة حيث كان شوقهم بملاقاته المسعدة لهم. وقد سعدوا وسروروا برؤية بعضهم البعض .

وقدمت أفواج الجند القاهرة [ص ٣٠٤] المزينة بالنصر خلف راية النواب نائب السلطنة معجزة النصر إلى مرج أوجان، وقد صارت ساحة مرج أوجان باعثة على غيرة روضات الشقائق بسبب ألوان بيارق المجاهدين ، ولأنه قبل هذه الأحوال بثلاثة أو أربعة أشهر، كان قد تشرف بالصدور فرمان العالم المطاع بأن: يسعوا فى أنريجان على زيادة أفواج الجند وفرسان الجيش الذين كانوا يعتنون بتعليم المستر دراويل (دورويل) الإنجليزى، ولم يكن يتضايق على أى وجه فى إرسال الأموال أيضاً من الخزانة السلطانية بقدر الضرورة فى تجهيز وإتمام الأمر، ولهذا قطع النواب نائب السلطنة الراحة على نفسه فى هذين الشهرين أو الثلاثة أشهر، وكان قد جهز خمسة أو ستة آلاف من الجنود وفرسان الجيش على نحو الاستعداد حيث كانوا قد حصلوا جميعهم على خبرة زائدة عن الحد فى التدريبات ودرجة كاملة فى الرماية والتصويب وفى فنون الآداب الحربية. وقدم إلى مرج أوجان بما يقرب من اثنى عشر ألف جندى من القدامى والحداثى متعاقبين كالموج الهائج، وقد صُمت آذان الفلك من زمجرة صوت بنادقهم وأظلمت عين الشمس منيرة العالم من برق سيوفهم .

وفى يوم الثانى والعشرين من شهر رجب المرجب، وحيث كان موكب ظل الفلك السلطانى يضىء ساحة أوجان العامرة، أمر نائب السلطنة بالاستقبال العاجل مع عدة أشخاص من الفلمان الذين كانوا حاضرين فى الركاب، وأدرك فى معسكر الحضرة العلية الملكية شرف تقبيل عتبتة، وتم السماح له بالانصراف من خدمة فلك المنزلة وبالإسراع إلى ترتيب صفوف الجند والفدائيين وفرسان الجيش والمدفعية. وقد أسرع لاستقباله الأكابر والأعيان والمشايخ الفضلاء والقضاة والأمراء والقواد فى مملكة أنريجان، وأدركوا شرف تقبيل أرضه وفيض حضوره .

وكان الحضرة العلية الظل الإلهي يتشرف بمشاهدة جميع الأماكن من الناحيتين على صفوف الجيش ملجأ النصر من المدفعية والمدفعيين والجند والفدائيين وفرسان الجيش ، وقد وقع كل الإعجاب الملكى بالنظام والاستعداد وقواعد وضوابط الفرسان والمشاة واستحسنها استحساناً بليغاً، وسُر من آداب وحكمة وقيادة الابن [ص ٣٠٥] الشاب حسن الحظ أكثر من ذي قبل. وقدم كسرى الموفق الشرف الزائد لقصر أوجان وعماله بلوازم القربى والهدايا، كما أثر تخطيط عمارة أوجان وتجهيز جيش مريخ المهابة ونظام الديوان، الذى كان قد لاقى الترتيب من النواب نائب السلطنة، فى نظر الشمس السلطانية تأثيراً بالغاً وأثنى عليها لمرات بلسان السلطنة، وأظهر الألفاظ والإشفاقات اللامحدودة على النواب نائب السلطنة والأهالى والأعيان والفضلاء والقضاة فى تبريز وسائر أهالى أذربيجان، وقد دعا جميع الرعايا والبرايا للدولة الخالدة العهد، ويسبب مقدمه المبارك حيث من جديد أرواح أهالى أذربيجان الميته وقلوبهم المتجمدة. وصار باعثاً على سعادة وفرح الشيوخ والشباب وأعد جيشاً من المشاة والفرسان فى مرج أوجان، وأعد جيشاً فى روضة ذلك المكان متلاصقاً والذى أنسى الفلك قدرة جيش سليمان وجمشيد العالم، ووضع عهد قوة تيمور والإسكندر على طاقة النسيان .

١٥١- اطلاع قائد روسيا على قدوم الموكب الملكى إلى مرج أوجان وتحريك سبل السلام بوساطة السفير الإنجليزى السير جوراوزلى بارونت :

عندما سمع قائد روسيا بخبر قدوم موكب نجوم العظمة إلى مرج أوجان واجتماع الجيش اللامحدود واحتشاده الذى ضاقت به الوبيان والجبال من كثرة أعداده ، غلب عليه الفكر والتفكير، بالإضافة إلى أن ملك فرنسا أيضاً قام مرة أخرى بترتيب الجيش وإعداده، وقصد الممالك الروسية ، وكان قد دخل إليها بجيش وافر وعظمة زائدة، فازداد اضطرابه وقلقه من الناحيتين فكتب الرسالة المفصلة إلى السفير الإنجليزى الذى كان ملتزماً ركاب ظل الفلك السلطانى، واستدعى منه مصالحه الدولتين : إيران وروسيا بوساطته، وكان السفير الإنجليزى يبذل المساعى، حسب

استدعائه، وكان يُظهر المزايا في النظر الملكي، وكان الصدر الأعظم ميرزا محمد شفيع أيضاً وبمقتضى صلاح [ص ٣٠٦] الفكر يوافقه، وفي الحضور الأقدس كان يزين الكلام بالرأى الحسن. أما النواب نائب السلطنة والقائم مقام والأمراء وقواد الجيش الذين أوكلت إليهم أمور أنزريجان^(١) عرضوا (اقترحوا) في وجود موطن عرش السماء المنيرة، وهو أنه في العام الماضي قام الروس بحركة قبيحة، وما دام أن تعويضها لم يكتمل على الوجه الأكمل، فلن يتصور حدوث السلام والصلاح، وتمنى الخير والفلاح. وتعهد السفير، في الإجابة على اقتراحاتهم التي عرضوها، بأنه إذا تقرر بناء الأمر على الوفاق فإنه بعد مجيء وذهاب (مبادلة) السفراء، سوف يوافق سفيرا الطرفان في النهاية على رغبة الدولة العلية، وسلم رسائل عديدة، التي كانت مناط الاعتبار والأهمية ومتضمنة شروح قائد روسيا المدونة، وهي مشتملة على تعهداته التي كانت بخط يده.

وفي سياق هذا الحال، وقعت بعض الاضطرابات في أمور خراسان، حيث كان بذلك السبب، وبناءً على قلع بقية فساد الشيخ الكاشغري وسط التركمان وتجمعهم في الصحراء، أولى وأنسب لعودة موكب الهمايون إلى دار الخلافة، ومن أجل هذا، كلف ميرزا أبو الحسن خان من بلاط صاحب العالم، ويابر قائد روسيا أيضاً بلقائه وعقدوا اتفاقية وعهد الوفاق^(٢)، وتم وضع الأمر بين الطرفين على هذا المطلب وهو أن يتحرك السفراء على جناح الفلاح في الربيع القادم، وأن يفتحوا أبواب الصلح والسلام على وجه العالمين، وأن تُحدد أسس الأمور على الوضع الذي سيكون، ورضى رأى مزين العالم طبقاً لهذه المصلحة، وعزم على العودة إلى عرش السلطنة.

(١) لاحظ مخالفة ولي العهد للسلام والاستسلام لروسيا، وبور سفير إنجلترا في هذا الموضوع، وحيث إن روسيا كانت في مأزق بين الجانبين الفرنسي والإيراني، إلا أن إيران لم تستثمر هذه الفرصة جيداً لصالحها، ولم تستمر في الحرب واستسلمت هي لشروط روسيا وبريطانيا ووافقت على اتفاقية أجحفت حقوقها التاريخية في أنزريجان، وذلك كما سيتضح فيما بعد. (المترجم)

(٢) يقول عباس إقبال عن هذه الاتفاقية: وقعت معاهدة "كلستان" في التاسع والعشرين من شوال ١٢٢٨ هـ وهي التي أنهت الدور الأول لحروب إيران وروسيا في قرية "كلستان" من أعمال قراباغ بتوسط من السيد جور أوزلي ويتمثل حاجي ميرزا أبي الحسن خان من طرفي إيران، وهي بفصولها الأحد عشر من أسوأ المعاهدات التي أبرمت في تاريخ إيران الحديث، بل إنها ولدت أسباباً لشقاء عظيم لمستقبل إيران بسبب أنها أول معاهدة مضرّة عقدها أولياء إيران، وقد بلغ بهم الجهل مبلغه مع دولة أوروبية، ولم يدركوا أنهم استسلموا لقبول كل مطالب هذه الدولة في وقت كانت فيه قريضة أكبر المصائب في أوروبا. (انظر: تاريخ إيران بعد الإسلام، الترجمة العربية، ص ٧٠)

١٥٢- حضور موكب الحضرة العلية الملكية إلى دار السلطنة تبريز وبيان عنايات حضرته اللائقة على أهالى تلك المنطقة :

كان قد أدى أهالى تبريز- لصدق نيتهم ووفور إرادتهم وإخلاصهم - الخدمات اللائقة والجديرة فى السنوات الماضية بشكل عام ، وفى هذه السنة بشكل خاص، وكانوا قد وضعوا أرواحهم وأموالهم فى سبيل الدين والدولة. ومن جملتهم "أسد الله سلطان حاجى عليلو" الذى كان قد مات له تسعة أولاد فى الحروب الروسية المتعددة، وثانياً عوض باثنى عشر فرداً من أولاده [ص ٢٠٧] عن المقتولين بسبب التضحية بأرواحهم .

وبعد وقوع هذه الحوادث المهولة، وقع أهالى تبريز فى نوامة الفوضى والاضطرابات وصاروا رفقاء للغصة والحزن، وعوضاً عن كل شئ كان قد زال فى الحروب، فقد أكملوه وأتموه بسرعة، ومرر من أمام نظر النواب نائب السلطنة سبعة آلاف شخص مسلحون وبكامل عتادهم ومتطوعون للجهاد بون أجر ومتاع أو حقوق وواجبات مقررة. وفى سبيل إزالة ورفع ضرر الخصم وتعويض خسائر الأسفار المليئة بالخطر، فقد وضع كل شخص كل ما كان عنده على طبق الإخلاص. ولما كانت الاستعدادات والتجهيزات تصل من كل جانب، فلم يقترن سؤالهم فى خدمة نائب السلطنة بالقبول، ويسبب الاستماع لأخبار الاضطرابات التى كانت تصل إلى تلك المناطق، فقد تمنى جميع أهالى الولاية سلامة ذات النواب العالى ونفسه الفريدة، حتى أن عجائز النساء منحن الذهب للفقراء من قيمة خيوط مغزلهن، وقد شاهد الحضرة العلية الملكية فى يوم الاستقبال له ناحية حال إخلاصهم وموبتهم اللذين لا حد لهما وشوقهم وشفقتهم التى بلا حصر، ولهذا، ومن أجل افتخار كبير تلك الولاية وصغيرها، فقد سلم فى السابع والعشرين من شهر شعبان معسكر زحل العظيمة إلى نائب السلطنة، كما ترك الصدر الأعظم ميرزا محمد شفيع فى خدمة حضرته. وقد أمر بتزيين وإنارة دار السلطنة تبريز لاستقبال قدوم صاحب العظمة والعزة، وقد قام بسرعة الاستقبال سبعة آلاف فرد من حملة البنادق من أهل المدينة، ولم يبق فى ذلك

اليوم شيخ أو شاب في البيت، وقد نثر كل شخص كل ما كان عنده تحت أقدام كسرى الأوحى، ولكنه لم يقبل الهدية من أى شخص، وعطف على الصغير والكبير.

ومع أن طبعه الأشرف لم يلتفت كثيراً إلى اللهو واللعب بسبب كثرة مشاغل الملك والحكم وتنظيم أمور الرعية وشئون الجيش، فإن أهل الولاية قاموا في ميدان الجند الذى كان واسعاً ورحباً بتجهيز الألعاب النارية وبإطلاق مدافع الهاونات والمدفعية، وقد جعلوا الليل المظلم مضيئاً كالنهار بسبب الألعاب النارية، وألقوا نيران الخجل فى أرواح الثيران والأسود بسبب شجاعة أفيال المعركة وأسود النيران [ص ٣٠٨]، وقد بعثوا فى فضاء السماء والفلك الدوار الشهب المشتعلة وألسنة النيران من أشعة قلاع النيران. وقد صار كل أهل الولاية واحداً واحداً مفتخرين ومتباهين بالعطف والعناية والثناء والإعجاب. وفى اليوم التالى، ركب الجواد فى عزة وإقبال، وقام باستعراض ومشاهدة دار الأسلحة ودار المدفعية ومبنى دار الذخيرة التى كانت قد شُيّدت خارج المدينة بتخطيط غريب وتصميم عجيب ، وكانت قد صُممت على تخطيط نظام دار الذخيرة الأوروبية (الإفرنجية) وبعد الاستعراض والمشاهدة، نزل فى قصر ذلك المكان مثل الشمس المزينة للعالم فى برج الأسد، وقد فتح اليد النائرة بالذهب من على أعلى رأس الوضع والشريف والقوى والضعيف وجمعت الخلائق الذهب، وقد جعلوه رأس مال عزتهم وزينة كيس ثرائهم من أجل التيمن والتبرك به. وتحرك من ذلك المنزل، وقد صار المعسكر للمرة الثانية موضع حسد جنة الخلد بسبب يمن وبركة مقدمه المبارك. وفى غرة رمضان المعظم تحرك فى نصر وإقبال إلى دار الخلافة طهران .

١٥٣- ذكر ظهور فتنة خواجه محمد الكاشغرى وانتهاء أمره بسعى الجيش السلطانى :

كان خواجه محمد الكاشغرى من أمراء الصين، وقد اختبر [بمحنة] الجلاء عن وطنه بعلّة تقلب أوضاع الزمان، وقد تنقل لفترة فى مملكة بلاد الهند ، لفترة فى بعض

بول الفرنجة، ومنها، انتقل إلى بلاد الروم [الدولة العثمانية]، وفي عالم السياحة التقى الدراويش (الصوفية) ووقع تحت غوايتهم ومكرهم، إلى أن انتقل إلى المملكة المصرية، وهناك، فتح دكانا لخداع وتلبيس العوام، فاجتمع حوله جمع من الدراويش، وادعى رئاستهم، ووصل إلى ولاية ذلك المكان، وبعد فترة، كشفوا خداعه، فأرادوا قتله، وهرب من مصر وذهب إلى ديار إنطاكية، وأقام فترة في تلك المدينة الجميلة، ومنها عزم إلى السلیمانیه وشهرزور. وخدع عبد الرحمن باشا حاكم بابان بالسحر والطلسم وجعله من ضمن المعتقدين به، ووسوس له، فحمل على بغداد [ص ٢٠٩]، ودمرها وبقي عدة أيام في بغداد مع عبد الرحمن باشا، وعرض أهالي بغداد كيفية إثارتة للفتنة وثورته واعتداء عبد الرحمن باشا على بلاط سلطان الروم، وطبقاً للفرمان الصادر، طرد أهالي بغداد عبد الرحمن باشا منها، وكان خواجه محمد معه، فرجعا إلى السلیمانیه، وتكررت علاقة الصداقة والاتحاد، التي كانت بين دولة الروم (العثمانية) وإيران كلية، بسبب فساد عبد الرحمن باشا.

والخلاصة، أن الحضرة العلية السلطانية، عين، من أجل إزالة هذا الشجار، النواب الأمير محمد علي ميرزا لتدمير واستئصال عبد الرحمن باشا، فهجم جيش الأمير على رأسه، فهرب، وكُنست ولايته حتى حدود ذهاب وما حول بغداد بمكنسة النهب والإغارة، ومن بينها، نهبوا أموال خواجه محمد المذكور أيضاً، وأسرع هو إلى دار الخلافة طهران، وأدركه الحاج محمد حسين خان المروي الذي كان على معرفة سابقة به أيام الشباب، فجعله شفيعه، وأخذ منه عريضة الطاعة للأمير محمد علي ميرزا، ورجع إلى كرمان شاهان، وبناءً على رعاية الحاج محمد حسين خان وشفاعته له، استرد الأمير أموال الخواجه من الجنود وأعطاهها له، ومن هناك اتجه إلى دار الخلافة، وأراد العودة إلى وطنه المألوف وعزم الرجوع إلى دياره .

وفي تلك الأوقات كان قد تضايق تركمان إستراباد من سوء سلوك ميرزا رضا المازندراني وزير الأمير محمد قلى ميرزا، وكانوا قد انزعجوا انزعاجاً كاملاً، وانطلاقاً من أن التركمان لهم الاعتقاد بالدراويش، فقد نشروا بأيديهم رائحة الإرادة وفتحوا

بأقدامهم النار وسفك الدماء على مملكة إستراباد ومازندارن، ووقعت بين تلك الجماعة وجيش الحاكم سليمان العظيمة المعارك العظيمة، وهُزم التركمان وهربوا، وقد صار الخواجه محمد المذكور من بين القتلى، وخمدت ثورة التركمان وفتنتهم، وندمت تلك الجماعة عن أفعالها وأعمالها، ومع الانتفال الكامل خوفاً من السطوة الملكية وجدت أبواب النجاة مسدودة في وجهها. فلم يسرعوا لفترة إلى رأس الطاعة [ص ٣١٠] ، وسحبوا رءوسهم إلى جيب الخمول وانزوا في زوايا الفشل، وأصدر الخديو نوالفرمان المنزه الأمر بتعيين محمد زمان خان القاجارى، الذى كان حاكم إستراباد السابق، وقد سعد التركمان لحسن سلوكه، على حكومة إستراباد .

١٥٤- بيان وضع بعض القوانين الملكية ونظام الجيش، وتوجه النواب نائب السلطنة إلى دار الخلافة طهران لتقبيل بساط الحضرة العلية الخاقانية وعودة حضرته إلى مركز الدولة (تبريز) :

انصرف النواب نائب السلطنة بألف حرمان من ركاب خديو العهد ، ولحق بمركز الدولة وانشغل بتجهيز وإتمام الخدمات السلطانية وإجراء الضوابط العسكرية والنظام واخترع القواعد والقوانين الحسنة وأبدع العادات الحميدة، ومن بينها، فقد نفذ الحكم الأشرف بأن يقيموا في كل واحدة من ولايات أنرييجان مقر الديوان الخاص، وأن يجلسوا في الديوان أميراً نكياً وفطناً مع أحد المشايخ الفضلاء من أجل تنفيذ الأوامر الشرعية ، وأن ينجزوا أمور الجند والمدفعيين ومدفعي الهاونات وسائر المرتبطين بالعسكرية وفق الشرع الشريف، وقد بنوا كذلك دار المشورة في الركاب العالى وذلك من أجل أن يستقر فيها عقلاء أهل الجيش ويقوموا بتسيير أمورهم فيها.

فالعقلاء يرون أن عين الفلك العجوز، الذى رأى كثيراً من الأكاسرة الأطهار، لم ير بعين التجربة مثل هذا الأمير العاقل ، ولم تسمع أذن الدهر المزيينة للفتنة والمفتوحة دائماً لأصوات وقوانين الملوك، عن قواعد وقوانين من أى صاحب تاج وخاتم قط مثل قواعد وقوانين هذا الأمير المقتدر. بيت [شعر ترجمته]

أين فريدون كى يرى هذا القانون

وأين الإسكندر كى يرى هذه الآداب

ولما كانت المدينة الجميلة خوى واسعة فى الحجم والمكانة وكبيرة فى عدد السكان، فقد أراد محبوب سياح الآفاق أن يجعلها أيضاً مثل دار السلطنة تبريز بمكانتها فى نفسه النفيسة محكمة لعدله وعزته ومسكناً لراحته وأمنه، فيرتعد من الفرح والسرور والحبور.

ولهذا، يتحرك من تبريز، ويلقى ظل الدولة والحشمة على رأس ساكنى تلك الديار ويجعل ذلك المكان مكان التوقف والإقامة والاستقرار وموطئ قدم الدولة الثابت [ص ٣١١]، ومع زيادة أشغال إدارة الملك والحكم وزيادة العمل، وعلى الرغم من ذلك، فكان قد نفذ فرمان الهمايون السلطاني مجدداً لإتمام وإكمال ثلاثين ألف جندي، وينبغي أن ينتهى القبول بسرعة، وكان تفكيره فى تجهيز وإعداد الجند والمدفعية ومدفعية الهاون والفرسان العسكريين، والذي كان عملاً عظيماً وأمرًا صعباً أيضاً، أكثر من شوقه لتقبيل عتبة الحضرة العلية فلم يعرف رأسه من قدمه، وتوجه إلى بلاط ملجأ العالم، وعلى الرغم من ذلك أدرك الحضرة العلية ملك الملوك تصوره لتأخير الأمور وتعويقها، فلم يرض فيض حضوره عن حضرته، وسلم النواب نائب السلطنة أذربيجان إلى هلال أفق السلطنة وطليلة دوحة المكرمة وبرعمة روضة العزة النواب الأمير محمد ميرزا، وكما قرر للقائم مقام [بأن يكون] فى خدمة الرأس الجديدة وروضة الاحتشام لأداء الأمور وقطع دابر المهام. وفى غيبة حضرته، فلو أنه كانت قد ظهرت آثار نقض العهد من جماعة الروس، واعتبروا تخطى مشكين جائراً لهم، فإنهم لم يتجرعوا أكثر بسبب يقظة قادة الجيش وانضباط أمور الأقاليم الحدودية وتنظيم شأن القاصى والدانى. وقد أصبح ألقان من الجند تحت رعاية القائم مقام فى ولاية أذربيجان مجهزين ومستعدين لجميع أعمال التدريبات، وقد جاءت كل الأمور منضبطة ومنسقة وكل الأعمال فى غاية الازدهار بسبب السعى الوافر. ومع أنه كان قد اختلط الجيش بالرعية فى تلك الحدود، إلا أن كل شخص منهم كان مشغولاً بعمله، ولم يحدث فساد وفتنة.

ولما كان النواب نائب السلطنة قد لحق بالبلاط، فقد صار قريباً للسرور والفرحة الوافرة من رؤية الهمايون الحضرة العلية السلطانية، كما وجد العناية بالامحدودة

وكافة أنواع الإنعام والإحسان من الحضرة الخاقانية. ومن جملة الإحسانات، فقد مُنح النواب نائب السلطنة السرج واللجام والجواد الخاص بركوبه الذي كان أحسن الخيول المسرعة كالبرق. ولما كان حضرته يبسط في سلوكه وتصرفه بأسلوب غلمان العبودية، فقد امتنع عن قبولها، وبعجز وإلحاح كثير أعاد الدر إلى البحر والياقوت المتلألئ في أصدافه [ص ٢١٢] ومع أن قبولها كان ثقیل الظل على الطبع السلطاني ولكنه قبلها بواسطة بأس خاطر النواب نائب السلطنة .

ولأن دخول (موارد) أنريجان في أغلب الأوقات كانت قاصرة عن كفاية الأمر مثلما هي في السابق، فقد كان مدبرو أمر ديوان صاحب الوسعة يتعطلون بسبب حاجتهم إلى نفقات نقدية زائدة، وفي الحقيقة أن النقود والأموال السلطانية الرائجة مخزونة لنفس هذه النفقات، ومن أجل هذا، مُنح مبلغاً ضخماً من الخزانة السلطانية ، بالإضافة إلى مقررات كل عام، وحصل على الإذن من خدمة من هو في منزلة الفلك. وفي السابع والعشرين من شهر جمادى الأول، لحق بمتكأ الشوكة والإجلال في دار السلطنة تبريز في عزة وإقبال .

١٥٥- السماح للسير جور أوزلى بروننت سفير دولة إنجلترا الكبير بالانصراف من البلاط السلطاني وتحركه من تفلينس وبطرسبورج من أجل محادثات السلام ومصالحة دولتي روسيا وإيران وإظهار العناية السلطانية وإشفاقات نائب السلطنة بالنسبة له :

ولأن السير جور أوزلى بروننت سفير دولة إنجلترا قد وطد قواعد الصداقة فيما بين دولتي روسيا وإيران، فقد فرغ من هذه المهمة الجسيمة، ولم يبق له القلق والانتظار، ولم يترك في أمور السفارة النقص وعدم الاكتمال، وكان له من قبل الدولة العلية إنجلترا الإرادة الكلية في الحركة والسكون وسائر الموضوعات، وبناءً على صدق القول واستقامة العهد، فكان يريد أن يجعل أركان هذه الصداقة والمصالحة فيما بين

الدولتين موافقة للعهد المحكم والقول الثابت وهو المقصود الأصلي لدولة إيران من المصالحة والسلام. ولهذا - وبالرغم من ذلك الوصف - كانت أُلطاف السلطان شاملة لأحواله إلى درجة أنه كان يصعب في نظره حرمانه من فيض الحضور السلطاني. وقد ظهر لمرة ثانية لمجرد التفكير في صلاح الدولة لطلب الإذن والسماح له، وعلى الرغم من أن الحضرة العلية السلطانية لم يكن يسمح له بالانصراف من بلاط صاحب القلک نظراً لشدة اهتمامه به، فقد رأى أنه من الأولى قبول سؤاله، وسمح له بإعزاز كامل ووجهه إلى مقصده في إكرام لا كلام فيه [ص ٢١٢] ومن جملة الإنعامات السلطانية، التي لم تكن قد تيسرت لأحد، فقد منحه الأطباق الذهبية من أجل حفل ضيافته الملوكية، وقد أعطاها له بيده المباركة، وقد بذل النواب نائب السلطنة أيضاً بشأنه الرعاية والعناية التي لم يكن قد فعلها بشأن أى شخص من مقربيه وحاشيته ومسئولى حضرته. فقد منحه الإبريق والطشت ذات الأرجل، وكان ملحوظاً أنه يؤدي معه مراسم الصداقة والمحبة أكثر من مسئولى الدولة، وقد توطدت - إلى حد لا نهاية له - العلاقة والروابط الخصوصية بينه وبين السفير، وكان يحزن ويغتم لفراقه الزائد عن الحد، فلو كان قد رجع من مملكة إيران لكان دائم المطالبة بهوس لقائه، ولم ينمح أمل رؤيته من القلوب، وفي الواقع أن مكانته التي كانت له لم تنقص في المراتب الإنسانية. وقد كان يرفع راية الوفاء والرجولة والحقوق في مضمار الصداقة.

والخلاصة أنه كتب رسالة الصداقة إلى دولة إنجلترا وأرسلها في صحبته، كما كلف ميرزا أبو الحسن خان الشيرازي أيضاً بالسفارة لروسيا، من أجل أن يظهر في دولة روسيا باسترشاد واستصواب السفير المشار إليه ما يجب ويعلموا صلاحه، وحتى تقترن مطالب دولة إيران المنظورة بالحصول. وقد كلف السفير المذكور أيضاً المستر موريه نائبه، بالتوقف والبقاء في إيران، وأعطى له الإذن بالعمل مفتوحاً، وتوجه هو بنفسه حيث يسير إلى وجهته من طريق بطرسبورج كي يلتقى في عرض الطريق بالقائد الروسى في تفليس، ويمهد المقدمة المعهودة ثم يسعى في بطرسبورج لإكمال مهام ميرزا أبى الحسن خان وحصول مُرام دولة إيران من دولة روسيا حسب تعهده، وبعد حصوله على قدر من الراحة يتوجه إلى مقصده من هذا الطريق. وقد تم عمل كل ما كان لازماً لإعزاز وتعظيم السفير المشار إليه وإكرامه وتبجيله من قبل كبير وصغير

أهالي ولاية إيروان طوال مسافة الطريق وذلك من دار الخلافة طهران وحتى نهاية ولاية إيروان [ص ٣١٤] . وبالمصادفة، قدم السفير المذكور إلى تبريز في يوم قدوم نائب السلطنة إليها، فصار موضع العناية التي لا حد لها من حضرته، وتوجه إلى مقصده .

١٥٦- وقائع سنة ألف ومائتين وتسع وعشرين هجرية، وذكر بواعث نهضة الهمايون إلى ناحية خراسان، وتعيين إسماعيل خان الدامغانى رئيس فرقة الغلمان على قيادة ذلك المكان، وفتح هراة وفراة :

بعد انقضاء حفل النوروز المنتصر، صممت الإرادة السلطانية على إخماد ثورة أمراء خراسان وإسكاتها. فأحوال ذلك المكان على سبيل الإجمال هي: أنه كانت قد صدرت الأوامر المطاعة من مصدر العز والجلال إلى حكام خراسان بسبب ثورة خواجه الكاشغرى وجمع التركمان وعدم اعتدال تلك الجماعة، وذلك بأن يجتمعوا ويحتشدوا، ويقوموا بعزم صادق وهمة وافية بصد تلك الجماعة وطردها، فقام الأمراء المقترنون بالإرادة ويسبب كمال إخلاصهم وطاعتهم بجمع الجيش، وجعلوا وجهة همتهم صد التركمان. وبعد قتل الخواجه محمد الكاشغرى وهزيمة التركمان، كان النواب الأمير محمد ولى ميرزا يقوم باستعراض جيش جند خراسان بالقرب من نيسابور وذلك من أجل أن يسمح لهم بالانصراف ويأذن لهم بالعودة إلى أوطانهم. وفى هذه الرحلة كان حكام خراسان قد أدوا لوازم الغيرة والرجولة والشجاعة ، كما كانوا قد جدوا وجاهدوا جهاداً بالغاً فى إعداد الخيول وتجهيز العتاد والأسلحة للمعركة. وقد شاهد الأمير عرضهم، فطمع بعض من مقربى حضرة الأمير ومسئولى بلاطه فى الخيول والعتاد الموجودة بجيش خراسان وأخنها منهم بالإكراه ، وفى الحقيقة أنه كان طمعاً فجاً وناقصاً ومضراً لشرف وسمعة عرش السلطنة، وقد طلب الأمراء متضرعين بأن الجواد المسرع كالبرق والأسلحة والعتاد هى وسيلة الجهاد والكفاح فى سبيل خدمة هذا البلاط وأساس أمل أفراد الجيش وانتعاشهم، فماذا يفعل الرجل بون أسلحة

وعتاد في مقابل الجلادة ، وكيف يفتح المشاة بدون خيل ميدان المعركة وفي مواجهة الفرسان [ص ٣١٥] وأن استرداد العتاد والأسلحة من الجنود الذين يظهرون الفخر والفدائية في ميدان المعركة، يبعث على يأس وحزن أمراء وجيش هذا الإقليم. ولم يقع هذا الاستدعاء والطلب موقع القبول، وتحرك الأمير مع خواص حضرته من نيسابور إلى مشهد المقدسة. وفي غيبة الأمير، استرد مرة ثانية حكام خراسان خيولهم وأسلحتهم، ووضعوا بناء الثورة والفساد، وقدموا إلى قلعة مشهد الرضوية المقدسة، وأعلنوا عبارة العصيان والتمرد، فقام الأمير باسترضائهم وبذل الإحسان والإنعام على تلك الجماعة بلا حدود. وأصرروا على العناد واستكبروا ولم يتركوا جانب غير النادمين. وفي خلال هذه الأحوال، وصلت أوامر العناية الملكية والخلاص الفاخرة من بلاط صاحب العالم السلطاني لافتخارهم ورفع رأسهم، فجعل أمراء خراسان من الخلاص زينة أكتاف وصدور افتخارهم ومن الأوامر الملكية زينة عمامة اعتبارهم ومكانتهم. وأيضاً بالنسبة لخدام الأمير الذين كانوا على رأس الخلاف والمعارضة، فقد وصلت كيفية هذه الأخبار في دار الخلافة طهران إلى مسامع إقبال مقيمي صاحب بلاط زحل السلطاني. وكُفَّ إسماعيل خان الدامغانى بقيادة خراسان وبتأديب المتمردين ومعاقتهم. وقد فتحت من خلفه راية عقاب الخاقان المستولى على البلاد أجنحتها من دار الخلافة طهران إلى ناحية خراسان. وبعد وصول القائد المذكور إلى مقربة من تلك الحدود والثغور، دخل قلعة مشهد المقدسة، ومنها هجم بجمعه على أمراء خراسان، وتقدموا هم أيضاً بقدماً الإقدام والقتال، ووقعت معركة قوية، فهجم حكام خراسان على رأس مدفعية الطراز الإنجليزي، وأحرق المدفعيون المهرة طبقاً لقواعد التدريب والقذف والدخان المتلاحق ما يقدر بحوالى مائة شخص من الأبطال الخراسانيين المشهورين كما الفراشة بسبب نيران مدافع صوت الرعد، وبسبب مشاهدة هذا الحال فر بقية أمراء خراسان وجنودها ورجعوا إلى قلعته. وأرسل أمراء خراسان [ص ٣١٦] مثل رضا قليخانزعفرانلو و نجفلى خان شادلو، الذى كان قد تجرأ فيما سبق ببعض الأفعال والحركات السيئة، عريضة الضراعة مع مبعوثيهم المعتبرين بوساطة قائد خراسان، الذى جعلوه شفيعهم

فى منزل "تششمه على"، وقدموا إلى بلاط صاحب العالم وطلبوا العفو عن سواف أفعالهم الشاذة وغير المقبولة. وكما كانوا، صاروا متقبلين الخدمة والطاعة.

ومن المصادفات الحسنة ، وحيث كان الطالع السلطانى دائماً هو المستعان فى كل أحوال العون والتأييدات الإلهية، ففى هذه الرحلة، تيسر فتح هراة وفراه بسهولة لم تكن فى حساب وتعداد مسئولى الحضرة. وتوضيح هذا القول هو أن كامران ميرزا الأفغانى تحرك من قندهار ومعه جيش الأفغان والجيش الجرار، وعزم إلى هراة وفراه، وحاصر البلدة الطيبة هراة ، وقصر همته على تحرير المدينة وطرد فيروز ميرزا ، ولأن فيروز ميرزا قد رأى نزول البلاء وصد الحادثة فى غير مقدوره، فقد جر نفسه إلى ظل حماية الخاقان الموفق وتوسل إلى مسئولى الدولة القاهرة من أجل صد الحادثة ورفع المصيبة بيمين وبركة العنايةات الكسروية ، وتتجية نفسه من ضرر جيش الأفغان وأذى جند كامران ميرزا. فقبل طبع الهمايون المتربى على الضعف، الذى كان دائماً مجبولاً على حفظ جانب إرادة المخلصين، طلب فيروز ميرزا . وأصدر الأمر ذا القدر بافتخار القائد إسماعيل خان وذلك بأن يسعى إلى إمداد فيروز ميرزا ومعاونته ، وتحرك القائد المذكور بالجيش اللامحصور من الأرض المقدسة. وبدون توقف، كلف بسرعة، وقبل وصوله هو ، محمد نظر خان إلى ناحية هراة وفراه ومعه سائر فرسان الطوائف المكلفة على خراسان وسيره فى مقدمة الجيش، وبمجرد قدومه ووصوله وقائد خراسان إلى هراة تفرق كامران ميرزا وجيش الأفغان كبناات النعش، وفروا إلى مقربة من قندهار، وصفى القائد المشار إليه أنحاء الولاية المذكورة من فسادهم وطهرها من فتنهم، كما سلم فيروز ميرزا مفتاح القلعة، وتقدم هو بنفسه لتقديم كامل الشكر [ص ٣١٧] لملاقاة القائد بقدّم الثبات والإخلاص، وصار ملتزماً بتقديم الجزية والخراج. وصدر من قبل الهمايون الأشرف مرسوم ولاية هراة وفراه باسمه، وصار ولده مفتخراً بملازمة بلاط الهمايون، وتزينت السكة والخطبة بالاسم الكسروى المشهور وصارت الولاية المذكورة، وهى ملك واسع وعريض، ضمن الممالك المحروسة، وخط قلم العفو والصفح على جرائم جرائم مخطئى خراسان .

١٥٧- كيفية ثورة وفساد محمد زمان خان عزالدينلو القاجارى مع جماعة

التركمان ويموت فى إستراباد وأسره على يد أهالى وأعيان ذلك المكان :

فى فترة توقف معسكر زحل العظيمة فى فيروزكوه، وصل خبر تمرد محمد زمان خان القاجارى عزالدينلو حاكم إستراباد وحاكم التركمان إلى المسامع الجليلة. وتوضيح هذا المقال على سبيل الإجمال هو: أن محمد زمان خان كان قد وضع بناء التحالف فى أثناء حكمه لإستراباد مع طائفة تركمانية ذلك المكان "خذلهم الله"، وقد أحضر معارفهم وأعيانهم ومعهم ثلاثون ألف فارس على بعد ثلاثة فراسخ من إستراباد، والتقى معهم وعاد إلى المدينة، ورفع صوت طبل التمرد والعصيان عالياً، وفى مبنى الخاقان المغفور له اتكأ على مسند الجلالة، وقبض على بعض الحكام والأمراء القاجاريين الذى كانوا متوقفين فى إستراباد، وحبسهم، واستولى منهم على مبلغ ضخم بالإجرام وأعطاه لرؤساء التركمان، ورحل بعضهم إلى "مير محله" وحبس بعض الأعيان القاجاريين، وذهب بالرحل إلى قلعة "ماران"، وأغار على نوابهم وأثاث بيوتهم.

وعرض أهالى إستراباد كيفية تمرده وعصيانه فى فيروزكوه إلى المسامع الكسروية العلية فتحركت راية الهمايون من فيروزكوه ونزلت بإجلال وتكريم فى "تششمه على"، وصدر حكم الهمايون إلى فداوية دار المؤمنين إستراباد، وذلك بأن يقبضوا على المذكور والمتحالفين معه من التركمان الموجودين، ويرسلوهم إلى البلاط السلطانى. فأخبر محمد زمان خان، بسبب سماعه خبر قدوم معسكر الهمايون إلى "تششمه على" [ص ٣١٨]، التركمان فى جهارباغ وهى الواقعة على بعد فرسخ واحد من المدينة، وفروا هكذا مع بعضهم من أجل أن يظهر التركمان مرتدين الوقاحة وعدم الحياء ويتقدموا إلى معسكر الملك المظفر، ويلحق بالتركمان محمد زمان خان بنفسه بعدهم وذلك بعد جمع المشاة والفرسان من إستراباد.

وبعد رحيل التركمان، تشجع أهالى وأعيان إستراباد وحكامها وقويت قلوبهم بسبب استماعهم لقدم الموكب السلطانى إلى "تششمه على". وتحرك الراية الكسروية

بغرض إستراباد، واحتشدوا وأحاطوا بمكان إقامة محمد زمان خان، واشتعلت شرارة الحرب والقتال من أول الليل وحتى الصباح، وعند بداية طلوع الشمس سقطوا على مبنى الديوان. وانشغل محمد زمان ومعه عشرة أو خمسة عشر شخصاً من حكام وعظماء يموت مثل أغا محمد حسين يخشى قوجاق وأدينه حسن خان تاتار وأمير حكومتهم جعفر باي ونوروز خواجه وقوجاق صوفى ألقى وطفان نيازخان يخمر وابن عم قربان قليج وأحد الأشخاص المنسوبين إلى ولى كافر بوجى وجمع آخر من كبارهم بالصبر والتحمل والعظمة فى العمارة المباركة، وقُتل ثلاثة أشخاص، وضرب محمد زمان خان خليل أقايسىانلو بالبندقية وقتله، وكانوا يحاربون طالما أن الذخيرة والبارود كان معهم. وبالمصادفة قبض محمد حسين بك شامببىاتى على ثلاثة أشخاص من التركمان خارج المدينة، وعراهم من خيولهم وسلاحهم وقبض على ما يقدر بمئتى شخص من التركمان فى القرى والريف، ولم يكن فى المقدور الحصول على هؤلاء الأشرار من أقصى الوادى بالأفواج اللامحصورة. وقدموا بأقدامهم إلى الفخ والمصيدة بسبب خيالهم وفكرهم الباطل، فأصبحوا أسرى لتقديره ومأسورين لفعلتهم الشاذة بقوة التأييدات الإلهية وقوة الطالع السلطانى، وقُيد محمد زمان خان ووضع فى الأغلال على يد أهالى إستراباد وأعيانها. وبسبب السلطنة قضى اثنى عشر يوماً فى مله وغمه ورأس فضوله منطوية فى جيب خموله [ص ٢١٩] وقد صار ذيله وحاشيته مبيتة من مياه عينيه. وتفرق باقى التركمان بسبب استماعهم لهذه المسألة ورحلوا بعيداً متوجهين إلى ديارهم. وقد عرض أهالى إستراباد كيفية [الأحوال] على موطنى العرش الأعلى، فكلف [السلطان] ميرزا يوسف خان مستوفى الممالك من "تششمه على" ومعه فوج من الغلمان الخواص من أجل الذهاب إلى مدينة إستراباد وإرسال محمد زمان خان وسائر المحبوسين إلى بلاط بطل العصر. ودخل ميرزا يوسف إلى إستراباد وسلم له أهالى المدينة محمد خان مع التركمان، وأرسلهم إلى بلاط الفلك الوقار .

ولأن محمد زمان خان كان يريد أن يمتطى جواد الدولة المتبختر بسبب تمرده وعصيانه، فقد ركب بالأمر السلطانى على حمار وساروا به. وبعد التشهير به وجعله عبرة للشباب والشيخ، فقد عُرئ مع أخيه أمير خان وشخص آخر من أقوامه المذلولين من زينة النظر وذاق التركمان جرعة الفناء من سن سيف الياسا، وخمدت الفتنة فجأة.

١٥٨- وقائع العام المبارك سنة ألف ومائتين وثلاثين المطابق لعام الخنزير التركى^(١) وذكر سفارة ميرزا أبى الحسن خان إلى دولة روسيا

فى ربيع هذا العام، وعلى النحو الذى كان قد سبق الإشارة إليه، كُفِّ ميرزا أبو الحسن خان الشيرازى ومعه فيلين وبعض التحف والهدايا من بلاط صاحب السماء بسفارة دولة روسيا، ومع أنه كان طبقاً لقواعد وعادات السفارة المحلية، ولكن كان ينبغى أن يطلب بعض مطالب هذه المناطق. وقد ألقى النواب نائب السلطنة إليه بعض العادات والأداب التى كانت لائقة بشأن الدولة العلية. ولما وصل إلى مقربة من "بطرسبورج" أكرم مقدمه إمبراطور روسيا، وبغرض جمع شتات جيشه وإظهار كثرة عاصمته، عين منزلين أو ثلاثة لاستضافة ميرزا أبى الحسن خان فى بطرسبورج واعتنى باحترامه. وبعد احتشاد الجيش واجتماعه وترتيب الناس وزينتهم استدعاه إلى عاصمته وفى يوم قدومه، اصطف بطول فرسخ واحد على الطريق من الجانبين خمسمائة ألف من جنود الروس [ص ٣٢٠] وعشرة آلاف فارس روسى وستون عربية مدفع، ووقفوا منسقين. ولم يحدث الإعزاز، الذى وقع له من قبل إمبراطور روسيا، لسفير فى أى عصر وزمان، وإن شاء الله سيوضح قلم البيان كيفية ووقائع عودته.

١٥٩- وفاة مصطفى خان الطالشى وأحوال أبنائه من بعده، وكيفية أحوال جعفر قلى خان، وثورة أهالى شكى وما آل إليه حالهم

فى هذا العام، كان مصطفى خان الطالشى، الذى كان الأوحد فى عدم الطاعة والتمرد واللجاج وقد سالت الدماء من المسلمين والروس بسبب عناده وصراعه، قد مرض وتوفى، وقد أظهر الخلاف أولاده مير حسن ومير حسين وعباس بك فيما بينهم، وكانت أمهم تتدخل كل يوم فى عمل أحدهما بواسطة مدبرى أمورهما فكان الآخرون يثيرون العداوة والعناد معه لهذا السبب، ولم يزدهر أمرهم على هذا المتوال، وفى تلك

(١) تنكوزنيل : سنة الخنزير فى التقويم التركى الشرقى وهى السنة الثانية عشرة من الدورة الثانية عشرة من تاريخ الأتراك . (انظر : لغت نامه ، على أكبر دهخدا ، جلد بنجم ، ص ٦١٩١)

الأسرة، التي تصيح فيها دجاجاتها بدلاً من ديوكها، لم يكن قد مر بعد شهران على وفاة مصطفى خان حتى مرض جعفر قلى خان فى شكى وانقضى أجله، وهو كان فى آخر حاله نادماً على أفعاله فقد كان يمرغ وجه الحاجة والمعوزة على عتبة الإرادة والإخلاص، وكان يُرسل الأشخاص الفصحاء إلى خدمة نائب السلطنة وفى فكره تعويض ما مضى وما فات ، وكان يفصح بالحجة المفحمة والسوداء وإبداء الأعذار، ولكن الأجل لم يمهله الأمان .

ومن بعده، كان أعيان وأهالى شكى يريدون عدم إطاعة ابنه إسماعيل خان بحيث يطربون أعقابهم من بينهم، فاطلع قائد روسيا على هذا المعنى والقصد فقبض على أهالى شكى وأرسلهم إلى سيبيريا، وأعطوا مرة ثانية لإسماعيل خان الاستقلال فى أمور شكى. وقد وجد خلاصه وحصل على حريته الأمير أصلان خان أخو جعفر قلى خان وهو أمير وقور وفصيح ومذهبه فى الإخلاص وفكره فى الصداقة وفى هذه الفترة لم يكن مبتلياً ببلاء مرافقة أخيه بإرادته واختياره، وتوجه مع جمع من إخوته وأبناء إخوته وأقدم بوجه الحاجة إلى بلاط سماء الجاه، فرأى الإكرام والإنعام من الحضرة العلية السلطانية [ص ٣٢١] وقد اختاره النواب نائب السلطنة من بين أقرانه وأمثاله بسبب لياقته وجدارته وخبرته وعلمه بالقواعد والقوانين وهو الآن يُعتنى به العناية الكاملة. وهو متشرف بالخدمة المفتخرة ويعلو المنزلة الممتازة فى الظاهر والخفاء وفى الخلوة والعيان .

١٦٠- بيان هلاك إسحق القرائى وابنه بحكم الأمير محمد ولى ميرزا وثورة حكام خراسان، ومجىء رحيم خان الأوزبكي وعودته

لقد اعتقد الأمير محمد ولى ميرزا أن انتقاص أموره وتعطلها فى حياة إسحاق خان تربتى ولهذا قضى على إسحاق خان وابنه الذى كان عنده فى مشهد المقدسة، فأخذت الوحشة والخوف محمد خان والأبناء الآخرين الذين كانوا فى قلعة تربت

حيدرية" بسبب استماعهم لهذا الخبر، وأقفلوا الأبواب على أنفسهم ومكثوا متحالفين خلف الجدران والأسوار. فعين الأمير الجيش على رأسهم، ولم يفعلوا [الجيش] أمراً (شيئاً) ورفعوا راية العودة دون مرادهم وقد أنكر حكام خراسان أيضاً هذا العمل. وانفزعوا كالغزال الوحشي، وانسحب كل واحد منهم إلى قلعة طاوياً أقدامه في ذيل العزلة، وسكنوا إلى الراحة، وأرسلوا إلى بلاط العظمة عرائض الحاجة المشعرة على الطاعة والعبودية للحضرة العلية حضرة ملك الملوك والدالة على عدم الرضا من سلوك وتصرفات الأمير محمد ولي ميرزا، وتحديثوا بلسان العجز والتضرع. فأصدر الخاقان فاتح البلاد الأمر بأن يتوجه الأمير إلى دار الخلافة، وبأن يُعين في افتخار إسماعيل خان القائد الدامغانى مع جمع لائق على قيادة خراسان وذلك من أجل أن يدخل إلى قلعة مشهد المقدسة ويستقر بها، وإلى أن يُعين أحد الأمراء لإدارة ذلك المكان. وتوجه إسماعيل خان إلى مشهد المقدسة وبمجرد قدومه إلى الأرض المقدسة جهز أكراد تلك المناطق جمعاً كاملاً وقاموا بمعارضة ومحاربة القائد الذى ضغط أيضاً بقدم الثبات وأنزل الهزيمة الفاحشة بتلك الجماعة. ورأى رحيم خان الأوزبكي فى تلك الحالة ساحة خراسان محلاً للفتنة والشر والفساد واعتبرها غنيمة للسارق والمُغير [ص ٢٢٢] وقدم إلى مقربة من إستراباد مع أربعين ألف شخص. فكُف مهديقلي خان القاجارى الدولوى ونو الفقار خان بتأديبه. وبالقرب من "سيرك" تحاربوا فى معركة عظيمة وانهزم رحيم خان، وعاد إلى ناحية خوارزم مخفولاً ومنكوباً.

١٦١- بيان وقائع سنة ألف ومائتين وإحدى وثلاثين هجرية الموافقة لسنة

الفار التركية^(١)، وتعيين الأمير حسين على ميرزا على خراسان ووقائع أخرى

من أجل إخماد ثورة خراسان وتهديتها، أصدر الحضرة العلية السلطانية الأمر بتعيين النواب الأمير حسين على ميرزا، وبعد قدوم الأمير إلى مشهد المقدسة

(١) سجقان نيل : سنة الفار وهى اسم السنة الأولى من الدورة الثانية عشرة فى تاريخ الأتراك . (انظر لفت نامه ، على أكبر دهمدا ، جلد هشتم ، ص ١١٨٨٩)

الرضوية، وجه همته إلى انضباط أمور خراسان، فقام باستمالة حكامها. وفي تلك الأوقات هجم القائد إسماعيل خان بجيشه وحمل على جماعة هزاره واستولى على الغنائم والأموال الكثيرة منهم، وفي أثناء عودته ويسبب غروره نزل على بعد فرسخين أو ثلاثة من العدو وجلس هناك لتقسيم الأموال المنهوبة، وكان الخصم خلف المهاجمين، فلقوا بهم للإغارة على أموالهم مثل الشمع المحترق ومثل الذئب الغضبان، وأنزلوا الهزيمة بالقائد وأسروا جمعاً من الجيش المنصور. وتعقبته جماعة هزاره، وكانت راية الأمير المطرزة متوقفة على مقربة من ذلك المكان، فكل شخص يصل من تلك الجماعة خلف الجيش السلطاني، كانت تأسره شحنة غضب الأمير وتمزق بطنه.

١٦٢ - بيان الإغارة على طائفة بلباس مرتين بقيادة أمير خان القاجارى

فى هذا العام ولعدة مرات، قامت طائفة بلباس الضالة بالهجوم على نواحى منطقة ساوجبلاغ، فقتلوا عدة أشخاص ونهبوا عدداً من الدواب والأغنام، وعرض بواق خان المكرى كيفية الاعتداء على بلاط صاحب العظمة، فكلف نائب السلطنة القائد أميرخان القاجارى ومعه جمع من الجيش الجرار وجند آثار الجلادة باستئصال تلك الطائفة، وقام القائد المذكور مع جيشه بالخدمة المقررة. ورأت جماعة بلباس كآته سيل البلاء فى أماكنهم ورحلوا خوفاً على أرواحهم وفروا هاربين [ص ٣٢٣] وهجم القائد بالجيش على كل الأماكن، حتى أدركهم بالقرب من "جرميان"، وقام بالأسر والنهب والإغارة، وكانت الجماعة المنحوسة قد أقامت ثلاثة مخيمات محكمة بالقرب من جبل، وسحبوا أموالهم ودوابهم ونساءهم وأطفالهم إلى تلك الأماكن المحكمة. فتطوع يوسف خان قائد طائفة بهادران (الأبطال)، وهى مكونة من الروس المسلمين، للسيطرة على مخيمات بلباس، وحصل على الإذن من القائد واستولى على المخيمات فى أقل فترة، وقتل مايقرب من ثمانمائة فرد، وأغار على كل ما وجده وأحضر أسرى كثيرين، فصار موضع إعجاب القائد. ورفع القائد والقواد راية العودة بعد إتمام أمرهم إلى بلاط صاحب الفلك .

وفى العام التالى أدخلت الطائفة المنحوسة مرة أخرى رأسها فى العناد فى إقليم أرومية ومدت يدها بالإغارة وقطع الطريق. فعين النواب نائب السلطنة على رأسهم مرة أخرى القائد أمير خان القاجارى ومعه جمع بواق خان وجند القائد إبراهيم بك وجعفر قلى خان [حاكم] مراغة والجيش الجرار من المشاة والفرسان. وتجمعت جماعة بلباس بالقرب من جرميان التى كانت مكان مخيمهم وتجمعهم وبالقرب من شهر زور والسليمانية، واصطفوا للقتال والمواجهة مع الجيش المنصور، فأحكم القائد وقادة الجيش قدم الجلادة والشجاعة. ولأنهم قد تحملوا الهجمات السريعة، فقد صارت رؤوس بلباس كالكرة تضربها عصي قوائم الخيل فى ميدان التحرج ، وقد سالت الدماء فى جداول من أسنة السيوف والرماح المدمرة للعدو. وفى النهاية، لم يتحملوا حرارة ضربات الأبطال الشجعان، فنفضوا أيديهم وفروا هاربين، ومد الجيش المظفر أيديه فى جبال جرميان، التى هى نهاية مكان استقرار أولئك المضللين، بالإغارة والنهب والقتل والأسر، فصار قدر من الأغنام والأبقار وأنواع الأثواب والبضائع الغالية الثمن من الذهب والفضة من نصيب مجاهدى لواء الظفر ، وقد اعترف المحاسبون بعجزهم وقصورهم عن إحصائها وتعدادها أيضاً [ص ٣٢٤] وأعطوا لأولئك المضللين عقاباً قاسياً إلى درجة أنهم لن يخطر ببالهم خيال المفسدة بعد هذا لسنوات، وسوف يطوون رأسهم فى جيب الخمول ويستريحون فى منازلهم .

١٦٣- وقائع سنة ألف ومائتين واثنين وثلاثين والمطابقة لسنة البقرة التركية^(١) : فى بيان عودة ميرزا أبى الحسن خان ومجىء ألكسندر يرملوف سفير دولة روسيا بهدف إتمام السلام فيما بين دولتى إيران وروسيا وذهابه إلى دار الخلافة طهران وعودته :

مرة أخرى وبسبب تأثير الربيع الجديد تجدد شباب الدنيا العجوز، وزينت أذن وأعناق سيقان أشجار البلاط السليمانى والمجلس العالى بسبب تفتح الأوراق، كما انتفض غبار الهم والغم عن أطراف عقل الشيخ والشاب .

(١) أودنيل : سنة البقرة وهى السنة الثانية فى التقويم التركى الشرقى . (انظر المعجم الفارسى الكبير ، إبراهيم الدسوقي شتا ، ج ١ ، ص ١٩٩)

وبعد انقضاء حفل النوروز السلطاني، توجه الحاضرة العلية الخاقانية لأداء مهام وواجبات الملك والأمة، فأضاعت الراية البيضاء ساحة مرج سلطانية المنيرة وفي المنزل المذكور، وصل إلى مقربي مجلس الحضور بأن ميرزا أبي الحسن خان قد حصل على الإذن بالانصراف من إمبراطور الروس، وأنه قد جعل ألكسندر يرمولوف قائد جند روسيا وصاحب الأمر في الكرجستان وكلفه من خلفه بسفارة إيران.

وكيفية هذا التقرير هو أن يرمولوف السفير الروسي قد قدم إلى الكرجستان ومعه رسالة الصداقة والتحف والهدايا وتوقف هناك لمدة شهرين، وعندما وجد الأجواء معتدلة توجه من الكرجستان عازماً تبريز. وعين النواب نائب السلطنة لاستضافته عسكر خان الأفشاري الذي كان سفيراً في دولة فرنسا قبل هذا وهو رجل مطلع وخبير. وعند قدومه إلى تبريز كان بعض من الأمراء وحكام مملكة أذربيجان حاضرين في الركاب الفائز بالظفر فحضروا لاستقبال السفير. وكان في استقباله جماعة الفرسان والمشاة والمدفعيون العسكريون وأفواج الجند والمجاهدون من قرية سهلان وحتى باب دار الدولة. وقد أوقف ولي العهد خمسة عشر ألف جندي وخمسة وعشرين ألف فارس وعشرين ألفاً من المجاهدين [ص ٣٢٥] ومجموع أربعين ألف شخص من المشاة وأربعين عربة مدفع، ونظمها ورتبها بهدوء، وكان حاضراً في العرض ما يقرب من أربعين ألف شخص من أهالي تبريز وغربائها ومن الحرفيين وغيرهم، وعند قدوم السفير، كان الناظرون وجميع هؤلاء القوم والحرفيون والخلائق قد رتبوا واصطفوا بحيث إنه لم تظهر منهم أية حركة أو رعشة ولا صوت ظاهر وكأنهم كانوا جميعاً نقشاً على الجدران، وقد أعطوا أذانهم للأمر، وأدخلوا السفير إلى منزله باحترام كامل.

وفي غد ذلك اليوم أدرك شرف حضور النواب نائب السلطنة اللامع النور، ولما دار حديث الصلح والسلام على الألسنة، ولم يكن لحضرته ميل يذكر للسلام، فلم يحصل السفير المذكور على المحبة والترحيب الكامل، ولم يحدث الانشراح والسرور الذي كان في منظوره. وبعد عدة أيام من التوقف، توجه من تبريز إلى دار الخلافة طهران. وقد مل من القائم مقام صدر الدولة بسبب بعض المحادثات التي لم تكن مفيدة للسفير. وفي تلك الأوقات كان المعسكر الهمايوني المبارك منيراً لساحة مرج سلطانية فقدم السفير إلى معسكر قبلة العالم وأدرك شرف حضور الهمايون، وكان قد أرسل الهدايا النادرة

والتحف التى من بينها سلسلة فيل صنعت من الذهب باليد الماهرة لصائغى سامرى الصنعة الروسية ، وكانوا قد زينوها بالأشكال البديعة، وحوض بلورى (زجاجى) وفى مقابلة مرأتين (كأسين) مصور للعالم ويطول ذراعين ونصف مع سائر التحف والهدايا. وكان قد أرسل التحف والهدايا لكل واحد من أركان الدولة ومقربى الحضرة الصبر الأعظم والقائم المقام واعتماد الدولة والوزير ، وقد مرت التحف والهدايا على النظر المبارك ومعها رسالة الصداقة من إمبراطور الروس والتى كانت تتمنى الصلح والسلام بحيث يُغمد سيف الخلاف فى غمده بين الطرفين وتُكْم يد الحق فى مقبرته. ولهذا، أصدر الحضرة العلية الخاقانية ونائب السلطنة والخلافة الأمر بأنه نظراً لرغبة إمبراطور الروس وتمنيات السفير المذكور، فتُقدم السيوف فى جرابها وتُخمد الفتنة فى مهدها وبألا تنوى بتأديق الموت فى وجه الجنود والقواد من الطرفين [ص ٢٢٦] ، وبألا تنور من الداخل غضباً المدافع المدمرة للصخور بأيدى النيران المحرقة للعالم ، وبألا تغلى فتيلة النيران المشتعلة المحرقة لعمر الأبطال. والخلاصة أن مسئولى الدولة الخالدة، قرنوا مطلبه بالنجاح، ورجع سعيداً ومقضيّاً المرام .

وفى أثناء هذه الأحوال، مرض أحمد خان شيخ أذربيجان وأمير أمرائها وهو من غلمان هذا البلاط منذ زمن ومن حاملى أسرار قصر سماء العظمة، ورحل عن الدنيا الفانية. فاغتم خاطر النواب ولى العهد وعقله الكبير من تلك الواقعة المؤلة للنفس ، ومال إلى أولاده وأحفاده والمنسويين إليه، فأمر الفقهاء والمجتهدين أن يقسموا أمواله على الورثة من الإناث والذكور، وقسم أموالهم بينهم حسب الشريعة النبوية. فأعطى مناطق "ديزجرو" إلى ابنه الأكبر حسن أغا الذى انفصل لفترة عن أبيه فى حياته ، وكان مقيماً فى دار السلطنة تبريز وفى شمس الرأفة اختار الراحة فى خدمة نائب السلطنة، وأرجع إليه بعض الخدمات الديوانية فى تبريز. كما فوض حكومة مراغه إلى ابنه الآخر "نور الله خان"، وأبقى ثمانية منصب قيادة جند مراغه وتوابعها وكما كان لجعفر قلى خان الذى كان قد أظهر آثار الشجاعة وقدم الثبات فى معارك الروس ولباس؛ وعلاوة على هذا، جعل منطقة دهخوارقان ضمن المنصب المذكور وجعله - وكما كان - موضع إنعامه ورعايته ومفتخراً بين أمثاله وأقرانه ومرفوع الرأس بين الجميع .

١٦٤- وقائع العام المبارك سنة ألف ومائتين وثلاث وثلاثين المطابقة
لسنة النمر التركية^(١) وتحرك الرايات السلطانية المتألقة كالشمس
بغرض تنظيم أمور خراسان، وهزيمة فتح خان الأفغانى واضطراب
ممالك قندهار وهراة وهروب رحيم خان وكف بصر فتح خان على يد
كامران ميرزا :

تحولت شمس العالم المضيئة إلى منزل الحمل، فتبدل العالم إلى السعادة [ص ٣٢٧]
وغردت طيور الماء والزرادير على الأغصان الأرجوانية وتزين شاهد الورد فى ساحة
المرج. وبدأ ملك الملوك سليمان الحكمة الجالس على عرش ملك العالم فى نشر الذهب
وفتح أبواب الإحسان والإنعام ثانيةً على وجه العالمين .

ولما انقضى حفل النوروز، واختلت أمور إقليم خراسان، فقد عين سلالة الأطباء
معتمد الدولة ميرزا عبد الوهاب على تلك المناطق بحيث يقوم فى خدمة الأمير حسن
على ميرزا باستمالة حكام خراسان. ولم يكن محمد خان بن إسحاق خان تربتى
متخوفاً إلى حد أنه يميل إلى التضحية بروحه وتقديم الطاعة عن طريق الرسل والرسائل،
وكان قد ضرب يد التوسل بذيل دولة الأفغان من أجل رفع هذه الأحوال، ومن ناحية
حرك الحكام الآخرون رحيم خان والى "أركنج"^(٢) وأحضره إلى حدود التجن^(٣).

والخلاصة، طلب فتحخان الأفغانى، الذى كان وزيراً لمحمود شاه، ويون أن يظهر
له المصلحة والمشورة، الجند والجيش من جميع طوائف الأفغان وأرض الله من ولاية
كشمير وبيشاور وكابل وقندهار، فاجتمع لديه ثلاثون ألف جندي، واستطاع على هذا
القياس جمع سائر تجهيزاته وعتاده، وقدم إلى مقربة من هراة ومعه أثاث السلطنة

(١) بارس نيل : سنة النمر وهى السنة الثلاثين من الدورة الثانية عشرة من تاريخ الأتراك. (انظر لغت نامه
على أكبر دهخدا ، جلد چهارم ، ص ٤٦٤٦)

(٢) إركنج : اسم مدينة فى خراسان (انظر: المعجم الفارسى الكبير : إبراهيم السوقي شتا ، ج ١ ، ص ٦٠)

(٣) التجن : اسم نهر ينبع من أفغانستان ويمر بإيران . (انظر: المرجع السابق ص ٧٠٢)

ولوازمها بغرض الحرب والقتال. وفتحت راية العقاب الخاقانية أجنحتها تجاه ولاية خراسان بهدف قنص العدو وطرح الخصم أرضاً، ورشح في المقدمة الأمير حسن على ميرزا مع جيش أبواب جمعه لطرده فتح خان. فاصطف الأمير للقتال بالقرب من هراة. ووضع فتح خان الأفغانى أيضاً مع الأبطال الأفغان أقدامهم في ميدان الشجاعة، وبدأ السيف المغرور من مبارزى كلى الطرفين في التبخر، ووضعت الحراب الشبيهة بالأفاعى الكثيرة والوقحة أساس قبض الأرواح وتقدمت وسط الحرب السلطانية. وكان الأمير حسن على ميرزا يسعى في ميدان المعركة ليخوض تجربته المباشرة في الحرب. وفي النهاية، هب نسيم الفتح والظفر على راية الأمير المظفر، فانقلبت راية جيش الأفغان، واختار جيش الضلالة، الذى كان بعدد النمل والثعابين، [ص ٢٢٨] مع فتح خان وشيردل خان وإخوته الفرار على البقاء. ووقع في الأسر عشرة آلاف أو اثنا عشر ألفاً من تلك الجماعة، ولم يوقف الفارون من ذلك القوم عنان خيولهم إلى قلعة هراة. وقد وقع ميرزا عبد الوهاب معتمد النولة، الذى كان حاضراً في معركة القتال، على خلاف العادة، أسيراً في يد الأفغان. وبعد وصول بشرى النصر، تزين موكب الهمايون كسرى العادل من مرج ميدان النهضة بغرض تأديب ومعاقبة رحيم خان والى "أركنج" الذى كان قد أقدم بقدم الجسارة حتى حدود التجن بسبب عدم تعقله وطلبه للفتنة. وفي البداية كلف [فتحعليشاه] الأمير محمد تقى ميرزا ومع الجيش المحطم للعدو ليكون في مقدمة موكب بحر الصخب من طريق كالبوش وأخذت رايات النصر في التحرك على التعاقب من طريق جاجرم وأسفراين. وبعد الوصول إلى حدود بام، التى كانت معبراً للمعسكر المنتهى بالنصر، وكانت مأمناً ومقاماً لسعادت قلى خان والقواد البغايريين، استولى جنود الجيش على أطراف قلعة بام، وأطلق المدفعيون أيضاً النيران بالمدافع الثعبانية على قلعة الملوك، وفي خلال ساعتين، سورا برج قلعة بام بقراب الطريق، وجعلوا فتنة يوم المحشر عياناً. وطلب أهالى القلعة الأمان، وحرص سعادت قلى خان الأخ والابن والعلماء والسادات للتشفع بكلام الله، وسحبوا أنفسهم إلى ملجأ إصطبل الديوان السلطانى، وألقى سعادت خان بنفسه أيضاً سيف العجز والاستكانة على رقبته، وتوجه ملتجئاً إلى بلاط سماء العظمة بوساطة محمد قاسم خان صهره، فأصبح

مشمولاً بعفو العناية الملكية من المراحم الكسروية اللامحدودة، وكان يقوم مع أولاده وأحفاده بتقديم لوازم التضحية والفدائية في الموكب المطرز بالظفر.

وفي خلال هذه الأحوال، عُرض على مقرئى بلاط الجلال بأن رحيم خان قد ألقى بنفسه إلى حدود "دره كز" بعد وصول الأمير محمد تقى ميرزا من ذلك الإقليم، وأقام بناء الخراب والفساد فى تلك المناطق. ولما كان المنظور من هذه الركضة الميمونة هو تدمير وتأديب ذلك الشقى المشئوم [ص ٣٢٩] فقد هجم الحضرة العلية الخاقانية ومعه خيرة الجيش الجرار. وعلى بعد ثمانية فراسخ من "دره كز" اتضح أن رحيم خان لم ير فى نفسه التحمل والثبات بسبب علمه بالهزائم البطولية، فترك أساس ملكه وأحماله مع عدة عربات من المدفعية، وفر عن طريق الصحراء القاحلة، وهلك أكثر مرافقيه بسبب العطش وحرارة الشمس. وأغار جماعة تكة وفوج من العساكر المنصورة، الذين كانوا مكلفين بمعاونتهم، على أثاث ملكه وأحماله .

ولما كان نجفقلی خان شادلو قد انزعج بسبب أعماله السابقة وتحصن فى قلعته، فقد استولى بنشاط فعال الأمير محمد تقى ميرزا مع جيشه المظفر على أطراف القلعة، وقام بإجراءات القتل والإغارة. وقد رأى نجفقلی خان الساحة ضيقة على نفسه، فدخل من باب اليأس، وطلب العفو عن تقصيراته بوساطة الأمير محمد تقى ميرزا، وقد صار ملتمس الأمير مقرونا بالإجابة، وسلم ابنه آغا خان وأخويه محراب بك وشرف خان بك وعشرين شخصاً من أعيان ورؤساء طائفة شادلو وشيوخها كرهائن ، وقد صار متقبلاً الطاعة والخدمة وكل أنواع الأعمال الديوانية.

وقد أقدم الأمير حسنعلی ميرزا، الذى كان مكلفاً، بعد هزيمة فتح خان، بتأديب محمد خان قرائى وبيانتظام ولاية حيدرية، على التوجه مع العساكر المحطمة للعدو إلى تلك المناطق، فأقدم أولاً على تسوية قلعة "بوریا آباد"، التى كانت حصناً حصيناً وقلعة متينة بالأرض، بضربات المدفعية المدمرة للقلاع، وأخضع الجيش عاقبة الظفر بُرج (قلعة) "بوریا"، ودمر المتحصنين فى ذلك المكان. وبعد ذلك، قام بإخضاع قلعة تربت حيدرية، ورأى محمد خان قرائى نفسه أسيراً فى ورطة الهلاك، فألقى سيف الضراعة على عنقه، وحضر مع إخوته وأتباعه إلى موكب الأمير، وطلبوا الأمان، فشملت أحواله

المراحم الملكية اللامحدودة وصدر له الأمر بالعفو الشامل. وفي مجرى هذه الأوضاع، قدم جاغلان خان رئيس رجال الدين عند الملك محمود الأفغانى [ص ٢٢٠] إلى خدمة الأمير حسن على ميرزا طالباً عذر تجراً وإقدام فتح خان و متمنياً المصالحة والسلام من قبل مسئولى الشوكة والعظمة الأبدية، وأراد الحضور إلى معسكر الهمايون. فعرض الأمير خبر مقدمه، وأمر الحضرة العلية السلطانية بألا يعطوا للمشار إليه الإذن بالمثل إليه فى معسكر قبله العالم وبأن يعلن الأمير إلى عمال الملك محمود بأنه إذا أتى فتح خان مقيداً ومغلولاً إلى بلاط العدالة جزاءً لجراته وجسارته التى مارسها، فإننا سوف نفتح ثانية أبواب الرحمة ، وكما كانت فى وجه آمالهم، وإن لم يكن، فسنكون مستعدين إن شاء الله الرحمن من أجل فتح قندهار وكابل، وتكون الجنود الجرارة مستعدة للمعركة. وقد قدم إلى الهمايون بقدّم الطاعة والدخول فى خدمته جمع من بينهم ملبوس خان الأخ الأكبر لسيد محمد حاكم "محلات" ، ومعه زعماء وعظماء آل جلائر وشيوخ طوائف تكة وسابور وساروق وأهالى ولاية سرخس ومهين وديرون وأبيورد ونسا، وقد دخلوا موضع العناية الملكية والإنعامات والاستقبالات الكسروية. وقد صار مدخراً للشرف ومشمولاً بالمراحم اللامحدودة بدرخان أخا بنيادخان الهزارى أيضاً ومعه أعيان طائفة "هزاره" وشيوخها. وفى هذه الركضة الميمونة، اقترنت جميع أمور ومهام خراسان وثغورها وأقاليمها الحدودية بالنظام، وحصل جميع الأمراء والعمال والحكام على الإنعامات والاستقبالات الملكية .

وفى الثامن من شهر شوال، توجه الموكب المطرز بالنصر إلى مشهد المقدسة العلية بغرض زيارة وتقبيل العتبة العلية لعرش مقام الروضة الرضوية. وبعد الحصول على الزيارة عاد إلى دار الخلافة [طهران] وقد سار بنياد خان الهزارى إلى معتمد الدولة ميرزا عبد الوهاب ومعه أعيان ورؤساء هزاره للدخول فى خدمة الأمير حسن على ميرزا، وتوسل للأمير بجرائمه وطلب العفو عن إعراضه السابق وهو فى كامل الندم ، وتعهد بالخدمة والطاعة وطلب الإحسان الملكى عليه. وانتقل معتمد الدولة من خراسان [ص ٢٢١] إلى دار الخلافة طهران.

وبعد هذه الأحوال، أسرع الأمير محمود إلى قندهار، وقدم كامران ميرزا إلى هراة، وسجن الوزير فتح خان وأخاه شيردل خان، وفقاً أعين فتح خان المبصرة للعالم

بذلك القهر، وفر شيردل خان من مدينة هراة، وتوجه إلى قلعة "ناد على" وهناك جمع أتباعه وعماله من طائفتي الباركزائية والغلجائية، على نية أنه أينما خرج كامران ميرزا من هراة يقطعوا عليه الطريق ويقبضوا عليه ويطلقوا سراح إخوته فتح خان الأعمى وشيردلى خان^(١) وبسبب سماع كامران ميرزا لهذا الخبر، فقد وضع بناء الصلح والوفاق مع شيردل خان، وسمح لبردل خان بالوصول إلى قندهار.

ومن واقع العريضة التي كان قد أرسلها شيردل خان إلى بلاط صاحب العظمة، فقد نظر في أصل هذا الموضوع على أنه عندما يصل خبر إعماء فتح خان إلى أطراف ممالك قندهار وكابل وكشمير، فإن إخوته الذين كانوا أصحاب حكم واستقلال في كل مكان، قد تمربوا بسبب هذا العمل ولوى كل واحد رأسه بالعصيان والفساد بحجة أن الأمير من أولاد تيمور شاه وغيرهم. وأجلس محمد عظيم خان والى كشمير لدوست محمد خان ويار محمد خان إخوة فتح خان الأمير أيوب على العرش فى بيشاور، واستولوا على بيشاور وأرضه وتحاربوا مع الأمير محمود وهزموه واستولوا على كوهات ويوسف زائى حتى "جلال آباد". وفى المرة الثانية، أرسل محمد عظيم خان الوالى عبد الجبار خان أخا فتح خان بجمع كبير ونفقات كثيرة من كشمير إلى بيشاور من أجل أن يقوم فى صحبة محمد زمان خان بإخضاع كابل وأيضاً أرسل محمد عظيم خان وإخوة فتح خان أخيه محمد زمان خان وأحضر الملك شجاع الملك شاه الذى كان وسط الفرنجة، وتقابل مع سمندر خان حاكم دره وهزمه، وهرب الأميران المدعوان محمد هاشم وسلطان أسد من أمام الملك محمود [ص ٢٣٢] وذهبوا إلى شيردل خان وإخوته، وذهب بردل خان مع جمع فى ركاب محمد هاشم إلى ناحية بلوشستان من أجل جمع الضرائب الديوانية من ذلك المكان، وانعقد جمع شجاع الملك ومحمد زمان خان والأمير محمد هاشم وبردل خان فى بلوشستان، واستعدوا وتجهزوا بالجيش المزين، ومن كابل أيضاً [تجمع] عبد الجبار خان ودوست محمد خان وإخوة فى ركاب الملك أيوب، وجزم شيردل خان أيضاً مع سلطان أسد وجمعوا جميعاً عزمهم

(١) بردل خان ؛ لأن شيردل خان هو الذى جمع أتباعه ، وكما ذكر المؤلف وخرج للقبض على كامران ميرزا وأطلق سراح أخويه فتح خان وبردل خان .

على أن يذهبوا إلى قندهار في أول النوروز ويتتقموا من الأميرين محمود وكامران. وكان شيردل خان قد رسم في عريضته ألا يبقى تحت سيطرة محمود غير هراة ونصف قندهار ، ويكون نصف قندهار مع طوائف وقبائل غليجائي و مهمند و يوسف زائي ونصف دراني تحت سيطرة شيردل خان. ويكون لمير أفضل خان إسحاق زايي الحرية في أن يطيع ويخدم أولاد تيمورشاه وقد شجعوه وحرصوه وجعلوا رأيه منحرفاً (متطرفاً) وتوجه إلى بلوشستان مع بُردل خان.

والخلاصة، أن الفتنة العظيمة تقوم في هذه المناطق والحدود حتى يظهر ما يحدث من وراء ستارة الغيب فوقوع كل هذه الأمور هو من قوة الطالع السلطاني .

ومن جملة الوقائع المزيدة للحن في نهاية هذا العام والتي وقعت قبل ثلاثة أيام من العيد السعيد وهي وفاة محمد حسين خان القاجاري المروي: وهو من أكابر أمراء بلاط زحل، وصاحب فضل وإدراك ومعروف بطلاقة اللسان ومشهور بفصاحة البيان، وأديب كامل، وأمير حسن العقيدة، وصاحب قلب نظيف، ورجل هادئ ، وفصيح كامل الوزن والمقدار، وهو دائماً الرائي لرأي ملك الملوك الموفق في خلواته وجهراته، وهو موضع مخاطبات ومحادثات جمشيد العادل. وقد أنشأ قبل وفاته بقليل المدرسة في نفس [دار] الخلافة طهران، وكان يمارس بشأنها غاية النوق والنظافة والبهاء، وكان يختار لها المدرسين الأفاضل، وقد وضع الرواتب [ص ٣٣٣] ومقررات الطلاب من دخوله وأمواله الخاصة. وكان يُزين حجرات المدرسة بوجود الطلاب الأذكيا والمجدين والساعين ، وكان بعد عودته من حضور فيض الخازن السلطاني، يغير ملابسه، ويستقر في حجرة من حجرات ذلك المكان، التي كانت مخصصة له، بالمحاسن البيضاء والحظ السعيد، وكان ينشغل بالعبادة والمذاكرة والقراءة ومحادثة العلماء والأمراء والمعارف والعظام والأعيان، وكان له غاية العزة والاعتبار في خدمة السلطان الموفق والأمراء العظام. وكان يعيش معزلاً ومكرماً ، وكان الشاه والأمراء في بعض الأوقات يجعلون منزله موضع حسد قصر الجنة الخالدة بيمن قدومهم السعيد. وكان هكذا حتى رحل عن متاع الدنيا بمرض القولون الذي كان قد طرأ على مزاجه، وترك الدنيا على من فيها، وقد عاش سعيداً ومات حميداً. وبعد وقوع حادثة وفاته، تغير العقل السلطاني السليم بسبب أنه كان الخادم المحظي بالرعاية وقدره معروف، وقد حزن جميع الأمراء.

فبدلاً منه ينبغي أن يربى الفلك المنحنى الظهر لفترات مثل هذا الأمير صاحب الفضل والقدرة .

والخلاصة، أن مدبري أمر البلاط السلطاني وطبقاً لفرمان الحضرة الخاقانية قد نقلوا نعشه باستعدادات وتجهيزات لائقة وبعثوه إلى التجف الأشرف .

١٦٥- بيان وقائع العام المبارك سنة ألف ومائتين وأربع وثلاثين هجرية، و وفاة الصدر الأعظم ميرزا محمد شفيع :

لقد ازدادت الدنيا رونقاً آخر من حسن قدوم موكب الربيع، وقد عزفت طيور الماء والزرارير موسيقاها على الأغصان وترنمت بأنغامها، فأصبحت الدنيا شابة وصارت روضة الأرض محسودة من روضة زهور السماء بسبب طراوة [رياح] فروردين^(١).

وبعد انقضاء حفل النوروز، توجه النواب الحضرة العلية السلطانية إلى أداء واجبات ومهام الملك والأمة، وفتح اليد الشبيهة بالبحر ناثرة الجواهر. وفي أثناء الرحيل من دار الخلافة طهران إلى مرج سلطانية، طراً على الصدر الأعظم ميرزا محمد شفيع مرض، فلم يجد القدرة على مرافقة معسكر زحل العظيمة [ص ٣٢٤] وبموجب فرمان القضاء النافذ، تخلف عن الركاب الشبيه بنجم الجوزاء، ونُقل وحول إلى دار السلطنة قزوین، عسى أن يجد صحته في ذلك الإقليم بمداواة الأطباء المهرة الحاذقين له، فيسرع إلى خدمة سماء المنزلة.

وبعد الوصول إلى قزوین، اشتد مرضه يوماً بعد يوم، وتوجه إلى عالم النهاية، وكان عمره يزيد عن السبعين عاماً، وهو من أعظم مقربي حضرة فلك المنزلة، ومنذ بداية نولة الخاقان المغفور له وهو من غلمان الدولة الثقة ومشهور بالوزير الغيور والصدر الفطن وبالخبرة والإدارة في عتبة سماء القدرة ، وقد طوى مراحل الشباب

(١) فروردين : اسم ربيع تهب من الغرب في شهر فروردين وهو الشهر الأول من السنة الشمسية من ٢١ مارس إلى ٢٠ أبريل . (انظر المعجم الفارسي الكبير ، ج ٢ ، ص ٢٠٢٠)

لسنوات بجلال الأمور والخدمات السلطانية ، وقد ابيض شعره فى الطاعة والفداية. وقد أرسل نعهه أفضاً فى كامل الإعزاز والاحترام ومعه القراء والحفاظ والأمناء المشرفين إلى النجف الأشرف. وبعد فترة، فوض بالصدارة العظمى إلى الحاج محمد حسين خان الأصفهانى، وقد أزداد هذا المنصب، الذى هو عمدة المناصب ، وكان يعتبره أساس افتخاره واعتباره على مناصبه الأخرى .

١٦٦- بيان حفل عرس النواب الأمير الأعظم الأفخم محمد ميرزا :

كان يقتضى عزم النواب نائب السلطنة العالى النهمة بأن يخطب للنواب الأمير الأعظم درة من درر السلطنة وجوهرة قيمة من مخزن الملك والعظمة. وقد اعتبر الحضرة العلية السلطانية درة صدف الإمارة المقبولة وعظمة المهد العالى ومصونة حرم المجد والجلالة الصبية المرضية لفخر الأمراء الكبار محمد قاسم خان القاجارى، التى كانت قد ولدت أيضاً من جواهر بحر السلطنة مناسبة له ، وأعطى الإذن بالحفل والفرح. وبناء على هذا، أرسل النواب نائب السلطنة الابن المحبوب ومعه التجهيزات اللائقة والأشخاص الأنكباء والقائد حسين خان الحاكم العسكرى لإيروان إلى دار الخلافة طهران. وقد وُضع حفل العرس طبقاً للرغبة فى ذلك الإقليم فى ظل السلطنة ، وظل رافة الخاقان صاحب عرش جمشيد ودعوا الصغير والكبير والأمير والوزير إلى حفل الفرح والسرور [ص ٣٣٥] وقد زينوا مجالس الطرب ومهرجانات الفرح كوجه الحور. وبعد اتصال القمر بالشمس، مرت الهدايا من الأمراء والوزراء أمام الحضور الخاقانى، وقد تحلت وتزينت رعوس وصدور كل واحد من العمال والخدم بخلاع الشمس المشعة. وبعد عدة شهور من الإقامة، سُمح للأمير بالانصراف من البلاط السلطانى وقصد دار السلطنة تبريز مع حرمة المحترمة وجمع من خواص وجوارى حرمة. وفى ذلك الإقليم (تبريز) أقاموا أيضاً مراسم الزينة والأتوار والاحتفال بالفرح والسرور واللهو . شعر[ترجمته]

ما دامت الدنيا عامرة فكلها عامرة بسعادة الملك
فحضرتة مأمّن الأحرار وقلب العارف العامر
يوجه جيشه لتدمير العدو
والمدد من اللطف الإلهي ورجال الله العامرين
الظفر والنصر والإقبال والإلهية والجاه
فأينما توجهت راية الملك يصحبها العمار

١٦٧- بيان وقائع العام المبارك سنة ألف ومائتين وخمس وثلاثين هجرية :

مرة أخرى، تجددت سعادة العالم على عادة ما سبق، وزينت المشاطة وجه شاهد
الورد باللون الأحمر وارتفع صوت البلبل عاليًا في حرم المرج وجلس الشاهنشاه (ملك
الملوك) الأعظم ملك ملوك العالم على قمة عرش جمشيد من أجل الاحتفال النوروزي،
وزين مرة أخرى مدبرو أمر بلاط صاحب السماء مجلس ومهرجان العيد، وبدأت أيدي
يمين بحر اليسار السلطاني في نثر الذهب بالتوفيق. ولما انقضى مهرجان العيد، توجه
السلطان الموفق لأداء واجبات المملكة ومهامها. وكانت الخلائق مستريحة في مهد الأمن
والأمان. وفي هذا العام، فإن الشيء اللائق في سياق التاريخ، لم يظهر من وراء ستار
الخفاء إلى مسرح الظهور، إلا أن جماعة الروس قد بدعوا سوء التصرف في الولايات
الخاضعة لهم مع سرخاي خان الكزي ومصطفى خان الشيرواني ومهديخان
القرباغى. وقد قدم هؤلاء من وطنهم المالكوف المشتعل بالنيران وقدموا بوجه الأمل إلى
بلاط صاحب الرأفة نائب السلطنة. وقد صاروا موضع الإنعام والرعاية من ملك الملوك
ملجأ العالم وحضرة نائب السلطنة. ورحل كبير الروس جماعة [ص ٢٢٦] شيرواني
من "جبل فت" وأسكنهم في المدينة القديمة "شماخي" ووضعوا أساس عمرانها. وفي
نهاية هذا العام، شرد قاسم أغا حيدرانتلو بالقرب من جالديران وقرى خوى مع جمع
طائفته الذى لانهاية له، وذهب إلى [بلاد] الروم. وفي مملكة الروم [الدولة العثمانية]

وضع منشأ الفساد والفتنة، فزاد من سوء سلوك الباشوات وصار باعثاً على الخراب والقتال بين دولتي إيران والروم، وتفصيل ذلك سيحرره ويبدونه قلم التأليف إن شاء الله تعالى.

١٦٨- بيان وقائع سنة الفيل المطابقة لسنة ألف ومائتين وست وثلاثين هجرية ، وتوجه الرايات السلطانية المباركة إلى ناحية خراسان وإطاعة جميع حكامها :

لقد جعل سلطان الربيع مرة أخرى العالم أجمل وأطيب من عهد الشباب، ورفع أشجار السرو والصنوبر متبختره وزاهية بلباسها الأخضر ذي القوام الأسر للقلوب. فجلس ملك الملوك ملجأ العالم على العرش المرصع من أجل مهرجان النوروز المنتصر. ويسبب أشعة التاج الوهاج تحطمت عظمة تاج سلطان النجوم (الشمس)، وفتح يد الجود والإحسان، وسد أبواب الفتنة في وجه الخلائق. وبعد انقضاء المهرجان النوروزي بسعادة وانتصار، نهضت همة الهمايون لأداء شئون المملكة وتنظيم أمور الدين والدولة. ولأنه منذ عدة سنوات كانت أمور ممالك خراسان مختلة، فقد حلقت عنقاء راية الهمايون باتجاه تلك المملكة. ووضع حكام تلك الحدود على كفوفهم نقد إرادتهم وأرواحهم المهدرة، وأتوا أمام الحضرة بالعجز والحاجة، وابتعد عصاة ذلك الإقليم بحثاً عن الحجج والأعذار غير المقبولة. وكانوا قد بسطوا بساط الصداقة والخدمة والطاعة. ويسبب انتشار أخبار النوايا التي لها أثر البرق وبلاستماع لتحرك الرايات التي شعارها النصر، ندموا على أفعالهم وأعمالهم السابقة، ويسبب رعبهم وخوفهم تمسكوا بذيل العفو والإغماض الكسروي. ويعد وصول الموكب المزين بنجوم العظمة إلى مرج "نمكة"، توجه رضا قلى خان الإيلخاني حاكم خبوشان وبيكرخان حاكم بره جز ونجفلى خان شادلو وأبناءؤهم وإخوتهم كرهينة ومعهم أعيان ولايات أبواب جمعهم [ص ٢٢٧] والهدايا اللائقة إلى بلاط ملجأ العالم. وفي المرج المذكور، سُمح لهم بالارتقاء في الركاب المنصور وتقبيل تراب حضور صاحب الشوكة والعظمة. وعندما صار موكب

سلطان الآفاق الملازم للنصر زينة ساحة المرج ذي المصيف اللطيف، أدرك أولاد الحكام من الأعراب وقرائى وغيرهم وهم أمير عليتنقى خان حاكم تون وطبّس وأمير على خان حاكم قاين ومحمد خان حاكم "تربت حيدرية"، شرف تقبيل عتبة السماء، والتزموا الركاب والتوقف فى دار الخلافة طهران، وأرسلوا رحلهم وأطفالهم إلى الأرض المقدسة، وقد وصلت فيوض الطاعة من القائمين بأمور ذلك المكان إلى نظر أولياء الدولة القاهرة، كما صار الجميع متقبلين كل أنواع الخدمة ومتكفلين بالعبودية والطاعة من وجه الضراعة.

١٦٩- تكليف الأمير حسن على ميرزا بتأديب بنيادخان وهزيمة جيش هزاره بركضة المجاهدين المظفرين

عندما انخدع بنيادخان الهزارى بإعانة والى "ميمنة" و "بالامرغاب" وبإغواء ومساعدة جماعة هزاره وطوائف منطقة هراة، قتل إنشودة التمرد والفتنة وشحذ سيف الغرور بهوس الغلبة على الجيش المنصور، وأشعل شرارة النيران بمساعدة خمسة أو ستة آلاف أسيرة من هزاره، وبالقرب من باخرز وشهرنو رفع راية الفساد والتكبر. وعلى التصور بأن العساكر المنصورة لم تلحق بالأمير حسن على ميرزا بعد، فيتهز فرصة فى هذه الأثناء ويخطف كرة النصر. ومع أن أكثر غلمان الولايات البعيدة عن خراسان، الذين كانوا مكلفين بالأقاليم الأخرى، لم يلحقوا بالركاب، فقد كُلف الأمير بفرمان الخديو العادل الهمة لصد بنيادخان بنفس تلك الأربعة أو الخمسة آلاف من الفرسان والمشاة، الذين تجمعوا من مشهد المقدسة وقرى تلك المنطقة. وأعد بنيادخان بغرور واستكبار صفوف القتال مع الأمير الحر فى مرج باخرز وحدثت بينهما معركة شديدة. وبعد صراع وقتال، وقعت الهزيمة على بنيادخان [ص ٢٢٨] وقتل جمع كبير وأسر جمع غفير، وسلك بقية السيف الأحياء وادى الفرار والإدبار، فأصبحت الغنائم والمكاسب العديدة من نصيب المجاهدين الخراسانيين المظفرين. ودخلت قلاع أطراف باخرز، التى كانت تحت سيطرة بنيادخان، تحت سيطرة الدولة الخالدة الأساس. وقدم أعيان هزاره الذين كانت لهم المكانة والمنزلة فى تلك المناطق إلى خدمة الأمير بوجه

العبودية والابتهاال للدولة الخالدة، وتعهدوا بالطاعة. وأوكل الأمير أعيان هزاره إلى إبراهيم خان أمير أمراء هزاره، الذى كان منسلكاً فى سلك الخدام والعمال. وخدمت فتنة بنيادخان فى تلك المناطق .

١٧٠- تكليف الأمير محمد قلى ميرزا بتأديب تركمان تكة واستتصال تلك الجماعة بتحريك الراية معجزة النصر

فى تلك الأوقات، تجرأ أتراك تكة بالتطاول والإغارة وهى عادتهم، بإغواء وتحريض رُحيم خان والى خوارزم لهم، وكانوا قد أنزلوا ضرراً وخسارةً بأهالى جرين وسبزووار. ومع أن على مراد خان القليجى حاكم جرين كان قد قطع الطريق على تلك الجماعة أثناء عودتهم، واسترد الأسرى والأموال المنهوبة منهم، وكان قد قتل ما يقرب من أربعين شخصاً أيضاً من تلك الجماعة المحرصة على الفتنة كما أسر ما يقرب من مائة شخص حى، وأرسل رعوس القتلى مع الأسرى إلى بلاط سماء العظمة. ولكن مثل هذه الجسارة كانت تستلزم التأديب الكامل. فكلف ملك الملوك ملجأ الإسلام الأمير محمد قلى ميرزا والى إستراباد ومازندران ومعه جمع من عساكر النصر بتأديب طائفة تكة. وبعد عبور الأمير [لنهرى] السند وتشندر، تقدم نو الفقار خان الدامغانى أمامه مع جمع من فرسان الركاب وحملة بنادق إستراباد ومازندران الجلدين، وكلفهم بقتل وأسر جماعة تكة الساكنة فى بام وبورمه^(١) وهم الأشخاص الذين كانوا مهمين فى تلك الطائفة. وهجم فجأة الرجال المكفون فى صبيحة عيد الفطر السعيد، الذى كان ليل حياة وصبح ممات تلك الزمرة معجزات الخباثة [ص ٢٢٩] وفى الصدمة الأولى، جعلوا جمعاً كثيراً من رجالهم طعمة للسيف، كما أسروا ألفى شخص من صبية ورجال مشكين ونسائها نوات الخال الأسود فى أنشودة الأسر والإبادة، وغنموا مايزيد على خمسين ألفاً من الجمال والبقر والأغنام والخيول والأحصنة والأموال والأسلحة. ورفعوا راية العودة. وقد تخلص أسرى عديدون من زوار مشهد المقدسة والتجار وأصحاب

(١) بام وبورمه : اسم قلعة ومنطقة فى ما وراء النهر . (انظر : لغت نامه : على أكبر دهخدا ، ج ٢ ، ص ٢٧٠٨)

المعاملات وغيرهم، الذين كانوا قد وقعوا أسرى في السنوات السابقة في أثناء السرقة والإغارة في يد تلك المجموعة الباحثة عن الخذلان، وكانوا أسرى المشقة والشدائد اللامحدودة من تلك الزمرة التي لا عاقبة لها، بسبب هذه الغارة، ووضعوا أقدام خلاصهم على طريق أوطانهم المألوفة وقد أطلقوا ألسنتهم بالشكر والدعاء للدولة المتزايدة يوماً بعد يوم والثناء عليها. وبسبب تأييدات الإقبال الخالدة، فإن مبعوثي الأمراء، الذين كانوا مبشرين بأخبار النصر وناشرين آثار الرحمة قد وصل كلاهما في يوم واحد بفاصل ساعتين عن بعضهما إلى معسكر قبلة العالم .

١٧١- شرح بعض سوء سلوك حكام مناطق حدود ممالك الروم (الدولة العثمانية) مع مسئولى الدولة القاهرة، وبواعث تحرك راية نائب السلطنة العلية المطرزة بالنصر إلى تلك الحدود والمناطق :

ومن جملة الأطوار والأحوال الشاذة والقبيحة والمخالفة لقاعدة الصداقة بين الدولتين كانت هذه الواحدة وهى أن سوء سلوك الباشوات كان فى التزايد مع الحجاج والزوار الذين كانوا عازمين بيت الله الحرام، وذلك كل عام بالنسبة إلى العام السابق. ومع أن ذلك كان يُعلن ولعدة مرات إلى مسئولى تلك الدولة، وقد صدرت كل سنة الأحكام المتعددة وذلك بأن يلتزم الباشوات فى كل واحدة من الولايات العثمانية بحسن السلوك والمحبة مع الحجاج والتجار وبعد صدور تلك الأحكام جميعها، وصلت شدة عمل الحكام إلى درجة أنه فى العام الماضى كان جمع من خدم الحرم السلطانى فى طريقه إلى الحجاز، وفى ولاية أرض الروم وحلب صمم جمع من عمال الجمارك بأن يدخلوا إلى خيمة خادمى الحرملك، وأنه إذا رأوا مالاَ فيها، يستربون جمرکہا. وفى الواقع لم يعتنوا بأحكام الدولة التى كانت فى أيدي [ص ٢٤٠] مرافقى حرمة الحرم ولم يحترموا ويقدرُوا مقرب الحضرة ميرزا على رضا وهو من أولاد معتمد الدولة السابق الحاج إبراهيم خان الشيرازى .

وبعد ذلك، وصلت هذه الأعمال إلى أسمع مسئولى تلك الدولة، ولم تُعلن أية اعتذارات على أى وجه فى هذا الشأن ولا حتى ما يصل من عقاب ومحاكمة لمرتكبى هذه الأعمال .

وفى تلك الأوقات أيضاً، كان قد سُرِقَ مال من تجار هذه الحدود بالقرب من أرض الروم على يد لصوص تلك المناطق المتهورين. وفى الواقع أن خسرو محمد باشا لم يتمعن فى الأمر؛ لأنه عندما خرج فى مهمة الاستيلاء على الأموال من الجناة، احتفظ لنفسه بكل ما كان قد استرده ولم يعط شيئاً من المال لأصحابه.

وأيضاً، وعلاوة على سوء السلوك واللجاج مع الحجاج، الذى كان زائداً عن حد الذكر والتدوين، جعل حافظ على باشا سليم باشا المسيطر على [قلعة] "مير" مشغولاً بإغراء وتحريض أكراد سبيكى وحيدرانلو، فكتب إلى سليم باشا رسائل عديدة، وأسند الكفر والزندقة والبدعة بمسلمى تلك الولاية. وتلك الخطابات هى الحجة عند الضرورة والحاجة، وهى الآن موجودة فى أيدي مسئولى الدولة. ولم يقصر سليم باشا طبقاً لأمره وإشارته فى التحريض والإغراء، فخدع جميع طائفة حيدرانلو وعدداً كبيراً من سبيكى، ونقلهم إلى تلك الناحية، وتحالف معهم على خلاف الاتفاقية والمعاهدة فيما بين الدولتين. وبعد ذلك لم يفد حدوث الشكاوى والاعتراضات المتوالية إلى مسئولى الدولة [العثمانية] وقادة العسكر، وقد توجه حسن خان القاجارى بحكم نائب السلطنة العلية ومعه جمع من المشاة والفرسان من أجل إحضار طائفة حيدرانلو من إيروان إلى تلك الناحية، وكان قد اهتم بالعمل من قرار الحكم الأشرف، وذلك بآلا يصل الضرر والأذى بقدر الشعرة بالأموال والأحوال والغلال والمحاصيل طوال عرض الطريق فى أثناء العبور. وفى الواقع، أن حسن خان كان قد أظهر تصرفاً فى تلك المناطق والذى لم يكن فى قوة أى قافلة، ولأن غرضه ومنظوره كان ترحيل الطائفة بالتأنى والاطمئنان، ولهذا إستراح هو وجمعه فى خيامه ومعسكراته. وعلى حين غرة خرج عليه سليم باشا ومعه جماعته كلها [ص ٢٤١] فكان لابد من أن يقوم حسن خان أيضاً مضطراً بصدهم. ومع أن سليم باشا لم ير فائدة أو راحة من هذه المسألة، ولكنه أصبح مصدراً للفتنة والفساد. وقد ثبت أقدامه كل هذا الثبات فى تحالفه مع طائفة حيدرانلو، فصار مشمولاً بإكرام وعناية قائد العسكر ومسئولى تلك الدولة عن طريق هذا الخلاف ونقض العهد فيما بين الدولتين .

وبعد ذلك، عُين خسرو محمد باشا على قيادة عسكر أرض الروم، على هذا الظن بأنه ربما يكون سلوكه أحسن من حافظ على باشا ولا يرضى عن هذا النوع من الخلاف في حساباته.

وقد كتب مسئولو هذه الدولة (إيران) كيفية الأمور إلى قائد العسكر ومسئولى تلك الدولة، وكان القائمون بأمر هذه الدولة منتظرين أن يُراعى العهد فيما بين الدولتين، بسبب أنه قد أُعلن أحياناً من ذلك الطرف بأن طائفة حيدرآنلو هي من جملة طوائف الولاية العثمانية، وأحياناً كان هذا الجواب: هو أن الطائفة المذكورة غير مستقرة في الولاية ومطلقة العنان. وحالة إطلاق العنان لهؤلاء الأشرار لم يثمر سوى الأذى والضرر ولم يُوجد أثراً سوى إفساد ذات البين. ويظهر في غاية الوضوح ما ينفي هذين الحديثين (القولين)، والمزيد على ذلك فإن الطائفة المذكورة تحاربت لعدة سنوات سابقة مع نائب السلطنة ويتحالفها واتفاقها مع جعفر قلى خان. ولو كانوا متعلقين ومرتبطين بالملكة العثمانية، لكانت هذه المعركة وهذا القتال منافياً للصدقة والوئام بين الدولتين ولكان نقض العهد الذى حدث في البداية من ذلك الطرف .

وأيضاً، حرض حافظ على باشا الأكراد من أجل سرقة ونهب أموال أهالى سلماس ، وبأمره صار أحد الأماكن فى سلماس، الذى يسمى "تشهرى". مأمناً ومكمناً للصوص والسارقين من الأكراد، وقد استقر للصوص فى ذلك المكان، فكانوا يقومون بقتل نفوس السلماسيين ونهب أموالهم والإغارة على سائر المسلمين .

وبعد ذلك، عُين خسرو محمد باشا على قيادة جُند أرض الروم، وأرسل أحد وكلائه إلى دار السلطنة تبريز. وقد جاء بصدد ادعائه "تشهرى" ومن هذا الجانب [الإيراني] ولرعاية إعزاز قائد الجند كُلف الحاج على بك [ص ٣٤٢]، الذى كان من جملة مشاهير الحكام والولاة، بمرافقة مبعوثه إلى أرض الروم وذلك لى يجرى محادثة فى أمر "تشهرى" وفقاً للحق والحساب، وحتى يعمل ويرتب بعد عودته فى هذا الشأن وفقاً للصالح والصواب، وقد اعتبر قائد العسكر المذكور أن رؤية صلاح الأمر منحصرة فى هذا نفسه وهو أن يحبس الحاج على بك ويكلف ويفوض "تشهرى" لنفسه. وأيضاً،

عُين حافظ على باشا على قارص، بعد عزله من قيادة جند أرض الروم، وأرسل جمعاً إلى حدود إيروان، وقتل جمعاً من منطقة قرى إيروان وأكراد ذلك المكان وأغار عليهم .

وأيضاً، قدم إلى هذه الحدود صادق باشا بن سليمان باشا السابق، وهو وزير البصرة وبغداد والمشهور عند العرب والعجم في تلك الديار وهذه البلاد، وكان يريد أن يتمكن في إقليم الولاية، فرد مسئولو هذه الولاية في جوابهم بأن محالفتك ومصاحبتك غير ممكنة وبأن توسطك بتلك الدولة سوف يكون مقروناً بصلاح حالك وفراغ بالك. وقد توجه المشار إليه إلى تلك الدولة مع مضيف من مشاهير هذه الولاية ومعه رسالة الوساطة وهو في كامل الأمل. وقد حبسه مع المضيف لمدة أربعة أشهر في أرض الروم وبعد ذلك أرسل المضيف بدون جواب، وقطع رأس صادق باشا مع جميع رفاقه، الذين كانوا عشرين فرداً على وجه التخمين، كالأغنام في ميدان أرض الروم، وأرسل رؤوسهم إلى إسلامبول .

وفي السنوات العدة هذه، كان سلوك باشوات أقاليم الحدود من هذا النوع وهو أنهم كانوا يقومون ومع عدم مراعاة اتحاد الدولتين، بإثارة الاضطرابات ومصاحبة الفتنة والفساد بينهما . ومع ذلك، لم يتصور قادة العسكر التمكن في ولايات أبواب جمعهم لمدة يومين، ولم يكن قد جلسوا على مسند الحكومة بعد حتى كان يصل الحكم بالتمرد ولم يكن قد استقلوا بعد، حتى يصدر من البلاط القيصري^(١) فرمان العزل والقتل. ومع أنه، ولعدة مرات، كانت تعلن النصائح المشفقة والمواظع العاقلة إلى هؤلاء المغرورين من قبل الدولة العلية، فلم توجد أثر وتفيد بفائدة [ص ٣٤٣] وفيما يبدو ومثلما كان يظهر فإنه قد اكتملت الأعمال المختلة للدولة العثمانية الساذجة ورجال دولتها. وإذا لم يكن فما معنى أن يقوم مسئولو تلك الدولة بإثارة الفتنة والوقاحة والحقد والنزاع مع خدام حضرة نائب السلطنة الذي هو صورة الرأفة والرحمة وأساس الأمن والراحة. ومع هذا لم ينقلب الخطر بسبب هذه الأخبار والتصريحات ، ولم يصل الأمر إلى حد أن يتأهب الجيش السلطاني للحرب والصراع ويثير غبار النهب والقتال، فتتفسخ سلسلة اتحاد الدولتين وتُسفك دماء جمع من الطرفين .

(١) يقصد المؤرخ من البلاط القيصري البلاط العثماني في إسلامبول أي القسطنطينية سابقاً حيث كانت عاصمة ومقر بلاط قياصرة الروم . (المترجم)

والخلاصة، أن النواب نائب السلطنة، الذى كان بحر الحطم وجبل الوقار، لم يتحمل حركاتهم وأفعالهم غير الصائبة، وبعد العرض على بلاط ملجأ العالمين واستشارته، أصدر الأمر بركوب الجيش مُشتت العالم واجتماع مشاة وفرسان الجند النظاميين والمدفعيين، فتيسرت الفتوحات العديدة بركضة ونهضة واحدة. وكيفية ذلك هو أن النواب نائب السلطنة العلية، رحل من تبريز فى الثانى عشر من شهر ذى الحجة الحرام [١٢٣٦ هـ.ق]، وجعل من بلدة خوى مضرِباً للخيام عاقبة النصر. وفى أثناء التوقف فى بلدة خوى، قدم أحمد أفندى الدواتى من قبل قائد العسكر بالعجز والتضرع والاعتذار والشفاعة ؛ ولأن تقريراته بين الدولتين كانت مبنية على التسوية والمماثلة وليس على إزالة أسباب العناد وإخماد نيران الفساد، وبناءً على هذا، فقد عين النواب نائب السلطنة حسن خان القاجارى فى المقدمة وأخذ الموكب المنصور فى التحرك على الفور عقبه. وفى منزل "جالديران"، أصبح موصل هذه الأخبار المسرة مبشراً لبشرى الإقبال وهى أن حسن خان قد هزم جيش الروم واستولى على الأعلام والسيوف والمدفعية والذخيرة منهم، ومن هناك أسرع إلى ناحية قلعة طويراق، وهى من جملة الحصون المحكمة فى تلك الديار، وأنه قد أخضع بقوة الحظ المبارك قلعة ذلك المكان وفتحها.

وبعد وصول هذا الخبر، أخذ عُقاب الراية المظفرة فى الطيران إلى مناطق بايزيد ووان، وقبل ذلك نزلت أفواج الجيش إلى مكان العشب [ص ٣٤٤] وفى الجانب الغربى من بايزيد فُتحت منطقة "زنك زور"، التى كانت مساوية للقمر والشمس، بمجرد قدوم الحراس المظفرين، وقد توسل عموم أهالى بايزيد بنيل الأمان بسبب خوفهم من صدمة المجاهدين، وقد حضر الأئمة والقضاة والعلماء والسادات إلى معسكر زحل وطلبوا الأمان من النواب نائب السلطنة ، فقرن حضرته سؤالهم بالإجابة، ومنع الجيش من الدخول إلى المدينة والقرى ومزاحمتها، وأمرهم بقواعد حسن سلوكنا، وطمأن أعيان الدولة ووجهاء المدينة .

ومن المفاجآت، أن بهلول باشا الذى كان مسيطراً على بايزيد سابقاً، وكان محبوساً لفترة طويلة فى أرض الروم ، وكان يائساً من منصبه وولايته وفتوح أمره،

تخلص من سجنه بإشارة قائد العسكر، وانضم إلى قلعة آق سراى، وقعد للحراسة ليلاً على مرصد القتال والمعركة منذ الليلة الماضية، وفتح المدفعية والبنادق على جانب من زنك زور التى كانت مكان توقف عدد من الجيش المنصور. وتقع قلعة "آق سراى" على قمة تبة شامخة. وبسبب علوها وارتفاعها أخرجت رأسها من عجلة الفلك ، وقد سقطت قبعة مشاهديها لنظرهم إلى ارتفاعها. وفى الصباح، علم نائب السلطنة بخبر قدوم بهلول باشا، واطلع على فتنة قائد العسكر فكلف فوج الأبطال وفرقة يوسف خان وتحت قيادة أمير أصلان خان الدنبلى على رأس المدينة والقلعة، واستدعى بهلول باشا للحضور. وكان بهلول باشا بعد ذلك قد أعطى أحد إخوته كرهينة إلى قائد العسكر (العثمانى) فأرسل أخيه الآخر مع يوسف خان إلى المعسكر المنصور. ولم يقبل نائب السلطنة عذره غير المقبول، وأكد مهدداً بقوة على إحضاره. واستمال أرامنة المدينة وأغلب الشخصيات الإسلامية بالمرحمة والرأفة الشاملة. وفى اليوم التالى أحضروا بهلول باشا من المدينة والقلعة إلى البساط المقبل. وهجم المجاهدون المنصورون مرة واحدة على أطراف الأبراج والقلعة، ومنذ وقت الظهر وحتى وقت العصر سيطروا على جميع أبراج المدينة والقلعة [ص ٣٤٥] وقد فتحوا قلعة آق سراى، التى كان إخضاعها صعباً جداً طوال سنة، بقوة طالع ملك الملوك ذى الإقبال العالى فى ساعتين، وبدون أخطاء استقروا وتوقفوا على قممها. وفى اليوم التالى، انضمت أفواج الخواص والعوام وأهل الذمة والمسلمين بركاب الظفر السعيد، وطلبوا الأمان، فمنع نائب السلطنة مجاهدى معجزة النصر من القتل والغارة، وفوض حكومة بايزيد إلى بهلول باشا وقيادة "الشكرد" إلى عبد الحميد باشا، الذى كان من أهلها، كما أوكل لكل واحد من هذين الشخصين خمس قرى من توابع بايزيد، وأرسل القائد حسين خان القاجارى مع الباشا المعين وجميع السادة والأعيان إلى المدينة، وبالفال الحسن والساعة المسعودة، قرعوا خطبة الفتح والنصر والجاه والعظمة باسم ملك الملوك ملجأ الإسلام فى جامع بايزيد، وقد منح الإنعام والإحسان من النقود والأقمشة والخلاص وغيرها للباشوات والسادة والقادة والأئمة والرؤساء وجميع الأرمن والمسلمين وحتى الفقراء وال دراويش وعامة الناس فى ذلك الإقليم على الوضع اللائق الذى لم تكن قد رآته عين قط ولم تسمعه أذن مطلقاً، وبسبب اللحن النائر للذهب، أشتهر صيت الدولة السلطانية

فى جميع الولايات العثمانية من جانبيه الجمالى والجلالى، كما صار أساس الرعب والخوف وباعثاً على اطمئنان واستئناس القريب والبعيد.

والخلاصة، أنه يمن وبركة الفضل والعون الإلهى، خضع بركضة واحدة وفى أسبوع واحد مثل هذا الملك، الذى طول طريقه أسبوع، مع خمسة قلاع محكمة ومتينة، التى لا يوجد مثيلها فى الحصانة والرزانة. وقد تم الاستيلاء على ست عشرة عربة مدفع محطمة للصخور وسائر آلات الحرب ومعداتنا. وبعد فتح بايزيد، لم يتحمل الحاج حسن باشا ابن الشيشان، الذى كان مكلفاً مع جيش كثيف على حكم إقليم تلك الحدود، حرارة المقاومة، فتفرق جيشه واضطرب، ولجأ بنفسه ومعه عدة أشخاص من أتباعه والجند إلى قلعة "سك" الواقعة على قمة جبل عظيم وهى محكمة الأساس. وكلف حضرة نائب السلطنة أمير أصلان خان والمدفعيين وفوج [ص ٣٤٦] الأبطال المكلفين على بايزيد بإخضاع ذلك المكان والاستيلاء على القلعة المذكورة [قلعة سك] وبعد القتال والحرب، هُزم الحاج حسن باشا، وسلم القلعة، وسلك طريقه إلى أرض الروم. وكان النواب نائب السلطنة العلية يقطع المسافات متوكلاً على الله بغرض تأديب قائد العسكر وإخضاع أرض الروم، إلى أن اتضح فى حدود منطقة الشکرد "بأن تجمع الجيش العثمانى ومدفعيته وتجهيزاته، والذى توقف فى قلعة حسن، قد تفرق واضطرب دون حرب وقتال بسبب سماعه لخبر فتح بايزيد. وبسبب خوفهم على أرواحهم توجهوا مضطربين ومشتتين إلى قراحصار ومعدن ونريمان وهى فى أطراف أرض الروم. فخلت القرى والمدن والأراضى والأحياء فى تلك الناحية من الرعية والجيش وبقيت عارية من زينة العمارة وال عمران. فعين النواب نائب السلطنة محمد زمان خان القاجارى وحسن خان وعبد الله خان الدماوندى ورحمة الله خان ومعهم ألف جندى وألف من حملة البنادق المهرة وثمانية آلاف فارس كردى وعجمى لتعقب تلك الجماعة. وأخذت الراية المعتادة على الظفر فى التحرك من طريق منازل "ملاذكرد" التى كانت متوفرة الغلال والمؤن والماء والعلف. وفى منزل "خامور"، قدم صدقى أفندى مدرس أرض الروم مع جمع من الصلحاء والعلماء والزهاد من ذلك المكان من قبل عظماء المدينة وباشوات الأحياء وزعماء الطوائف، بالعجز والابتهاال إلى معسكر قرين الظفر. وتحصن قائد العسكر نفسه فى قلعة نارين، وأرسل العريضة المشتمة على الأعذار طالباً العفو عن

أخطائه إلى بلاط قابل العفو، وقد صار متقبلاً الضرائب وملتزماً بأداء الخدمات من الدولتين. ولكن بالمصاحب لذلك الحال ، وصل الخبر بأن سليم باشا والى أرمينية، أغلق طريق الجيش المنصور بأمر قائد الجند قبل وقوع هذه الأمور. وذهب مع ما يقدر بعشرين ألفاً من المشاة والفرسان والمدفعية والذخيرة اللامحصورة، الذين كانوا متوقفين في بولانلوق، على حين غرة لتعقب محمد زمان خان وحسن خان وسائر الرجال المكلفين، وأحاط الجيشان من الناحيتين بالجيش الملازم للنصر، الذي كان شردمة قليلة إلى جوار جيش الروم (الجيش العثماني). [ص ٢٤٧] وبسبب الاستماع لهذا الخبر، أرسل النواب نائب السلطنة صدقي أفندي مع الحاج ملا باقر قاضي العسكر إلى أرض الروم، ويعث بالرسائل الحادة والفضة إلى قائد العسكر وهذا الرعايا والطوائف بالعفو والاستمالة. وحتى حدود بولانلوق لم يستقر ولم يتأخر في أى مكان ومعه جيش مخلص النصر بغرض محاربة ذلك الجمع المتأمر. وبمجرد قدوم الموكب المسعود مع المجاهدين المظفرين، انفسخ كيان جمع الجيش الحقود عن بعضه، وبسبب سطوة هذه الهزيمة، سلكوا طريق الهزيمة. وقام حسن خان وسائر رفاقه بتعقبهم حتى حدود "مجلي صولز" وهي على بعد ثلاثة فراسخ من أرض الروم. وفي ذلك المكان، كلف ما يقدر بعشرة آلاف من المشاة والفرسان وعربيتي مدفع محطم للقلاع بتعقب جيش أرمينية وإحضار طائفة حيدرانلو التي كانت قد فرت إلى ناحية ديار بكر. وقد أسرع المجاهدون المظفرون مثل السيل المفاجئ وشعلة النيران الملهبة حتى جنجشور وشرشور وترجان وهي على بعد أربعة فراسخ من ديار بكر. وأخرجوا طائفة "حيدرانلو" منها، وسيطر جيش البرق على القرى والمدن والطوائف والمعسكرات بقوة وقدرة . وكل مكان وصلوا إليه مثل البرق المحرق وشعل النيران الملهبة والسيل المحطم والصاعقة المحرقة، حرقوه وأشعلوا فيه النيران ونهبوه، وخربوا كل مكان قابلوه، وجعلوا جمعاً كبيراً طعمة للسيف، وغنموا سبع عشرة عربة مدفع وأربعة أو خمسة آلاف أسير شبيه بالشمس ، وما يزيد على مائتي ألف من الأغنام والدواب، كما وقع في أيدي الأبطال مؤدبي العدو أموالاً كثيرة وأمتعة والتي عجزوا عن حملها ونقلها. وقد ألقوا كثيراً من الأمتعة والأسلحة في نهري الفرات ومراد من أجل تخفيف الأحمال على الدواب .

وجعل سليم باشا ومعه عدد من الخواص من جولكاي ميرزا مناصره، وسحب كل المدينة والقرى خوفاً من صدمة جيش ملجأ الظفر إلى الجبال الصعبة المسالك والوديان الوعرة والمعابر [ص ٢٤٨] الصخرية والغابات الكثيفة، ورحل هو نفسه إلى قلعة "مير"، واحتفى بمتانة القلعة ورصانتها، وثبت أقدام إقامته. فعين النواب نائب السلطنة القائد حسين خان ومعه ستة آلاف من المشاة والفرسان لصدّه، وكلف إسماعيل خان بيات بفتح قلعة ملازكرد، وقد أشعل المشار إليه النيران بالقلعة المذكورة، حيث كان عرض البرج ثلاثة أذرع وكانت قممها تلامس النجوم بسبب ارتفاعها، كما سواها بالتراب عن طريق قوة مجاهدى النصر والغلمان حملة البنادق. واستولى على عدة عربات من المدفعية والذخيرة والتجهيزات والأسلحة التي كانت فى القلعة المذكورة، ولحق بالقائد. ولم تكن قد بقيت دياراً للرعية والجند فى أية ناحية وذلك حتى ساحل قراسو. ومن المفاجآت، فى يوم ما كان جيش القائد متوقفاً على ساحل قراسو، وكان فرسان الجيش مشغولين بالهجوم والإغارة على الأطراف والنواحي، نصب فوج من أكراد حسنانلو ويزيدى الكمين فى إحدى القرى الخربة، وهجموا بغتة على عدة فرسان من تشهاربولى ويزتشلو، فقتلوا وأصابوا عدة أشخاص منهم. واطلع القائد على هذا المعنى فأرسل لإمدادهم بإسماعيل خان بيات وكريم خان كتركولو وعسكر خان الأفشارى على هيئة أفواج، ومع كل واحد عدد من الفرسان الذين كانوا فى المعسكر ولم يذهبوا للإغارة ومن ذلك الطرف أيضاً (العثماني) خرج سليم باشا ومعه جميع الفرسان والمشاة، الذين كانوا حاضرين فى المدينة والقلعة، لإمداد طائفة ييزيدى والأكراد، وقد اشتعلت المعركة وتأجج الصراع بين الجانبين طوال ذلك اليوم إلى أن مضى أربع ساعات من الليل. وفى النهاية، انفلت الأمر من المدفع والبنديقية، واشتعلت نيران المعركة لما يقرب من سبع ساعات بالسيوف والخناجر. وفى تلك الليلة نفسها، أرسل القائد فوجاً من جنود (فرقة) مقدم مع القائد سهراب بك حيث تركوا فرسان قراباغ وعبروا المياه لمعاونة وإمداد الجيش المنصور. وبمجرد قدوم الجنود النمر، ألقوا الرعب والفرع فى قلوب الأعداء وتزلزل بنیان استقرارهم، ولم ير كل ذلك الجيش فى أى مكان قط مجالاً للتأخر إلى القلعة بسبب هول قذائف البنادق وضجيج طبول المعركة [ص ٢٤٩].

وفى اليوم التالى، وصل هذا الخبر إلى النواب نائب السلطنة، فرحل من منزل "حسن كهل" وعبر من طريق صعب كان عبوره بين ارتفاعات وانخفاضات الجبال الشامخة والأطواد البانخة والغابات الكثيفة صعبة العبور. وفى وقت العصر، وصل إلى ساحل قراسو، وسَمَحَ للمدفعية والجند، الذين كانوا متعبين من مشقة الطريق الطويل والبعيد وقد أصبحوا مرضى ومطحونين، بالإقامة على حافة المياه. وعبر بنفسه النفيسة مع المجاهدين الفرسان فى أثناء القدوم من عرض النهر، وقادهم بسطوة وقهر حتى شاطئ قلعة المدينة، وقام بمحاصرة أهالى المدينة ومعه المجاهدون المنصورون من الجوانب الثلاثة. ويسبب الخوف من الجنود المسعوديين، حمل الأشراف والقضاة والسادات والأعيان الخبز والملح والمصاحف وقدموا إلى المعسكر وطلبوا الأمان. فأهل النواب نائب السلطنة بواسطة العجزة والمحتاجين الجماعة المحاربة والمهاجمة أربع عشرة ساعة، وكلف محمد حسين خان نائب رئيس حرس الديوان على القلعة، فأحضروا سليم باشا بون تأخير وتعويق ومعه السيف والمصحف أمام مجلس الحضرة، وتشرف بتقبيل البساط. وفى مقابل هذه الخدمة والطاعة، مُنح محمد حسن خان منصب رئيس حرس بلاط صاحب الشوكة. وفى اليوم التالى، كُلف الوزير الفريد سلالة السادات والعظام ميرزا أبو القاسم بقراءة خطبة الفتح فى جامع مدينة (بتليس ومير) باسم صاحب الشهرة فاتح العالم. وفى ذلك المقام دخلت سبع عشرة عربية مدفع ضمن الغنائم الكثيرة، وقد أقامت راية معجزة الفتح عدة أيام فى ذلك المكان، وقد أحضر محمد زمان خان وحسن خان، اللذين كانا مشغولين بفتح قلعة خنوس، بعد الفتح والاستيلاء على القلعة المذكورة ومعهم جميع الجند والجيوش التى كانت فى الأطراف والأكناف. وقد رد كل أسير كانوا قد أحضروه من كل مكان إلى أصحابه، وطمأن الرعايا والطوائف واستمالهم بالمراحم والمكارم السلطانية، كما فوض ممالك أرمينية، وكما كانت إلى سليم باشا. وقد أدخل ما يقدر بعشرة آلاف فرد من المشاة والفرسان [ص ٢٥٠] من المناطق والطوائف، التى لم تحرق ولم يُغر عليها، فى سلك ملازمى البلاط. ومنح محمد بك أخا سليم لقب خان وكما جعله مفتخراً ومعتزاً بقيادته لهم وجعله ملتزماً ركاب النصر. ولأن اتساع الجبل والوادي كان قد ضاق بسبب ازدحام مشاة وفرسان الأكراد والعجم والجيش النظامى والجند السفاكة للدماء

فلم يكن من المقدر تهيئة المحال للعبور وتجهيز مؤن وأعلاف الجيش المنصور من طريق واحد، فقد سمح لسبعة آلاف من جيش القائد بالسير فى طريق خامور إلى ناحية إيروان ومعهم الأغنام والأموال الوفيرة، كما سير أربعة آلاف من فرسان شقاقى وشاهسون وقراداغى إلى خوى من طريق كوه سبان ومعهم المكاسب والغنائم الوفيرة، وسير محمد خان من طريق بتليس ومحمد باقرخان القاجارى وحسن خان من طريق أخلاط لمحاصرة وان، وأخذت الراية المطرزة بالظفر فى التحرك من طريق أرديش. وفى الحادى عشر من شهر صفر، فتحت قلعة "أرجيش"، وانضمت اثنتا عشرة عربة مدفع إلى مدفعية الركاب. وقلعة أرجيش هى مكان صعب جداً وأطرافه الثلاثة بحرية وطرفه الآخر لسان، وقد أحكموا (قلعة أرجيش) أيضاً بحملة البنادق البرقية المشعلة للنيران. وبرجها عريض، وقد رفعوه بالصخور والحديد ولم يكن الاستيلاء عليه ممكناً. ولقوة التأييد الإلهى والطالع السلطانى فقد تم الاستيلاء عليها (القلعة) بأسهل الأسباب وقد صارت مواقع بكرى وبندهامى ومحمودى ضمن أعمال خوى وسلمت إلى فتحعلى خان القاجارى الحاكم العسكرى لخوى. وبالمصاحب لهذه الأحوال، وصل الخبر بأن مسئولى دولة الروم (العثمانية) قد عزلوا قائد العسكر، وقتلوا ثلاثة أشخاص هم القاضى والمفتى والأقندى الذين كانوا قد أزالوا وجه القائد حسين خان وحسين آقاي زيلان وقتلوهما وكانوا قد أصبحوا من بداية الأمر مصدر هذا النوع من الفساد لباشا بايزيد. وقد وقع الاختلال الكامل فى ولاية أرض الروم وإلى الآن غير معلوم من هو قائد العسكر وما حقيقة أمر تلك الدولة.

والخلاصة أنه فى خلال مدة الشهرين، التى كانت بداية [ص ٢٥١] تحرك الراية المطرزة بالظفر من بلدة خوى وانتهائها بالرحلة والسفر فى الثانى عشر من شهر صفر، قد سيطر على المدن والضواحي وأفواج الأعداء المصابة والقَتلى والأقسام المفتوحة، وقد دخلت مدينة وضواحي بايزيد والشكرى وديادين وملانكرى وبتليس ومير وأخلاط وعاد لجواز وأرجيش وخنوس ومعها جميع التوابيع والطوائف والقرى والرعايا تحت منطقة السيطرة ودائرة النفوذ. والمكان الذى بقى كان قلعة "وان" نفسها حيث إن ذلك المكان أيضاً سوف يُضبط على نحو قرار تعهد سليم باشا. وغير الغنائم والأموال الكثيرة التى وقعت فى أيدي الجنود، انضمت من جميع النواحي ما يقدر بثمان

وأربعين عربة مدفع إلى مدفعية الركاب، وقد أنهى جمع من جيش ملجأ الظفر، الذين كانوا مكلفين قبل هذا بالاستيلاء على ألوية حكارى الثمانية عشر، فى هذه الأوقات خدماتهم، وأصبحت هذه الألوية المذكورة أيضاً ضمن الممالك السلطانية المحروسة. وفى الوقت المقرون بالسعادة والمؤيد بالطالع المتزايد يوماً بعد يوم، والذي جزم فيه النواب نائب السلطنة العزم على هذا السفر، كان قد مضى وقت قيادة الجيش وتعبئة الجنود، وكان السحاب الخريفى قد أسدل الستائر على وجه الفلك الدخانى، وكانت شمس العالم قد وضعت حرارتها وأشعتها فى كفة الميزان مثل يوسف الكنعانى^(١) وفى ممالك أنربيجان والولايات الرومية (العثمانية) كانت بداية برودة الجو ووقت ظهور صولة البرد وخاصة فى الولايات المذكورة إلى درجة أن الجو الحار الموجود فى منتصف الصيف (قلب الأسد) تكون برودة ذلك المكان فوق طاقة المسافرين ولايمكنهم الحياة دون معطف ونيران. وساحة تلك الولاية فى أغلب الأوقات فى فصل الثور والجوزاء وحتى العقرب والقوس لا تكون دون برد وعواصف ثلجية. وبالرغم من أن مساحة تلك المملكة، التى تعود الجيش الذى هو فى عدد النمل وقوة الثعابين الإغارة عليها ، وقد أخضع أطراف ولاياتها بأقدام الاقتحام وفتح قلاعها وخطف كرة الظفر من يد الأعداء وأضاف لشهرته وصيته بسبب إظهاره للجلادة، واقعة أغلبها فى ناحية جبال أخسقه واللاز وممتلئة بالبحر الأسود [ص ٢٥٢] وتتصل بالمواقع الخاضعة للروس وأصل ممالك تلك الطائفة وهى فى الواقع إقليم يُعتبر (يُعد) وسط الممالك الرومية (العثمانية) وهى خاضعة لقوة نفوذ وسيطرة الدولة العثمانية ، وتضم طوائف الأكراد والعجم ومشهورة فى العالم بالفروسية والقوة والتسلح بالرمح والقيام بالحملة الهجومية واستعمال المدافع والبنادق . وهى أقرب إقليم إلى إسلامبول وجيش الروم بسيوفها الحادة وحرابها المديبة فعيون الترك والتاجيك سوداء من حملات أهلها البطولية ومن بداية تراب بايزيد وحتى كل الأماكن التى وصلت إليها حوافر خيول أبطال إيران والجنود والمدفعيون الناثرون للنيران، كانت من منزل إلى منزل مليئة بالقلاع المحكمة والحصون المشيدة بالصخور وكان يوجد فى كل واحدة من هذه القلاع المدفعية وترسانة الأسلحة والتجهيزات القديمة

(١) يوسف الكنعانى : يقصد نبي الله يوسف عليه السلام .

والحديث الزائدة عن الحد والنهاية وكان الاستيلاء عليها منحصراً في حصارها لفترات طويلة والتضييق عليها بالقحط والغلاء والحرب والقتال. فعلى سبيل المثال، لو أنه في كل واحدة من هذه القلاع الصعبة، التي ترفع رأسها إلى فلك الروج بالحجارة والرصاص والجير، كان مدفعيو الجيش المظفر يضربون برجاً من بروجها بعدة مدفعية محطمة للصخور، لم تكن تتشق منها فجوة وثقب ولم تكن تتزلزل أركانها أو تتحرك من مكانها. وكان سليم باشا أحد حكام وباشوات هذه المملكة والذي لم يكن يقرأ من كتاب السلام وحسن السلوك سوى الحرب والنزاع ، ولم يكن يكرر من تعلم (دراسة) الصلاح والفلاح سوى درس الفتنة والقتال، وكان مستعداً ومتجهزاً بأكثر من عشرين ألفاً من المشاة والفرسان ، وكان مستظلاً تحت راية الاستقلال والنفوذ. وكذلك الباشوات وقادة العسكر الآخرون لووا رعوسهم بالعناد واللجاج وعدم الطاعة بسبب غرورهم وحيث كان لهم ذلك القدر من الجيوش الجرارة والاستعدادات والتجهيزات القتالية، بحيث لم يكن جميع معسكر النواب نائب السلطنة بخيله وحشمه، الذي كان قد حركه بغرض هذه الفتوحات وكان يُظهر التمنى لهذه الغارة، عشرة في المائة من حيث العدد والعدة إلى جانب وجوار استعداداتهم . وبقوة التأييد الإلهي ويمن الطالع المنتصر للمطالع السلطانية [ص ٣٥٣] وجه نائب السلطنة همته إلى كل ناحية، ففتح المجاهدون المظفرون والمنصورون كل ناحية والتي وجهوا عنانهم إليها وقهروا أعداءهم ودمروهم. وفي فترة الشهرين ومع نزول البرد والصقيع والأمطار وقسوة البرودة الشديدة وطىئون تفكير خوف وخطر كل ناحية في بلاد الروم تحت نعل النواب. فتيسرت بالاقترام مواكب الفتح. وعلى مدى عشرين يوماً من الرحلة والسفر، نُهب وحرق الملوك الأجانب واشتعلت نيران النهب والغارة في أهالي البلاد البعيدة عنهم، وانضافت القلاع المحكمة، التي كان يسكن بعضها عشرون وعشرة آلاف أسرة، ضمن الولايات والأراضي الأخرى إلى الممالك (الإيرانية) المحروسة. واستظلت عدة قرى ونواح وعشائر وطوائف تحت ظل راية الجلال، وانشغل كل واحد من عظماء وباشوات تلك المناطق بعمل الطاعة والخدمة وتم اختيار عشرة آلاف فارس تحت الخدمة والطاعة من كل طائفة كانت مستقرة في تلك الحدود. وبحيث كان كل فرد منهم معه ما يعادل مائة تومان تقريباً ، والحصان والأبواب والملابس والأسلحة والمؤن. وهزموا بالجيش القليل الجيش الكثير ،

وقد صار أقل مجند حديث صاحب مال وحشم من أموالهم، وقد دمروا موقعين من الشكرد وحتى مسافة ثلاثة فراسخ من ديار بكر، أحرقوها وأشعلوا فيها نيران النهب والغارة . وكان قد عين على جميع الجهات فى تلك الحدود عربتى مدفع وعشرة آلاف من الفرسان والمشاة. وبلا شك كان يوجد فى كل واحدة من قرى تلك الديار عشرون ألفاً من المشاة والفرسان الجرارة بالحرب النافذة والمدفعية المحملة بالنيران وسائر معدات المعركة والقتال ، وكان مدفعيها مدربين على القذف بالمدافع كآثار البرق والفرسان العرب الماهرين فى المعركة والمجاهدون الأكراد والألوار وهم فرسان حلبة ومضمار الافتخار، يلقون إعجاب أعين ومصايح فرسان إيران ، وكانوا يستصعبون هزيمة مائة فارس منهم بمائتى فارس فى ميدان المعركة. وبالرغم من ذلك وبالتأيد من الرب المجيد ويقوة الطالع والحظ السعيد، صار الجيش القليل صاحب الوضع عن الجيش الكبير،[ص ٢٥٤] وحصلوا على ذلك القدر من الأسرى، حيث زاد عدد الأسرى المحبوسين على عدد الجيش المائوس بالنصر. ولو كانوا ينفذون حكم القتل العام طبقاً لقاعدة جيش المغول فى حشر مرو ونيسابور لوصل أن يقتل الفرد الواحد من الجيش المنصور عشرين فرداً من الأسرى. ولكن النواب نائب السلطنة، الذى سيطر فى هذه الرحلة على تلك الممالك، قد غرس بذور المحبة والإخلاص فى القلوب ، وجذب قلب الوضيع والشريف، وحيث اعتبر كل أهالى الروم وعقلاء تلك المناطق والأراضى أن سيطرة ويسط نفوذ الدولة الخالدة هى من أنواع نعم ومراحم الخالق لهم، وأقروا واعترفوا بذلك: "لم نكن قد رأينا مطلقاً من الدولة العثمانية مثل هذا النوع من الإحسان والإكرام وفراغ البال والراحة". وقد صار كل واحد من المجاهدين مصدراً للخدمة فى هذه الرحلة والتى لم تتيسر لهم فى أية رحلة مطلقاً. ووصلوا إلى مال وثروة لم تكن تخطر ببال أحد. ولم يكن يرضى أى أحد من الغلمان مريدى الدولة وعبيد الإرادة بتحريك رايات النصر فى فصل الخريف والرياح والبرد والجليد هذا وفى الأمر نفسه أيضاً ومثلما كان ولم يكن يصدق بالمصلحة. ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ (١) ولكن الألطاف الإلهية الخفية والعطية الكبرى لكبرياء وقوة إقبال فاتح العالم هى الأمر

(١) من الآية الكريمة رقم ٢١٦ ، سورة البقرة . (المترجم)

الفصل الذى يوصل الفهم الإنسانى إلى كفتها ولا تستوعبه فى صندوق أوهام الخلائق.
وإنما هو أمر موقوف على العون والفضل والحال . وقد قال رأى حال العقل والنقل
المتأخر: [بيتين ترجمتهما]

عندما يطمئن الرجل على علمه

يُزجى وقته فيما لا طائل فيه بعين عدوه

ولا ينفعه العراف ولا المتنبي

فلا ينفعه المرشد ولا المنجم

والخلاصة، أن نائب السلطنة كان يوصل إلى أهالى كل مدينة قسماً من الإحسان
والإنعام الذى كان يصبح أساس حيرة الجميع وباعثاً على رغبة الرعية ورضا الصغير
والكبير فى تلك الولاية، وعلى الخصوص فى أوقات قراءة الخطبة التى كانت تذكر اسم
الهمايون صاحب الجلالة السلطانية حيث كان قد أوجب على نفسه أن يرتدى السامع
والحاضر الخلعة وينوق الطعام الحلو من بركة ذلك الاسم الميمون العاقبة [ص ٣٥٥]
وفى ذلك اليوم صار جميع الأعيان والأشراف والنجباء والخطباء والفضلاء والزعماء
والرؤساء والفقراء وحتى خدام المساجد موضع الخلعة والإنعام والتصدق ومد موائد
الطعام والخيرات. وقد صدر الحكم المحكم بأن يستربوا كل شئ وأفراد الأسرى من
الأمراء والحكام والجيش المنصور، الذين كانوا قد أحضروهم، ويربوهم إلى أصحابهم
ولم يبق لأى شخص أسير تحت الحراسة. وقد قسم الأموال والدواب على فرسان
الجيش، والخمس من الغنائم على الجند والمدفعيين الذين لم يذهبوا إلى الإغارة.
ولم يأخذ لنفسه شيئاً من كل هذه الغنائم والمكاسب التى لا تعد ولا تحصى، وكان يشتري
حلى خيول المدفعية، التى كانت قد هُلكت فى أثناء المعركة، بسعر أعلى. وفى وضع
قيادة الجيش وتوجيهه والإنعام عليه، وحيث كان قد تعهد فى هذا السفر كل أمير وقائد
بذلك، فقد كان يساوى فى سلوكه مع جميع الخلائق. ومثلما كان جميع الأبطال وأفراد
الجيش المقترن بالنصر يعيشون وقت الأمطار والجليد فى خيمة بلا غطاء، كان نائب
السلطنة أيضاً قد حرم على نفسه الخيمة المغطاة والمشمع والسرير فى نومه وراحته،
وكان يُقرع الطبول فى الخيمة مباشرة ، وكان ينام مثل سائر الجنود مفترشاً الأرض.

وعندما كان يصل إلى المدينة الكبيرة، فلو كان يوجد أرز أو كان يحصل على الفاكهة من المخزن أو غيره لكان يقسم ما يوازي قبضة الشخص على كل ملتزمى الركاب، وكان يصل لخاصته الشريفة مثلما يصل لأحد أفراد الجند، ولم يكن يفكر فى الغد، والشئ الذى لم يكن فى مقدور كل شخص لم يكن ينظر إليه مثل السكر والعسل وسائر التلذذات .

والحق أن هذا التقدير وهذه الخصائل الحميدة ورعاية الخدم والأخلاق المحمودة قد محت محاسن أطوار السلاطين القدماء من على صفحة الزمان. وقد حفظت الحكاية التى رواها وصاف الشيرازى^(١) عن جنكيز خان، على رف النسيان. وتلك الحكاية كانت كذلك: وهى أنه [جنكيز خان] ذهب يوماً مع أهله ومقربيه إلى الصيد، ولم يصطد فى ذلك اليوم سوى عصفور، فشوى ذلك الطائر الضعيف [ص ٢٥٦] وقسمه نرات نرات على ملتزمى الركاب. وقسم عليهم الذرة منه أيضاً وهى فى الحساب الجزء الذى لا يتجزأ وأكل الإحسان الذى لا يقبل مضغة بين جنوع الأسنان، وكان الحاضرون فى ذلك الحضور هم الأمراء والقواد أنفسهم الذين لم يبتعدوا عن ركابه فى الشدة والرخاء والحرب والسلام. وعندما أخضع ممالك العالم ودمر الأبطال أطرافه وكان كل واحد منهم يُعرف بالاسم والصفة، ورافقه لسنوات فى خدمته وطاعته ، وتعجبوا لفترات فى ركابه ، وكانوا حارسين لمصلحة ملكه وحروبه وغزواته، فكرمهم جميعاً. وجعلهم أصحاب ولاية وحكم وخيل وخدم. ومنذ ذلك، وكتب التواريخ المشهودة شاهدة على ذلك الرأى وحتى آخر الزمان تتحدث عن مآثر ومفاخر الملوك وطالما بقى فى العالم الاسم والرسم يفتشون عن حسن أخلاق الأكاسرة فى صفحات الأوراق. واليوم، والحمد والمنة لله، فإن النواب نائب السلطنة العلية مع عظمة الملك وتوفيق عظمة الطبع ورحمة القلب يظهر فى جنة المكربة والفضل مثل شجرة طوبى^(٢) على رأس الأحرار ملقية ظلها على دفاتر مآثر السلاطين السابقين ، وتحكى قصة الملوك القدامى المخزونة فى حافظة أهل

(١) عبد الله بن فضل الله الشيرازى ، المعروف بوصاف أو وصاف الحضرة الشيرازى وكتابه باسم تجرية الأمصار وتزجية الأعصار الذى عرف بتاريخ وصاف ، ألفه فى عام ٧١٢ هـ باسم أولجايتو الإيلخانى . (انظر : هزار سال نثر بارس : كريم كشاورز ، ج ٢ ص ٩٦٤)

(٢) شجرة طوبى : اسم شجرة فى الجنة . (انظر : المعجم الفارسى الكبير : ج ٢ ، ص ١٨٦٥)

التاريخ والسير كل الذى رآته مثل هذا الأمير الحر أو ما سمعته مثل هذا الملك مُعين الدولة فى كتاب، والآن يسجله القلم وعلى صفحة الكتاب بأنه يُوفق فى المعركة ويمنح فى الحفل. وقد سأل ربه ملكاً وعالمًا بالفروسية ، فاختر حضرته عن جميع العظماء وقد نال إعجاب ربه الذى [جل جلاله] رأى حضرته لائقاً وجديراً بتفويضه نيابة السلطنة (ولاية العهد) وإعطائه هذه المكرمة. ومثلما كانت الأبوة كان الابن. والأمنية بحق محمد وآله الأمجاد، هى بأن يغتنى أهل العالم من هذه الدولة وبإلا تصل آفة عين الكمال (الحسد) لوجه حسناء الإقبال طالما أن للدنيا البقاء .

١٧٢- وقائع العام ذى الطالع المبارك المطابق لسنة ألف ومائتين وسبع وثلاثين هجرية وكيفية محاربة باشوات الروم [العثمانيين] مع نائب السلطنة العلية فى قلعة طويراق وهزيمة تلك الطائفة بعون البارى [جل جلاله] على النحو الذى مضى فى وقائع العام الماضى [ص ٣٥٧] :

كان تحرك النواب نائب السلطنة إلى [بلاد] الروم وتأييده الجزئى لحكام الأقاليم الحدودية وتلك المناطق من أجل أن يندموا على تطاولهم وتبجحهم وتحالفهم معاً وسوء تصرفاتهم. فبعد وقوع هذه الأحوال والأوضاع ازدادوا فى العناد والنزاع أكثر وأكثر، فقد حبسوا التجار وأصحاب المعاملات الإيرانيين فى إسلامبول وسائر بلاد الروم، وتحفظوا على أموالهم فى المحلات والقوافل وأقاموا الحراسة عليها، كما أذاقوا الحجاج محنة الأيام فى عودتهم من رأس النزاع فى الشام، واستولوا على أموالهم. وبعد شهر أو شهرين، مات بعضهم فى السجن ونجا القليل وصاروا فرادى بلا رأس مال وفى الطريق لفظوا أرواحهم ولحقت بالوطن قلة القلة بلا مأوى وفى ذلة وحقارة .

وقد عُين محمد رعوف باشا من قبل البلاط القيصرى [العثمانى] على أرض الروم كقائد عسكر تلك الحدود، وحتى أواسط الربيع، انشغل باستجماع التجهيزات وأسلحة الحرب والمؤن والجنود والمدفعية والذخيرة والبارود والدانات وسائر ما يحتاجونه. لذا تحرك النواب نائب السلطنة فى أواخر شهر شعبان من دار السلطنة تبريز. ومن

المفاجآت فى أثناء القدوم إلى بلدة خوى : ذهب حسن خان القاجارى ومعه جمع من فرسان إيروان لمهاجمة قارص ونريمان والاستيلاء على قلعة "مغازيرد" التى كانت من القلاع المشهورة فى تلك الحدود ، وقام بمقابلة ومقاتلة جيش الروم. وفى تلك المعركة أوقع حسن خان القاجارى سعيد أغا المسمى بـ سيواسى قائد تلك الجماعة فى الأسر ومعه ما يقرب من ألف أسير، وسلك الباقون من السيف (الأحياء) طريق الفرار. وأرسل حسن خان القاجارى سعيد أغا سيواسى ومعه الأسرى إلى بلاط صاحب الشوكة. ووصلت تلك الجماعة إلى الركاب المستطاب فى خوى. وطلب نائب السلطنة العلية سعيد أغا سيواسى، الذى كان رجلاً لماحاً وذا فراسة، للحضور، وألقى عليه بعض النصائح المفيدة للباشوات وقائد عسكر أرض الروم [ص ٣٥٨] فى ترك المعادة والتخلى عن سوء السلوك ووخامة عاقبة النزاع وإصلاح ما بين الدولتين العليتين إيران والروم [الدولة العثمانية] وسمح للأسرى جميعهم بالعودة إلى أوطانهم .

وبعد رحيل تلك الجماعة، لم يرفع الباشوات ثانية أيديهم عن العناد على تصور أنه ربما يظهر فى هذه المرة شاهد مرادهم فى مرآة ادعائهم، وإنشغلوا بالتجهيز للحرب والقتال. فاعتبر النواب نائب السلطنة أن تهدة أس نزاع وصراع الباشوات المغرورين منحصر فى تبختر السيوف المنزفة للدماء وإطلاق نيران البنادق والمدفعية الثعبانية، فأصدر الأمر بتجميع الفرسان والمشاة العسكريين وجيش أذربيجان.

وفى أواسط شهر الصيام، تهيأت للظهور الراية المطرزة بالنصر من بلدة خوى ، وكان منظور رأيه أن يفتح الأمر من ناحية "وان"، فكلف أغلب الجيش على ناحية الباق وسلماس. وفى [اليوم] الثانى، وصل الخبر بأن باشوات الروم وهم : جلال الدين محمد باشا ، وحافظ على باشا ، وإبراهيم باشا ، ومعهم مشاة وفرسان جيش الروم توقفوا ونصبوا خيام الإقامة بالقرب من قلعة طويراق، وهم أيضاً فى أثناء ذلك يبذلون الاهتمام الكامل للاستيلاء على ذلك المكان. وفى قلعة طويراق كان مكلف بحراستها ما يقدر بمائة جندي وتسعة عشر من حملة البنادق الخجيين. وفى مدة الحصار أصبح دليل كل شىء بذلك العدد القليل، فأرسلوا إليهم الرسالة وذلك بأن يخرجوا من القلعة ويسلكوا طريق ديارهم سالمين غانمين ويسلموا القلعة بلا خوف ولا رهبة. فردت تلك

الفئة القليلة فى جوابها: بأنه طالما الروح فى الجسم والرمق فى البدن، فسوف تكافح ولن نسلم القلعة من أيدينا. وبسبب الاستماع لهذه الأخبار واستعدادات الباشوات فى أمر المعركة، أحضر نائب السلطنة الأفواج القاهرة من قرب وان، وتحرك الموكب العالى من جالديران، وقدم إلى أواجق قاصداً الشكر. ولحقت بالركاب أفواج الجند والفرسان الذين كانوا عند فتحعلى خان الحاكم العسكرى لخواى ومكلفين بحراسة الطائفة. وقد أدركت جماعة الأكراد وسكان وان، الذين كانوا قد أصبحوا مصاحبين لسكتة الخوف والفرع، يبين أنه [ص ٢٥٩] لم يبق من العساكر المنصورة مشاة وفرسان فى تلك الديار، ففتحوا جناح الإغارة ومدوا عنق التطاول والاعتداء، وفى الصباح، انصبوا مع ثلاثة أو أربعة آلاف من مشاة وفرسان الأكراد الروميين والدلى باش والهيطا على رأس طوائف خضرلو وتكورى الذين كانوا يقيمون فى توره وحاجى بيك. وهجموا على عدد من الأغنام قبل تلك الجماعة. واتفقت طائفة تكورى مع الأكراد وجيش وان، وبمجرد قدومهم مع الطائفة والأحشام والدواب والأغنام سلكوا الطريق بمرافقتهم. ومن المفاجآت الحسنة تقدم أمر وظهور كوكبة الإقبال، وهى غير العشرين فوج من جند وفرسان مقدم التى كان قائدها فى ذلك الوقت سهراب خان غلام الخاصة الشريفة، وانفصلت عن المجاهدين المكلفين على سلماس، وكانت تطوى المسافة من خلفهم وتقابلوا فجأة مع جيش وان والأكراد، وانشغلوا بالقتال فى ملك الأعداء وصحراء بلا ماء منذ بدء النهار بثلاث ساعات وحتى غروب الشمس، وقد اشتدت حرارة المعركة علاوة على حرارة الصيف، وفسخوا كيان تجمع ذلك الجمع، وقتلوا وأسروا جمعاً، وأرجعوا الطائفة واستولوا على الأغنام والدواب المنهوبة مرة أخرى، وقد وصل هذا الخبر إلى نائب السلطنة عندما لحق محمد زمان خان القاجارى ومعه فتحعلى خان الحاكم العسكرى لخواى، الذى كان مكلفاً بالهجوم على مساكن وان، بالغنيمة والأغنام والدواب بالركاب. وفى منزل أواجق، وصل الخبر إلى مدبرى أمر البلاط بأن حافظ على باشا، توجه إلى محاصرة وإخضاع قلعة طوبراق، فقد تقدم إلى السور والخنق وضيق الأمر على حراس ذلك المكان وأغلق القلعة من ثلاثة نواحٍ بالمدفعية والمقاليع (المدافع الصغيرة) وفتح بالقلعة فجوة لتخزين البارود واقترب أن ينهى أمر القلعة. وقد وضع أرامنة تلك الحدود أيضاً أقدامهم فى دائرة العصيان والتمرد باحتمائهم فى الجماعة العثمانية. فقد

تجمع ما يقرب من ألفى أسرة مسلحة بالبنادق فى "قراكليسيا" وهى الواقعة على طريق بايزيد وتبعد عن قلعة طويراق ثمانية فراسخ، وتحصنوا فى كليسيا وجلسوا فيها. [ص ٣٦٠] فتحرك النواب نائب السلطنة من أواجق مع نفس ذلك الجمع الحاضر معه الذى كان أغلبه عائدًا حديثًا من وان وهكارى والباقي ، وهزم العدو وأغار على أمواله ودوابه وانطلقوا هم والخيول والأسلحة. وارتحل دون تأمل وتفكير من منزل إلى منزل. وفى أثناء المرور على كليسيا، تقدمت جماعة الأرمن طوعاً أو كرهاً بالصليب والإنجيل والقسيس ، وقاموا لاستقباله على عجل. ولم ير نائب السلطنة المصلحة فى تجمع تلك الجماعة فى مكان واحد، فأمر بأن يتفرقوا فى ييادين والمناطق الخاضعة للسيطرة. وفى تلك الليلة، توقف الجيش الباحث عن النصر فى ذلك المكان، وفى اليوم التالى تحرك من هناك، وكان منظور رأيه الأشرف بأن يتوقف فى الليل جيش ملجأ الظفر فى معسكر حسن خان القاجارى ويستريح من تعب الطريق فيقومون للحرب ويقدمون عليها وهم مستريحون. وفجأة وصل الخبر فى الطريق بأن الباشوات العثمانيين وبسبب قدوم الموكب المسعود يقضون أوقاتهم فى الاستيلاء على القلعة وإبادة حراسها ، ويستعجلون أن ينهوا أمر القلعة قبل وصول راية الظفر المعجزة. وفى هذا الحال، كان قد أرسل فدائيو القلعة رسائل عديدة إلى حسن خان، وبسبب الاستماع لهذه الكلمات لم تسكن ولم تهدأ طاقة نائب السلطنة، وعلى الفور ركب جواده ومعه القائد حسين خان وحسن خان وقليل من ملتزمى الركاب، وقادهم إلى مقربة من جبهة القتال والمعسكر العثمانى إلى درجة أن لباسهم كان ظاهراً وواضحاً بين الخيام لمراقبة ميدان المعركة وتحديد مكان اللواء وتدبير زحف المدفعية المدمرة على رأس التلال وتسهيل إغارة الجند وتخطيط ميدان المعركة واستعمال المدفعية والبنادق. وبسبب مشاهدة ذلك الحال تضايق باشوات الجيش العثمانى، فتهيئوا للحرب واستعدوا للطعن والضرب بجيش كثير العدد ، وقد ضاق السهل والجبل من ازحامهم. وأحضروا أربع عربات مدفعية مع أربعة آلاف جندى من دلى باش وهيطا والشجعان المجريين للمعركة من "بناه دره"، التى كانت واقعة فى ذلك المكان، إلى أعلى الهضبة، لمحاولة السيطرة على قمة الهضبة المرتفعة، فيكونون مرتفعين على رأس الجيش المنصور [ص ٣٦١] إذا تمكنوا من القمة أنزلوا هزيمة حقيرة بجيش الإسلام. فاشتبك ولى العهد [معه] ومعه عدد من الأمراء

والغلمان وغلمان حملة البنادق وغلمان الخدم، وضغط ملتزمو الركاب في خدمة نائب السلطنة بأقدامهم على سفح الجبل مثل الجبل الراسخ، وكانوا يربون على قذائف مدفعيتهم المتلاحقة بقذائف غلمان حملة بنادق فرقة قاسم خان، إلى أن وصلت بسرعة وعجلة كاملة الأفواج القاهرة من الفرسان والمشاة والجند والمدفعية العسكرية الذين كانوا خلفهم بمسافة فرسخ واحد. ومن ذلك الجانب أيضاً، سيطرت ألوية الباشوات العثمانيين على التلال والمرتفعات والهضاب قبل قدوم الجيش المنصور، وسحبوا المدفعية إلى كل الأماكن، ووقفت المشاة المستعدة سابقاً للحرب والنزاع منتظرة المعركة. وكان منظور رأى نائب السلطنة بأن يعطى أمر الهجوم على قمة الجبل من وسط (بناه دره)، وكان هذا الأمر صعباً جداً مع تعب الجند وعطشهم وعجز خيول المدفعية وضعفها وذلك لأنهم ساروا على أقدامهم في ذلك اليوم طريق طوله ثمانية فراسخ في شدة الحر وبدون طاقة وفي طريق ليس به ماء، وقد أسرعوا بالجرى والعدو بطول فرسخ واحد. ومع هذه الأحوال، توكل نائب السلطنة على خالق الجزء والكل [الله جل جلاله] واعتمد على طالع ملك الملوك الموفق، فكلف حسن خان القاجارى ومعه أفواج جند وفرسان إيروان ونخجوان وخوى بالهجوم على تلك الهضبة، فأسرع أبطال إيران كالدهاء المستجاب إلى أعلى، وفي الهجمة الأولى استولوا على المدافع الرومية واشتعلت المعركة، ومن حول ميدان المعركة أخذوا في تزيين وجه الشمس والقمر وبسبب مشاهدة جلادة الجيش الجرار، هجم متهورو دلى باش وهيطا بشجاعة على المعركة والحرب، وألقوا قذائف نيران المدفعية والبنادق على أرواح بعضهما البعض، فكانت دانات القذائف والقنابل تسقط من أعلى إلى أسفل مثل الشهب المشتعلة، فتهرب الأرواح من أبدان الأبطال، وغضب جيش الروم بسبب مشاهدتهم لجسارة وعناد الجند، فانصبوا في تهور وإقدام كاملين [ص ٣٦٢] من الثلاثة أطراف وسط جيش إيران، واختلطوا مع بعضهم البعض واشتبكوا مع أبطال إيران ومسكوا في خناقهم وانتهى الأمر إلى السكاكين والخناجر فسقطت البيارق بين الجنود وانفصلت الرعوس عن الأبدان .

والحق أن راية الظفر قد ارتفعت في مضمار الفضل، وفاق شجعان جيش الروم على الجنود وقتلوا يد جلادتهم. وأنزلوا الجيش الجرار من أعلى إلى أسفل مثل الصخور الثقيلة بسبب هجوم السيل، واستعابوا مدافعهم ثانية. وبسبب مشاهدة هذا

الحال، ظهر عبوس الغضب على جبين النواب نائب السلطنة الشبيه بالبحر، وعين فوجى جند تبريز ومرند بقيادة جعفر قلى خان المرندى وقاسم خان التركمانى ومحمد رضا خان الباكوى أخوا القائد إبراهيم خان سرتيب لإمداد حسن خان القاجارى ومعاونة الجند المنهزمين، فارتفع عزم أبطال الجلادة مثل الأسود مرة أخرى مع حسن خان القاجارى وحملوا وهجموا وكان وقت الغيرة والشجاعة، فصار زمن ثبات القدم وحكمة النيران المشتعلة وأثاروا البرق واختلطوا ببعضهم البعض وصبوا النيران، وفى الهجمة الأولى، استولوا على ست عربات مدفعية وعربة مقلع رومية، وخلعوها جميعاً من أماكنها وأنزلوها من أعلى الجبل إلى أسفل، وفى هذه الأحوال، وقفت صفوف جيش الروم لواءً لواءً، وشاهد الباشوات عظيمو الشأن مثل الناس المشاهدين والنجوم السيارة بعين الفرجة بطولات شجعان إيران، وكان لواء سليم باشا قد وقف فى الميسرة مع عشرة آلاف من مشاة وفرسان الأكراد الروميين مثل سد الإسكندر، واستقر أمامه القائد أمير خان القاجارى مع جيش أبواب جمعه، وفتح سليم باشا قذائف المدفعية المدمرة للعالم على صفوف أمير خان. واستقر النواب نائب السلطنة فى القلب مع اللواء الكبير مثل الشمس المشرقة، وكان العلم ذو الشكل الثعبانى يهتز من حركة نسيم الظفر. فأصدر الأمر لحراس بهرام العظيمة ذى الثياب الحمراء بأن يهجموا بسرعة، وبأن يتحرك القائد أمير خان بالأمر المشبه بالقدر على رأس لواء سليم باشا. وأمر حضرة [ص ٣٦٣] نائب السلطنة عازماً على الحرب السلطانية بأن يهجم مشاة وفرسان اللواء الكبير مع الأمراء والقادة والقواد ومشاة وفرسان الجيش الذى هو فى قوة الجبل من القلب والجناح والساق واليمين واليسار مرة واحدة على صفوف باشوات الروم .

[بيت شعر ترجمته]

كما لو كانت زلزلة أركان الجبل

يتحرك حركة عظيمة

وتحرك الجند والفرسان العسكريون وأفراد الجيش والأمراء من كل جانب، وفتحوا أيديهم المدمرة لخصمهم وأطلقوا عنانهم على رؤوس ألوية جيش الروم، وفتح الأبطال

أيدى الاعتداء بسفك الدماء ، فوضع جيش الروم أرواحه فى الهلاك والفرار وإثارة الغبار [بيت ترجمته]

جيش الملك فى المعركة وفوج الروم فى هروب
والهجوم الحق كان حسناً من الأسد أما الهروب فكان من الثعلب

وفى أول حركة للواء السلطاني محشر النهب، انطلق لطف على خان كتول بغرض الاستيلاء على المدفعية الرومية مع عدة أشخاص من غلمان خدم الخيول، واستولى على المدفعية وبعدها كان قد أسقط شخصين من أبطال الروم بطلقة من بندقيته على تراب الهلاك، وبسبب الطلقة التى جاءت له على فمه، فقد تجمد فى مكانه ، وقد كان رجلاً شجاعاً وبطلاً.

ويأمر ولى العهد، أثار مدفعيو النيران وبسرعة كاملة، الذين كان أميرهم إسكندر خان القاجارى، خيول العربات التى هى فى قوة الجبل وسرعة البرق، وأشعلوا قذائف النيران فى أرواح الروميين [شعر ترجمته]

اضطرب الفلك وقال ممن هذه الصيحة

وفى الأغلب قد أعلن صور القيامة فى العالم

وبسبب القذائف المدمرة للعالم والقاتحة للقلاع، التى كانت تقضى على فارس وتخطف فارساً آخر من جناح الجيش وتضع أقدامه فى الركاب. وقد شقت الحراب التى تشبه الأقاعى صدور الجنود وأبقت الرعوس دون أجساد بسهولة. وبسبب هجوم الجيش المنصور تزلزلت أقدام ثبات واستقرار الباشوات المغرورين فتوجهوا جميعاً دفعة واحدة إلى وادى الفرار والتشرد. وعند هجوم الجند والأفواج المشعلة للنيران المحرقة للعدو، فر لواء جلال الدين محمد باشا، الذى كان يزيد عن عشرين ألفاً من المشاة والفرسان وعشرين عربة مدفع محملة بالنيران، باتجاه خنادقهم وحصونهم. [ص ٣٦٤] كما توجه إلى الهزيمة جمع حافظ على باشا الذى كان مايقرب من ألفى فرد وكان قد أحاط بالقرب من قلعة طوبراق بغرض الاستيلاء عليها. وقد أصبح معسكرهم رأس مال غنيمة ومكسب الفرسان العسكريين وغلمان الخدم. وعند هروبهم من جانب القلعة

أمطروهم حراسها من الداخل والجيش المنصور من الخارج بقذائف النيران، كما رحل من قبل لواء إبراهيم باشا، الذي كان سبعة أو ثمانية آلاف من المشاة والفرسان ، وكانوا يحرسون خندق وحصن جلال الدين محمد باشا، وقد فروا جميعاً إلى الخندق. وقد سار وراءهم فرسان الجيش المنصور غير النظاميين. وعلى الاحتياط بالآل يصيب حملة بنادق إبراهيم باشا ومدفعيوه الفرسان غير النظاميين ، وكان جيش جلال الدين محمد باشا قد أحكم أقدام الثبات في الخندق، فيخطفون كرة النصر والظفر من الجميع، فقد أخذ نائب السلطنة كل ما كان حاضراً في الركاب من المدفعية والجند وقادهم مع القائد حسين خان إلى رأس الخندق، فدخل الجنود المظفرون مثل البرق المشتعل إلى الخندق والحصن من الجوانب الأربعة، واستولوا على إحدى وعشرين عربة مدفع ومقلاع وأربعة عشر رقعة علم ثعبانية الشكل ومعها كل مخازن الذخيرة والأسلحة والمعدات والأموال والخيام والدواب، ولم يتحمل جلال الدين حرارة المقاومة أيضاً في الخندق، فانفسخ كيان جمعه عن بعضه، وتفرق جيشه عن بعضه، وهربوا. وتحرك القائد أمير خان القاجارى أيضاً بأمر وإشارة النواب نائب السلطنة ومعه جيش أبواب جمعه، الذي كان تحت رايته، إلى رأس سليم باشا الذي ولى هو والأكراد الروميون بوجههم من الخجل والشؤم وأسرعوا إلى صحراء الهزيمة، وتعقب أمير خان تلك الجماعة حتى ممر "خنش" ، واستولى منهم على أعلام وبيارق وخيول وأسلحة بلا حصر ولا حساب، كما استولى على مدفعيتهم أيضاً مع أسلحتهم كلها.

والخلاصة، أنه في تلك المعركة المضطربة، التي كانت نموذجاً ليوم المحشر، قد حصلوا على قدر من الخيول والبيارق والأحياء التي لم يكن تعدادها في مقدور المحاسبين [ص ٢٦٥] وعلى هذا القياس كان يمكن أن يسقط أمر جيش الروم من حساب سجلهم وصحيفتهم اليومية بأيدي الجيش المظفر. وكان لهم واحد وخمسون ألفاً من المشاة والفرسان خداماً بالطعام، وما جعل المشكلة صعبة التحمل هو أن ما يقدر بعشرة آلاف فرد من الجيش الأصحاء الذين لم يصابوا بجرح قد فروا إلى أوطانهم الأصلية من معركة القتال بخيول البراق، وكان هذا الجيش الذي كانت قد جمعته بولة الروم المستقرة بألف جد وجهد وسعى وكد في مدة تسعة أشهر من الولايات البعيدة

مثل : الشام وحلب وطرابزون ، وهذه الناحية من إقليم الروم من أرض الروم وأرزنجان وسيواس وملاطية وعنتاب وحما وحمص وسائر الولايات البعيدة، وأحضرتهم إلى ميدان المعركة. وطبقاً لتقدير الخبراء والمطلعين فإن قيمة ترسانة الأسلحة وثمان طلقات المدفعية وقيمة البارود ومخزن الذخيرة عدا المدافع والأعلام تصل إلى ستين ألف تومان ، وقد أغارت اليد الماحية على كل هذه التجهيزات والأسلحة ونهبتها في ثلاث ساعات .

ولم يكن قد زاد فرد واحد من جيش العراق على الأمير المظفر. وكان جيش ملجأ النصر وعامة الفرسان والمشاة النظاميين وعمال المدفعية والغلمان مع جمع قائد إيروان من جميع الجهات ومع الأحمال والأثقال يبدو للنظر أقل من ثلاثين ألفاً. وكان باشوات الروم قد وضعوا أقدامهم في ميدان المعركة بغرور وجهل واستعلاء واستكبار، بحيث لم يكن يستوعبهم الوصف. وكان للنواب نائب السلطنة وجيش ملجأ الظفر يد التوسل بالحبيل المتين الدين المبين والنبى الصادق [عليه السلام] وولاية أمير المؤمنين [على ابن أبى طالب] والأئمة الطاهرين^(١) وليس الاحتماء بالغرور والجيش وجلادة الجند والفرسان المظفرين والفرامين التى سقطت فى يد مجاهدى نصيب النصر وقت الاعتداء والغنيمة حيث كان مدبرو أمر البلاط القيصرى [العثمانى] قد قسموا بلادنا المختارة أنريجان كالبلاد المسلمية لتشجيع الباشوات ووعدهم بالاطمئنان ، وكانوا قد أعطوا لجيش الروم قلادة الإشفاق من الجلال بالتصريح بالقتل والأسر والإغارة وسفك الدماء والتهور والوقاحة. ولكن مُحرك هذا [ص ٣٦٦] العالم الإلهى هو الواحد الذى أعطى دولة الغنى والظفر فى يد قدرة الحاكم العادل .

وطبقاً لرأى النواب نائب السلطنة بعد ظهور مثل هذا الفتح المجيد رأى أن أمر قلعة كسرى جمشيد القوى يُمكنه أن يقيم يوماً فى ذلك المكان، وقد أنعم على كل واحد من قادة الجيش كل على قدر لياقته وقبوله للخدمة بالخلعة والإنعام والمرحمة .

(١) تبو من المؤرخ نظرتة التعصبية للمذهب الشيعي واضحة جدا ، حيث إنه يعتقد إن انتصار جيش إيران وهو الحامى لمذهب التشيع على جيش العثمانيين وهو الحامى لمذهب أهل السنة إنما جاء من تأييد النبى (عليه السلام) وعلى رضى الله عنه وأئمة الشيعة الاثنى عشرية لهم على أساس أن مذهبهم هو الحق وما غيره باطل فى نظر أهل الشيعة . (المترجم)

وفى الصباح ، رحل وتوقف فى منزل "خاليان" وهى أفضل مصايفهم، وقد رأى جميع العقلاء وأولو الألباب وعرفوا أنه منذ بداية هذا الأمر وحتى آخره كان منظور رأى نائب السلطنة هو أن يُنزل تأديباً بالغاً وتحذيراً لائقاً بالباشوات المغرورين، وبعد ذلك يُوضع بناء التوحد والسلام بين الدولتين الخالدتين وتوطد أسس المودة والمحبة أكثر من ذى قبل، وبهذه الإرادة ومن أجل إثبات الادعاء الملكى، عين النواب نائب السلطنة ميرزا محمد تقى المستوفى بالنصائح المشفقة والأوامر البليغة وأرسله إلى أرض الروم. فاقترح محمد رعى باشا قائد العسكر فى الجانب الشرقى، الذى كان رجلاً هادئاً ومطلعاً وفصيحاً وباحثاً عن المصلحة ومريداً للخير، وطلب بأنه مع هجوم الجيش المنصور وإزديحامه فى تلك المناطق لن يحدث الصلح والسلام وبأن يأمر نائب السلطنة بالرحيل، ويعود الأمراء وجيشا الطرفين إلى أماكنهم ويستريحوا عدة أيام، وبعد ذلك، يمهد مسئولو الطرفان بساط السلام والصلح بينهما، ويُعين الوكيل صاحب الاختيار من كلا الطرفين حتى يجهزا للأمر ، ولم ير ميرزا محمد تقى التوقف فى تلك الديار مناسباً للحال والأمر حتى وصول الأخبار، فرجع إلى بلاط زحل . وهكذا وبعد هذا يدون قلم البيان الوقائع إن شاء الله تعالى. وفى ربيع السنة التالية عين وكيل نبيل من الطرفين وتيسر قبول أمر السلام .

وقد أرسل حضرة ولى العهد كيفية الفتح فى عريضة إلى بلاط الهمايون [ص ٣٦٧] فوصلت الخلاع وألقاب الخان للفدائيين الذين كانوا قد ثبتوا أقدامهم فى معركة القتال وقد صار حسن خان القاجارى، الذى كان قد سعى وكافح أكثر من الجميع وأظهر آثار الجلالة والشجاعة، ملقباً من اللسان المبارك بلقب الأسد الأصفر (سارو أصلان)^(١) فى محفل السلطنة والتوفيق. وتقرر بأن يفتخر بهذا اللقب فى الأوامر السلطانية القضائية. ورفع النواب نائب السلطنة عنان الفتح والنصرة لراية العودة إلى بلدة خوى، ومنها لحق بدار السلطنة تبريز التى كانت مركز العزة .

(١) سارو أصلان : تركية بمعنى الأسد الأصفر ، وهى لقب كان يمنح لبعض الأمراء فى العصر الصفوى (انظر : المعجم الفارسى الكبير ، ج ٢ ، ص ١٤٧٢)

١٧٣- قضية الوفاة المقدرة للأمير ذى الأثر المنزه محمد على ميرزا

كان محمد على ميرزا من أكبر الأمراء فى العمر، وكان موصوفاً بالإشادة والشهادة والعقل والنكاء، وكما كان معروفاً ومشهوراً بالخبرة والوفاء والبطش والجلادة. وكان ملك الملوك الأعظم قد فوض إليه إيامارة مملكتى كرمانشاهان ولرستان وفيلى وشوشتر وديزفول وحتى حدود البصرة وبغداد. وكان ذا عزم وإرادة ثاقبة وفكر صائب. وفى صيف هذا العام الملىء بالغم، تمرد على طاعته محمود باشا بابان وانضم إلى مسئولى الدولة العثمانية، فأرسل داود باشا وزير بغداد على باشا والى ديار بكر ومعه ثلاثين ألف شخص بغرض تقويته واستمداده وتضامناً مع طلب السليمانية. وكان عمه عبد الله باشا متوسلاً بالنواب محمد على ميرزا. وبسبب الاستماع لهذا الخبر، أخرج الأمير جمع تلك الحدود مع خمسة عشر ألف شخص من كرمانشاهان، وهزم الجيش الرومى، وجعل عبد الله باشا حاكم السليمانية، وقام بالإغارة حتى ساحل قلعة بغداد. وفى تلك الكمطقة، طراً على مزاجه الشريف مرض عضال (قوى) وفى شهر صفر وفى ريعان الشباب ودع الدنيا الفانية. فخيم غبار الحزن الكثيف على صفحة عقل شمس المآثر الحضرة العلية ملك الملوك بسبب وفاة ولده الشاب، وقد أوصل المقربون من حريم السلطنة والإجلال الآهات والتأوهات المضطربة إلى أوج الفلك الصدى. وقد قدم الأمراء الشموس، الذين كانوا حكاماً للممالك والولايات، [ص ٣٦٨] بسبب سماعهم لهذه القضية المحرقة للنفس، مرافقين للغم والحزن ومعاشرين للحداد والماتم، وقد لدغَت قلوب الأقارب ونوهم بشوك الغم، وفاضت دموع عيون الأمراء وقواد الجيش وأفراده والخدم حتى النهاية. وقد فوض الحضرة العلية السلطانية مملكته، وكما كانت إلى محمد حسين ميرزا الخلف العزيز لذلك الأمير الفقيد الذى مسكنه الجنة.

١٧٤- بيان كيفية الأمراض المهلكة التي حدثت في السنتين أو الثلاث سنوات هذه في بعض ممالك الصين والهند وإيران، وبيان ارتحال القائم مقام صدر الدولة الصامدة (رئيس الوزراء) من دار الغم والملل

في العامين أو الأعوام الثلاثة هذه، ويسبب تأثير حركات الأجرام العلوية واقتربات الكواكب، حدثت الأمراض المهلكة في بعض بلاد الصين والهند، فملّ جمع كبير الحياة وانتشرت [الأمراض] من تلك الحدود إلى بعض بلاد إيران، وحدثت في شيراز وإصفهان ويزد وكاشان وقزوین والعراق العجمي ومنها إلى بعض ولايات أنريجان مثل مراغه وتبريز وخوى وقراجه داغ ونخجوان. وفي جميع هذه الولايات، شدّ جمع مزحمة متاع رحل وجودهم إلى قصر العدم والفناء. فبمجرد أن الجو كان قد أظهر عفونة، فكان كل واحد يأخذ هذا المرض. وفي السنة الأولى، كانوا يصبون الثلج والماء البارد على الوجه ويدلكونه، وكان يحدث للغالبية القىء والاستفراغ والإسهال، وكان يستمر لمدة أربع وعشرين ساعة. وفي هذه الفترة القصيرة كان ينوب وينقص إلى درجة أنه قيل بأن الأم قد استمر لمدة شهرين، وكان الهالك أكثر من الناجي، ولم يكن معلوماً أن لهذا المرض انتشاراً فكان يأخذ (يصيب) واحداً ويترك واحداً، فكان يمسك غالباً بخناق الشيوخ، وقلما كان يتعرض للشباب، وأحياناً كانت القوة الطبيعية عند الشباب تدفع سمية الهواء وتصدّه، ولم يظهر سر هذه الأمراض المهلكة على أحد. ولم يكن يستطيع شخص أن يقول بأنها الفجا والوباء (الكوليرا والطاعون) ولم يكن يحتمل غير الفجا والوباء.

والخلاصة أن القائم مقام صدر الدولة الخالدة، قد وضع في دار السلطنة تبريز نظام العمل وتنظيم أمور الدولة، فقد كان الممرض للشيوخ والشباب في هذا الإقليم المحبوب بالعلاج والتدابير. [ص ٣٦٩] ولقد كان يُبدي في كل الأمور المساعي الحميدة التي كانت عادة حضرته.

وبعد فتح الجيش الرومي وهزيمة تلك الجماعة، حدث أيضاً مرض في المعسكر الملكي، وفي فترة رجوع النواب نائب السلطنة إلى دار السلطنة تبريز ودع الحياة في الطريق جمع من الأبطال المسلمين الجُدد (الروس) والجنود الأشداء. وفي تبريز أيضاً كان سوق الاحتضار (خروج الروح من الجسم) حامياً. وقد فر الوضع والشريف في تلك الديار برؤية أركان الدولة الصائبة إلى الأطراف والقرى المجاورة، ولم يتحرك القائم مقام من مكانه. وكان منهمكاً في إتمام الأعمال الديوانية ومشغولاً بحراسة الملك والأمة إلى أن مرض في الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة الحرام. وقد سكنت روحه

على فتوحها مع الزهاد والعُباد، ودُفن إلى جوار السيد حمزة. ويسبب الاستماع لواقعة وفاته المؤسفة هذه، انقبض للغاية عقل النواب ولى العهد ومزاجه العالى، فقد كان حضرته من أقدم خدام الدولة الخالدة البنيان ، وكان فكر مرآة فعله وعمله مثل كأس جمشيد التى يرى فيها المملكة ، وكان ضميره المنير يعكس صور تدابير الدولة، ولم يغفل عن الأمور الجزئية للدين والدولة حتى يصل إلى كليات الأمور وكان المؤسس لأساس وقاعدة إيوان السلطنة المجاور للفلك ، وقد أدرك الحزن والملل اللامحدود ملك الملوك ذى الإقبال العالى بسبب خبر وفاته المحرق للروح، وقد أصدر فرمان العالم المطاع لمواساة ورثته، وفوض بمنصب القائم مقام إلى خلفه العظيم الأديب الأريب العالم بالأسرار والرموز سلالة الأطياب ميرزا أبى القاسم، كما منح المنصب الجليل القدر وزارة نائب السلطنة إلى خلفه الآخر ميرزا موسى خان وزين صدور وأكتاف افتخارهم بخلاع أشعة الشمس، وعطف عليهم بغاية المكارم وهم الآن يسعون ويجاهدون فى طريق الخدمة والطاعة ومشغولون بأعمال وخدمات الديوان .

١٧٥- بيان تناول الأكراد واعتدائهم على ناحية سلماص وتعيين يوسف خان الكرجى غلام الخاصة الشريفة مع فرقة الأبطال والاستيلاء على قلعتى باشقلان وهكارى وقدم مصطفى خان وخلعه وعودته إلى هكارى :

[ص ٣٧٠] وفى غيبة الراية المنصورة تجمع متمربو "وان" بمرافقة الأكراد نوى الأصل السيئ وعلى حين غرة، هجموا على سلماص. ومرروا جمعاً من إناث وذكر تلك الحدود على السيف القاسى (ذبحوهم بالسيف) وبعد الإغارة وسفك الدماء رجعوا خوفاً من تلاقى الأمواج الزاخرة وفزعاً ورهبةً من انتقام الأفواج القاهرة، وانزوا فى مكامنهم مخبئين رعوس اضطرابهم بها.

فعين النواب نائب السلطنة يوسف خان الكرجى غلام الخاصة الشريفة ومعه مجموعة الأبطال وجماعة المسلمين الجدد لقلع أماكن الأكراد نوى الأصل السيئ

فعين النواب نائب السلطنة يوسف خان الكرجى غلام الخاصة الشريفة ومعه مجموعة الأبطال وجماعة المسلمين الجُدد لقلع أماكن الأكراد نوى الأصل السيئ وتخريب مساكنهم وصد نيرانهم وقتقتهم. فتحرك يوسف خان من سلماس وجمع عثمان بك الهرتوشى ومعه نصير خان بك، الذى كان ابن مصطفى خان الهكارى ، وكان يُظهر العقوق بالنسبة لأبيه ويصر على إضراره، ثلاثة آلاف شخص من أكراد تلك الحدود، وأسرعوا لمقاتلة يوسف خان فتجهز يوسف خان بمائتى^(١) شخص من المسلمين الجُدد واصطف للقتال فى مواجهة تلك الجماعة. وبعد سعى وجد وجهه كامل، وقعت الهزيمة على جيش الأكراد. فسلك عثمان بك مع ابن مصطفى خان وادى الفرار. وتوجه يوسف خان من حول الطريق لإخضاع باشقلان ، وفى البداية وقع خارج قلعة باشقلان على سطح هضبة صعبة وبمحاذاة البرج الذى لم يكن قد وصلت إلى حافة سطحه أنشطة فكر الرجال نوى المهمة العالية، وكان داخله مزدحمًا بوجود حملة البنادق، وبمجرد حضورهم صعد الأبطال من كل ناحية إلى أعلاه، وصعد دخان المدفعية والبنادق من الطرفين إلى الفلك الدخانى لمدة ساعتين أو ثلاثة، وكان حظ الأبطال مساعدًا بعد ذلك فاستولوا على ذلك المكان الصعب، ورفعوا السيف بلا ندم على أهالى ذلك المكان، وأطلقوا جدولاً دمويًا من أعناق الأكراد الذين لا أساس لهم.

وبعد الانتهاء من أمر تلك المنطقة توجه لإخضاع قلعة باشقلان، فصار مالكاً لذلك المكان صعب المسالك وأهلك حراسها بالسيف بلا رحمة. وفى هذا الحال كان عسكر خان الأفشارى مع جمع من أبواب جمعه مكلفاً على تلك الديار بحكم نائب السلطنة، فجعل يوسف خان إبراهيم خان حاكم باشقلان فى صحبة عسكر خان [ص ٣٧١] وأرسلهما إلى بلاط صاحب السعادة. وتوقف هو بنفسه مع الأبطال وسائر جيش أبواب جمعه من المشاة والفرسان فى تلك الحدود. وطيب خاطر رعايا وأكراد تلك الحدود الذين كانوا يخافون من بأس وسطوة زحل المهابة نائب السلطنة، ورحلهم من كل ناحية ونقلهم إلى أماكنهم ومساكنهم، وطمأنهم وأراح خاطرهم بشفقة وألطف النواب ولى العهد وعطفه.

(١) ورد هذا الرقم فى النص هكذا ، وأعتقد أنه خطأ ؛ لأن مائتى شخص غير كافين للحرب والقتال فى مواجهة ثلاثة آلاف من الأكراد .

العباس ولم يكن قد وضع قدمه فى بلاط أى من سلاطين ملك الملوك، سريعاً على جواد الخدمة والطاعة، وأوصل نفسه فى سرعة كاملة إلى بلاط صاحب الشوكة النواب نائب السلطنة ، ووضع طوق العبودية وطاعة الأوامر على رقبتة، وصار ملتزماً بالخدمات ومتقبلاً لإرسال الهدايا وإظهار الفدائية، وتزينت أكتافه وصدره بالخلاع الثمينة، وعاد إلى هكارى مقضياً المرام وموفقاً . وفى تلك الأوقات أيضاً، عقد ابنه نصير خان بك، الذى كان يُظهر العداوة مع أبيه متاع الرحيل عن الدنيا واستراح والده من شوك تعبته .

وبعد إتمام الأمور وتأديب الأشرار القريب منهم والبعيد، لحق يوسف خان بعتبة الجلالة السنية، ويأمر النواب نائب السلطنة كُف مائتا شخص من الأبطال بحراسة قلعة "باشقلان" .

وفى هذا العام أصبح القائد أمير خان القاجارى ويأمر ولى العهد مفتخراً بحراسة قيادة إمارة خوى وتوابعها، وترك لقبضته المقتدرة سلطة أمور المناطق حتى هكارى وباشقلان والكرديستان. والآن فإن جميع الأمراء وزعماء الأكراد وطوائف تلك الحدود على خط طاعته، ولا يجرون على رد أمره ، ولايجول بخاطرهم التمرد عليه.

١٧٦- بيان توسل محمود باشا بابان ولجونه إلى النواب ولى العهد،
وتعيين إبراهيم خان الباكوى على تلك المنطقة ، وتنصيب محمود باشا
على السليمانية، والاستيلاء على كركوك وكوى، وإغارة وهجوم الجيش
حتى ساحل الموصل، والتحاق محمود باشا ببلاط زحل [ص ٣٧٢] ولى
العهد ، وحصوله على الخلعة والإنعام وعودته :

فوض محمد حسين ميرزا إلى عبد الله باشا بحكومة السليمانية وبابان ، وكما كانت، فذهب محمود باشا مرة أخرى إلى السليمانية مع على باشا والى ديار بكر، وأنزل الهزيمة بعبد الله باشا ، وفرق جيش ساخلوى وشنتته، الذى كان قد أوقفه هناك محمد حسين ميرزا ، وجلس [محمود باشا] بنفسه على حكومة السليمانية. وقد

محمد حسين ميرزا ، وجلس [محمود باشا] بنفسه على حكومة السليمانية. وقد وصلت هذه الأخبار المضطربة إلى مسامع الدولة العلية، فتعين الأمير عبد الله ميرزا من زنجان على تلك المنطقة الحدودية. وبعد خراب تلك الحدود بسبب انتشار المرض الذي كان رائجاً هناك، رجع عبد الله ميرزا إلى زنجان، ولم يتحمل محمود باشا أيضاً حرارة المقاومة بسبب انتشار المرض المعهود، وفر هارباً باتجاه كركوك. وتمكن عبد الله باشا من السليمانية، وجمع محمود باشا تجمعاً من جديد وقصد السليمانية، ووصل خبر عزمه إلى مسامع مسئولى الدولة القاهرة، فكلف الحضرة العلية السلطانية، النواب نائب السلطنة وأمره بأن يضع فى عهده اهتمامه بأمور مناطق الكردستان والعراق العربى ، وأن يعطيها جيشاً وتنظيماً بحيث لا يصلها عيب ولا نقص فيما بعد بأى وجه من الوجوه .

فعين حضرة ولى عهد السلطنة العلية من بين ملتزمى بلاط صاحب الشوكة محمد حسين خان رئيس التشريفات، الذى كان رجلاً لائقاً ومنفذاً للأوامر، ومعه عدد من الأشداء على تلك الحدود. كما أصدر الأمر وقرر بأن يتوجه محمود باشا إلى الحضور باهر النور أو أن يخرج من الممالك السلطانية المحروسة. وقابله محمد حسين خان فى كركوك، وعرض عليه رسالة كلها تهديد وحمله الرسالة المونة بالشيم، فندم محمود باشا عن جميع أفعاله وضرب يد التوسل بحبل الدولة خالدة البنيان المتين، وتقبل الخدمة والعبودية والطاعة، وأرسل عثمان بك أخاه الأصغر، الذى كان رجلاً رشيداً ومجرباً ومحنكاً ، وكان حاكماً على ذلك الإقليم من قبل أخيه، فى صحبة محمد حسين خان إلى بلاط صاحب الشوكة النواب نائب السلطنة.[ص ٢٧٣] فصارت رافة ورحمة ولى عهد ملك الملوك شاملة لحاله وكافة أحواله، كما صار موضع الإنعامات اللائقة. وبالمصاحب لهذه الأحوال، توسل عمه عبد الله باشا بالدولة العلية العثمانية، فحصل على الخلعة من داود باشا، وأصبح مستعداً مرة أخرى للفتنة والفساد، فمنح حضرة نائب السلطنة العلية الخلعة وحكومة السليمانية وبابان إلى محمود باشا، وعين على رأس عبد الله باشا القائد (العميد) إبراهيم خان الباكوى مع فوجى تبريز ومراغه، اللذين كانا قائدهما جعفر قلى خان بن أحمد خان مقدم، وفى صحبة عثمان بك. فأغلق إبراهيم خان الطرق على عبد الله باشا فى أثناء حضوره إلى السليمانية، ولم يجد عبد

الله باشا مناصباً ولا ملجأً سوى بلاط صاحب العظمة، فأسرع إلى بلاط ملجأ الخلائق، فألبسه إبراهيم خان الخلعة ، وحكومة محمود باشا وهي ما بين كوى والسليمانية، ومكنه في السليمانية .

وبالمصاحب لهذه الأحوال، أعطى داود باشا جمعاً لمحمد باشا حاكم كوى، وأرسله إلى أربيل فرحل محمد باشا رحل ومُلك محمود باشا، الذي كان في أربيل، وأرسله إلى الموصل كي يتوجه من هناك إلى بغداد. فأرسلت أم محمود باشا عريضة بكيفية الأحوال إلى بلاط النواب ولي العهد، فالتهمت نيران غضب حضرة نائب السلطنة، وأرسل رسالة كلها تهديد مع القائد إبراهيم خان "بأنه إذا حمل رحل وملك محمود باشا ووالدته إلى إسلامبول فيكون إعادتهم في اهتمامك ويجب أن تتعقبهم وتستردهم من تلك الجماعة ، وإذا تهاونت وضعفت في هذه الخدمة، فيكون كل قادتك وجيشك موضع التأديب والمحكمة والسخط " ويوصل الخطاب الذي يحمل صفة القضاء، سار القائد إبراهيم خان من منزل إلى منزل حتى كركوك، وبمجرد القدوم، حاصر الجيش قلعة كركوك، ولكن أصوات المدفعية والبنادق وضجيج الحرب والمعركة عبرت إيوان زحل، وكانت المناوشات والصراعات تقع كل يوم من الطرفين، ولم يتحمل بكر باشا حاكم ذلك المكان حرارة ضربات الجيش المنصور [ص ٢٧٤] ودخل من باب العجز وطلب الأمان، وأرسل الهدايا اللائقة إلى بلاط صاحب الشوكة. ورحل إبراهيم خان من هناك وتوجه إلى أربيل، ويقدم الجيش المنصور، أغلقوا الطرق وحاصروا قلعة أربيل. ولم يعتبر إبراهيم خان وسائر القواد الهجوم مناسباً، على الاحتياط بالأصل ضرر إلى رحل ، وملك الأخ محمود باشا وأشياعه وأتباعه، الذين كانوا في القلعة أو يهلك شخص وسط المعركة. ولذا أخرجوا بالشدة والشكيمة الكاملة رحل الأخ وأتباع محمود باشا وأنصاره من هناك وأرسلوهم إلى المعسكر، ومن هناك رحلوا، وسقطوا على ساحل الموصل، وحاصروا كل أطراف الموصل بشدة، وطلبوا رحل وملك محمود باشا وأمه. فأرسل باشا الموصل أم محمود باشا ونساءه وأطفاله مع سائر كل من كان ، وكل ما كان في عزة واحترام كاملين إلى خارج القلعة ، وبعث بهم إلى المعسكر المزين بالنصر.

وبعد إتمام كل هذه الخدمات، ذهب إبراهيم خان إلى كوى، وحاصر محمد باشا حاكم كوى، وأغلق الطرق والشوارع من كل ناحية وامتدت فترة الحصار خمسة

محمد باشا حاكم كوى سطوة الجيش المنصور وصلابته، فاعترف بعجزه وقصوره، وطلب السماح له بالخروج وسلم القلعة ولم يتعرض له أحد، وتوجه إلى بغداد. وبخل الجيش المنصور إلى كوى واستولى على أربع عشرة عربة مدفع ومعها مصنع الأسلحة، فدمروا المدافع وأخذوا مصنع الأسلحة. وجعلوا عثمان بك الحاكم المستقل فى كوى. وبعد انتظام أمور تلك الحدود، قصدوا بلاط صاحب السعادة، ومن خلفهم توجه محمود باشا إلى بلاط متكى زحل، ورأى كافة أنواع الرأفة والعطف والإحسان من النواب نائب السلطنة، ورجع إلى السليمانية، وصار منشغلاً بالحكم فى كامل الاستقلال .

١٧٧- وقائع العام المبارك الموافق لسنة ألف [ص ٣٧٥] ومائتين
وثمان وثلاثين هجرية ، وكيفية وقوع المصالحة العامة (السلام
الشامل) فيما بين دولتى إيران والروم (الدولة العثمانية) :

فى بداية ربيع هذا العام ذى الطالع السعيد، وحيث كان البلبل واقفاً فوق شجرة
الورد نافشاً جناحيه ومغرداً بألف حكاية، وكان طائر الحجل يترنم على غصن شجرة
الصفصاف بفصول من قصص العشق والمحبة، وصل فرمان من سلطان الروم على
الجاه إلى محمد رعوف باشا قائد عسكر الشرق ووالى أرض الروم بشأن اختيار
المصالحة العامة (السلام الشامل) والصدّاقة بين الدولتين الخالدين إلى الأبد، وقد
كان الباشا المشار اليه رجلاً هادئاً وصاحب حال وكمال، ومحنكاً ومجرباً، رأى حرارة
العهد وبرودته، فأقر المعزى إليه المراتب والموضوعات المذكورة إلى مدبرى أمر الدولة
الخالدة ، وأخبر بها نائب السلطنة العلية .

وعلى الرغم من أن [ولى العهد عباس ميرزا] قد أضاف عدة ممالك واسعة الأنحاء
إلى الممالك السلطانية المحروسة وقت معاقبة وتأديب الباشوات المغرورين وكسر عنادهم
وهو ماكان المطلب الأصلي له، فإن رأى مُزين العالم حضرة ولى العهد، الذى هو مُسند
آراء هذه الدولة فيروزة المهدي، لم يعتبر ثانياً أن إثارة غبار الخصومة والنزاع وسفك
دماء الأبرياء ووقوع الفوضى والاضطرابات وعدم الأمان فى الطرق والمسالك والمعابر

مناسباً لرعاية وحدة الأمة الإسلامية واتحاد الدولتين الخالدين دائماً، فعرض كيفية مكنون ضمير السلطان الرومى (العثمانى) على الجاه على موطئ عرش سلطنة المصير الحضرة العلية ملك الملوك موطئ زحل، الذى أعطى الإذن والسماح لقبلة العالم والعالمين حضرة ولى العهد وجعله صاحب الاختيار الكامل ، وأذنه بأن يعمل فى كل حال ومقال مايراه فى المصلحة والفلاح .

ومن ثم، وبعد الحصول على الإذن من بلاط سماء الجاه، أرسل النواب نائب السلطنة العلية مقرب الحضرة العلية ميرزا محمد على المستوفى الاشتيائى إلى أرض الروم من أجل إتمام هذا الأمر وإكمال الصلح والسلام الراسخ وأوكله بأن يجلس مع الباشا المشار إليه فى محفل المصادقة والوحدة والمباحثة وتنفيذ الأمور ، وأن يتحدث فى شأن السلام والحرب وأن يقرأ من كتاب العقلانية والرأى الرزين والفكر المبصر لعواقب الأمور كل ما هو فى خير وصلاح المسلمين وباعثاً على علو الملك والدين [ص ٣٧٦] وقاضياً بصلاح وفلاح الدولتين الخالدين وخيرهما. وبعد قدوم المشار إليه (ميرزا محمد على) إلى أرض الروم، اجتمع مع محمد رعوف باشا فى خلوة وعلى انفراد، ووسط حديث الأنس والمؤانسة بين الدولتين الخالدين الأساس وفى النهاية، استقرت المحادثات على الصلح والسلام، وختم الكلام بتمنيات الخير للأنام ورضا الملك العلام (الله جل جلاله) .

١٧٨- نص اتفاقية السلام ومعاهدة الصلح^(١) بين الدولتين البهيتين بقلم سلافة الوزراء ثمره السادات العظام ميرزا أبى القاسم القائم مقام :

إن الهدف والغرض من تدوين هذا الكتاب (هذه الاتفاقية) المستطاب هو أنه فى السنوات العدة هذه، ويسبب وقوع بعض الحوادث بين الدولتين المسلمتين العليتين قد تبدلت بينهما علاقات السلام والصفاء وعلائق الصداقة والألفة الأزلية بالعداوة

(١) عرفت هذه المعاهدة فى التاريخ باسم (معاهدة أرض الروم الأولى) وكان توقيعها فى عام ١٢٢٨ هـ ق الموافق ١٨٢٢ م . (انظر العلاقات العراقية الإيرانية : عبد العزيز سليمان نوار ، القاهرة ١٩٧٤ ، ص ٢٦)

تبدلت بينهما علاقات السلام والصفاء وعلائق الصداقة والألفة الأزلية بالعداوة والخصومة وأدت إلى الحرب وتعكير الصفو بين الدولتين، ويمقتضى وحدة الجماعة الإسلامية وعدم رضا الطرفين على سفك الدماء ووقوع هذه الأنواع من الحوادث والغوغاء، فقد أعلنت الرغبة والموافقة من قبل الدولتين الفخيمتين على إعادة السلم والمودة وتجديد أواصر الصداقة والمحبة بينهما .

وبموجب فرمان الهمايون الحضرة العلية عالم الحشمة، مانح الملك للملك، ماسك زينة التاج والعرش، خديو الأرض والعصر، جمال الإسلام والمسلمين، جلال الدنيا والدين، غياث الحق واليقين، بطل الماء والطين، ظل الله الممدود في الأراضين، حارس الحوزة السليمانية، باسط بساط حراسة العالم، حاكم عرش سليمان، مقدرة وقوة جيش النجوم، ملجأ الإسلام، مانح زينة عرش الملوك، ملك ملوك العالم، مانح التاج الموفق، ملك ملوك ممالك إيران، الخاقان بن الخاقان المجاهد فتحعلي شاه خلد الله ملكه وإقباله قد اختص بوكالة الاتفاقية صاحب مهمة الحكم والرسالة السامية الغرة الغراء للدولة والسلطنة النوحة العليا للعظمة وملك العالم مالك رقاب الفلك حضرة زحل المهمة كوكب المشتري الفطنة الركن الركين لصاحب الجلالة، غصن الإقبال الرطيب الأمير الحر ولي عهد الدولة العلية إيران عباس ميرزا عز نصره هذا العبد المملوك والغلام المفدى بروحه. [ص ٣٧٧] وكانت قد منحت وأعطيت من قبل الدولة العلية العثمانية أيضاً بأمر وفرمان الحضرة العلية زحل المنزلة شمس الفلك السلطاني بدر الأق صاحب التاج السلطاني ملجأ الإسلام سلطان البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين ذي الشوكة والشهامة السلطان بن السلطان بن السلطان المجاهد محمود خان أيد الله ملكه وإقباله، وكالة الاتفاقية إلى صاحب العزة المنتسب للنبالة المكتسب للجلالة متمم أمور الجمهور بالفكر الثاقب وممهد قواعد الأمور بالرأى الصائب، الصدر الأكرم السابق والى ولاية أرض الروم قائد عسكر ناحية الشرق محمد أمين رءوف باشا دام مجده .

وقد عقد هذا العبد المملوك (ميرزا محمد علي المستوفى) مجلس المحادثات في المدينة المذكورة (أرض الروم) مع جناب قائد العسكر المشار إليه وذلك بعد مبادلة

ومناولة وكالات الاتفاقية المباركة بينهما، وتحددت وترتبت معاهدة الصلح والسلام المباركة على هذا النظام:

لائحة الاتفاقية [الدستور] : إنه فى تاريخ [سنة] ألف ومائة وتسع وخمسين وبموجب المصالحة والاتفاقية التى وقعت^(١) فإن الحدود والخطوط القديمة والشروط السابقة من أمر الحجاج والتجار ورد الفارين وتخلية سبيل الأسرى وإقامة شخص معين فى الدولتين العليتين تكون، باقية ومرعية على التمام والكمال وموضع الاهتمام بين الدولتين ولا يطرأ خلل بأركانها [الاتفاقية] على أى وجه من الوجوه. وبأن تستمر بين الدولتين شروط الصداقة والأخوة ومقتضيات الألفة والمحبة الأبدية، وبعدها يكون سيف الخلاف فى الغلاف وبالأ تفع بين الدولتين المعاملة المؤدية إلى تعكير الصفو وتجميد العلاقات والمنافية للسلم والصفاء. وكل ما وقع فى يد دولة إيران الفخيمة فى أثناء الحرب والقتال من داخل الحدود القديمة للدولة العثمانية العلية من بين القلاع والأراضى والصحراء والمدن والقرى يُسلم كاملاً إلى طرف الدولة العثمانية وقت تحرير المصالحة من تاريخ هذه الهدنة المعتبرة إلى فترة الستين يوماً. ولمراعاة حرمة هذه المصالحة الخيرية، يُخلى سبيل أسرى الطرفين نون كتم وإخفاء وأن يعطوا كل ما يحتاجون إليه فى أثناء الطريق من مأكولات وغيرها، ويوصلوهم إلى أطراف حدود الطرفين [ص ٣٧٨].

المادة الأولى: لايجوز للدولتين العليتين التدخل فى الأمور الداخلية لبعضهما ولا يعتبر جائزاً فيما بعد التدخل من قبل بغداد والكردستان. ومن بين القرى، التى تدخل فى الحدود المرتبطة بالألوية والكردستان، لا تُحمى لأى سبب من الأسباب ولا لأى وجه من الوجوه من قبل دولة إيران العلية بالتدخل والاعتداء والتعرض على المسئولين عليها فى السابق واللاحق . وفى القرى المذكورة إذا عبر أهالى الطرفين للمصيف والمشتى، فإنهم يدفعون الرسوم (الضرائب) العادية وتُبلغ المصايف والمشاتى وسائر الدعاوى التى تحدث بين الوكلاء النواب ولى عهد دولة إيران ووزير بغداد، وذلك حتى لا يبعث على إثارة المشاكل بين الدولتين .

(١) يقصد اتفاقية نادر شاه الأفشارى التى وقعها مع العثمانيين فى عام ١١٥٩ هـ = ١٧٤٦ م . وكانت قد وقع قبلها معهم فى ١١٤٦ هـ = ١٧٣٣ م اتفاقية ترسيم الحدود وأيضاً فى ١١٦٠ هـ = ١٧٤٧ م تنازل لهم عن جزء من العراق وأنريجان. (انظر The Cambridge History of Islam. Vol. 1. P. 430-431)

المادة الثانية : أن تعامل [الدولة العثمانية] من أهالى إيران الأشخاص - الذين يترددون على الكعبة المكرمة والمدينة المنورة وسائر البلاد الإسلامية مثل معاملة الحجاج والزوار والتجار والمتتردين من أهالى البلاد الرومية الإسلامية ، وأن يتعاملوا مع تلك الجماعة مثل أهاليهم^(١) وألا تطلب منهم شيئاً (الضريبة) وسائر النفقات المخالفة لقانون الشريعة فى الأصل. وكذلك لا تطلب من زوار العتبات العاليات الخيرية وغيرها ماداموا لا يملكون مال التجارة، وإذا كان معهم مال التجارة يطلب منهم الجمرک (الضريبة) وفقاً للحساب ولا يطلبون الزيادة. ومن ناحية دولة إيران أيضاً، بأن تتعامل مع تجار طرف الدولة العثمانية وأهاليها على هذا الوجه وبمقتضى الشروط السابقة، وإنه فيما بعد من حق حجاج وتجار دولة إيران العلية تنفيذ وإجراء الشروط القديمة وأن يراعوا بدقة وعناية من قبل الوزراء العظام وأمير الحج وأمير الأمراء الكرام وسائر ضباط وحكام الدولة العلية العثمانية وبأن تُراعى أحوالهم من قبل أمين صرة الهمايون من الشام الشريف وحتى الحرمين المحترمين ومنهما إلى الشام الشريف. ولا تخالف الشروط بأى وجه من الوجوه. وبأن تهتم بحمايتهم وإذا حدث نزاع بينهم فيراقبهم أمين صرة الهمايون، بمعرفة [ص ٣٧٩] الشخص المعتمد المعين بينهم ، وبأن تُراعى لياقة المنزلة وإعزاز مخدرات الحرم السلطاني وحريم الأمراء العظام وسائر أكابر دولة إيران البهية اللاتي يذهبن إلى مكة المعظمة والعتبات العالية. وكذلك، بخصوص رسوم الجمرک (الضريبة) يُعامل تجار وأهالى دولة إيران البهية مثل معاملة الدولة العثمانية العلية، وأن تأخذ من أموال تجارتهم مرة واحدة أربع بيعات ضريبة من مائة بيعة (٤٪ ضريبة)، وتسلمهم التذكرة ومادامت لم تنتقل من أيديهم إلى أيد أخرى لا تأخذ منهم الجمرک ثانية. وأن لا ينحصر تجار إيران فى بيع وشراء غليون شيراز (الشبك الشيرازى) الذى يحضرونه إلى دار السعادة (إسلامبول) وأن يبيعهوه إلى كل شخص يرغبه، وأن يتعاملوا معاملة الصداقة مع تجار وأتباع وأهالى الدولتين العليتين، الذين يترددون على ممالك الجانبين، بمقتضى وحدة الجماعة الإسلامية، وأن يحفظوا الجميع من كل ضرر وأذى.

(١) يقصد فى ذلك أن يعامل المستولون العثمانيون أهالى إيران القادمين للحج والتجارة وغيرها مثل معاملتهم لنوهم من المسلمين الخاضعين للحكومة العثمانية .

المادة الثالثة : كل ما كان متنازعاً فيه بين عشيرتى حيدرآغل وسبيكى وهما اليوم تسكنان فى أرض الدولة العثمانية العلية ، ومازالتا فى ناحيتها، فإذا اعتدوا على حدود ممالك إيران وألحقوا الضرر بها، فيدقق حكام الحدود (العثمانيون) فى منعهم وتربيتهم، وإذا لم يرفعوا أيديهم عن الاعتداء والضرر ولا تمنعهم الولاية الحدودية فتوقف الدولة العثمانية العلية يدها عن حمايتهم وتحالفها معهم. وإذا عبروا إلى ناحية إيران برضاهم واختيارهم فلا تمنعهم الدولة العثمانية ولا تحميهم ولا تحالفهم ، وبعد ذلك يعبرون إلى ناحية دولة إيران البهية، وبعدها إذا رجعوا إلى الأراضى العثمانية فبالقطع لا تقبلهم ولا تحميهم. وفى حالة عبورهم إلى ناحية إيران وفى ذلك الوقت يتجاوزون حدود الدولة العثمانية العلية ويلحقون الخسارة بها، فيدقق رؤساء حدود دولة إيران العلية فى منعهم واعتدائهم .

المادة الرابعة : وبموجب الشرط القديم لا يتحالف أحد الطرفين مع الفارين من الدولتين. وكذلك [ص ٢٨٠] كل شخص من بين العشائر والطوائف بعد هذا التاريخ يهرب من الدولة العلية العثمانية إلى الدولة الفخيمة إيران أو يهرب من الدولة البهية إيران إلى الدولة العلية العثمانية يجب ألا يحميا أولئك الهاربين .

المادة الخامسة : كل ما كان قد وُضع تحت الحراسة فى دار السلطنة (إسلامبول) وسائر ممالك الدولة العثمانية العلية من أموال تجار إيران الموافقة للشرع والسجلات تُسلم إلى أصحابها بموجب الدفاتر المدونة وبمعرفة الشريعة ومعتد دولة إيران، وغير الأموال الموضوعة تحت الحراسة، يُسلم ما كان قد صادره عنوة بعض مسئولو الحراسة فى الممالك العثمانية من الحجاج والتجار وسائر أهالى إيران فى أثناء وقوع الاعتداء وذلك بعد الإفادة والإعلان من دولة إيران العلية وأن يصدر من الدولة العثمانية فرمان طبقاً لنفس عهدة وكيلها فى كل مكان وبعد الإثبات والسجل الشرعى .

المادة السادسة : كل شخص من أهالى ممالك الطرفين يموت فى ممالك الدولة العثمانية العلية، فإذا لم يكن له الوارث والوصى الشرعى، يُسجل مأمورو بيت المال تركة ذلك المتوفى بمعرفة الشرع ويوصلونها إلى الديوان والسجل الشرعى، وأن

يحفظوا ذلك المال بعينه فى مكان آمن لمدة عام إلى أن يأتى وارثه ووكيله الشرعى، ويتسلم الأشياء المتروكة (الموروثة) بموجب الديوان والسجل الشرعى. ويأخذون الضرائب العادية وإيجار تلك الأشياء، وإذا حُرقت تلك الأشياء وتُلِفَت فى المدة المذكورة لا يضيع إدعاؤها (المطالبة بها) وإذا لم يصل فى المدة المذكورة الوارث والوصى، فيبيع موظفو بيت المال التركة المحفوظة بمعرفة معتمد (سفير) دولة إيران العلية، ويحفظون ثمنها.

المادة السابعة : بموجب الشرط السابق ومن تأييد وتأييد الصداقة والمودة يعتكف ويقيم كل ثلاثة أعوام شخص من الدولتين فى كلا الطرفين العليين، ومن مسئولية الدولتين العليتين وتبعتهما ألا يسينا فى أثناء الحديث الذى مر على الطرفين إلى حقهما مراعاة لحرمة هذه المصالحة الخيرية .

الخاتمة : كل ما [ص ٢٨١] ذكر من لائحة وشروط ومواد فيما سبق بعاليه قد تقرر بالمحادثات على المنوال المدون. وصار مقبولا من الطرفين بأن يُصرف النظر عن المطالبة بالأموال المنهوية والضائعة وتضمن النفقات الجزئية من الجانبين ونسيان ما مضى قوله. وبأن يتم تبادل التصديق على الاتفاقيات وفقاً للعادة من قبل الدولتين العليتين وأن يلتقيا مع بعضهما بواسطة السفير الوسيط من تاريخ هذه الهدنة حتى مدة الستين يوماً على حافة الحدود، وتسلم وتصل إلى عاصمة الطرفين. وعلى هذا الوجه تصبح هذه الاتفاقية والمصالحة الخيرية مرعية وموضع الاهتمام بالسلام الحقيقى من تاريخ هذه الهدنة ، وأن تنطفى من كل جهة نيران الخصومة والعنف. ألا يسمحوا بالحركات والأفعال والمعاملات المنافية للصداقة والمخالفة لهذه العهود والشروط المعقودة والمربوطة من الجانبين. وأن تُوقع وتُختَم هذه الاتفاقية من قبل جناب الوكيل المشار إليه (العثمانى) نظراً للرخصة الكاملة له من قبل الدولة العثمانية فى هذا التاريخ وهو سنة ألف ومائتين وثمانى وثلاثين فى يوم الأحد التاسع عشر من شهر ذى القعدة الشريف. الخاتمة بالخير والسعادة والحمد لله أولاً وأخيراً وظاهراً، تحريراً فى شهر محرم الحرام سنة ألف ومائتين وتسع وثلاثين .

١٧٩- بيان وقائع العام المبارك سنة ألف ومائتين وتسع وثلاثين هجرية المطابقة لسنة القرد التركية^(١) :

فى غرة شهر ذى القعدة الحرام، أضاعت رايات جلال ملك الملوك الفريد ساحة مرج سلطانية، فقد أحضر حضرة ولى العهد إلى الركاب المبارك من أجل مشاورته فى بعض الأمور. وبالمصاحب لقدم نائب السلطنة العلية إلى ركاب فاتح العالم، كان قد تشرف بالصدور الفرمان اللازم الإذعان بإحضار بعض أمراء النواحي. وقد انضموا فى ذلك الوقت إلى ركاب السعادة ولكن النواب ولى العهد، طراً عليه مرض صعب على مزاجه المبارك وهو فى منزل "آق كند خلخال"، إلى درجة أنه لم يقدر على الحركة والركوب، وجلس على العرش المحمول، ووصل ملتزموا الركاب المظفر بغاية القلق والاضطراب، وانشغل الأطباء الذين كانوا حاضرين، [ص ٢٨٢] بمداواته وعلاجه. وقد فاق أثناء طلوع الصبح الصادق، وبقيت النقاهة والضعف الكلى. ولما كان نائب السلطنة قاصداً زنجان، فقد وصل خبر مرض حضرته إلى سمع مقيمى الحضرة السلطانية. فاختر الانزواء فى صبر وسكون عن ساحة خاطر أعمدة الأمن والأمان وعماد الإسلام والمسلمين. وبموجب الفرمان، أرسل محمد حسين رئيس الأطباء الخاص بالديوان والعرش المحمول إلى زنجان، ولما كان المنجمون والعالمون بالفلك أساس سعادة زجل الرفعة قد حددوا قدوم ولى العهد إلى سلطانية قبل الغروب بساعة، فبموجب الفرمان نُصبت فى المكان المسمى بمنطقة "آرخى" خيمة الإجلال من أجل قدوم ولى العهد الفريد. ونزل نائب السلطنة بإجلال فى ذلك المقام، وكان شوق اللقاء لولى العهد والقلق على مرضه يشوش ويقلق خاطر وعقل خديو العصر وأساس أمن وأمان العالمين، فقد كان فى مرج سلطانية ينتظر قدوم المقدم المسعود لابنه الذى لامثيل له، وقد أرسل حضرة السلطان ظل السلطان الأمير على خان مسرعاً إلى منطقة "آرخى" من أجل

(١) سال بيجي نيل تركى : سنة القرد وهى السنة التاسعة من التقويم التركى الشرقى . (انظر المعجم الفارسى الكبير ، ج ١ ، ص ٦٧)

تفحص أحوال نائب سلطنة إيران ولكي يكتب كيفية الأحوال مباشرة ويلحق مع أخيه الجوهر العالي بمعسكر الهمايون. وقبل الغروب، الذي كان موعد حضور حضرة ولي العهد، كُلف قائد الجيش ومعه المدفعية وكافة الجيوش لاستقباله، وقد وقفت الأعلام المرفوعة على أحد جوانب الطريق، كما اصطف على الجانب الآخر الوزراء والأمراء وجميع قواد الفرسان مع فرق جيوش أبواب جمعهم. وقد اصطف بالقرب من قصر الهمايون الأمراء العظام والأمراء القاجاريون في صفوف. وقدم حضرة ولي العهد بالسلامة وتباهى بشرف الحضور في الخلة السلطانية الخاصة. وقد احتضن السلطان ملجأ العالم الابن السعيد في حضن العطف والرحمة بسبب كمال عطفه ورحمته واستراح من جديد وهذا بسبب نعمة سلامة حضرته. وقد أسرع حضرة ولي العهد [ص ٢٨٢] من الخلة الخاصة إلى القصر السماوي في خدمة ملك الملوك. وفي غد ذلك اليوم، كلف نائب السلطنة بالتوقف والاستراحة في موضع خاص من أجل إزاحة الكسل والتخلص من النقاهاة والضعف. وعين جمعاً من حجاب فلك القباب من أجل خدمة وتمريض حضرته. وفي اليوم التالي أُقيمت الخيمة الخاصة بالهمايون الخاقاني بجانب القصر السليمانى وخصصها من أجل راحة ولي العهد. واستراح نائب السلطنة في ذلك المقام. وقد تشرف جميع الأمراء العظام والوزراء والمستوفيون ومقربو الحضرة وعمال البلاط وأمناء الدولة المحترمون ومستأولو الشوكة المشهورين بسلامة ولي العهد. وقدم إلى كل واحد من الغلمان عناية لائقة ومكرمة بلا نهاية. وحيث كانت مكانته قبل قدوم المقدم المسعود لولى العهد، أن حضرة خديو المهد قد أصدر الأمر إلى جميع الأمراء بأن يسلكوا طريق الخدمة والطاعة، وأن يرعوا روية الطاعة وينظروا إلى طاعة الأكبر بالنسبة لولى العهد كما ينبغي ويجب. فتقدم جميع الأمراء وأولاد الخاقان بقدوم الإخلاص والخدمة والطاعة، وسلكوا طريق التواضع والخضوع أكثر من ذي قبل.

وعلى الرغم من أن نائب السلطنة العلية قد أمر الإخوة بالجلوس، فإنهم لم يجلسوا على بساط الأدب وتحزمووا بحزام طاعة وخدمة حضرته، ولم يفقد الأمير حسن على ميرزا أيضاً، الذي كان قد أُحضر في تلك الأيام، رعاية الأدب مثل باقى الأمراء. وكان الملك ملجأ العالم في كل يوم يُطيب خاطر ولي العهد بالإنعامات الجديدة

والإحسانات اللامحدودة وعطايا الخلاع الفاخرة والعنايات الوافرة وبمنحه الخيول والسيوف المصقولة، وكان يرعى ضعف وتقاهة حضرته بالتقريبات. وقد افتخر ثلاثة أشخاص من الأمراء العظام، الذين كانوا متشرفين بالحضور الخاقاني في ركاب حضرة ولي العهد، وهم النواب الأمير محمد ميرزا وسيف الملوك ميرزا وخسرو ميرزا^(١) بعطايا الخيول والسيوف [ص ٢٨٤] وقد كانوا في كل يوم، وحيث كان وقت تدريب الجيش النظامي، يقومون بتعليم الأفواج الهمايونية السلطانية الخاصة، وكانوا يظهرون مهارتهم وخبرتهم في قواعد العسكرية الجديدة كما ينبغي ويليق. وفي أيام قليلة أظهرت الأفواج اختلافاً كبيراً في نظام تدريباتهم بسبب تعليم النواب محمد ميرزا وسيف الملوك ميرزا لهذه الأفواج. وقد منح الحضرة العلية الخاقانية المرحام الموفورة لهذين الأميرين في مقابل هذه المهارة، وقد كان الأمراء في كل يوم يظهرون في وجود حضرة السلطان جوهر ذاتهم في أثناء الركوب في مهارة تصويباتهم وتدريبهم على آداب الحرب وسائر الفنون العسكرية.

وفي تلك الأوقات، التي كان فيها نائب السلطنة في المعسكر الهمايوني، كانت تُهيئ لعدة أيام لوازم الحفل والفرح والسعادة والسرور من أجل الاحتفال بحلاقة رأس النواب سلطان محمد ميرزا. وبعد ذلك تم عمل لوازم الطعام الشامل والضيافة للقواد وأفراد الجيش من المشاة والفرسان العسكريين، وقد جلس نائب السلطنة في الخلة الخاصة بأمر الهمايون، وحضر جميع الأمراء والوزراء ومستوولو دولة العصر المقتدرة وأركان حضرة فلك المنزلة في خدمة حضرة ولي العهد وطاعته، ففتح يد جوده وعطاياه، وأنعم على الأمراء المحاربين والوزراء بالفضة والذهب والخلة المزينة بأشعة الشمس.

وفي أثناء تحرك رايات السلطنة إلى مستقر الدولة، منح فرمان حكومة طائفة قراقرز وخلة إمارة تلك الحدود إلى الأمير محمد ميرزا. وفي ليلة السادس عشر من

(١) وهم من أولاد عباس ميرزا ولي العهد. (المترجم)

شهر ذى الحجة [١٢٢٩ هـ.ق.]، رجع الحضرة العلية إلى دار الخلافة طهران، كما رجع النواب نائب السلطنة إلى ناحية أنزيبجان .

وكان من جملة الحوادث فى هذا العام : وفاة الصدر الأعظم الحاج محمد حسين خان الإصفهانى، الذى نال الترقيات العظيمة بسبب جوهر ذاته وخبرته ومعرفته بأمر الملك والمال منذ بداية الحال وحتى تلك الفترة، وقد قُتِحَتْ على وجه حاله أبواب العطف اللامحدود ، وقد مرض فى نهاية هذا العام فى دار السلطنة طهران [ص ٢٨٥] وتوفى. وابنه نظام الدولة عبد الله خان مُقدم على جميع أقرانه وأمثاله فى خدمة ملك الملوك، وهو أمير فى إنجاز الأمور والخبرة فى العمل وذى فكر فطن ونكى .

١٨٠- بيان وقائع العام المبارك سنة ألف ومائتين وأربعين المطابقة لسنة^(١) التركية :

بعد انقضاء شهر محرم الحرام من هذا العام، تحركت رايات إقبال الخاقان الذى لا مثيل له بغرض النزهة والصيد من دار الخلافة طهران إلى "سلطان آباد كراز" والمدينة المذكورة هى حصن حصين وبناء متين، بناه يوسف خان قائد العراق طبقاً لأمر الخاقان الموفق. وقد أقيمت مدينة "سلطان آباد" مكان القرية المشهورة بـ "ستگرد" وهى من قرى "كراز" الثلاث عشرة، وفى المكان المذكور وما حوله سبع قنوات كبار تجرى جميعها فى مدينة سلطان آباد ، وقد جعلوا أحياءها ونواحيها فى مقابل بعضها وتنظيفه وطاهرة. وأسواقها وحوانيثها مشهودة من أهل الحرف. ويرج قلعتها مرتفع، وقد خططوا المدينة فى الأصل على أربعة شوارع وشُيِّدت باستحكام كامل. وقد تقدم القائد بقدم الفدائية وتقديم الطاعة وعمل الضيافات وتقديم الهدايا .

(١) لم يأت فى النص الفارسى اسم العام التركى . (المترجم)

١٨١- بيان عرس الأميرين جهانكير ميرزا وديع الزمان ميرزا :

فى هذا العام ذى الطالع المبارك، سلك أمراء مجرة العنان، وحيث ظهر فضاء العالم كميدان سباق لجواد فلکهم المتبختر، مع بعضهم طرق التعاون والمحبة وأسلوب الصداقة والألفة فجددوا صلتهم وروابطهم مع بعضهم البعض. أجل، لقد ازدادت الدولة بالدولة والعظمة بالعظمة والمحبة بالمحبة والمساندة بالمساندة. ويسبب حسن الوفاق والتعود على الاتفاق، سعد ملك العالم وملك الملوك الموفق ورضى عن نفسه.

وقد خطب حضرة ولى العهد للأمير جهانكير ميرزا محجوبة جلالة الأمير محمد قلى ميرزا حاكم ممالك طبرستان السكر النبات وصييته المحترمة. [ص ٢٨٦] وقد خطب النواب الأمير على تقى ميرزا لابنه العزيز بديع الزمان ميرزا مستورة حضرة ولى العهد ابنته الكبرى، وأعدوا احتفالات العرس والولائم، وفتحوا أبواب السعادة على وجه حال العالمين .

١٨٢- [قصة الحاج هاشم خان فى إصفهان] :

ومن الحوادث المزيدة للعبرة فى هذا العام هى أن المدعو الحاج هاشم خان وهو من أقران نظام الدولة عبد الله خان فى إصفهان، جعل جمعاً من طائفة "بختيارى" رفقاءً له. ومع أنه كان ذا ثروة وعزة حيث لم يكن فى حاجة إلى مال أى أحد، فإنه بسبب كثرة طمع أشرار بختيارى وتعلمهم السيئ وبسبب تفكيرهم الظالم وإجحافهم وطمعهم فى أموال الرعايا والأعيان والأشراف، كان يجمع غلمان الليل البختياريين أتباعه ويدور بهم فى أحياء إصفهان ويدخلون إلى منازل الأثرياء والتجار والسادات الأغنياء، فلو كانوا يدقون الباب ليلاً، كان يفتح، فيدخلون إلى داخل البيت ويخرجون، وإذا لم يكن يفتح الباب أحد، كانوا يفتحون فجوة فى الحائط أو فى أطراف المنزل ويدخلون، وفى البداية كانوا يقولون لصاحب المنزل بالسياسة ولين اللسان: أحضر كل شىء عندك ولا تنزعج ثانية، فإذا أحضر صاحب المنزل كل ما عنده، نجا من زجرهم ونكايتهم وكان ينزوى فى الركن ويتضرع التحسر والنهيبة خوفاً على روحه. ولو كانوا

يرون ممانعةً من صاحب البيت وتخيّلوا المضايقة منه، لكنوا يقيّدون أيديه وأرجله ويجمعون كل ما كان فى البيت ويرحلون .

وفى ذات ليلة، كانوا قد ذهبوا إلى منزل أحد الأعيان وحيث كان صاحبه فى رحلة الحج، فدقوا كل شىء ولم يفتح الباب أحد، فصعدوا أعلى الحائط ودخلوا البيت وفتحوا الباب ودخلوا منه إلى داخله وقفلوه. وكانت زوجة ذلك الشخص (صاحب البيت) من بين سادات إصفهان العظام. وكان صاحب المنزل قد ترك - لاطمئنانه - كل أولاده وزوجته فى منزله بمدينة ديار المسلمين، وأسرع هو لزيارة الحج. فأحضروا المرأة السيدة وقالوا لها: أحضرى كل شىء عندك من الذهب والفضة وأبواب زينة النساء ولا تعتذرى. وكانت قد قالت لهم: لأجل أى شىء وأى حق لكم فى هذا المنزل ! وما شركتكم فى أموالى وأبوابتى؟ [ص ٣٨٧] فأخذوا السيدة الضعيفة وقيدها، وفتحوا صندوقها أمام عينيها، وأخذوا كل شىء من أبواب النساء والمتاع والذهب الذى كان عندها، وبالإضافة إلى ذلك، استولوا على ألفى تومان نقداً كانت عندها فى الصندوق ، وكانت السيدة الضعيفة (المسكينة) قد قفلت شفتيها من الصراخ والعويل مضطرة ووقعت فى ركن باكية وحزينة، وجمعوا أموالها أمام عينيها ورحلوا .

وفى غد ذلك اليوم، كتبت السيدة المسكينة العريضة من إصفهان إلى بلاط ملجأ العالمين وأرسلتها إلى دار الخلافة، فوصلت إلى النظر الأشرف على يد أحد مقربى البلاط. وكان نظام الدولة عبد الله خان يعلم بهذا الوضع والحال، فأسرع إلى بلاط قبلة العالم، بنية المبادرة [قائلاً]: لم يكن عندى خبر عن هذه الأوضاع والبذاعات والسفاهات اللامحدودة. ويعرض كيفية الأحوال وأوضاع السلب والنهب والشكاوى والاستغاثات من الحاج هاشم خان فى إصفهان فيرد الحضرة العلية: إنك فى كل وقت لم ترض عن أعمال قريبك القبيحة وأفعاله الخاطئة ، ولم يكن عندك القدرة على صدّه ومنعه، فلماذا قبل ذلك [لم] تُظهر وتوضح لرأينا المزين للعالم ، ولم تعرض كيفية مثل هذا بون حساب فى السواد الأعظم الذى فوضته إليك، إلى موطئ العرش الأعلى. والآن رأيت أن عملاً مثل هذا لا يقبل الخياطة والترقيع وقد عُرض علينا وأصبح معلوماً لرأينا المزين للعالم هذا العمل غير المقبول، والآن تقوم بعرضه وبإظهاره واكتفى ملك الملوك ملجأ العالم بهذا نظراً لمراعاة أن والده الوزير الحاج محمد حسن خان كان قد أدى الخدمات الكثيرة فى موطئ العرش المشبه بالسما ، ولم يهتك حرمة قبل ذلك.

وفى اليوم التالى، اقتضى رأى مزين العالم، أن يُزين مدينة إصفهان ومعه عدة أشخاص من مقربى الحضرة وملتزمى ركاب السعادة بسبب قدوم الميمنة السلطانية ، وأن يحقق بنفسه النفيسة فى هذا الظلم الذى هو بون حساب.

وبالقرب من إصفهان بادر الحاج هاشم خان ومعه جمع من الأشراف والأعيان [ص ٢٨٨] فى إصفهان بالخدمة والطاعة وقدموا الهدايا فصاروا موضع الإكرام والإنعام. وأصبح موكب الهمايون مُزيّداً لزينة مدينة إصفهان، كما صار بالحكم مثال القدر، الحاج هاشم خان أسير قبضة القهر والمحاكمة وانعدام (وجود) غلمانه البختياريين. الذين كانوا قوة ساعده وأبوات الإغارة والنهب على رعايا السلطنة، مثل القضية فى الأرض. وبأمر الحضرة العلية، قُطعت لحيته الخضراء، التى كانت رأس مال فتنته بيد أسنان العدل وحُفرت عيناه، التى كان يتبصص بها فى البيوت ولم يبصر بها أمره وعواقب الأمور، بكذلك العدالة والعدل ، وضربوه بالأخشاب وآلة التعذيب، وصادر كل ما كان عنده لرئاسة الديوان الأعلى، ومنحه الحياة وأفرج عنه. وقد منح ولاية إصفهان إلى النواب الأمير سلطان محمد ميرزا. وكان يوسف خان قائد العراق (العجمى) هو الوزير والمشير ومدير الأمور فى خدمة الأمير، وقد توفى فى إصفهان بعد قدومه إليها بشهر أو شهرين. وعين ابنه غلام حسين خان، الذى كان مفتخراً بالمصاهرة السلطانية، مكانه كقائد للعراق، وبعد وفاته [يوسف خان] عين خسروخان على إصفهان للعمل فى خدمة النواب سلطان محمد ميرزا. وأنعم على علماء وفضلاء إصفهان بلا حدود.

وقد سبقت الإشارة إلى أنهم كانوا على علم بأمر الولاية، والأمر الذى لا يكون على قانون العدالة، يعرضوه على موطئ عرش الهمايون، وبواسطة هذا النوع من العدل والرحمة والعطف، قام أهل العالم من الصغير إلى الكبير بالدعاء للدولة المتزايدة يوماً بعد يوم وجعلوا الثناء على الحضرة العلية على ألسنتهم فى الصباح والمساء. وقبع نظام الدولة [عبد الله خان] فى منزله بدار الخلافة طهران نظراً لهذا التقصير غير المنتظم وتهاونه وغفلته.

١٨٣- تفويض منصب الصدر الأعظم إلى اللهيارخان القاجارى :

نظراً للجدارة والاستعداد الفطرى لفخر الأمراء الكرام اللهيارخان القاجارى الخلف الصديق للمرحوم ميرزا محمد خان أمير الأمراء، والذي تربي على العناية الخاقانية نفسها [ص ٢٨٩] وكان مفتخراً ومتميزاً بشرف مصاهرة الحضرة العلية، فقد كرمه الحضرة العلية السلطانية بتفويضه منصب الصدارة العظمى وجعله مفتخراً بها. ومرروا بقمة رأس مباهاة من أمام إيوان زحل، وهو اليوم متمكن بلا منازع على صدر ديوان الوزارة، ومتكفل بأداء مهام الخلق بالرأى الرزين والفكر البعيد. ونظراً لحسن سلوكه ورأس ماله من العلم والإدراك، يرضى جميع الوزراء والأمناء والأمراء من طريقة أسلوب حضرته ويسعدون من حسن أقواله فى بلاط صاحب العالم. فهو يعرف ويعلم لكل شخص لياقته وجدارة أصله وأساسه، ولم يكن يُعطى ويعوق عرض وإظهار أى من أمور الرعية والجيش أمام بلاط فلك الحشمة السلطانية، ويحقق كل مرام وفق المراد وهو يحقق الشهرة لأحد نخائر عصر حضرة صاحب العالم .

١٨٤- بيان وقائع العام المبارك وهى سنة الطير التركية الموافقة لسنة ألف ومائتين وإحدى وأربعين هجرية (١) :

وقع مسئولو بلاط إمبراطور روسيا فى فكرة نقض العهد وإفساد شروط المصالحة والهدنة^(٢). وذلك بحجة أن عدداً من أهل كوكجة بإيروان بدعوا المحادثات بشأن

(١) الواقع أن عبد الرزاق الدنبلى لم يسجل أحداث عام ١٢٤١ هـ.ق كلها وقد اكتفى بالأحداث الأولى فى هذا العام وبالتحديد حتى شهر رجب من هذا العام ، وذلك كما نكر هو بنفسه فى خاتمة هذا الكتاب حيث نكر أن هذا الكتاب قد تمت طباعته فى أواخر شهر رجب من عام ١٢٤١ هـ.ق . وهذا العام يمثل بداية الجولة الثانية لحروب إيران وروسيا التى بدأت من عام ١٢٤١ هـ.ق وحتى عام ١٢٤٢ هـ.ق والواقع أن عبد الرزاق الدنبلى لم يتناول فى كتابه هذه الجولة الثانية من الحروب ؛ لأنه وكما أشرنا آنفاً قد اختتم كتابه بأحداث النصف الأول من عام ١٢٤١ هـ.ق تقريباً وقد تناول فقط بداية نشوب الحرب من جديد فى بداية هذا العام بين إيران وروسيا . (المترجم)

(٢) يقول عباس إقبال فى هذا الشأن : كانت معاهدة ككستان (الموقعة فى ١٢٢٨) مبهمة بشأن تحديد خطوط الحدود بين إيران وروسيا بمعنى أن موقعها كفاهم أن اشترطوا أن كل ما استولى عليه الروس حتى تاريخ توقيع المعاهدة يكون ملكاً لهم ، كما لم يتضح أيضاً موقف كثير من الأراضى التى تقع على الحدود ، وكانت مراتع لعشائر قبائل الحدود . (انظر تاريخ إيران بعد الإسلام : الترجمة العربية ص ٧٧)

مصالحتنا (معاهدة سلامنا) واستمرت تردداتهم ومحادثاتهم. فقال مسئولو دولة إيران بأن شروط المصالحة مستقرة وقائمة على هذا وهو أن في المصالحة كل مكان كان في يد كل شخص يبقى ثانية ، وكما كان. ولا يتخطى الطرفان حدودهما ولا يعتديا على بعضهما. وكانت تلك الجماعة تقول أحياناً بالأعذار غير المقبولة وأحياناً كانت تقول بأن سلوكنا مع النواب نائب السلطنة لم يكن يثبته ، وكانوا (يطلبون) أحياناً بأن ملك إيران يمنحنا ذلك المكان ويتركه لنا. ومن هذا الجانب أيضاً، كان مسئولو دولة العصر إيران يجاوبونهم بأن المناطق المشهورة بـ بالغ لوكوني وكوكجه الأخرى هي دائماً في يد مسئولى هذا الطرف [إيران] .

وفى هذا العام ذى الطالع المبارك، وحيث صار مرج سلطانية مضرِباً لخيام مجلس العظمة، طلب الخاقان الموفق النواب ولى العهد للحضور [ص ٣٩٠] ولما أدرك نائب السلطنة شرف تقبيل الحضرة العلية، عرض على صاحب الشرف كيفية المحادثات ويحث مسئولى دولة روسيا عن العذر لنقض العهد وإثارة الاضطرابات. فقرر حضرة ملك الملوك بأن يتوجه من بلاط زحل إلى تلك المناطق ميرزا محمد صادق المروى مؤرخ رئاسة الديوان الهمايوني، الذى كان رجلاً متصفاً بأنه عارفاً للأصول وبلغياً ومتمرساً على أعمال السفارة وخبيراً بها ، وكان محل ثقة الخاقان صاحب عرش جمشيد وقد عُين لمرات على سفارة بغداد وخراسان وينفذ الأمور دون عيب ونقص. وبعد قدومه إلى الكرجستان يلاحظ الحدود بمرافقة مسئولى دولة روسيا. ويعلم بالنظر الممعن والتفكير أساس النزاع وسبب المشاجرة والمعركة فيما بينهم، ويعرضه على خدمة فلك الرفعة، فيصبح من المعلوم ما هو أساس النزاع؟ والمحادثات مع من؟

وتوجه ميرزا المشار إليه من تبريز إلى إيروان ومنها قصد الكرجستان. وفى أوائل الشتاء، ومع الاحتياط والحذر بأنه ربما يكون جيش روسيا على الاستعداد للقدوم وينتهاز فرصة الفترة البسيطة ويبحث عن الفتنة ويمتحن نفسه فى نقض العهد^(١) فقد

(١) الواقع أن عباس ميرزا قد أخطأ عندما فكر فى دخول الحرب مرة ثانية مع الروس بعد الهزيمة الأولى وخضوع إيران لاتفاقية "كلستان" وخاصة أن جيشه لم يكن مستعداً لحرب جديدة ، فتقول أمينة باكروان : لقد تجاوزت أفكار عباس ميرزا الوهمية حدود هذه الاحتمالات عندما اعتقد أن استعدادات جيشه وتسليحه كافية بشدة لمواجهة أشعة شمس الند المناقش له إمبراطورية القيصر . (انظر Abbas Mirza, Un

Prince Rfarmateur : Emineh Pakravan, tame II, p 1.

توجه النواب نائب السلطنة بحجة الصيد من دار السلطنة تبريز إلى كوردشت ومنها قصد الصيادين نخجوان وإيروان.

١٨٥- بيان وفاة ألكسندر باوليتش [الأول] إمبراطور روسيا ونبذة عن أحواله وأخلاقه :

فى الحادى والعشرين من شهر ربيع الأول من هذا العام [١٢٤١ هـ.ق.]، عقد إمبراطور روسيا ألكسندر باوليتش متاع رحيله من هذا الدير الملىء بالحسرة والندم، وكان سلطاناً عادلاً ومربياً لرعيته. وقد أوقف أهالى موسكو، وهم قليلو الفهم وبلاء العقل، جميعهم على طريق وعادة الدين المسيحى وهو مذهبهم. وأحضر المعلمين المهرة والعلماء من مملكتى إنجلترا وفرنسا، وفاق فى كل الآداب والصناعات. وقد سبقت نبذة عن أحواله فى أول الكتاب مع بيان أحوال دولة روسيا، وسوف تعلن للقراء والمطالعين. [ص ٣٩١] وبعد وفاته، وقع أخوه قسطنطين فى هوس التاج والعرش، ونظراً لشدة طيشه وتهوره، فقد رفضه وزراء عاصمة روسيا وعزلوه^(١)، وأجلسوا على العرش أخاه الآخر المسمى بـ تكولائى (نيقولا الأول) باوليتش كحاكم وسلطان.

١٨٦- بيان معركة النواب الأمير حسن على ميرزا حاكم إقليم خراسان مع جيش خوارزم وهزيمتهم بالتأييد الإلهى ويمن طالع ملك ملوك الدنيا الواسعة

قدم رحمن قلى طوره بن محمد رحيم خان والى خوارزم مع جمع من أوزبك قنقرات ويموت المقيمين فى خوارزم إلى رأس حدود هذه الناحية بغرض أخذ زكاة

(١) تقول أمينة باكروان : إنه قد حدث فى روسيا عقب وفاة الكسندر باوليتش اضطرابات دموية بسبب الصراع بين إخوته على خلافته ويأتى هذه الفترة تسمى بـ أيام ديسمير الدموية ، وقد انتهت هذه الصراعات بتولى نيقولا الأول قيصر الإمبراطورية الروسية وبرضا من رجال دولته - (انظر: Abbas Mirza, Emimeh Pakravan, tome II, p (1)

سابور وتكه، ولما كانت طوائف تركمان صحراء القبتشاق من تكة وأخال وخرمند متفقين معه فى هذا السفر، فاغتر بجمعه الكثيف، وأرسل جمعاً إلى آق دربند وجمعاً إلى مزدوران^(١) وخرج حراس كلا المكانين فى مظهر الدفاع والمقاومة، وقتلوا جيش خوارزم. فهزموا ورجعوا. وقام رحمن قلى المذكور متجهزاً ومستعداً بنفسه، وذهب مع جمع كامل والمدفعية، التى كانت ترافقه، حتى "قصر المهدي" وهو على بعد فرسخين من مشهد الرضوية المقدسة .

وبعد الاطلاع على هذه الأخبار، يرسل النواب حسن على ميرزا جمعاً قليلاً، كان حاضراً فى خدمته، لاستقبالهم. فيقتلون جمعاً ويأسرون ما يقدر بنحو ثمانين فرداً، ويرجعون. وبعد التحقيقات اللازمة ، يقومون فى المساء أيضاً بالإغارة ليلاً على ذلك الجيش الباحث عن الفتنة ويقومون بالإغارة الكاملة على أطراف معسكر جيش خوارزم.

وفى هذه الأثناء، يقدم سيد محمد خان حاكم كلات وجمع من حكام خراسان، بسبب الاستماع لهذه الأخبار إلى ركاب الأمير. ويندفع النواب حسن على ميرزا إليه ومعه المدفعية والهاونات والسبعة أو الثمانية آلاف فرد المنعقدة له فى قصر المهدي. وبعد تلاقى الفريقين وتقابل الجيشين، يتبادل الطرفان الهجوم بخطف كرة السباق من بعضهما. ويعون العناية الإلهية وقوة الإقبال [ص ٣٩٢] السلطاني المصون من الزوال، تقع الهزيمة العظيمة على الجيش المعادى ويقتلون جمعاً غفيراً ويأسرون جمعاً آخر، ويسلك الباقون من السيف (الأحياء) طريق الفرار ويطوون مسافات من وادى دار البوار والهلاك. ويكلف النواب الأمير الجيش بتعقب تلك الجماعة المخنولة ، ولأن الجو كان شديد البرودة وكانت المعابر والمنازل مملوءة بالجليد والطين فيصبح أكثر تلك الطائفة أسرى لجيش ملجأ الظفر ويسلك قليل منهم طريق خوارزم وهم فى حالة شتات وفى يوم أسود .

ولم يُعرف أى المجموعة التى كان فيها رحمن قلى وإلى أى ناحية ذهب ، وهل سمع بمثل هذا النوع من النصر والظفر الذى حدث من فيض فضل الله عز وجل. وقد رجع غلمان القبة السلطانية فى فرح وسرور لآحد لهما.

(١) اسم بلدة شرق مشهد .

١٨٧- ومن مصائب هذا العام :

كانت القضية المثيرة للحن والممل وهي وفاة ابن العم بهمن الشأن إبراهيم خان، وهو شاب ذو خلق وحسن الطبع وعطوف ووالى ولاية كرمان ومفتخر بمصاهرة خاقان الدنيا الواسعة، ومنذ بداية صباح عهد الهمايون وإلى الآن وفي عهده إدارة ذلك الملك الشبيه بالجنة وبتنظيم الأمور الصغيرة والكبيرة فى تلك الولاية، ولقد مرض فى هذا العام باقتضاء القضاء الإلهى، وتوفى، وقد صارت حادثة مماته المؤذية للنفس باعثة على حزن واغتمام الخاقان ذى الإقبال العالى والأمراء نوى الجلال الجمشىدى .

١٨٨- اختتام الكتاب بعون الملك الوهاب :

بسبب يُمْن التأييدات الإلهية وفيض الفضل اللامتناهى فيعهد الدولة الأبدية الشاهنشاهية، استخدم النواب ولى عهد الشهرىار صاحب التاج، فى إيران جميع صناعات بلاد الفرنجة، ونثر الثروات وأنهض الصناعات الغربية والفنون العجيبة، ومن بينها المهندسين ودار الهندسة والمدافع ودار المدفعية ودار البارود ودار [قماش] الماهوت ونظام العسكرية الجديدة وصناعة الأسلحة [ص ٣٩٣] وآلات الحرب على نظام وأسلوب أساتذة أوروبا وإيران، وقد صنعوا جميع هذه الصناعات أفضل من أساتذة هذه الفنون فى كل فن. وكان من جملة الصناعات الغربية عمل الطباعة الذى يقال له "الباصمة" ^(١). ولقد لقيت شرف الانتهاء والاختتام هذه النسخة الجديدة المسماة بـ "المآثر السلطانية" فى دار الطباعة بدار السلطنة تبريز باهتمام مسئولى رئاسة ديوان حضرة ولى العهد ويسعى وأستاذية حضرة الشيخ محمد باقر التبريزى وهو من معارف هذه الولاية ، وذلك بتاريخ أواخر شهر رجب المرجب سنة ألف ومائتين وإحدى وأربعين هجرية . وإن شاء الله تعالى، سوف تُحرر صوادر أحوال الخاقان القريد بعد هذا التاريخ فى مجلد آخر وسوف تذهب إلى دار الطباعة، وسوف يستفيد منه القراء. وغير هذا الكتاب سيطبع ميرزا زين العابدين التبريزى المجلدات من الكتاب الجديد

(١) باصمة : لفظة تركية بمعنى طبع، صورة لصورة مطبوعة ' (انظر : المعجم الفارسى الكبير : إبراهيم السوقى شتا ، ج ١ ، ص ٢٧٣)

بيمن وإشفاق وألطف سلطان الآفاق خلد الله ملكه وسلطانه وياهتمام منوتشهر خان ويحملها التجار وأهل المعاملات إلى أطراف الولايات وتباع وتشتري وهي من عزة السلطان العادل المانع والهمة العالية لملك الملوك ملجأ العالم، ولو لم تكن تلك الهمة والقدرة فإنه يفرغ الخزائن. وقد أحضر هذه الصناعات إلى إيران منذ عام وستة أشهر. وداولها بين الخلائق. والدعاء من الصغير والكبير والرعايا والبرايا والغلمان ومريدي عزة هذه العتبة أن ينتشر ظل عزة الحضرة العلية (صاحب الجلالة) قدر القدرة وظل الحشمة القواب نائب السلطنة ولي عهد إيران ، ويبقى خالداً طالما أن السماء قائمة والشمس مشرقة والقمر منير، بحق محمد وآله الأمجاد.

المؤلف في سطور :

عبد الرزاق بك بن نجفلى خان بن شهبازخان الدنبللى

ولد عبد الرزاق الدنبللى فى بلدة " خوى " التابعة لأذربيجان الإيرانية فى سنة ١١٧٦ هـ.ق ، وقد عاش حتى العاشرة من عمره تحت رعاية والده بتبريز الذى كان حاكماً عليها . وبعدها عاش لمدة عشر سنوات أخرى كرهينة بشيراز فى بلاط كريم خان الزندى ، ثم عاش لفترة أربع سنوات أخرى بإصفهان فى أسر على مرادخان الزندى . ولم يشغله فى شيراز وإصفهان طوال هذه الفترة سوى تحصيله للعلم والأدب ومجالسته للعلماء والاشتغال بالتأليف .

وقد عاصر عبد الرزاق الدنبللى ، فترات من أهم فترات إيران التاريخية ، فقد عاصر عهد كريم خان الزندى وأعقابيه (١١٦٢ هـ.ق : ١٢٠٩ هـ.ق) ، قم عهد آغا محمد خان القاجارى مؤسس الدولة القاجارية (١٢٠٠ : ١١٢١ هـ.ق) ، ثم أغلب فترة الحكم الطويلة لفتحعليشاه القاجارى (١٢١٢ هـ.ق : ١٢٥٠ هـ.ق ٩ وهذه الفترات تنخر بالكثير من الحروب والأحداث المهمة فى تاريخ إيران خاصة ومنطقة الشرق الإسلامى عامة وقد دون عبد الرزاق الدنبللى أغلب هذه الأحداث كما أرخ للقاجاريين منذ بداية ظهورهم وحتى أحداث عام (١٢٤١ هـ.ق) فى كتابه « المآثر السلطانية » - موضوع الترجمة - وذلك بأمر السلطان فتحعليشاه القاجارى وولى عهده عباس ميرزا . وقد كتب عبد الرزاق الدنبللى فى كثر من الموضوعات والمجالات ، فله فى النظم والنثر الكثير من المؤلفات والتى لم تحظ بالعناية الكاملة لأن أغلبها ربما قد ضاع وما طبع منها إلا القليل .

المترجم فى سطور :

د . محمد سيد أبو زيد عبدالعال

ليسانس الآداب - قسم اللغات الشرقية - فرع اللغة الفارسية
١٩٨٥م من كلية الآداب - جامعة القاهرة .

ماجستير فى اللغة الفارسية وآدابها من كلية الآداب - جامعة
القاهرة ١٩٩٦ م عن المؤرخ عبد الرازق الدنبلى وكتابه " مآثر سلطانية".

دكتورة عن القصة القصيرة عند محمود دولت آبادى من كلية
الآداب - جامعة عين شمس ٢٠٠٣ م

يعمل حالياً مدرس اللغة الفارسية وآدابها بكلية الآداب - جامعة
أسيوط .

المراجع فى سطور :

آ.د. عبد الحفيظ محمد يعقوب حجاب

- أستاذ مساعد اللغة الفارسية وأدائها بكلية الآداب جامعة القاهرة .**
- ليسانس الآداب من كلية الآداب - جامعة القاهرة ١٩٧٦ م**
- ماجستير عن البطولة فى شاهنامة الفردوسى من كلية الآداب -
جامعة القاهرة ١٩٨٢ م**
- دكتوراة عن الأثر الإسلامى فى شاهنامة الفردوسى من كلية
الآداب - جامعة القاهرة ١٩٨٩ م.**
- له عدة مؤلفات وترجمات .**

المشروع القومي للترجمة

المشروع القومي للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التي حققتها مشروعات الترجمة التي سبقته في مصر والعالم العربي ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

- ١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .
- ٢- التوازن بين المعارف الإنسانية في المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .
- ٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .
- ٤- ترجمة الأصول المعرفية التي أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعي في الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التي تضع القارئ في القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .
- ٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .
- ٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

أحمد درويش	جون كوين	١- اللغة العليا
أحمد فؤاد بليغ	ك. مادهو باننيكار	٢- الوثنية والإسلام (ط١)
شوقي جلال	جورج جيمس	٣- التراث المسروق
أحمد الحضري	انجا كارييتيكوفا	٤- كيف تتم كتابة السيناريو
محمد علاء الدين منصور	إسماعيل فصيح	٥- ثريا في غيبوبة
سعد مصلوح ووفاء كامل فايد	ميلكا إفيتش	٦- اتجاهات البحث اللساني
يوسف الأنطكي	لوسيان غولدمان	٧- العلوم الإنسانية والفلسفة
مصطفى ماهر	ماكس فريش	٨- مشعلو الحرائق
محمود محمد عاشور	أندرو. س. جودي	٩- التقنيات البيئية
محمد معتمد وعبد الباقى الأزدى وعمر حلى	جيرار جينيت	١٠- خطاب الحكاية
هناء عبد الفتاح	فيسوافا شيمبوريسكا	١١- مختارات شعرية
أحمد محمود	ديفيد براونستون وأيرين فرانك	١٢- طريق الحرير
عبد الوهاب علوب	روبرتسن سميث	١٣- ديانة الساميين
حسن المولى	جان بيلمان نويل	١٤- التحليل النفسى للأدب
أشرف رفيق عفيفي	إدوارد لومى سميث	١٥- الحركات الفنية منذ ١٩٤٥
ياشرافة أحمد عثمان	مارتن برنال	١٦- أثينة السوداء (ج١)
محمد مصطفى بنوى	فيليب لاركين	١٧- مختارات شعرية
طلعت شاهين	مختارات	١٨- الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية
نعيم عطية	جورج سفيريس	١٩- الأعمال الشعرية الكاملة
يمنى طريف الخولى وبنوى عبد الفتاح	ج. ج. كراوثر	٢٠- قصة العلم
ماجدة العنانى	صمد بهرنجى	٢١- خوخة وألف خوخة وقصص أخرى
سيد أحمد على الناصرى	جون أنتيس	٢٢- مذكرات رحالة عن المصريين
سعيد توفيق	هانز جيورج جادامر	٢٣- تجلى الجميل
بكر عباس	باتريك بارندر	٢٤- ظلال المستقبل
إبراهيم السوقي شتا	مولانا جلال الدين الرومى	٢٥- مشوى
أحمد محمد حسين هيكل	محمد حسين هيكل	٢٦- دين مصر العام
ياشرافة جابر عصفور	مجموعة من المؤلفين	٢٧- التنوع البشرى الخلاق
منى أبو ستة	جون لوك	٢٨- رسالة فى التسامح
بدر الديب	جيمس ب. كارس	٢٩- الموت والوجود
أحمد فؤاد بليغ	ك. مادهو باننيكار	٣٠- الوثنية والإسلام (ط٢)
عبد الستار الطوجى وعبد الوهاب علوب	جان سوفاجيه - كلود كاين	٣١- مصادر دراسة التاريخ الإسلامى
مصطفى إبراهيم فهمى	ديفيد روب	٣٢- الانقراض
أحمد فؤاد بليغ	أ. ج. هويكنز	٣٣- التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية
حصة إبراهيم المنيف	روجر آلن	٣٤- الرواية العربية
خليل كلفت	بول ب. ديكسون	٣٥- الأسطورة والحداث
حياة جاسم محمد	والاس مارتن	٣٦- نظريات السرد الحديثة

جمال عبد الرحيم	بريجيت شيفر	راحة سيوة وموسيقاها	٢٧-
أنور مغيث	آلن تورين	نقد الحداثة	٢٨-
منيرة كروان	بيتر والكوت	الصيد والإغريق	٢٩-
محمد عيد إبراهيم	آن سكمتون	قصائد حب	٤٠-
عاطف أحمد وإبراهيم فتحي ومحمود ماجد	بيتر جران	ما بعد المركزية الأوروبية	٤١-
أحمد محمود	بنجامين بارير	عالم ماك	٤٢-
المهدي أخريف	أوكشافيو پاث	اللهب المزوج	٤٣-
مارلين تادرس	ألدوس هكسلي	بعد عدة أصياف	٤٤-
أحمد محمود	روبرت دين و جون قاين	التراث المفقود	٤٥-
محمود السيد على	بابلو نيرودا	عشرون قصيدة حب	٤٦-
مجاهد عبد المنعم مجاهد	رينيه ويليك	تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج١)	٤٧-
ماهر جويجاتي	فرانسوا دوما	حضارة مصر الفرعونية	٤٨-
عبد الوهاب علوب	هـ . ت . نوريس	الإسلام في البلقان	٤٩-
محمد يرانة وعثمانى الميود ويوسف الأنطكى	جمال الدين بن الشيخ	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	٥٠-
محمد أبو العطا	داريو بيانوبيا وخ. م. بينيايستي	مسار الرواية الإسبانية أمريكية	٥١-
لطفي فطيم وعادل دمرداش	ب. نوفاليس وس. روجسيفيتز وروجر بيل	العلاج النفسى التنعيمي	٥٢-
مرسى سعد الدين	أ . ف . ألنجاتون	الدراما والتطعيم	٥٣-
محسن مصيلحي	ج . مايكل والتون	المفهوم الإغريقى للمسرح	٥٤-
على يوسف على	جون بولكنجهوم	ما وراء العلم	٥٥-
محمود على مكى	فديريكو غرسية لوركا	الأعمال الشعرية الكاملة (ج١)	٥٦-
محمود السيد و ماهر البطوطى	فديريكو غرسية لوركا	الأعمال الشعرية الكاملة (ج٢)	٥٧-
محمد أبو العطا	فديريكو غرسية لوركا	مسرحيتان	٥٨-
السيد السيد سهيم	كارلوس مونيث	المحبرة (مسرحية)	٥٩-
صبرى محمد عبد الفنى	جوهانز إيتين	التصميم والشكل	٦٠-
بإشراف : محمد الجوهري	شارلوت سيمور - سميث	موسوعة علم الإنسان	٦١-
محمد خير البقاعى	رولان بارت	لغة النص	٦٢-
مجاهد عبد المنعم مجاهد	رينيه ويليك	تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج٢)	٦٣-
رمسيس عوض	آلان وود	برتراند راسل (سيرة حياة)	٦٤-
رمسيس عوض	برتراند راسل	فى مدح الكسل ومقالات أخرى	٦٥-
عبد اللطيف عبد الحليم	أنطونيو جالا	خمس مسرحيات أندلسية	٦٦-
المهدي أخريف	فرناندو بيسوا	مختارات شعرية	٦٧-
أشرف الصباغ	فالنتين راسبوتين	نتاشا العجوز وقصص أخرى	٦٨-
أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى	عبد الرشيد إبراهيم	العلم الإسلامى فى ليل القرن العشرين	٦٩-
عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد	أوخينيو تشانج رودريجت	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	٧٠-
حسين محمود	داريو فو	السيدة لا تصلح إلا للرمى	٧١-
فؤاد مجلى	ت . س . إليوت	السياسى العجوز	٧٢-
حسن ناظم وعلى حاكم	چين ب . تومبكنز	نقد استجابة القارئ	٧٣-
حسن بيومى	ل . ا . سيمينوفا	صلاح الدين والمماليك فى مصر	٧٤-

٧٥-	فن التراجم والسير الذاتية	أنثريه موروا	أحمد درويش
٧٦-	چاك لكان وإغواء التحليل النفسي	مجموعة من المؤلفين	عبد المقصود عبد الكريم
٧٧-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (ج٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨-	العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	أحمد محمود ونورا أمين
٧٩-	شعرية التأليف	بوريس أوسبونسكى	سعيد القانمى وناصر حلاوى
٨٠-	بوشكين عند «ناقورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	مكارم القمري
٨١-	الجماعات المتخيلة	بنكت أندرسن	محمد طارق الشرقاوى
٨٢-	مسرح ميغيل	ميغيل دى أونامونو	محمود السيد على
٨٣-	مختارات شعرية	غوتفريد بن	خالد المعالي
٨٤-	موسوعة الأدب والنقد (ج١)	مجموعة من المؤلفين	عبد الحميد شبيحة
٨٥-	منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاي	عبد الرازق بركات
٨٦-	طول الليل (رواية)	جمال مير صادق	أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧-	نون والقلم (رواية)	جلال آل أحمد	ماجدة العناني
٨٨-	الابتلاء بالتقرب	جلال آل أحمد	إبراهيم السوقي شتا
٨٩-	الطريق الثالث	أنتونى جينز	أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠-	رسم السيف وقصص أخرى	بورخيس وآخرون	محمد إبراهيم مبروك
٩١-	المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باريرا لاسوتسكا - بشونباك	محمد هناء عبد الفتاح
٩٢-	نصائب ومضامين للمسرح الإسباني للعصر	كارلوس ميغيل	نادية جمال الدين
٩٣-	محدثات العولمة	مايك فينرستون وسكوت لاش	عبد الوهاب علوب
٩٤-	مسرحيتا الحب الأول والصحة	صمويل بيكيت	فوزية العشموى
٩٥-	مختارات من المسرح الإسباني	أنطونيو بويرو بايخو	سرى محمد عبد اللطيف
٩٦-	ثلاث زنيقات ووردة وقصص أخرى	نخبة	إيوار الخراط
٩٧-	هوية فرنسا (مج١)	فرنان برودل	بشير السباعي
٩٨-	الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٩٩-	تاريخ السينما العالمية (١٨٩٥-١٩٨٠)	ديفيد روبنسون	إبراهيم قنديل
١٠٠-	مساطة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	إبراهيم فتحى
١٠١-	النص الروائى: تقنيات ومناهج	بيرنار فاليط	رشيد بنحطو
١٠٢-	السياسة والتسامح	عبد الكبير الخطيبى	عز الدين الكتكتى الإدريسى
١٠٣-	قبر ابن عربى يليه آباء (شعر)	عبد الوهاب المؤيد	محمد بئيس
١٠٤-	أويرا ماهوجنى (مسرحية)	برتول بريشت	عبد الغفار مكاوى
١٠٥-	مدخل إلى النص الجامع	جيرارچينيت	عبد العزيز شبيب
١٠٦-	الأدب الأندلسى	ماريا خيسوس روبييرامتى	أشرف على دعور
١٠٧-	سورة الفنتى فى الشعر الأمريكى ثلاثى العصر	نخبة من الشعراء	محمد عبد الله الجعيدى
١٠٨-	ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى	مجموعة من المؤلفين	محمود على مكى
١٠٩-	حروب المياه	جون بواوك وعادل درويش	هاشم أحمد محمد
١١٠-	النساء فى العالم النامى	حسنه بيجوم	منى قطان
١١١-	المرأة والجريمة	فرانسيس هيدسون	ريهام حسين إبراهيم
١١٢-	الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	إكرام يوسف

- ١١٣- راية التمرد سادى پلانٹ أحمد حسان
- ١١٤- مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع وول شوينكا نسيم مجلى
- ١١٥- غرفة تخص المرء وحده فرجينيا وولف سمية رمضان
- ١١٦- امرأة مختلفة (درية شفيق) سينثيا نلسون نهاد أحمد سالم
- ١١٧- المرأة والجنوسة فى الإسلام ليلي أحمد منى إبراهيم وهالة كمال
- ١١٨- النهضة النسائية فى مصر بىث بارون ليس النقاش
- ١١٩- النساء والامرة وقولنن: الطلاق فى التاريخ الإسلامى أميرة الأزهرى سنبل بإشراف: روف عباس
- ١٢٠- الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط ليلي أبو لغد مجموعة من المترجمين
- ١٢١- الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية فاطمة موسى محمد الجندى وإيزابيل كمال
- ١٢٢- نظام العبودية القديم والنموذج المثالى للإنسان جوزيف فوجت منيرة كروان
- ١٢٣- الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية أنيتل ألكسندرو فناناولينا أنور محمد إبراهيم
- ١٢٤- الفجر الكاذب: أوهام الرأسمالية العالمية چون جراى أحمد فؤاد بلبع
- ١٢٥- التحليل الموسيقى سيدرك ثورپ ديشى سمحة الخولى
- ١٢٦- فعل القراءة فولفانج إيسر عبد الوهاب علوب
- ١٢٧- إرهاب (مسرحية) صفاء فتحى بشير السباعى
- ١٢٨- الألب المقارن سوزان باسنيت أميرة حسن نويرة
- ١٢٩- الرواية الإسبانية المعاصرة ماريا نولورس أسيس جاروته محمد أبو العطا وآخرون
- ١٣٠- الشرق يصعد ثانية أندريه جوندز قرانك شوقى جلال
- ١٣١- مصر القديمة: التاريخ الاجتماعى مجموعة من المؤلفين لويس بقطر
- ١٣٢- ثقافة العولة مايك فيذرستون عبد الوهاب علوب
- ١٣٣- الخوف من المرايا (رواية) طارق على طلعت الشايب
- ١٣٤- تشريع حضارة بارى ج. كيمب أحمد محمود
- ١٣٥- المختار من نقد ت. س. إليوت ت. س. إليوت ماهر شفيق فريد
- ١٣٦- فلاحو الباشا كينيث كونو سحر توفيق
- ١٣٧- مذكرات ضابط فى الحلة الفرنسية على مصر جوزيف مارى مواريه كاميليا صبحى
- ١٣٨- عالم التليفزيون بين الجمال والعنف أندريه جلوكسمان وجيه سمعان عبد المسيح
- ١٣٩- پارميقال (مسرحية) ريتشارد فاچنر مصطفى ماهر
- ١٤٠- حيث تلتقى الأنهار هريوت ميسن أمل الجبورى
- ١٤١- اثنتا عشرة مسرحية يونانية مجموعة من المؤلفين نعيم عطية
- ١٤٢- الإسكندرية : تاريخ ودليل أ. م. فورستر حسن بيومى
- ١٤٣- قضايا التطوير فى البحث الاجتماعى ديرك لايدر عدلى السمرى
- ١٤٤- صاحبة اللوكاندة (مسرحية) كارلو جولدونى سلامة محمد سليمان
- ١٤٥- موت أرتيميو كروث (رواية) كارلوس فوينتس أحمد حسان
- ١٤٦- الورقة الحمراء (رواية) ميغيل دى ليسى على عبدالرؤف البمبى
- ١٤٧- مسرحيتان تانكريد نورست عبدالقادر مكاوى
- ١٤٨- القصة القصيرة: النظرية والتقنية إنريكى أندرسون إمبرت على إبراهيم منوفى
- ١٤٩- النظرية الشعرية عند إليوت وأونيس عاطف فضول أسامة إسبر
- ١٥٠- التجربة الإغريقية روبرت ج. ليمان منيرة كروان

١٥١-	هوية فرنسا (مج ٢ ، ج١)	فرنان برودل	بشير السباعي
١٥٢-	عدالة الهنود وقصص أخرى	مجموعة من المؤلفين	محمد محمد الخطابي
١٥٣-	غرام الفراغة	فيولين فانويك	فاطمة عبدالله محمود
١٥٤-	مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	خليل كلفت
١٥٥-	الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة من الشعراء	أحمد مرسى
١٥٦-	المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت فيرمو	مى التلمساني
١٥٧-	خسرو وشيرين	النظامى الكتجوى	عبدالعزیز بقوش
١٥٨-	هوية فرنسا (مج ٢ ، ج٢)	فرنان برودل	بشير السباعي
١٥٩-	الأيدولوجية	ديفيد هوكس	إبراهيم فتحي
١٦٠-	آلة الطبيعة	بول إيرليش	حسين بيومى
١٦١-	مسرحتان من المسرح الإسباني	أليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	زيدان عبدالطيم زيدان
١٦٢-	تاريخ الكنيسة	يوجنا الاسيوى	صلاح عبدالعزیز محجوب
١٦٣-	موسوعة علم الاجتماع (ج ١)	جوردون مارشال	باشراف: محمد الجوهري
١٦٤-	شامبوليون (حياة من نور)	جان لاكوثير	نبيل سعد
١٦٥-	حكايات الثعلب (قصص أطفال)	أ. ن. أفاناسييفا	سهير المصانقة
١٦٦-	العلاقات بين القنصلين والعلمانيين في إسرائيل	يشعياهو ليتمان	محمد محمود أبوغدير
١٦٧-	في عالم طاغور	رابندرناث طاغور	شكري محمد عياد
١٦٨-	براسات في الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	شكري محمد عياد
١٦٩-	إبداعات أدبية	مجموعة من المؤلفين	شكري محمد عياد
١٧٠-	الطريق (رواية)	ميجيل بلييس	بسام ياسين رشيد
١٧١-	وضع حد (رواية)	فرائك بيجو	هدى حسين
١٧٢-	حجر الشمس (شعر)	نخبة	محمد محمد الخطابي
١٧٣-	معنى الجمال	واتر ت. ستيس	إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤-	صناعة الثقافة السوداء	إيليس كاشمور	أحمد محمود
١٧٥-	التلفزيون في الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦-	نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تينتيرج	جلال البنا
١٧٧-	أنطون تشيخوف	هنرى تروايا	حصه إبراهيم المنيف
١٧٨-	مختارات من الشعر اليوناني الحديث	نخبة من الشعراء	محمد حمدي إبراهيم
١٧٩-	حكايات أيسوب (قصص أطفال)	أيسوب	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠-	قصة جاويد (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
١٨١-	الله الذي الأمريكي من الثلاثين إلى الثلاثين	فنسنت ب. ليتش	محمد يحيى
١٨٢-	العنف والنبوة (شعر)	وج. بيتس	ياسين طه حافظ
١٨٣-	جان كوكو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	فتحي العشري
١٨٤-	القاهرة: حالة لا تنام	هانز إيندورفر	دسوقي سعيد
١٨٥-	أسفار العهد القديم في التاريخ	توماس تومسن	عبد الوهاب علوب
١٨٦-	معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنوود	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧-	الأرضة (رواية)	بُزرج علوى	محمد علاء الدين منصور
١٨٨-	موت الأدب	ألفين كرتان	بدر الديب

- ١٨٩- للمسى والبصيرة مقالات فى بلاغة النقد المعاصر بول دى مان سعيد القانمى
- ١٩٠- محاورات كونفوشيوس كونفوشيوس محسن سيد فرجاني
- ١٩١- الكلام رأسمال وقصص أخرى الحاج أبو بكر إمام وآخرون مصطفى حجازى السيد
- ١٩٢- سياحت نامه إبراهيم بك (ج١) زين العابدين الراغى محمود علاوى
- ١٩٣- عامل المنجم (رواية) بيتر أبراهامز محمد عبد الواحد محمد
- ١٩٤- مختارات من النقد الانجلو-أمريكى الحديث مجموعة من النقاد ماهر شفيق فريد
- ١٩٥- شتاء ٨٤ (رواية) إسماعيل فصيح محمد علاء الدين منصور
- ١٩٦- المهلة الأخيرة (رواية) فالتين راسبوتين أشرف الصباغ
- ١٩٧- سيرة الفاروق شمس العلماء شبلى النعمانى جلال السعيد الحفناوى
- ١٩٨- الاتصال الجماهيرى إدوين إمري وآخرون إبراهيم سلامة إبراهيم
- ١٩٩- تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية يعقوب لاندائو جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
- ٢٠٠- ضحايا التنمية: المقاومة والبدائل جيرمى سبيروك فخزى ليب
- ٢٠١- الجانب البنى الفلسفة جوزايا رويس أحمد الأنصارى
- ٢٠٢- تاريخ النقد الأدبى الحديث (ج١) رينيه ويليك مجاهد عبد المنعم مجاهد
- ٢٠٣- الشعر والشاعرية أطفاف حسين حالى جلال السعيد الحفناوى
- ٢٠٤- تاريخ نقد العهد القديم زالمان شازار أحمد هويدى
- ٢٠٥- الجينات والشعوب واللغات لويجى لوقا كافاللى - سفورزا أحمد مستجير
- ٢٠٦- الهيوالية تصنع علماً جيداً جيمس جلايك على يوسف على
- ٢٠٧- ليل أفريقى (رواية) رامون خوتاسنديز محمد أبو العطا
- ٢٠٨- شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى دان أوربان محمد أحمد صالح
- ٢٠٩- المسرح والمسرح مجموعة من المؤلفين أشرف الصباغ
- ٢١٠- مثنويات حكيم مثنائى (شعر) سنائى الغزنوى يوسف عبد الفتاح فرج
- ٢١١- قربينان دوسوسير جوناتان كلار محمود حمدى عبد القنى
- ٢١٢- قصص الأمير مرزيان على لسان الحولان مرزيان بن رستم بن شروين يوسف عبدالفتاح فرج
- ٢١٣- مصر منذ قوم تابليون حتى رحيل عبدالناصر ريمون فلاور سيد أحمد على الناصرى
- ٢١٤- قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع أنتونى جيندز محمد محبى الدين
- ٢١٥- سياحت نامه إبراهيم بك (ج٢) زين العابدين الراغى محمود علاوى
- ٢١٦- جوانب أخرى من حياتهم مجموعة من المؤلفين أشرف الصباغ
- ٢١٧- مسرحيتان طليعيتان صمويل بيكيت وهارولد بيتتر نادية البنهاوى
- ٢١٨- لعبة الحجلة (رواية) خوليو كورتاتان على إبراهيم منوفى
- ٢١٩- بقايا اليوم (رواية) كازو إيشجورو طلعت الشايب
- ٢٢٠- الهيوالية فى الكون بارى باركر على يوسف على
- ٢٢١- شعرية كفافى جريجورى جوزدانيس رفعت سلام
- ٢٢٢- فرانز كافكا رونالد جراى نسيم مجلى
- ٢٢٣- العلم فى مجتمع حر باول فيرابند السيد محمد نقادى
- ٢٢٤- نمار يوغسلافيا برانكا ماجاس منى عبدالظاهر إبراهيم
- ٢٢٥- حكاية غريق (رواية) جابريل جارشيا ماركيث السيد عبدالظاهر السيد
- ٢٢٦- أرض المساء وقصائد أخرى بيفيد هريت لورانس طاهر محمد على البريزى

السيد عبدالظاهر عبدالله	خوسيه مارييا ديث بوركي	المسرح الإسباني في القرن السابع عشر	٢٢٧-
ماري تيريز عبدالسيح وخالد حسن	جانيت وولف	علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	٢٢٨-
أمير إبراهيم العمري	نورمان كيغان	مازق البطل الوحيد	٢٢٩-
مصطفى إبراهيم فهمي	فرانسواز جاكوب	عن الذباب والفئران والبشر	٢٣٠-
جمال عبدالرحمن	خايمي سالوم بيدال	الرافيل أو الجيل الجديد (مسرحية)	٢٣١-
مصطفى إبراهيم فهمي	توم ستونير	ما بعد المطومات	٢٣٢-
طلعت الشايب	أرثر هيرمان	فكرة الاضمحلال في التاريخ الغربي	٢٣٣-
فؤاد محمد عكود	ج. سينسر تريمنجهام	الإسلام في السودان	٢٣٤-
إبراهيم الدسوقي شتا	مولانا جلال الدين الرومي	ديوان شمس تبريزي (ج١)	٢٣٥-
أحمد الطيب	ميشيل شوكيفيتش	الولاية	٢٣٦-
عتايات حسين طلعت	روبين فيدين	مصر أرض الوادي	٢٣٧-
ياسر محمد جادالله وعيسى مديولي أحمد	تقرير لمنظمة الأنكتاد	العولة والتحرير	٢٣٨-
نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق	جيلا راماز - رايوخ	العربي في الألب الإسرائيلي	٢٣٩-
صلاح محجوب إدريس	كاي حافظ	الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	٢٤٠-
ابتهسام عبدالله	ج. م. كوتزي	في انتظار البرابرة (رواية)	٢٤١-
صبري محمد حسن	وليام إميسون	سبعة أنماط من الغموض	٢٤٢-
ياشراقذ صلاح فضل	ليفى بروفنسال	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١)	٢٤٣-
نادية جمال الدين محمد	لورا إسكييل	الظيان (رواية)	٢٤٤-
توفيق علي منصور	إليزابيتا أنيس وآخرون	نساء مقاتلات	٢٤٥-
علي إبراهيم منوفي	جابريل جارتيا ماركيت	مختارات قصصية	٢٤٦-
محمد طارق الشرقاوي	والتر أرمبرست	الثقافة الجماهيرية والحدائق في مصر	٢٤٧-
عبداللطيف عبداللطيم	أنطونيو جالا	حقول عن الخضراء (مسرحية)	٢٤٨-
رفعت سلام	نراجو شتامبوك	لغة التمزق (شعر)	٢٤٩-
ماجدة محسن أباطة	نومنيك فيتك	علم اجتماع العلوم	٢٥٠-
ياشراقذ محمد الجوهري	جوردون مارشال	موسوعة علم الاجتماع (ج٢)	٢٥١-
علي بدران	مارجو بدران	رائدات الحركة النسوية المصرية	٢٥٢-
حسن بيومي	ل. أ. سيمينوفا	تاريخ مصر الفاطمية	٢٥٣-
إمام عبد الفتاح إمام	ديف روينسون وجودي جروفز	أقدم لك: الفلسفة	٢٥٤-
إمام عبد الفتاح إمام	ديف روينسون وجودي جروفز	أقدم لك: أفلاطون	٢٥٥-
إمام عبد الفتاح إمام	ديف روينسون وكريس جارات	أقدم لك: نيكارت	٢٥٦-
محمود سيد أحمد	وليم كلي رايت	تاريخ الفلسفة الحديثة	٢٥٧-
عبادة كحيلة	سير أنجوس فريزر	الفجر	٢٥٨-
فاروجان كازانجيان	نخبة	مختارات من الشعر الأرمني عبر العصور	٢٥٩-
ياشراقذ محمد الجوهري	جوردون مارشال	موسوعة علم الاجتماع (ج٢)	٢٦٠-
إمام عبد الفتاح إمام	زكي نجيب محمود	رحلة في فكر زكي نجيب محمود	٢٦١-
محمد أبو العطا	إيواردو مندوتا	مدينة المعجزات (رواية)	٢٦٢-
علي يوسف علي	جون جرين	الكشف عن حافة الزمن	٢٦٣-
لويس عوض	هوراس وشلبي	إبداعات شعرية مترجمة	٢٦٤-

أوسكار وايلد وصمويل جونسون	روايات مترجمة	٢٦٥-
جلال آل أحمد	مدير المدرسة (رواية)	٢٦٦-
ميلان كونديرا	فن الرواية	٢٦٧-
مولانا جلال الدين الرومي	ديوان شمس تبریزی (ج٢)	٢٦٨-
وليم جيفور بالجريف	وسط الجزيرة العربية وشرقها (ج١)	٢٦٩-
وليم جيفور بالجريف	وسط الجزيرة العربية وشرقها (ج٢)	٢٧٠-
توماس سى. باترسون	الحضارة الغربية: الفكرة والتاريخ	٢٧١-
سى. سى. والترز	الأديرة الأثرية فى مصر	٢٧٢-
جوان كول	الأمم الاجتماعية والثقافية لمرحلة عرابى فى مصر	٢٧٣-
رومولو جاييجوس	السيدة باربارا (رواية)	٢٧٤-
مجموعة من النقاد	د. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	٢٧٥-
مجموعة من المؤلفين	فنون السينما	٢٧٦-
براين فورد	الحيئات والصراع من أجل الحياة	٢٧٧-
إسحاق عظيموف	البدایات	٢٧٨-
ف. س. سوندرز	الحرب الباردة الثقافية	٢٧٩-
بريم شند وآخرون	الأم والنصيب وقصص أخرى	٢٨٠-
عبد الحليم شرر	الفردوس الأعلى (رواية)	٢٨١-
لويس وولبرت	طبيعة العلم غير الطبيعية	٢٨٢-
خوان رولفو	السهل يحترق وقصص أخرى	٢٨٣-
يوريبيديس	هرقل مجنوناً (مسرحية)	٢٨٤-
حسن نظامى الدهلوى	رحلة خواجه حسن نظامى الدهلوى	٢٨٥-
زين العابدين المراعى	سياحت نامه إبراهيم بك (ج٢)	٢٨٦-
أنتونى كنج	الثقافة والعولة والنظام العالمى	٢٨٧-
ديفيد لودج	الفن الروائى	٢٨٨-
أبو نجم أحمد بن قوص	ديوان منوچهرى الدامغانى	٢٨٩-
جورج مونان	علم اللغة والترجمة	٢٩٠-
فرانتشيسكو رويس رامون	تاريخ المسرح الإسباني فى القرن العشرين (ج١)	٢٩١-
فرانتشيسكو رويس رامون	تاريخ المسرح الإسباني فى القرن العشرين (ج٢)	٢٩٢-
روجر آلن	مقدمة للأدب العربى	٢٩٣-
يوالو	فن الشعر	٢٩٤-
جوزيف كامبل وبيل موريز	سلطان الأسطورة	٢٩٥-
وليم شكسبير	مكبث (مسرحية)	٢٩٦-
ديونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوازى	فن النحو بين اليونانية والسريانية	٢٩٧-
نخبة	مأساة العبيد وقصص أخرى	٢٩٨-
جين ماركس	ثورة فى التكنولوجيا الحيوية	٢٩٩-
لويس عوض	أسطورة بروتيفيس فى الأدب الإنجليزي والفرنسى (ج١)	٣٠٠-
لويس عوض	أسطورة بروتيفيس فى الأدب الإنجليزي والفرنسى (ج٢)	٣٠١-
جون هيتون وجودى جروفز	أقدم لك: فنجنشتين	٣٠٢-
لويس عوض		
عادل عبدالمنعم على		
بدر الدين عرويكى		
إبراهيم الدسوقي شتا		
صبرى محمد حسن		
صبرى محمد حسن		
شوقى جلال		
إبراهيم سلامة إبراهيم		
عنان الشهاوى		
محمود على مكى		
ماهر شفيق فريد		
عبدالقادر التلمسانى		
أحمد فوزى		
ظريف عبدالله		
طلعت الشايب		
سمير عبدالحميد إبراهيم		
جلال الحفناوى		
سمير حنا صادق		
على عبد الرعوف البمبى		
أحمد عثمان		
سمير عبد الحميد إبراهيم		
محمود علاوى		
محمد يحيى وآخرون		
ماهر البطوطى		
محمد نور الدين عبدالمنعم		
أحمد زكريا إبراهيم		
السيد عبد الظاهر		
السيد عبد الظاهر		
مجدى توفيق وآخرون		
رجاء ياقوت		
بدر الديب		
محمد مصطفى بدوى		
ماجدة محمد أنور		
مصطفى حجازى السيد		
هاشم أحمد محمد		
جمال الجزيرى ودياء چاهين وإيزابيل كمال		
جمال الجزيرى و محمد الجندى		
إمام عبد الفتاح إمام		

٢٠٢-	أقدم لك: بوذا	جين هوب ويورن فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٢٠٤-	أقدم لك: ماركس	ريوس	إمام عبد الفتاح إمام
٢٠٥-	الجلد (رواية)	كروزيو مالابارته	صلاح عبد الصبور
٢٠٦-	الحماسة: النقد الكانطي للتاريخ	جان فرانسوا ليوتار	نبيل سعد
٢٠٧-	أقدم لك: الشعور	ديفيد بابينو وهوارد سليفنا	محمود مكي
٢٠٨-	أقدم لك: علم الوراثة	ستيف جونز ويورن فان لو	ممدوح عبد المنعم
٢٠٩-	أقدم لك: الذهن والمخ	أنجوس جيلاتي وأوسكار زاريت	جمال الجزيري
٢١٠-	أقدم لك: يونج	ماجى هايد ومايكل ماكجنس	محيى الدين مزيد
٢١١-	مقال فى المنهج الفلسفى	ر-ج كوانجورد	فاطمة إسماعيل
٢١٢-	روح الشعب الأسود	وليم دييوس	أسعد حليم
٢١٣-	أمثال فلسطينية (شعر)	خاير بيان	محمد عبدالله الجعدي
٢١٤-	مارسيل نوشامب: الفن كعدم	جانيس مينيك	هويدا السباعي
٢١٥-	جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو والطاهر لبيب	كاسيليا صبحي
٢١٦-	محاكمة سقراط	أى. ف. ستون	نسيم مجلى
٢١٧-	بلا غد	س. شير لانموفا- س. زنيكين	أشرف الصباغ
٢١٨-	الأب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٩-	صور نريدا	جايتري اسيففاك وكريستوفر نوريس	حسام نايل
٢٢٠-	لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	محمد علاء الدين منصور
٢٢١-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ج ١)	ليفى برو فنتسال	باشراف: صلاح فضل
٢٢٢-	وجهات نظر حبيبة فى تاريخ الفن العربى	دليو يوجين كلينباور	خالد مقلح حمزة
٢٢٣-	فن الساتورا	تراث يوناني قديم	هانم محمد فوزى
٢٢٤-	اللعب بالنار (رواية)	أشرف أسدى	محمود علاوى
٢٢٥-	عالم الآثار (رواية)	فيليب بوسان	كريستين يوسف
٢٢٦-	المعرفة والمصلحة	يورجين هايرماس	حسن صقر
٢٢٧-	مختارات شعرية مترجمة (ج ١)	نخبة	توفيق على منصور
٢٢٨-	يوسف وزليخا (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٢٢٩-	رسائل عيد الميلاد (شعر)	تد هيوز	محمد عيد إبراهيم
٢٣٠-	كل شيء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	سامى صلاح
٢٣١-	عندما جاء السريين وقصص أخرى	ستيفن جراى	سامية دياب
٢٣٢-	شهر العسل وقصص أخرى	نخبة	على إبراهيم متوفى
٢٣٣-	الإسلام فى بريطانيا من ١٥٥٨-١٦٨٥	نبيل مطر	يكر عباس
٢٣٤-	لقطات من المستقبل	أرثر كلارك	مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٥-	عصر الشك: دراسات عن الرواية	ناتالى ساروت	فتحى العشرى
٢٣٦-	متون الأهرام	نصوص مصرية قديمة	حسن صابر
٢٣٧-	فلسفة الولاء	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٢٣٨-	نظرات حائرة وقصص أخرى	نخبة	جلال الحفناوى
٢٣٩-	تاريخ الأدب فى إيران (ج ٢)	إلوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٢٤٠-	اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربروجلو	فخرى لبيب

٢٤١-	قصائد من رلكه (شعر)	راينر ماريا رلكه	حسن حلمي
٢٤٢-	سلامان وأبسال (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجاسي	عبد العزيز بقوش
٢٤٣-	العالم البرجوازي الزائل (رواية)	نادين جورديمر	سمير عبد ربه
٢٤٤-	الموت في الشمس (رواية)	بيتر بالانجيو	سمير عبد ربه
٢٤٥-	الركض خلف الزمان (شعر)	بونه ندائي	يوسف عبد الفتاح فرج
٢٤٦-	سحر مصر	رشاد رشدي	جمال الجزيري
٢٤٧-	الصبيبة الطائشون (رواية)	جان كوكتر	بكر الطوق
٢٤٨-	المتصوفة الأولون في الأدب التركي (ج١)	محمد فؤاد كويريلي	عبدالله أحمد إبراهيم
٢٤٩-	دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	أرثر والدهورن وآخرون	أحمد عمر شاهين
٢٥٠-	يانورا ما الحياة السياحية	مجموعة من المؤلفين	عطية شحاتة
٢٥١-	مبادئ المنطق	جوزايا روس	أحمد الانتصاري
٢٥٢-	قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	نعيم عطية
٢٥٣-	الفن الإسلامي في الأندلس: الزخرفة الهندسية	باسيليو بايون مالدونانو	على إبراهيم منوفي
٢٥٤-	الفن الإسلامي في الأندلس: الزخرفة النباتية	باسيليو بايون مالدونانو	على إبراهيم منوفي
٢٥٥-	التيارات السياسية في إيران المعاصرة	حجت مرتجى	محمود علاوي
٢٥٦-	الميراث المر	بول سالم	بدر الرفاعي
٢٥٧-	متون هرمس	تيموثي فريك وبيتر غاندي	عمر الفاروق عمر
٢٥٨-	أمثال الهوسا العامة	نخبة	مصطفى حجازي السيد
٢٥٩-	محاورة يارمنديس	أفلاطون	حبيب الشاروني
٢٦٠-	أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ليلي الشرييني
٢٦١-	التصحر: التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	عاطف معتمد وآمال شاور
٢٦٢-	تلميذ بابنبرج (رواية)	هاينرش شبورل	سيد أحمد فتح الله
٢٦٣-	حركات التحرير الأفريقية	ريتشارد جيبسون	صبري محمد حسن
٢٦٤-	حدائق شكسبير	إسماعيل سراج الدين	نجلاء أبو عجاج
٢٦٥-	سأم باريس (شعر)	شارل بودلير	محمد أحمد حمد
٢٦٦-	نساء يركضن مع القناب	كلاريسا بنكولا	مصطفى محمود محمد
٢٦٧-	القلم الجريء	مجموعة من المؤلفين	البراق عبدالهادي رضا
٢٦٨-	المصطلح السردى: معجم مصطلحات	جيرالد برنس	عابد خزندار
٢٦٩-	المرأة في أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوي	فوزية العشماوي
٢٧٠-	الفن والحياة في مصر الفرعونية	كليلا لويت	فاطمة عبدالله محمود
٢٧١-	المتصوفة الأولون في الأدب التركي (ج٢)	محمد فؤاد كويريلي	عبدالله أحمد إبراهيم
٢٧٢-	عاش الشباب (رواية)	وانغ مينغ	وحيد السعيد عبدالحميد
٢٧٣-	كيف تعد رسالة دكتوراه	أومبرتو إيكو	على إبراهيم منوفي
٢٧٤-	اليوم السادس (رواية)	أندريه شديد	حمادة إبراهيم
٢٧٥-	الظود (رواية)	ميلان كونديرا	خالد أبو اليزيد
٢٧٦-	الغضب وأحلام السنن (مسرحيات)	جان أنوي وآخرون	إيوار الغراط
٢٧٧-	تاريخ الأدب في إيران (ج٤)	إيوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٢٧٨-	المسافر (شعر)	محمد إقبال	يوسف عبدالفتاح فرج

جمال عبدالرحمن	سنيل باث	٢٧٩- ملك في الحقيقة (رواية)
شيرين عبدالسلام	جوتتر جراس	٢٨٠- حديث عن الخسارة
رانيا إبراهيم يوسف	ر. ل. تراسك	٢٨١- أساسيات اللغة
أحمد محمد نادی	بهاء الدين محمد إسفنديار	٢٨٢- تاريخ طبرستان
سمير عبدالحميد إبراهيم	محمد إقبال	٢٨٣- هدية الحجاز (شعر)
إيزابييل كمال	سوزان إنجيل	٢٨٤- القصص التي يحكيها الأطفال
يوسف عبدالفتاح فرج	محمد علي بهزادراد	٢٨٥- مشترى العشق (رواية)
ريهام حسين إبراهيم	جانيت تود	٢٨٦- دفاعاً عن التاريخ الأدبي النسوي
بهاء جاهين	چون دن	٢٨٧- أغنيات وسوناتات (شعر)
محمد علاء الدين منصور	سعدى الشيرازى	٢٨٨- مواعد سعدى الشيرازى (شعر)
سمير عبدالحميد إبراهيم	نخبة	٢٨٩- تقاهم وقصص أخرى
عثمان مصطفى عثمان	إم. قى. روبرتس	٢٩٠- الأرشيقات والمجن الكبرى
منى البرويى	مايف بينشى	٢٩١- الحافلة الليككية (رواية)
عبداللطيف عبدالطيم	فرناندو دي لاجرانجا	٢٩٢- مقامات ورسائل أندلسية
زينب محمود الخضيرى	نوة لويس ماسينيون	٢٩٣- فى قلب الشرق
هاشم أحمد محمد	بول ديفيز	٢٩٤- القوى الأربع الأساسية فى الكون
سليم عبد الأمير حمدان	إسماعيل فصيح	٢٩٥- آلام سياوش (رواية)
محمود علاوى	تقى نجارى راد	٢٩٦- السافاك
إمام عبدالفتاح إمام	لورانس جين وكيلى شين	٢٩٧- أقدم لك: نيتشه
إمام عبدالفتاح إمام	فيليب تودى وهوارد ريد	٢٩٨- أقدم لك: سارتر
إمام عبدالفتاح إمام	ديفيد ميروفتش وآلن كوركس	٢٩٩- أقدم لك: كامى
باهر الجوهري	ميشائيل إنده	٤٠٠- مومو (رواية)
ممدوح عبد المنعم	زياوون ساربر وأخرون	٤٠١- أقدم لك: علم الرياضيات
ممدوح عبدالمنعم	ج. ب. ماك إيفوى وأوسكار زاريت	٤٠٢- أقدم لك: ستيفن هوكينج
عماد حسن بكر	تودور شتورم وجوتفرد كولر	٤٠٣- ربة المطر والملابس تصنع الناس (روايتن)
ظبية خميس	ديفيد إبرام	٤٠٤- تعويذة الصنى
حمادة إبراهيم	أنثريه جيد	٤٠٥- إيزابييل (رواية)
جمال عبد الرحمن	مانويلا مانتاناريس	٤٠٦- المستعربون الإسبان فى القرن ١٩
طلعت شاهين	مجموعة من المؤلفين	٤٠٧- الأدب الإسباني المعاصر بأقلام كتابه
عنان الشهاوى	جوان فوشركنج	٤٠٨- معجم تاريخ مصر
إلهامى عمارة	برتراند راسل	٤٠٩- انتصار السعادة
الزواوى بوفرة	كارل بوير	٤١٠- خلاصة القرن
أحمد مستجير	جينيفر أكرمان	٤١١- همس من الماضى
ياشرافة صلاح فضل	ليفى بروفنسال	٤١٢- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ج ٢)
محمد البخارى	ناظم حكمت	٤١٣- أغنيات المنفى (شعر)
أمل الصبان	باسكال كازانوفا	٤١٤- الجمهورية العالمية للأدب
أحمد كامل عبدالرحيم	فريدريش هورينمات	٤١٥- صورة كوكب (مسرحية)
محمد مصطفى بدوى	أ. أ. رتشاردز	٤١٦- مبادئ النقد الأدبي والطم والشعر

٤١٧-	تاريخ النقد الألبى الحديث (ج٥)	رينيه ويليك	مجاهد عبدالمنعم مجاهد
٤١٨-	سياسات الزمر الحاكمة فى مصر العثمانية	جين هاثواى	عبد الرحمن الشيخ
٤١٩-	العصر الذهبى للإسكندرية	جون مارلو	نسيم مجلى
٤٢٠-	مكرو ميجاس (قصة فلسفية)	قواتير	الطيب بن رجب
٤٢١-	الولاء والقيادة فى المجتمع الإسلامى الأول	روى متحدة	أشرف كيلانى
٤٢٢-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (ج١)	ثلاثة من الرحالة	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٤٢٣-	إسمراءات الرجل الطيف	نخبة	وحيد النقاش
٤٢٤-	لوانح الحق ولوامع العشق (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامى	محمد علاء الدين منصور
٤٢٥-	من طاووس إلى فرح	محمود طلوعى	محمود علاوى
٤٢٦-	الخفافيش وقصص أخرى	نخبة	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧-	بانديراس الطاغية (رواية)	باى إنكلان	ثريا شلبى
٤٢٨-	الخزانة الخفية	محمد هوتك بن داود خان	محمد أمان صافى
٤٢٩-	أقدم لك: هيجل	ليود سينسر وأندرجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٠-	أقدم لك: كانط	كرستوفر وانت وأندرجى كليموفسكى	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣١-	أقدم لك: فوكو	كريس هوروكس وزوران جفتيك	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٢-	أقدم لك: ماكياقللى	ياتريك كيرى وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٣-	أقدم لك: جويس	ديفيد نوريس وكارل قلنت	حمدي الجابرى
٤٣٤-	أقدم لك: الرومانسية	دونكان هيث وجودى بورهام	عصام حجازى
٤٣٥-	توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زيربرج	ناجى رشوان
٤٣٦-	تاريخ الفلسفة (مج١)	فريدريك كويلستون	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٧-	رحالة هندي فى بلاد الشرق العربى	شبللى النعمانى	جلال الحفناوى
٤٣٨-	بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بييرس	عايدة سيف الدولة
٤٣٩-	موت المراهبى (رواية)	صدر الدين عيسى	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠-	قواعد اللهجات العربية الحديثة	كرستن بروستاد	محمد طارق الشرقاوى
٤٤١-	رب الأشياء الصغيرة (رواية)	أروناتى روى	فخرى لبيب
٤٤٢-	حتشبسوت: المرأة الفرعونية	فوزية أسعد	ماهر جويجاتى
٤٤٣-	اللغة العربية: تاريخها ومستوياتها وتأثيرها	كيس فرستينغ	محمد طارق الشرقاوى
٤٤٤-	أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة	لوريت سيجورنه	صالح علمانى
٤٤٥-	حول وزن الشعر	پرويز نائل خانلرى	محمد محمد يونس
٤٤٦-	التحالف الأسود	ألكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كلير	أحمد محمود
٤٤٧-	أقدم لك: نظرية الكم	ج. پ. ماك إيڤوى وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٨-	أقدم لك: علم نفس التطور	ديلان إيفانز وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٩-	أقدم لك: الحركة النسوية	نخبة	جمال الجزيرى
٤٥٠-	أقدم لك: ما بعد الحركة النسوية	صوفيا فوكا وريبيكا رايت	جمال الجزيرى
٤٥١-	أقدم لك: الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن ويورن فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢-	أقدم لك: لينين والثورة الروسية	ريتشارد إيجينانزى وأوسكار زاريت	محيى الدين مزيد
٤٥٣-	القاهرة: إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤-	خمسون عاماً من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	سوزان خليل

٤٥٥-	تاريخ الفلسفة الحديثة (مج ٥)	فريدريك كويلستون	محمود سيد أحمد
٤٥٦-	لا تتسنى (رواية)	مريم جعفرى	هويدا عزت محمد
٤٥٧-	النساء فى الفكر السياسى الغربى	سوزان مولر أوكين	إمام عبدالفتاح إمام
٤٥٨-	الموريسكيون الأندلسيون	مرثيديس غارثيا أرينال	جمال عبد الرحمن
٤٥٩-	نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيفتيرج	جلال البنا
٤٦٠-	أقدم لك: الفاشية والنازية	ستوارت هود وليتزا جانستز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦١-	أقدم لك: لكان	داريان ليدر وجودى جروفز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦٢-	طه حسين من الأزهر إلى السوربون	عبدالرشيد الصائق محمودى	عبدالرشيد الصائق محمودى
٤٦٣-	الدولة المارقة	ويليام بلوم	كمال السيد
٤٦٤-	ديمقراطية للقلة	مايكل بارنتى	حصه إبراهيم المنيف
٤٦٥-	قصص اليهود	لويس جنزبيرج	جمال الرفاعى
٤٦٦-	حكايات حب ويطولات فرعونية	فيولين فانويك	فاطمة عبد الله
٤٦٧-	التفكير السياسى والنظرة السياسية	ستيفين ديلاو	ربيع وهبة
٤٦٨-	روح الفلسفة الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٤٦٩-	جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	مجدى عبدالرازق
٤٧٠-	الأراضى والجودة البيئية	جارى م. بيرزتمسكى وآخرون	محمد السيد التة
٤٧١-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (ج ٢)	ثلاثة من الرحالة	عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٧٢-	نون كيوخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثرياتس سايدرا	سليمان العطار
٤٧٣-	نون كيوخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثرياتس سايدرا	سليمان العطار
٤٧٤-	الأدب والنسوية	بام موريس	سهام عبدالسلام
٤٧٥-	صوت مصر: أم كلثوم	فرجينيا دانيلسون	عادل هلال عنانى
٤٧٦-	أرض الحباب بعيدة: يوم التونسى	ماريلين بوث	سحر توفيق
٤٧٧-	تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين	هيلدا هوخام	أشرف كيلانى
٤٧٨-	الصين والولايات المتحدة	ليوشيه شنج و لى شى تونج	عبد العزيز حمدي
٤٧٩-	المقهى (مسرحية)	لاو شه	عبد العزيز حمدي
٤٨٠-	تساي ون جى (مسرحية)	كو مو روا	عبد العزيز حمدي
٤٨١-	بردة النبى	روى متحدة	رضوان السيد
٤٨٢-	موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير جاك تيو	فاطمة عبد الله
٤٨٣-	النسوية وما بعد النسوية	سارة چامبل	أحمد الشامى
٤٨٤-	جمالية التلقى	هانسن روبيرت يالوس	رشيد بنحو
٤٨٥-	التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٦-	الذاكرة الحضارية	يان أسمن	عبدالطيم عبدالقنى رجب
٤٨٧-	الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد أبادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٨-	الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٩-	هُسُرُل: الفلسفة علماً دقيقاً	إدموند هُسُرُل	محمود رجب
٤٩٠-	أسعار البيفاء	محمد قاسرى	عبد الوهاب علوب
٤٩١-	نصوص قصصية من روائع الأدب الأفرقى	نخبة	سمير عبد ربه
٤٩٢-	محمد على مؤسس مصر الحديثة	جى فارجيت	محمد رفعت عواد

٤٩٣-	خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد بالمر	محمد صالح الضالع
٤٩٤-	كتاب الموتى: الخروج في النهار	نصوص مصرية قديمة	شريف الصيفي
٤٩٥-	اللوي	إيوارد تيفان	حسن عبد ربه المصري
٤٩٦-	الحكم والسياسة في أفريقيا (ج١)	إكوانو بانولي	مجموعة من المترجمين
٤٩٧-	الطمانية والنوع والدولة في الشرق الأوسط	نادية العلي	مصطفى رياض
٤٩٨-	النساء والنوع في الشرق الأوسط الحديث	جوديث تاكر ومارجريت مريودز	أحمد على بدوي
٤٩٩-	تقاطعات: الأمة والمجتمع والنوع	مجموعة من المؤلفين	فيصل بن خضراء
٥٠٠-	في طفولتي: دراسة في السيرة الذاتية العربية	تيتز رووكي	طلعت الشايب
٥٠١-	تاريخ النساء في الغرب (ج١)	آرثر جولد هامر	سحر فراج
٥٠٢-	أصوات بديلة	مجموعة من المؤلفين	هالة كمال
٥٠٣-	مختارات من الشعر الفارسي الحديث	نخبة من الشعراء	محمد نور الدين عبد المنعم
٥٠٤-	كتابات أساسية (ج١)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٥-	كتابات أساسية (ج٢)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٦-	ربما كان قديماً (رواية)	آن تيلر	عبد الحميد فهمي الجمال
٥٠٧-	سيدة الماضي الجميل (مسرحية)	بيتر شيفر	شوقي فهمي
٥٠٨-	المولوية بعد جلال الدين الرومي	عبد الباقي جلبنارلي	عبد الله أحمد إبراهيم
٥٠٩-	الفقر والإصمان في عصر سلاطين المماليك	آدم صبرة	قاسم عبده قاسم
٥١٠-	الأرملة الماكرة (مسرحية)	كارلو جولونوني	عبد الرزاق عيد
٥١١-	كوكب مرقع (رواية)	آن تيلر	عبد الحميد فهمي الجمال
٥١٢-	كتابة النقد السينمائي	تيموثي كوريغان	جمال عبد الناصر
٥١٣-	العلم الجسور	تيد أنتون	مصطفى إبراهيم فهمي
٥١٤-	مدخل إلى النظرية الأدبية	جونثان كولر	مصطفى بيومي عبد السلام
٥١٥-	من التقليد إلى ما بعد الحداثة	فدوى مالطي بوجلاس	فدوى مالطي بوجلاس
٥١٦-	إرادة الإنسان في علاج الإدمان	آرنولد واشنطن وبونا باوندي	صبري محمد حسن
٥١٧-	نقش على الماء وقصص أخرى	نخبة	سمير عبد الحميد إبراهيم
٥١٨-	استكشاف الأرض والكون	إسحق عظيموف	هاشم أحمد محمد
٥١٩-	محاضرات في المثالية الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصاري
٥٢٠-	الولع الفرنسي بمصر من نظم إلى المشروع	أحمد يوسف	أمل الصبان
٥٢١-	قاموس تراجم مصر الحديثة	آرثر جولد سميث	عبد الوهاب بكر
٥٢٢-	إسبانيا في تاريخها	أميركو كاسترو	علي إبراهيم منوفي
٥٢٣-	الفن الطليطلي الإسلامي والمدجن	باسيليو بابون مالدونادو	علي إبراهيم منوفي
٥٢٤-	الملك لير (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوي
٥٢٥-	موسم صيد في بيروت وقصص أخرى	دنيس جونسون	نادية رفعت
٥٢٦-	أقدم لك: السياسة البيئية	ستيفن كروول ووليم رانكين	محيي الدين مزيد
٥٢٧-	أقدم لك: كافكا	بيفيد زين ميروفتس وروبرت كرمب	جمال الجزيري
٥٢٨-	أقدم لك: تروتسكي والماركسية	طارق علي وغل إيفانز	جمال الجزيري
٥٢٩-	بدائع العلامة إقبال في شعره الأردني	محمد إقبال	حازم محفوظ وحسين نجيب المصري
٥٣٠-	مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر

٥٢١-	ما الذي حدث في «حدث» ١١ سبتمبر؟	چاك نريدا	صفاء فتحي
٥٢٢-	المغامر والمستشرق	هنري لورنس	بشير السباعي
٥٢٣-	تعلم اللغة الثانية	سوزان جاس	محمد طارق الشرقاوي
٥٢٤-	الإسلاميون الجزائريون	سيفرين لوبا	حمادة إبراهيم
٥٢٥-	مخزن الأسرار (شعر)	نظامي الكتجوي	عبدالعزیز بقوش
٥٢٦-	الثقافات وقيم التقدم	صمويل منتجتون ولورانس هاريزون	شوقي جلال
٥٢٧-	الحب والحرية (شعر)	نخبة	عبدالفار مكاوي
٥٢٨-	النفس والآخر في قصص يوسف الشاروني	كيت دانيلز	محمد الحديدي
٥٢٩-	خمسة مسرحيات قصيرة	كاريل تشرشل	محسن مصيلحي
٥٣٠-	توجهات بريطانية - شرقية	السير رونالد ستورس	رؤف عباس
٥٣١-	هي تتخيل وهالوس أخرى	خوان خوسيه مياس	مروة رزق
٥٣٢-	قصص مختارة من الأدب اليوناني الحديث	نخبة	نعيم عطية
٥٣٣-	أقدم لك: السياسة الأمريكية	باتريك بروجان وكريس جرات	وفاء عبدالقادر
٥٣٤-	أقدم لك: ميلاني كلاين	روبرت هنشل وآخرون	حمدي الجابري
٥٣٥-	يا له من سباق محموم	فرانسيس كريك	عزت عامر
٥٣٦-	ريموس	ت. ب. وايزمان	توفيق علي منصور
٥٣٧-	أقدم لك: بارت	فيليب تودي وأن كورس	جمال الجزيري
٥٣٨-	أقدم لك: علم الاجتماع	ريتشارد أوزيرين ويورن فان لون	حمدي الجابري
٥٣٩-	أقدم لك: علم العلامات	بول كويلي وليتا جانتز	جمال الجزيري
٥٤٠-	أقدم لك: شكسبير	نيك جروم وبيرو	حمدي الجابري
٥٤١-	الموسيقى والعولمة	سايمون ماندي	سمحة الخولي
٥٤٢-	قصص مثالية	ميجيل دي ثريانتس	علي عبد الرؤف البمبي
٥٤٣-	مدخل للشعر الفرنسي الحديث والمعاصر	دانيال لوفرس	رجاء ياقوت
٥٤٤-	مصر في عهد محمد علي	عفاف لطفى السيد مارسوه	عبدالسميع عمر زين الدين
٥٤٥-	الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادي والعشرين	أناتولي أوتكين	أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالي
٥٤٦-	أقدم لك: جان بودريار	كريس هوروكس وزوران جيفتك	حمدي الجابري
٥٤٧-	أقدم لك: الماركيز دي ساد	ستوارت هود وجراهام كرولي	إمام عبدالفتاح إمام
٥٤٨-	أقدم لك: الدراسات الثقافية	زيو دين سارداروويورين فان لون	إمام عبدالفتاح إمام
٥٤٩-	الماس الزائف (رواية)	تشا تشاجي	عبدالحى أحمد سالم
٥٥٠-	صلصلة الجرس (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوي
٥٥١-	جناح جبريل (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوي
٥٥٢-	بلايين وبلايين	كارل ساجان	عزت عامر
٥٥٣-	ورود الخريف (مسرحية)	خاينيتو بينابيتتي	صبرى محمدى التهامي
٥٥٤-	عش الغريب (مسرحية)	خاينيتو بينابيتتي	صبرى محمدى التهامي
٥٥٥-	الشرق الأوسط المعاصر	ديورا ج. جيرنر	أحمد عبدالحميد أحمد
٥٥٦-	تاريخ أوروبا في العصور الوسطى	موريس بيشوب	علي السيد علي
٥٥٧-	الوطن المقتصب	مايكل رايس	إبراهيم سلامة إبراهيم
٥٥٨-	الأصول في الرواية	عبد السلام حيدر	عبد السلام حيدر

٥٦٩-	موقع الثقافة	هومي بابا	ثائر ديب
٥٧٠-	دول الخليج الفارسي	سير روبرت هاي	يوسف الشاروني
٥٧١-	تاريخ النقد الإسباني المعاصر	إيميليا دي ثوليتا	السيد عبد الظاهر
٥٧٢-	الطب في زمن الفراغة	برونو أليوا	كمال السيد
٥٧٣-	أقدم لك: فرويد	ريتشارد ايجناتس وأسكار زارتي	جمال الجزيري
٥٧٤-	مصر القديمة في عيون الإيرانيين	حسن بيرنيا	علاء الدين السباعي
٥٧٥-	الاقتصاد السياسي للعولمة	نجير وودز	أحمد محمود
٥٧٦-	فكر ثريانتس	أمريكو كاسترو	ناهد العشري محمد
٥٧٧-	مغامرات بينوكيو	كارلو كولودي	محمد قدرى عمارة
٥٧٨-	الجماليات عند كيتس وهنت	أيومي ميزوكوشي	محمد إبراهيم وعصام عبد الرعوف
٥٧٩-	أقدم لك: تشومسكي	جون ماهر وجودي جرونز	محيي الدين مزيد
٥٨٠-	دائرة المعارف الدولية (مج ١)	جون فيزر ويول سيجرز	بإشراف: محمد فتحى عبدالهادي
٥٨١-	الحققي يموتون (رواية)	ماريو بوزو	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٢-	مرايا على الذات (رواية)	هوشنك كلشيري	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٣-	الجيران (رواية)	أحمد محمود	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٤-	سفر (رواية)	محمود نولت آبادي	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٥-	الأمير احتجاج (رواية)	هوشنك كلشيري	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٦-	السينما العربية والأفريقية	ليزييث مالكموس وروى أرمز	سهام عبد السلام
٥٨٧-	تاريخ تطور الفكر الصيني	مجموعة من المؤلفين	عبدالعزیز حمدي
٥٨٨-	أمنحوتب الثالث	أنيس كابرول	ماهر جويجاتي
٥٨٩-	تبكت العجيبة (رواية)	فيلكس دييوا	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٥٩٠-	أساطير من الموروثات الشعبية الفنلندية	نخبة	محمود مهدي عبدالله
٥٩١-	الشاعر والمفكر	هوراتيوس	على عبدالقواب على وصلاح رمضان السيد
٥٩٢-	الثورة المصرية (ج ١)	محمد صبرى السوربوني	مجدى عبدالحافظ وعلى كورخان
٥٩٣-	قصائد ساحرة	بول فاليري	بكر الطلو
٥٩٤-	القلب السمين (قصة أطفال)	سوزانا تامارو	أمانى فوزى
٥٩٥-	الحكم والسياسة في أفريقيا (ج ٢)	إكوانو بانولى	مجموعة من المترجمين
٥٩٦-	الصحة العقلية في العالم	روبرت بيجارليه وآخرون	إيهاب عبدالرحيم محمد
٥٩٧-	مسلمو غرناطة	خوليو كاروباروخا	جمال عبدالرحمن
٥٩٨-	مصر وكنعان وإسرائيل	دونالد ريدفورد	بيومي على قنديل
٥٩٩-	فلسفة الشرق	هرداد مهريز	محمود علاوى
٦٠٠-	الإسلام في التاريخ	برنارد لويس	مدحت طه
٦٠١-	النسوية والمواطنة	ريان فوت	أيمن بكر وسمر الشيشكلي
٦٠٢-	ليوتارنحو فلسفة ما بعد حداثة	جيمس وليامز	إيمان عبدالعزيز
٦٠٣-	النقد الثقافي	آرثر أيزابرجر	وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسى
٦٠٤-	الكوارث الطبيعية (مج ١)	باتريك ل. أبيت	توفيق على منصور
٦٠٥-	مخاطر كوكبنا المضطرب	إرنست زيبروسكى (الصفير)	مصطفى إبراهيم فهمي
٦٠٦-	قصة البردي اليوناني في مصر	ريتشارد هاريس	محمود إبراهيم السعدنى

٦٠٧-	قلب الجزيرة العربية (ج١)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن
٦٠٨-	قلب الجزيرة العربية (ج٢)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن
٦٠٩-	الانتخاب الثقافى	أجنر فوج	شوقى جلال
٦١٠-	العمارة المبنية	رفائيل لويث جوشمان	على إبراهيم منوفى
٦١١-	النقد والأبولوجية	تيرى إيجلتون	فخرى صالح
٦١٢-	رسالة النفسية	فضل الله بن حامد الحسينى	محمد محمد يونس
٦١٣-	السياحة والسياسة	كولن مايكل هول	محمد فريد حجاب
٦١٤-	بيت الأقصر الكبير (رواية)	فوزية أسعد	منى قطان
٦١٥-	عرض الأحداث التى وقعت لى بغداد من ١١٩٢ إلى ١١٩٩	أليس بسيرينى	محمد رفعت عواد
٦١٦-	أساطير بيضاء	روبرت يانج	أحمد محمود
٦١٧-	الفولكلور والبحر	هوراس بيك	أحمد محمود
٦١٨-	نحو مفهوم لاقتصاديات الصحة	تشارلز فيلبس	جلال البنا
٦١٩-	مفاتيح أورشليم القدس	ريمون استانيولى	عايدة الباجورى
٦٢٠-	السلام الصليبي	توماش ماستاك	بشير السباعى
٦٢١-	النوبة المعبر الحضارى	وليم ى. أنمز	فؤاد عكود
٦٢٢-	أشعار من عالم اسمه الصين	أى تشينغ	أمير نبيه وعبدالرحمن حجازى
٦٢٣-	نواير جحا الإيرانية	سعيد قانعى	يوسف عبدالفتاح
٦٢٤-	أزمة العالم الحديث	رينيه جيتو	عمر الفاروق عمر
٦٢٥-	الجرح السرى	جان جينيه	محمد برادة
٦٢٦-	مختارات شعرية مترجمة (ج٢)	نخبة	توفيق على منصور
٦٢٧-	حكايات إيرانية	نخبة	عبدالوهاب علوب
٦٢٨-	أصل الأنواع	تشارلس داروين	مجدى محمود المليجى
٦٢٩-	قرن آخر من الهيمنة الأمريكية	نيقولا جويات	عزة الخميسى
٦٣٠-	سيرتى الذاتية	أحمد بللو	صبرى محمد حسن
٦٣١-	مختارات من الشعر الأفريقى المعاصر	نخبة	باشراف: حسن طلب
٦٣٢-	المسلمون واليهود فى مملكة فالنسيا	بولورس برامون	رانيا محمد
٦٣٣-	الحب وفنونه (شعر)	نخبة	حمادة إبراهيم
٦٣٤-	مكتبة الإسكندرية	روى ماكرويد وإسماعيل سراج الدين	مصطفى البهنساوى
٦٣٥-	التثبيث والتكيف فى مصر	جودة عبد الخالق	سمير كريم
٦٣٦-	حج بولندة	جناب شهاب الدين	سامية محمد جلال
٦٣٧-	مصر الضيوية	ف. روبرت هنتز	بدر الرفاعى
٦٣٨-	الديمقراطية والشعر	روبرت بن ودين	فؤاد عبد المطلب
٦٣٩-	فندق الأرقى (شعر)	تشارلز سيميك	أحمد شافعى
٦٤٠-	الكسياد	الأميرة أناكومنينا	حسن حبشى
٦٤١-	برتراند رسل (مختارات)	برتراند رسل	محمد قبرى عمارة
٦٤٢-	أقدم لك: داروين والتطور	جوناثان ميلر ويوردين فان لون	ممنوح عبد المنعم
٦٤٣-	سفرنامه حجاز (شعر)	عبد الماجد الريبابادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٦٤٤-	العلوم عند المسلمين	هوارد دغيتونز	فتح الله الشيخ

٦٤٥-	السياسة الخارجية الأمريكية ومصادرها الداخلية	تشارلز كجلى ويوجين ويتكوف	عبد الوهاب علوب
٦٤٦-	قصة الثورة الإيرانية	سپهر نبيج	عبد الوهاب علوب
٦٤٧-	رسائل من مصر	جون نيفيه	فتحى العشرى
٦٤٨-	بورخيس	بياتريث سارلو	خليل كلفت
٦٤٩-	الخوف وقصص خرافية أخرى	جى دى موياسان	سحر يوسف
٦٥٠-	الدولة والسلطة والسياسة فى الشرق الأوسط	روجر أووين	عبد الوهاب علوب
٦٥١-	بيليسبس الذى لا نعرفه	وثائق قديمة	أمل الصبان
٦٥٢-	آلهة مصر القديمة	كلود ترونكر	حسن نصر الدين
٦٥٣-	مدرسة الطفاة (مسرحة)	إيريش كستتر	سمير جريس
٦٥٤-	أساطير شعبية من أوزبكستان (ج١)	نصوص قديمة	عبد الرحمن الخميسى
٦٥٥-	أساطير وآلهة	إيزابيل فرانكو	حليم طوسون ومحمود ماهر طه
٦٥٦-	خيز الشعب والأرض الحمراء (مسرحتان)	ألفونسو ساسترى	ممدوح البستاوى
٦٥٧-	محاكم التفتيش والموريسكيون	مرثيديس غارثيا أرينال	خالد عباس
٦٥٨-	حوارات مع خوان رامون خيمينيث	خوان رامون خيمينيث	صبرى التهامى
٦٥٩-	قصائد من إسبانيا وأمريكا اللاتينية	نخبة	عبد اللطيف عبد الحليم
٦٦٠-	نافذة على أحدث العلوم	ريتشارد فايغيلد	هاشم أحمد محمد
٦٦١-	روائع أندلسية إسلامية	نخبة	صبرى التهامى
٦٦٢-	رحلة إلى الجذور	داسو سالديار	صبرى التهامى
٦٦٣-	امراة عابية	ليوسيل كليفتون	أحمد شافعى
٦٦٤-	الرجل على الشاشة	ستيفن كوهان وإنا راي هارك	عصام زكريا
٦٦٥-	عوالم أخرى	بول دافيز	هاشم أحمد محمد
٦٦٦-	تطور الصورة الشعرية عند شكسبير	وولفجانج اتش كليمن	جمال عبد التامر وممدوح الجيار وجمال جاد الرب
٦٦٧-	الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربى	ألفن جولنر	على ليلة
٦٦٨-	ثقافات العولة	فريدريك چيمسون وماساو ميوشى	ليلى الجبالى
٦٦٩-	ثلاث مسرحيات	رول شوينكا	نسيم مجلى
٦٧٠-	أشعار جوستاف أدولفو	جوستاف أدولفو بكر	ماهر البطوطى
٦٧١-	قل لى كم مضى على رحيل القطار؟	جيمس بولنوين	على عبدالأمير صالح
٦٧٢-	مختارات من الشعر الفرنسى للأطفال	نخبة	إيتهاى سالم
٦٧٣-	ضرب الكليم (شعر)	محمد إقبال	جلال الحفناوى
٦٧٤-	ديوان الإمام الخمينى	آية الله العظمى الخمينى	محمد علاء الدين منصور
٦٧٥-	أثينا السوداء (ج٢، ج١)	مارتن برنال	ياشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٦-	أثينا السوداء (ج٢، ج١)	مارتن برنال	ياشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٧-	تاريخ الأدب فى إيران (ج١، ج٢)	إيوارد جرانتيل براون	أحمد كمال الدين حلمى
٦٧٨-	تاريخ الأدب فى إيران (ج١، ج٢)	إيوارد جرانتيل براون	أحمد كمال الدين حلمى
٦٧٩-	مختارات شعرية مترجمة (ج٢)	وليام شكسبير	توفيق على منصور
٦٨٠-	سنوات الطفولة (رواية)	رول شوينكا	سمير عبد ربه
٦٨١-	هل يوجد نص فى هذا الفصل؟	ستانلى فش	أحمد الشيمى
٦٨٢-	نجوم حظر التجوال الجديد (رواية)	بن أوكرى	صبرى محمد حسن

٦٨٣-	سكين واحد لكل رجل (رواية)	ت. م. ألوكر	صبري محمد حسن
٦٨٤-	الاعمال القصصية الكاملة (أنا كندا) (ج١)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسي
٦٨٥-	الاعمال القصصية الكاملة (السحراء) (ج٢)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسي
٦٨٦-	امراة محاربة (رواية)	ماكسين هونج كنجستون	سحر توفيق
٦٨٧-	محبوبة (رواية)	فتانة حاج سيد جوادى	ماجدة العناني
٦٨٨-	الانفجارات الثلاثة العظمى	فيليب م. دوير وريتشارد أ. موار	فتح الله الشيخ وأحمد السماحي
٦٨٩-	الملف (مسرحية)	تايوش روجيفيتش	هنا عبد الفتاح
٦٩٠-	محاكم التفتيش فى فرنسا	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩١-	ألبرت أينشتاين: حياته وغرامياته	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩٢-	أقدم لك: الوجودية	ريتشارد أيجانسي وأوسكار زاريت	حمدي الجابري
٦٩٣-	أقدم لك: القتل الجماعى (المحرقة)	حاثيم برشيت وآخرون	جمال الجزيري
٦٩٤-	أقدم لك: دريدا	جيف كولنر وبييل ماييلين	حمدي الجابري
٦٩٥-	أقدم لك: رسل	ديف روبنسون وجودي جروف	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٦-	أقدم لك: روسو	ديف روبنسون وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٧-	أقدم لك: أرسطو	روبرت ودفين وجودي جروف	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٨-	أقدم لك: عصر التنوير	ليود سينسر وأندريجي كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٩-	أقدم لك: التحليل النفسى	إيفان وارد وأوسكار زاريت	جمال الجزيري
٧٠٠-	الكاتب وواقعه	ماريو فرجاش	بسمة عبدالرحمن
٧٠١-	الذاكرة والعداة	وليم رود فيفيان	منى البرنس
٧٠٢-	الأمثال الفارسية	أحمد وكيليان	محمود علاوى
٧٠٣-	تاريخ الأدب فى إيران (ج٢)	إدوارد جرانتيل براون	أمين الشواربي
٧٠٤-	فيه ما فيه	مولانا جلال الدين الرومى	محمد علاء الدين منصور وآخرون
٧٠٥-	فضل الأنام من رسائل حجة الإسلام	الإمام الغزالي	عبدالحميد مذكور
٧٠٦-	الشفرة الوراثية وكتاب التحولات	جونسون ف. يان	عزت عامر
٧٠٧-	أقدم لك: فالتر بنيامين	هوارد كاليبج وآخرون	وقاء عبدالقادر
٧٠٨-	قراءة من؟	دونالد مالكولم ريد	رؤف عباس
٧٠٩-	معنى الحياة	ألفريد أدلر	عادل نجيب بشرى
٧١٠-	الأطفال والتكنولوجيا والثقافة	يان هاتشبائ وجوميران إليس	دعاء محمد الخطيب
٧١١-	درة التاج	ميرزا محمد هادى رسوا	هنا عبد الفتاح
٧١٢-	ميراث الترجمة: الإلياذة (ج١)	هوميروس	سليمان البستاني
٧١٣-	ميراث الترجمة: الإلياذة (ج٢)	هوميروس	سليمان البستاني
٧١٤-	ميراث الترجمة: حديث القلوب	لامنيه	حنا صاوه
٧١٥-	جامعة كل المعارف (ج١)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٦-	جامعة كل المعارف (ج٢)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٧-	جامعة كل المعارف (ج٣)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٨-	جامعة كل المعارف (ج٤)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٩-	جامعة كل المعارف (ج٥)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧٢٠-	جامعة كل المعارف (ج٦)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧٢١-	فلسفة المتكلمين فى الإسلام (مج١)	ه. أ. ولفسون	مصطفى ليبب عبد الغنى

الصفحة وقصص أخرى	٧٢٢-	يشار كمال	الصفصافي أحمد القطوري
تحديات ما بعد الصهيونية	٧٢٣-	إفرايم نيمنى	أحمد ثابت
اليسار الفرويدي	٧٢٤-	بول روينسون	عبد الريس
الاضطراب النفسى	٧٢٥-	جون فيتكس	مى مقلد
الموريكيون فى المغرب	٧٢٦-	غيرمو غوثاليس بوسنو	مروة محمد إبراهيم
حلم البحر (رواية)	٧٢٧-	باچين	وحيد السعيد
العولة: تدمير العمالة والنمو	٧٢٨-	موريس آليه	أميرة جمعة
الثورة الإسلامية فى إيران	٧٢٩-	صادق زيباكلام	هويدا عزت
حكايات من السهول الأفريقية	٧٣٠-	آن جاتى	عزت عامر
التوح: الفكر والأثى بين التميز والاختلاف	٧٣١-	مجموعة من المؤلفين	محمد قدرى عمارة
قصص بسيطة (رواية)	٧٣٢-	إنجو شوالته	سمير جريس
مأساة عطيل (مسرحية)	٧٣٣-	وليم شيكسبير	محمد مصطفى بدوى
بونايرت فى الشرق الإسلامى	٧٣٤-	أحمد يوسف	أمل الصبان
فن السيرة فى العربية	٧٣٥-	مايكل كويرسون	محمود محمد مكي
التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (ج١)	٧٣٦-	هوارد زن	شعبان مكاوى
الكوارث الطبيعية (مج٢)	٧٣٧-	باتريك ل. أبوت	توفيق على منصور
دمشق من عصر ما قبل التاريخ إلى العولة الملوكية	٧٣٨-	جيرار دى جورج	محمد عواد
دمشق من الإمبراطورية السلطانية حتى الوقت الحاضر	٧٣٩-	جيرار دى جورج	محمد عواد
خطابات القوة	٧٤٠-	بارى هندس	مرفت ياقوت
الإسلام وأزمة العصر	٧٤١-	برنارد لويس	أحمد هيكل
أرض حارة	٧٤٢-	خوسيه لاكويرا	رزق بهنسى
الثقافة: منظور داروينى	٧٤٣-	روبرت أونجر	شوقى جلال
ديوان الأسرار والرموز (شعر)	٧٤٤-	محمد إقبال	سمير عبد الحميد
المآثر السلطانية	٧٤٥-	بيك الدنبلى	محمد أبو زيد

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٦٢٧١ / ٢٠٠٥

هذا الكتاب من أهم الآثار التاريخية في العصر
القاجاري الأول: إذ إنه يحتوي على تاريخ الأسرة
القاجارية ونشأتها ومرحلة تأسيس الدولة على يد
أخا محمد خن القاجاري وتاريخ سلطنة فتح علي شاه
القاجاري وما أثره وأعمال ولي عهده حاكم مملكة
أذربيجان عباس ميرزا وحروب إيران مع كل من روسيا
والدولة العثمانية، وذلك حتى عام ١٢٤١ هـ. ق. كما
أنه يعتبر واحداً من أهم المؤلفات التاريخية التي
اهتمت بتسجيل وقائع المعارك والحروب الإيرانية
الروسية التي وقعت في الفترة من عام ١٢١٩ هـ. ق.
ولحتى عام ١٢٤١ هـ. ق. (١٨١٤م: ١٨٢٦م)، وحيث إنه
يحتوي على سجل كامل ووضوح دقيق لهذه المعارك
استقاه المؤرخ من الوثائق الرسمية للدولة، كما أنه
يعتبر مصدراً تاريخياً مهماً يحتوي على تاريخ إيران
في العصر القاجاري الأول من النواحي الاجتماعية
والاقتصادية والسياسية والعسكرية والثقافية وبدانة
نهضة إيران في العصر الحديث وانفتاحها على العالم
الخارجي.